

لسانيات النص

مداخل نظرية مع دراسة اجرائية

في كتاب طوق الحمامة

لابن حزم الاندلسي

سعد سرحدی



لَسَا فَيَا سَاحِ
الْأَنْصَارِ

لِسَانِيَّاتُ النَّصِّ

مَدَاخِلُ نَظَرِيَّةٍ مَعَ دِرَاسَةِ إِجْرَائِيَّةٍ

فِي كِتَابِ طُوقِ الْحَمَامَةِ لِابْنِ حَزْمٍ الْأَنْدَلُسِيِّ

أَسْعَدُ سِرْحَتٍ

لسانيات النص : مداخل نظرية مع دراسة إجرائية في كتاب طوق الحمامة لابن حزم

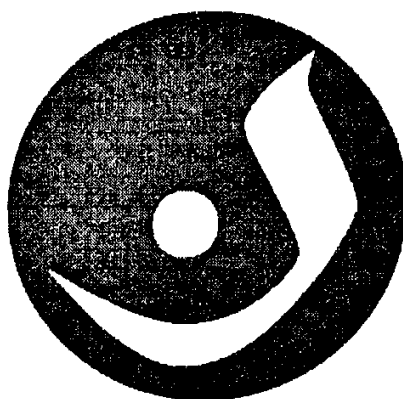
الاندلسي - سعد سرحت

الطبعة الأولى : 2016 ، قياس 14 × 21.

تصميم الغلاف : منشورات نون.

التنفيذ الإلكتروني والفني والإخراج : سلسلة منشورات نون (1).

رقم الإيداع (2123)



سلسلة منشورات نون

تنويه

جميع الحقوق محفوظة ، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب ، أو أي جزء منه
بأي شكل من الأشكال ، دون إذن خطي من المؤلف .

**all rights reserved , not allowed to re-publish this book or
any part of it , in any form , without a written permission of
the author.**

إهداء

الى مرساتي

حين تتشاطأ أحلامي وكل هم.

حين تتشاطأ عيني ومأساتي.

حين تتلفع الآمال بأغطية العدم.

حين أعاني العشق مجراً

وأشواقني تمخر.

يا ترتيلة

من طقوسي حين أنتظر

و موئلي إذ أعاني لعنة الظلم حلیمُ يا من ترشُّ النورَ بالنعمِ

يا نعمةً أربكت يآسي بطلتها تجتاحني كالخطيئات بلیلِ عَمِي

سعد

المحتويات

الصفحة	الموضوع
13	المقدمة
21	الفصل الأول: مفهوم النص
23	المبحث الأول: النص في الحضارة العربية الإسلامية
	أولاً - الأساس المعجمي
	ثانياً - النص اصطلاحاً
	ثالثاً - نسيج الكلام
35	المبحث الثاني النص في الحضارة الغربية
	أولاً - الأساس المعجمي
	ثانياً - النص اصطلاحاً
	ثالثاً - ما يدور في فلك النص من قضايا إشكالية
53	الفصل الثاني: لسانيات النص مفهومه ونشأته وقضاياها ومصطلحاته
55	المبحث الأول: لسانيات النص مفهومه ونشأته والنقطة الكبيرة التي شهدتها
	اللسانيات
	أولاً - مفهوم لسانيات النص
	ثانياً - نشأة لسانيات النص
	ثالثاً - من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص
	رابعاً - بين لسانيات الجملة ولسانيات النص
69	المبحث الثاني لسانيات النص قضاياها ومصطلحاته
	أولاً - مكونات النص (= الوحدة النصية الصغرى)
	ثانياً - معايير النص أو مقوماته (= النصية)
	ثالثاً - إشكالية المصطلح
101	الفصل الثالث: الاتساق
103	المبحث الأول الاتساق نظرياً

أولاً - الاتساق النحوي

الإحالة

الحذف

الاستبدال

التحديد

الربط

ثانياً - الاتساق المعجمي

التكرار

المصاحبة المعجمية

ثالثاً - الاتساق الصوتي

الوزن والقافية

السجع والازدواج (المزدوج)

الجناس

135

المبحث الثاني الاتساق في طوق الحمامة

أولاً - الاتساق النحوي

الإحالة

الحذف

الاستبدال

التحديد

الربط

ثانياً - الاتساق المعجمي

التكرار

المصاحبة المعجمية

ثالثاً - الاتساق الصوتي

	الوزن والقافية
	السجع والازدواج (المزدوج)
	الجناس
191	الفصل الرابع: الانسجام
193	المبحث الأول الانسجام نظرياً
	أولاً - الانسجام مفهومه
	ثانياً - الانسجام وسائله
209	المبحث الثاني الانسجام في طوق الحمامة
	أولاً - مبدأ التغريض (فاعلية العنوان في انسجام الطوق)
	ثانياً - ترتيب الخطاب والعلاقة بين فصوله (=أبوابه)
	ثالثاً - علاقات الانسجام في إطار الوحدات النصية
	رابعاً - موضوع الخطاب
227	الفصل الخامس: الإعلامية والمقصدية والمقبولية
229	المبحث الأول الإعلامية والمقصدية والمقبولية نظرياً
	أولاً - الإعلامية
	ثانياً - المقصدية
	ثالثاً - المقبولية
239	المبحث الثاني الإعلامية والمقصدية والمقبولية في طوق الحمامة
	أولاً- الإعلامية
	ثانياً- المقصدية
	ثالثاً- المقبولية
253	الفصل السادس: المقامية أو الموقفية (=رعاية الموقف)
255	المبحث الأول المقامية أو الموقفية نظرياً
	أولاً- السياق، عناصره واضربه

	ثانياً- حجاجية الصورة
	ثالثاً- الأفعال الكلامية
273	المبحث الثاني المقامية أو الموقفية في طوق الحمامة
	أولاً- السياق, عناصره واضربه في طوق الحمامة
	ثانياً- حجاجية الصورة في طوق الحمامة (مهيمنة التشبيه أنموذج)
	ثالثاً- نماذج من الأفعال الكلامية في طوق الحمامة
301	الفصل السابع: التناص
303	المبحث الأول التناص نظرياً
	أولاً- مفهوم التناص
	ثانياً- أشكال التناص
311	المبحث الثاني التناص وأشكاله في طوق الحمامة
	التناص الشكلي (الهيكلي)
	التناص النحوي
	التناص الذاتي (السيرى)
	التناص الديني
	التناص الأدبي
	المرجعيات الفلسفية
249	الخاتمة
353	ثبت بمجموعة مصطلحات وردت في الدراسة
373	ثبت المصادر والمراجع

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

شهد علم اللغة الحديث (اللسانيات) انعطافة كبيرة، تمثلت بانتقال ثقل الدرس اللساني من تبني (الجملة) بوصفها أحق وحدة في التحليل والممارسة، إلى تبني فضاء رحب يتجاوز الجملة وحدودها الضيقة، ذلكم هو الفضاء النصي، الذي يحتاج بغية تكوينه وتحليله، إلى تضافر كل أطراف العملية الاتصالية. على أن هذه الانعطافة لا تعني إيقاع الجملة ونحوها في الظل، بقدر ما تعني تصحيحاً للمسار اللساني، الذي ينبغي أن ينطلق في عمله من نظرة مغايرة عما كان عليها علم اللغة عند القدامى، وعند المعاصرين من بنيويين وتوليديين وغيرهم، الذين جعلوا من الجملة نهاية المطاف ولم يطالوا بنظرهم غيرها مما يجاورها في المعطى اللغوي.

وفي ضوء هذه الاعتبارات سعى هذا الحقل اللغوي المعروف بلسانيات النص - وإن شئت نحو النص - جاهداً إلى الوقوف على العلاقات والقواعد التي تجمع بين لسانيات الجملة ولسانيات ما وراء الجملة، إذ لم تستوقفه الجملة على أنها نهاية المطاف، وإنما انفتح هذا الحقل على فضاء التواصل، محاولة منه للوقوف عند جميع أطراف الخطاب ومقاصده الظاهرة والخفية والملابسات التي أنشئ فيها. وهذا ما اقتضاه الأخذ من كل الحقول اللغوية بطرف، فكان بحق من أبرز مظاهر التداخل المنهجي والرؤيوي بين فروع علم اللغة الحديث - بكل تشعباتها - وبين غيرها من الحقول المعرفية المجاورة وغير المجاورة، وذلك إلى الدرجة التي سوّغ معها وصفه بأنه (علم عبر تخصصي)، أو أنه (علم متداخل الاختصاصات)، أو أنه (نحو هجين). وهذا التداخل بين كل هذه الحقول والتخصصات إن دلّ على أمر فإنما يدلّ على تنامي الدرس اللساني المعاصر، واستقامة نظريته إلى العملية الاتصالية التي لا يمكن مقارنتها إلا بتكامل المعرفة اللغوية وعلمنتها.

تتناول هذه الدراسة وسائل لسانيات النص وتقنياته وقضاياها وإشكالاته في مداخل نظرية موسعة تضم جملة من التصورات والرؤى لمختلف الاتجاهات والمذاهب والرؤى الفردية في اللسانيات والنظرية الأدبية ثم تتبناها في ممارسة اجرائية على متن تراثي يعدّ من أروع المتون التي تناولت بالفحص الدقيق موضوع (الحب) وإشكالاته، ذلكم هو كتاب (طوق الحمامة في الألفة والآلاف)⁽¹⁾ لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الأندلسي الظاهري (ت456هـ)⁽²⁾ الذي حاولنا اختبار عشرين باباً من

(1) اعتمدت الدراسة على كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف لابن حزم الأندلسي، اعتنى به وقدم له عبد الرحمن المصطاوي، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2004م.

وهو في رأينا من أكثر التحقيقات دقة، لأنه استطاع أن يتدارك كل ما فات غيره في التحقيقات التي سبقته.

(2) ينظر ترجمته في:

أبوابه الثلاثين، مع وقفات قليلة على خاتمته وعلى ما أسماه الناسخ بـ (نيل الأصل) لنثبت من خلال مقارنته اتساق النص وانسجامه، ولنكشف عن مقاصده و مقاصد صاحبه ،وكذا عن مقاصد ناسخه فهو نص مختصر تقف وراء اختصاره مقصدية الناسخ ومساغيه المذهبية على ما سيتضح بعد، و أيضاً لنكشف عن مدى مراعاته طبيعة المشاركين فيه، ومدى مراعاته الموقف الذي أنشئ فيه. وذلك انطلاقاً من حقيقة أن ما تكشف عنه الأبواب العشرون المختارة، حتماً، ستكشف عنه الأبواب العشرة المتبقية منه.

هذا، وقد استوت الدراسة – بعد هذه المقدمة – على سبعة فصول، تتلوها خاتمة تضم أهم النتائج التي انتهينا عندها، ثم لجأنا الى وضع ثبوت بأهم المصطلحات الموظفة في الدراسة، والتي يحتاج تكييفها الى الشرح الموجز. وقد خصصنا الفصلين الأولين لوصف أرضية مناسبة تدلّ العقبات التي تحول دون فهم المنطلقات ومحاولة تطبيقها تطبيقاً ناجحاً، وإلا فإن هذه المنطلقات تشكل عتبة ومدخلاً ضروريين في الدراسات النصية. وأما الفصول الخمسة الباقية، فقد حمل كلٌّ منها اسم معيار، أو أكثر، من معايير النص، كما طرحها (روبرت دي بوجراند ودريسلر) دون أن نعني أننا اقتصرنا على طرحها وغضضنا الطرف عن طروحات غيرهما، وإنما تعاملنا بطريقة انتقائية تحاول التوفيق بين جميع التصورات والرؤى المطروحة من لدن علماء النص على اختلاف اتجاهاتهم من نحاة النص ومحلي الخطاب وبنبؤتين

-
- المغرب في حلى المغرب ستة مؤلفين آخرهم علي بن سعيد (685هـ) 350/1 وما بعدها.
 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقري التلمساني (1041هـ) 356/1 وما بعدها.
 - كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تأليف الإمام أبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال (0578هـ)، 395/2 وما بعدها.
 - معجم الأدباء، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الروحي البغدادي (626هـ) 235/12 وما بعدها.
 - جنوه المقتبس، أبو عبد الله الحميري (ت488هـ) 289/ وما بعدها.
 - البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت774هـ) 157/7.
 - دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، الدكتور الطاهر أحمد مكي، 9-10.
 - ابن حزم حياته وفقهه محمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربي 1954.
 - ابن حزم وموقفه من الإلهيات، الدكتور أحمد ناصر الحمد منشورات مركزا لبحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة د.ت.
 - ابن حزم صورة أندلسية، الدكتور طه الحاجري، دار الفكر العربي القاهرة، د. ت.
 - ابن حزم رائد الفكر العربي، المكتب التجاري بيروت، 1970م.
 - ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، عبد الحليم عويس مكتبة الزهراء للأعلام العربي القاهرة 1988.
 - ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي د. إحسان محمد حسان دار الفكر العربي د. ت.

وسيميائيتين فضلاً عن الرؤى والتصورات المبكرة في الحضارة العربية الإسلامية- التي عالجت القضايا النصية في مباحث النحو والبيان والنقد الأدبي وعلوم القرآن والتفسير. ومهما يكن من أمر، فإن خطة الدراسة جاءت على هذا النحو:

- تناول الفصل الأول مفهوم النص في الحضارتين العربية والغربية، وقد جاء على مبحثين: حاولنا في أولهما تأصيل مصطلح النص في الحضارة العربية الإسلامية، عبر الوقوف على الأساس الوضعي لمادة (نص) في المعجم العربي، ومن ثم عرجنا على المعنى الاصطلاحي عند الأصوليين والمحدثين، وعندنا حاولنا تشخيص السبب في عدم تبني الحضارة العربية الإسلامية (النص) مصطلحاً أدبياً، على الرغم من مرونة مادته وقدره هذه المادة الاستيعابية على هضم المفهوم الزاهن للنص. وكذا أجبنا عن سؤال ملح مؤداه: لم غلبت هذه الحضارة مصطلحات من قبيل (الكلام) و(النظم) و(الكتابة) وغيرها على مصطلح النص؟ وقد اقتضت هذه الإجابة إجراء مقارنة مبكرة بين (نسيج الكلام) في الحضارة العربية الإسلامية، وبين (نسيج النص) في الثقافات المتفرعة عن اللاتينية (أي الحضارة الغربية). وخصّص المبحث الثاني لمفهوم النص في الثقافات المتفرعة عن اللاتينية، ما ألزما الوقوف على الأساس المعجمي للنص، وكذا مدى تغذي المفهوم الاصطلاحي عليه، فضلاً عن بحثنا عن السبب الكامن وراء هيمنة الحاضر الغربي على المفهوم المعاصر للنص. ثم خصّصنا فقرة ثالثة نستعرض من خلالها أهم ما يدور في فلك النص من قضايا إشكالية، كحجم النص، وانفتاحه وانغلاقه، وكتابته وشفاهيته، وكذا أهم ما يتميز، من خلاله، النص من الخطاب.

- وانعقد الفصل الثاني لبيان مفهوم لسانيات النص أو نحو النص، ونشأته وقضايا ومصطلحاته، وقد اشتمل- أيضاً- على مبحثين:

تناولنا في المبحث الأول مفهوم لسانيات النص ودواعي نشأته، والنقلة الكبيرة التي شهدتها علم اللغة الحديث، والتي تمثلت بمحاولات جادة لتجاوز حدود الجملة إلى الفضاء النصي، وما تضمنته هذه المحاولات من رؤى وطروحات وردّات فعل نعرضها من خلال مقارنة بين النص والجملة، وبين لسانيات النص ولسانيات الجملة، ومدى إمكانية استقلال لسانيات النص عن لسانيات الجملة. أما المبحث الثاني، فقد عالج ثلاثة إشكاليات كبرى-إلا فعند الباحث-أولى هذه الإشكاليات تمثلت بـ(مكونات النص) أو (الوحدة النصية الصغرى) لأنها تعدّ بمثابة النتائج الملموسة لتلك النقلة التي تكلمنا عنها في المبحث السابق.

وأما الإشكالية الثانية، فقد تجسّدت بمعايير النص أو مقوماته، اقتصرنا في عرضها على تصورات نحاة النص ومحلّي الخطاب.

وأما الإشكالية الثالثة، فهي من أصعبها وأكبرها، تلكم هي إشكالية المصطلح، إذ تشكّل إشكالية المصطلح عقبة كبيرة في طريق سير الدراسات المعاصرة.

- انعقد الفصل الثالث، لأول معايير النص أي (الاتساق) بأنواعه الثلاثة (النحوي) و(المعجمي) و(الصوتي) وقد جاء على مبحثين، خصصنا الأول منهما لمفهوم الاتساق ووسائله نظرياً، قبل أن نأتي في المبحث الثاني إلى إسقاط كل ذلك على نص الطوق. وأما عن أهم الوسائل الاتساقية التي تبنتها الدراسة، فيمكن معاينتها عبر أنواع الاتساق الثلاثة: ففي (الاتساق النحوي) تناولنا (الإحالة) والحذف- والاستبدال- والتحديد-والربط بأنواعه) وفي (الاتساق المعجمي) تناولنا (التكرار، والمصاحبة المعجمية). وفي (الاتساق الصوتي) تناولنا (الوزن والقافية، والسجع والازدواج، والجناس).
- تناول الفصل الرابع ثاني معايير النص، أي (الانسجام) واشتمل أيضاً- على مبحثين: مبحث نظري ومبحث إجرائي. تعرضنا في أولهما إلى مفهوم الانسجام ووسائله، فكان (مبدأ التفريض)، و(ترتيب الخطاب والعلاقة بين فصوله)، و(علاقات الانسجام في إطار الوحدات النصية)، و(البنية الكبرى/ موضوع الخطاب) - أهم الوسائل التي تبنتها الدراسة. وأما المبحث الثاني، فكان ميدانه كتاب (طوق الحمامة) ومدى استجابته لتطبيق هذه الوسائل عليه.
- تعرضنا في الفصل الخامس إلى معايير (الإعلامية والمقصدية والمقبولية) التي آثرنا دمجها، خشية الإطالة من جهة، واعتماداً على الوجهة القائلة بشدة ارتباطها معاً من جهة أولى. وكسابقاته اشتمل هذا الفصل على مبحثين، اختص الأول بتناول هذه المعايير الثلاثة نظرياً. وكان الثاني ميداناً لتطبيق ما تناولنا في الأول على طوق الحمامة.
- واختص الفصل السادس - بتداولية النص، فكان أن حمل عنوان (المقامية أو الموقفية). جعلنا المبحث الأول منه مختصاً بالجانب النظري، وجعلنا الثاني مجالاً إجرائياً نثبت فيه أنساق طوق الحمامة بمعيار المقامية. وقد تبنت الدراسة (السياق وأضره) و(حجاجية الصورة) و(الأفعال الكلامية)، باعتبارها وسائل نتوصل من خلالها إلى هذه السمة النصية.
- وأما الفصل السابع، فقد تناول سابع معايير النص، عند (دي بوجراند و زميله) ألا وهو (التناص). تعرضنا في المبحث الأول منه إلى مفهومه وأشكاله تعرضاً نظرياً بصورة مبسطة، قبل أن ننقل إلى ميدان التطبيق في المبحث الثاني، حيث أطلنا الوقوف عند استخبار طوق الحمامة الذي كشف عن انفتاح لافت على نصوص التراث وأشكاله وأجناسه. وقد تبنت الدراسة أشكالاً ستة للتناص. وهي: (التناص الشكلي)، و(التناص النحوي)، و(التناص الداخلي أو السيري)، و(التناص الديني)، و(التناص الأدبي)، و(المرجعيات الفلسفية).
- هذا، وبحكم انتماء موضوع الدراسة إلى منهج (متداخل الاختصاصات)، فإن مصادرها قد تنوعت وتوزعت بين جميع اختصاصات اللغة، من نحو وأدب وبلاغة وعروض ومعجم وعلوم القرآن، وتفسير، ودراسات أسلوبية ونقدية ولسانية، كما اعتمدت، أيضاً، الشيء القليل من الدراسات الثقافية والتاريخية والإعلامية، على أن أكثر المصادر فاعلية، مما أفادت منها الدراسة، هي مصادر لسانيات النص وتحليل

الخطاب، وذلك مثل (النص والخطاب والإجراء) لروبرت دي بوجراند، الذي ترجمه العلامة تمام حسان، و(علم النص مدخل متداخل الاختصاصات) لتون فاندنيك، الذي ترجمه الدكتور سعيد بحيري و(التداولية) لجورج يول، الذي ترجمه الدكتور قصي العتّابي، و(مدخل إلى علم النص) لزيستسلاف واورزنيك، الذي ترجمه- أيضاً- الدكتور سعيد بحيري . هذا عن الكتب الغربية المترجمة، وأمّا عن الكتب العربية، فنقف دراسة الدكتور محمد خطّابي الموسومة بـ (لسانيات النص...)، ودراسة الدكتور الازهر الزناد الموسومة بـ(نسيج النص...) ودراسة الدكتور أحمد عفيفي الموسومة بـ(نحو النص...)، ودراسة الدكتور محمد العبد الموسومة بـ(النص والخطاب والاتصال)، ودراسة الدكتور حسام أحمد فرج الموسومة بـ(نظرية علم النص...)، ودراسة الدكتور مسعود صحراوي الموسومة بـ(التداولية عند العلماء العرب...) ودراسة الاستاذة ليندة قيّاس الموسومة بـ(لسانيات النص النظرية والتطبيق...) -نقول: تقف هذه الدراسات من بين أهم المصادر التي رفدت موضوع الدراسة والباحث بالكثير.

وبعد، فهذه الدراسة جهد في أقصى غايات التواضع على طريق البحث العلمي والممارسة الجادة، ولذا ألتمس من القارئ العذر في حال وقوفه على زلات أو هفوات، و أَلَا فَإِنَّ الْكَمَالَ لِلَّهِ.

والحمد لله أولاً و عقب كل أمر.

سعد

2013/3/25م

الفصل الأول

(مفهوم النص)

المبحث الأول (النص في الحضارة العربية الإسلامية)

أولاً- الأساس المعجمي

ثانياً- النص اصطلاحاً

ثالثاً- نسيج الكلام

المبحث الثاني (النص في الحضارة الغربية)

أولاً- الأساس المعجمي

ثانياً- النص اصطلاحاً

ثالثاً- ما يدور في فلك النص من قضايا إشكالية

المبحث الأول

(النص في الحضارة العربية

الإسلامية)

أولاً- الأساس المعجمي

ثانياً- النص اصطلاحاً

ثالثاً- نسيج الكلام

لنص مفهوم إشكالي يثير - حالما نتصدى إليه - مفاهيم تجاوره، وتتداخل معه أيما تداخل، مثل الخطاب والأدب الشفاهي والأثر الأدبي، وهو كذلك مفهوم شائك وملتبس وعائم، تُقدّم بصدده تصورات وتقنيات متباينة، فكل تعريف للنص يعكس توجهاً معرفياً ونظرياً ومنهجياً معيناً، وذلك لارتباطه بحقول معرفية مختلفة من لسانيات وسميانيات ولسانيات نصية. فكان تحديده، وضبط مفهومه يكاد يكون عتبة أو مدخلاً ضرورياً عند كل من يريد تناول قضية نظرية أو معالجة نصية، وفق تصور منهجي محدد⁽³⁾. وهنا نحاول إبراز مفهومه في الثقافتين العربية والغربية، اللتين - كما سيتضح - اختلفتا اختلافاً بيناً في مفهومه، نظراً لاختلاف دوافعهما وموجهاتهما العديدة، واختلاف الشروط الحضارية والمادية والخلفية الابدستولوجية لكل منهما؛ لذا أثرنا الوقوف على الأساس المعجمي - أولاً - محاولة لاستنباط بعض المؤشرات التي يمكن أن توصلنا إلى المفهوم الاصطلاحي.

أولاً - الأساس المعجمي

تعود كلمة (نص) إلى الجذر الثلاثي المضعف (نصص)، وهو ((أصل صحيح يدلّ على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء))⁽⁴⁾.

ولعل هذه الدلالات: (الرفع والظهور والانتفاء) دلالات مركزية تلفت حولها دلالات أخرى متنوعة تتغذى عليها، فكان ذلك سرّ انصراف أغلب الباحثين في النصية إلى التركيز في فكرة الرفع والإظهار والانكشاف، واكتفائهم بها دون أن ينتبهوا إلى دلالات أخرى ذات صلة بالمحمول الاصطلاحي للنص، عند الأصوليين والمحدثين في الحضارة العربية الإسلامية، ومن ثم بحاضر مفهومه الغربي المهيمن؛ إذ جاءت هذه المادة - في المعجم العربي - مرنة ذات سعة لتحتوي جملة معانٍ تتداخل فيها الماديات والمعنويات، ارتأى البحث إجمالها بنقاط، ومن ثم ربط كل منها بلمح من ملامح النص في صورته الأخيرة الاصطلاحية، عند المتقدمين وعند المعاصرين، فمن معاني النص:

1. النص الارتفاع والانتصاب والظهور، جاء في اللسان: ((النص رفعك الشيء ... وكل ما أظهر فهو نص))⁽⁵⁾.

وفي أساس البلاغة ((انتص السنام: ارتفع وانتصب))⁽⁶⁾. فكون الشيء مرفوعاً، فإنه داعٍ إلى ظهوره وانكشافه، فقولهم: ((وضع على المنصة، أي غاية الفضيحة والشهرة والظهور، والمنصة ما تظهر عليه العروس لترى ...))⁽⁷⁾. لأن الارتفاع والانتصاب سبيل إلى الانكشاف والشهرة.

(3) ينظر: تقابلات النص وبلاغة الخطاب نحو تاويل واقعي، محمد بازي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010م / 131-132.

(4) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (395هـ)، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 2008م. مادة نص/ 962.

(5) لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور (711هـ)، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من الأساتذة المختصين، ط1، دار الحديث، القاهرة 2003م. مادة (نص) 8/ 575.

وهنا يظهر الجامع بين المعنيين: اللغوي والاصطلاحي، من خلال ان النص ظاهر ومكشوف وأنه ((يستحيل تسمية أي مكتوب نصاً، ما لم يكن ظاهراً لمجموعة من الناس بحيث يعرفونه معرفة تامة ويجمعون على تداول معانيه، وحفظ ألفاظه ضمن منظومتهم الفكرية والثقافية والاجتماعية))⁽⁸⁾.

2. النص جعل الشيء بعضه على بعض، وذلك من قولهم: ((نصصت المتاع، كذا جعلت بعضه على بعض))⁽⁹⁾. وهذا المعنى يحيلنا إلى تراكم الكلمات وتتبع بعضها بعضاً لتكون جملاً تتبعها جمل أخرى، حتى يصير النص إلى الانغلاق، ((وهذا ما يبين سبباً من أسباب جعل الكلام المترابك بعضه على بعض نصاً))⁽¹⁰⁾.

3. النص الاستقصاء وبلوغ الغاية والانتهاء، وهو متصل بالمعنى السابق، يقول صاحب اللسان: ((نص الرجل نصاً، إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده، ونص كل شيء منتهاه، قال الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاء))⁽¹¹⁾.

وبهذا المعنى يتفق المحمول اللغوي مع ما يريده المعاصرون بالنص، فالاستقصاء التام يكون ((عاملاً من عوامل تمييز النص ... وذلك ان النص يستقصي في مادته كل جوانب القضية التي يعرض لها، حيث لا يبقى شاردة ولا واردة محتملة إلا جاء بها))⁽¹²⁾.

4. و يعني النص -من جملة ما يعنيه- (التحريك)، وهو معنى يتواشج مع المعنى الإصطلاحي المعاصر للنص على صعيد بنيته ومضامينه الدلالية، واستجاباته اللامتناهية للتأويل. وإلا فقد جاء في لسان العرب: ((نص الشيء حركه، ونصنص لسانه حركه ... والنصنصة تحرك البعير إذا نهض من الأرض))⁽¹³⁾.

و حقاً، فالكلمات في حراك حين تتوالى، تأخذ بعضها برقاب بعض وكذلك الجمل، لتمتد في فضاء النص بين بياضين. وكذا في حين قراءته، إذ تتحرك الأبصار والأذهان على المتواليات الكلامية بغية

(6) أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن جابر الله الزمخشري (538هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت. (مادة نص) // 636.

(7) م.ن. (مادة نص) // 8/ 636.

(8) نحو النص نقد النظرية، وبناء أخرى، د. عمر أبو خرمة ط1، عالم الكتب الحديث، أريد - الأردن 2004م/ 29.

(9) اللسان (مادة نص) // 575/8.

(10) نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى 26.

(11) اللسان (مادة نص) // 575.

(12) نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى / الهامش ص 30-8.

(13) اللسان (مادة نص) // 576.

فهمه واستيعابه، وكذا ما يتضمن النص من أبعاد حركية جمالية، ومن معانٍ جمة لا يبعث أيُّ منها أبداً على الثبات والانتهاء .

5. النص الثبات والاستقامة، يقول ابن منظور، نقلاً عن الليث ((النصنصة إثبات البعير ركبته في الأرض ... وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام))⁽¹⁴⁾.

فالنص، سواء بالمعنى الاصطلاحي في الحضارة العربية الإسلامية عند المحدثين أو الأصوليين، أم لدى المعاصرين، فإن معنى الثبات مستكن فيه، ومن هنا يكتسب النص صفة الوقف، من أنه (ثابت) لا يجوز التغيير والتبديل فيه، لذا قالوا: (نص القرآن ونص السنة)، وكذلك قول أهل الحديث والرواية: (نص عليه فلان) فإن ناقل الأثر والعامل به يلزم نفسه التعامل معه دون أدنى تغيير أو تبديل، إذ المعنى ((هو ثابت باللفظ دون زيادة أو نقصان))⁽¹⁵⁾.

كذلك النص - عند المعاصرين - ((فإنه تام الشكل في عين متلقيه وهو كذلك ثابت في الشكل والهيئة، لا تعثره زيادة، ولا نقصان؛ لأن الميزة الأولى للنص هو الظهور، وهذه الميزة لا تتحقق عقلاً إن قبلنا التغيير والتبديل في النص))⁽¹⁶⁾. وهذا المحتوى الدلالي صريح في قول (رولان بارت) في تعريفه النص، بأنه ((نسيج الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة، بحيث تفرض شكلاً ثابتاً ووحيداً ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً))⁽¹⁷⁾ ويبدو أن الكتابة لم تحظ بهذه الأهمية إلا لأن من جملة قيمها التقييد والثبوت.

6. النص الشدة والإحكام؛ إذ جاء في اللسان: ((نص الأمر شدته))⁽¹⁸⁾ فمن معايير النصية السبك والحبك، وبهما يكون النص مشدوداً محكماً، يداعي جزؤه الأجزاء الأخرى، ليظهر غاية في الانسجام

ويذهب الدكتور عمر أبو خرمة إلى أن هذا المعنى يأتي ((لضبط معنى الاستقصاء التام؛ لأن تمام الاستقصاء، يقود النص إلى الترهل والارتخاء ونقص الإحكام منه، فيأتي عامل (الشّد) ليحكم النص

(14) اللسان (مادة نص) / 576.

(15) نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى 28.

(16) م.ن/ 29 الهامش.

(17) الأسلوبية وتحليل الخطاب، د. منذر عياشي، ط1، مركز الإنماء الحضاري ودار المحبة، سوريا 2009م/ 124. وينظر، من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية، الدكتور صابر الحباشة، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق

2009م/ 18.

(18) اللسان (مادة نص) 576/8.

فيقاوم ترهله، ويدفع كثرتة، دون مساس بجوهره وكنهه⁽¹⁹⁾) (إلا فإنه ((يستحيل أن نطلق على عمل أدبي ما اسم نص))⁽²⁰⁾ بدونه.

إذاً، لم ينحصر معنى النص بالظهور والوضوح والانكشاف فحسب، بل استوعبت هذه المادة دلالات أخرى، وإن كانت في بعضها مجازية حافة إلا أنها تشتمل على مميزات النص بالمفهوم الاصطلاحي. بقي أن نقول: إن معاني (الإسناد)⁽²¹⁾ و(رفع الحديث)⁽²²⁾ و(التوقيف)⁽²³⁾ و(التعيين)⁽²⁴⁾ والتي ينتهي بها ابن منظور إلى (نص القرآن)⁽²⁵⁾ و(نص السنة)⁽²⁶⁾، ليست من مفردات اللغة المحضة، وإنما هي مصطلحات أصولية ومصطلحات المحدثين، أدخلها في ثايات معجمه الموسوعي، وهي مثلما تدل على السمة الموسوعية التي أدت به إلى اضطراب ترتيب مواد معجمه، كذا تشهد وتدل على الصلة الوثيقة التي تربط مصطلح النص، في الثقافة العربية بالمادة المعجمية، والذي يغنيها في طرحها غير ابن منظور، وهم الأصوليون والمحدثون، حين يتناولون في مباحثهم مفهوم النص ويربطونه بالحمول الوضعي. ومن ثم نخالف الدكتور محمد مفتاح في قوله:

((إن اللسان -يقصد لسان العرب لابن منظور- لا يأتي بالمعنى الاصطلاحي الذي اكتسبه جنر(نص) لدى الأصوليين وغيرهم، وهذا النقص تداركه بعض المعاجم العصرية كالوسيط))⁽²⁷⁾. فبخلاف ما يراه الدكتور مفتاح، فإن اللسان يربط المندوليين اللغوي والاصطلاحي من الوهلة الأولى حين يأتي بعد(الرفع والظهور) مباشرة إلى (رفع الحديث ونصه وإسناده) وإذا كان الدكتور مفتاح يريد حدّ المصطلح، فإن ذلك ليس من واجب صاحب اللسان، فمعجمه - وإن أولى شيئاً من عنايته بالمصطلحات - إلا أنه يبقى معجماً لغوياً وليس معجماً اصطلاحياً.

ثانياً- النص اصطلاحاً

تأخذ مادة (نصص) عند المحدثين والأصوليين والمتكلمين معنى اصطلاحياً، فتراها تتحصر في الحقل الديني دون غيره. ففي حقل أصول الفقه، يعني النص ((ما ازداد وضوحاً على الظاهر لمعنى من

(19) نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى 28.

(20) م.ن/29، ومعنى الاقتصاد في المجال الأسني ((يعني ترتيب العناصر اللغوية على نمط يسهل عملية التواصل اللغوي)) الأسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، د.ميشال زكريا، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1980م/59.

(21) اللسان (مادة نص) 8/ 575 - 576.

(22) م.ن/ 575 - 576.

(23) م.ن/ 575 - 576.

(24) م.ن/ 575 - 576.

(25) م.ن/ 575 - 576.

(26) م.ن/ 575 - 576.

(27) المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، محمد مفتاح، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2010/18.

المتكلم)) أو ((ما لا يحتمل التأويل)) أو ((ما لا يحتمل إلا معنى واحداً))⁽²⁸⁾. ويعرفه ابن حزم: ((اللفظ الوارد في القرآن والسنة النبوية مبيناً أحكام الأشياء ومراتبها، وهو الظاهر، وهو ما يقضيه اللفظ الوارد في اللغة المنطوق بها))⁽²⁹⁾ فهو يحصر مصدر التشريع في النص أي الكتاب والسنة، ويوجد بين (النص) و(الظاهر)، إبطالاً للقياس وخدمة لمذهبه-الظاهري- وهو غير ما رآه الغزالي، فإن اللفظ المفيد بالإضافة إلى مدلوله: 1- إما أن لا يتطرق إليه احتمال فيسمى نصاً. 2- أو يتعارض فيه الاحتمال من غير ترجيح، فيسمى مجملاً ومبهماً. 3- أو يترجح أحد احتمالاته على الآخر. فيسمى بالإضافة إلى الاحتمال الأرجح (ظاهراً) أو بالإضافة إلى الاحتمال البعيد مؤولاً⁽³⁰⁾. فاقتران دلالة النص- من هذه الوجهة الصارمة- ((بالتعيين في المعنى ونفي الاحتمال، واستبعاد التأويل، ومن ثم إلغاء أية دلالة حافة يتضمنها المفهوم أمر لصيق بالمصطلح، فهو يحدد الأفق العام له، ويوجه، في الوقت نفسه، ممارساته الإجرائية))⁽³¹⁾.

أما النص- عند المحدثين- فإنه لا يختلف صرامةً وجدةً عن الذي عند الأصوليين، فهو يدل كما أشار ابن منظور في اللسان على الإسناد والتوقيف أو التعيين، فقولهم: ((نص عليه أو هو المذهب المنصوص، يعنون به ما نقل عن الإمام بعبارة صريحة في المعنى المذكور لا تحتمل تأويلاً، وكذلك قولهم: صرح به الإمام ونحوه، مما لا يتطرق إليه احتمال))⁽³²⁾. فما نقل عن الإمام، أو كما يقول ابن منظور، ((ما أسند إلى الرئيس الأكبر))⁽³³⁾ هو نص له، بما يعني النقل الصريح عنه، فالقول إذا كان نصاً لا يحتمل غيره، بل هو ثابت لا يأتيه- ولا ينبغي ذلك- التغيير والتحوير والتبديل، وإنما يمرر كما جاء. ولكن ماذا عن الداعين والعاملين بالتأويل؟ إن المتكلمين بنزعاتهم العقلية، والمتصوفة بشطحاتهم والأسس الذوقية التي يصدرون عنها، قد أفضت بهم نزعاتهم إلى هيمنة تأويلية اجتاحت الحضارة العربية الإسلامية، فأخذ النص على أيديهم طابعاً سجالياً، إذ لم يلتفتوا إلى غير المؤلفين- النصيين- الذين عموا النص بالمعنى الذي تقدم، وهكذا تجدنا أمام أربعة اتجاهات تنظر إلى النص في الحضارة العربية الإسلامية كل حسب وجهته، وهذه الاتجاهات هي⁽³⁴⁾:

(28) كتاب التعريفات، للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، ط1، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2003/ 194.

(29) رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية، بيروت، 1981/ 415 وينظر: كذلك الأحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي، 4/1.

(30) ينظر: المستصفى من علم الأصول للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إعداد د. محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت 2010م.

(31) الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، د. عبدالله إبراهيم، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2010م/ 144..

(32) شرح الزركشي على مختصر الخرق في الفقه على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، للشيخ شمس الدين محمد بن عبدالله الزركشي المصري الحنبلي، تحقيق وتخريج عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض 1993م، 97/1.

(33) اللسان (مادة نص) 8/ 576.

(34) ينظر: المفاهيم معالم/ 19.

1. النصيون- الذين لا يؤولون-فقد عمموا للنص المعاني الآتية:(أحادية المعنى) (عدم احتمال التأويل) (عدم الاجتهاد فيه) (الحرفي الواضح)....

2. المتكلمون، ويتم لديهم التأويل على اسس عقلية، فالنصوص لديهم بالمعنى السابق (عزيزة ونادرة).
3. المتصوفة، وتكفي عبارة ابن عربي لبيان موقفهم، يقول ابن عربي (ما في الكون كلام لا يتأول) لذا لا وجود للنص بالمعنى الذي يريده النصيون.

4. اتجاه يأخذ الاحتمال الأرجح (الظاهر) ⁽³⁵⁾ بعين الاعتبار، ويمثله الغزالي في بعض آثاره، حيث يجوز التصرف في النصوص بتغيير ظاهرها لمعانٍ مفهومة منها، ولكن التأويل لا ينفي دلالة النص على الحقيقة سواء كان مؤولاً أم غير مؤول.

وهذه الاتجاهات- الثلاثة الأخيرة- قد أملت على الدكتور محمد مفتاح، ومن قبله على الدكتور نصر حامد أبو زيد، تبني وجهة جديدة مفادها أن هناك اشتراكاً بين النص الذي هو نسيج-يعني الثقافة الغربية- وبين النص الذي هو بروز وظهور في الدلالة القارة الحقيقية الظاهرة أو المتوصل إليها بالتأويل أي الثقافة العربية⁽³⁶⁾. والواقع أن الغلبة كانت لغير المؤولين- النصيين- وبقاء النص عموماً مقترناً بالحقل الديني، موقوفاً على الحرفية وعدم احتمال التأويل والتغيير والاجتهاد، و((لو كان غير ذلك لأصبح حقلاً للتأويل الذي يقوم على تغليب قرائن على أخرى، مما يحتمل ان تعرض الأحكام إلى التحريف والترفيف، الأمر الذي سيقود إلى الاختلاف الذي لا يقره الشرع- حسب الأصوليين- لأنه يفضي إلى الفتنة))⁽³⁷⁾.

إن اقتران النص بالحقل الديني وانصرافه إلى الحرفية، في الغالب الأعم، وعدم احتمال التأويل والتغيير، مع ما تمتاز به مادته المعجمية من نشاط، أدى إلى خلق نوع من الرهاب تجاه النص، ((بحيث لا يحيل على أي ضرب من التعبير الأدبي (الإنشائي) المخصوص من الكلام، وإنما يحيل على ضرب خبري من التعبير، يكون التعيين فيه ظاهراً لا لبس فيه، ولا يلحقه الابهام من جهة فيه))⁽³⁸⁾.

ولم يكن لجوء اللغويين والبلاغيين والنقاد إلى مصطلحات (الكلام والبلاغة والبيان والنظم وغير ذلك) بدل (النص) سوى استجابة للموقف الديني الصارم الذي فرض عليهم حصر النص في مصادر التشريع (القرآن والسنة والإجماع)، وعزله عن علم الأديب، فكان التعاطي الأدبي، دراسة وتفسيراً وتأويلاً ونقداً، غير واقع في دائرة هذا المصطلح (النص) ولا هو واقع في دائرة ذلك.

⁽³⁵⁾ لا يُراد بالظاهر- كما عند أهل الظاهر- الذين ساووا بينه وبين النص، وإنما ظهور مدلول اللفظ بالإضافة إلى الاحتمال الأرجح.

⁽³⁶⁾ ينظر: المفاهيم معالم/20 وينظر: النص، السلطة، الحقيقة، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، 149/1995 وما بعدها.

⁽³⁷⁾ الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، 144.

⁽³⁸⁾ م. ن، 145.

فوجود مصطلح (النص) في المباحث الأصولية ومباحث المحدثين والكلايين والمتصوفة، وغيابه عن حقل الأدب والتعبير الإبداعي، يجعل من الإقرار بأصالة مفهومه المعاصر في التراث العربي ((ضريراً من التحمل الذي لا ترجى منه فائدة))⁽³⁹⁾، ولو أنهم-أسلافنا- انصرفت عنايتهم إلى (النص) بدل (الكلام والبيان والنظم...)، 000 وبعبارة أخرى: لو أنهم استبدلوا بكل تلك المصطلحات، مصطلح النص؛ لكانوا بذلك قاب قوسين أو أدنى من المفهوم العصري للنص، ((لأن هذه المصطلحات كلها تدل على الظهور والبيان والوضوح والبروز والكشف))⁽⁴⁰⁾، فضلاً عن أنها شبهت بأشياء تعدّ شديدة الصلة بما يحيل عليه مفهوم (النص) في اللاتينية، على ما سيتضح في الفقرة التالية.

ثالثاً- نسيج الكلام⁽⁴¹⁾

لم يأت مصطلح (النص) في العربية بمعنى (النسج) كما هو متجذر في اللاتينية، على أن بعض الدراسات⁽⁴²⁾ حين عجزت عن إخراج معنى (النسج) من (النص) في المعجم العربي، راحت تتصفح في مادة (نسج) فوجدت أن العرب- من شعراء ونقاد وبلاغيين وكتاب...- يعتقدون تشبيهاً بين (النسج) و(الكلام) دلالة على جودته وسبكه وانسيابه ومن ثم حاولت أن تحكم على أصالة (النص) في التراث العربي. والحق غير ذلك، لأن مادة (النص) رغم مرونتها وتقبلها وسعتها، لم توظف في التراث العربي مصطلحاً أدبياً. يحيل على أي شيء مما تذكره هذه الدراسات، أما ما يشبه في العربية بالنسج، فذلك هو (الكلام) بشقيه: الشعر والنثر، وبخاصة الشعر كونه هو السائد في هذه الحضارة، ففي اللسان: ((نسج الشاعر الشعر نظمه، والشاعر ينسج الشعر والكذاب ينسج الزور))⁽⁴³⁾، ومن الاستعمالات المبكرة عند الشعراء تشبيه الصنعة الشعرية بالحياكة، التي هي فعل النسج، على ما يتضح في قول حسان بن ثابت⁽⁴⁴⁾:

- الكامل -

شنعاء أرسدها لقوم رُضع

قد حان قول قصيدة مشهورة

يغلي بها صدري وأحسن حوكها

وأخالها ستقال إن لم تقطع

⁽³⁹⁾ مدخل إلى علم النص، الصبيحي/ 18.

⁽⁴⁰⁾ المفاهيم معالم/ 18..

⁽⁴¹⁾ اقتضت طبيعة البحث وضع هذه الفقرة ضمن (مفهوم النص) في الحضارة العربية الإسلامية، وإن لم يأت الكلام، بعد،

على مفهومه في الحضارة الغربية.

⁽⁴²⁾ ينظر مثلاً لسانيات النص، لبدة قياس/ 18.

⁽⁴³⁾ اللسان، 532/8.

⁽⁴⁴⁾ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار صادر، بيروت، 189/1966.

فمعنى النسيج هو الأكثر لما يريده حسان، من أنه يحسن سبك قصيدته حتى لتظهر كالنسيج. كما ونعثر في كتاب (الأغاني) على قول ليحيى بن الجون العبدي، يقول فيه: ((نحن حاكة الشعر في الجاهلية والإسلام، ونحن أعلم الناس به))⁽⁴⁵⁾.

ولابن طباطبا العلوي نصّ طويل، مشحون بجملة من الملامح النصية، فضلاً عن ذكره (النسيج) صريحاً، يقول ابن طباطبا: ((وأحسن الشعر ما يُنظم فيه القول انتظاماً (يتسق) به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله فإن قدم بيت على بيت دخله الخل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقص تأليفها... يجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها (نسجاً) وحسناً وفصاحةً ودقة معانٍ وصواب تأليف... ويكون خروج الشاعر من كل معنى يضيفه إلى غيره من المعانٍ خروجاً لطيفاً... حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً، كالأشعار التي استشهدنا بها في الجودة والحسن واستواء النظم لا تناقض في معانيها.. تقتضي كل كلمة ما بعدها ويكون ما بعدها متعلقاً بها مفتقراً إليها...))⁽⁴⁶⁾. إذ توحى هذه الاستعمالات بمدى التقارب بين الثقافتين، على رغم اختلاف موجهاتهما، إلى العمل الأدبي، وعلينا أن لا نفهم من هذه الاستعمالات، انهم حصروا هذا التشبيه على الشعر وحده دون النثر، وإنما جاءت هذه الاستعمالات في سياق حديثهم عن الشعر فقط، وإلا ((فإن تشبيه الكلام بالنسيج منتشر انتشاراً واسعاً لدى النقاد والبلاغيين العرب وتشمل الشعر والنثر معاً))⁽⁴⁷⁾، فما قيل في تشبيه الشعر بالنسيج والحياسة، فإنه كثيراً ما قيل في تشبيه الكلام بهما؛ إذ هما من أهم المصطلحات التي يشير بهما النقاد والبلاغيون إلى إحكام العمل الفني واتساقه وانسجامه، مع مصطلحات أخرى لا تقل حضوراً في أعات الكتب الأدبية، في الدلالة على اكتمال العمل الفني، يقول الجرجاني- لا على سبيل الحصر-: ((وأما نظم الكلم، فليس الأمر فيه كذلك، أي كنظم الحروف، لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس؛ فهو، إذا نظّم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض... ولذلك كان عندهم نظيراً للنسيج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير، وما أشبه ذلك))⁽⁴⁸⁾. وجملة القول إن مصطلح (الكلام) هو الغالب في الأدبيات القديمة، ويكاد يتفق مع مفهوم المعاصرين للنص، وفي هذا بيان كاف لمدى ارتباط الكلام بالنسيج كما يرتبط النص بالنسيج، إلا أن (النص) غُيِبَ في الأدبيات القديمة لدى العرب. وأن ارتباط الكلام بالنسيج في الثقافة العربية الإسلامية تمّ وحصل بالمقاييس والمشابهة والاستعارة وحصل الارتباط في الحضارة اللاتينية بتطور داخلي⁽⁴⁹⁾ بين النص والنسيج.

(45) كتاب الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين (356هـ)، دار الثقافة، بيروت 1960، 9/ 112.

(46) عيار الشعر، لابن طباطبا العلوي، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المناع، دار العلوم، السعودية، 1985م/213.

(47) المفاهيم معالم/21.

(48) كتاب دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني (471هـ) قراء وعلق عليه محمود محمد شاكر، ط3، دار المنني

بجدة، السعودية 1992/49.

(49) ينظر: المفاهيم معالم/22.

ولعلّ ما تقدّم يسوغ لنا لجوء الدكتور عبد الملك مرتاض إلى إيجاد مقابل مناسب لمصطلح (Text) في العربية، ذلكم هو (النسيج)⁽⁵⁰⁾. لولا أنّ ما لجأ إليه مرتاض لم يقو على حدّ قوة الشيوخ في (النص).

⁽⁵⁰⁾ ينظر: نظرية، نص، أدب، ثلاثة مفاهيم نقدية، د. عبد الملك مرتاض ضمن كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) النادي الأدبي، جة 1990م - 1410هـ، 1 / 271-272، 276. كذلك مدخل إلى علم النص، الصبيحي / 18-19. كذلك البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية / 73 الهامش (14).

المبحث الثاني

(النص في الحضارة الغربية)

أولاً- الأساس المعجمي

ثانياً- النص اصطلاحاً ثالثاً- ما يدور في فلك

النص من قضايا إشكالية

;

;

أولاً- الأساس المعجمي

إن الأساس المعجمي، الذي تعتمد الثقافات المتفرعة عن اللاتينية للفظ (النص) (=Textus)، يفضي إلى أنه آت من الفعل (Texere) ومعناه بالعربية (نسيج) ⁽⁵¹⁾، فمعنى النص هو ((النسيج وجميع هذه الثقافات تعبر بالنص بكل دقة ووضوح، وتنتقل به من مجال النسيج المادي إلى أنواع النسيج الأخرى)) ⁽⁵²⁾ من دون اللجوء إلى المقايضة أو المشابهة أو الاستعارة، إذ النسيج متجذر في هذه المادة المعجمية، وكذا في المحمول الاصطلاحي ((فمثلما يتم النسيج من خلال مجموعة من العمليات المفضية إلى تشابك الخيوط وتماسكها بما يكون قطعة من قماش متينة ومتماسكة)) ⁽⁵³⁾، كذلك النص فإنه ((النسيج لما فيه من تسلسل في الأفكار وتوالي للكلمات)) ⁽⁵⁴⁾، فالرابط، إذاً، بين المحمول الوضعي والاصطلاحي هو النسيج، لا شيء آخر، ومن دون أن يتوسط بينهما شيء. ((فإذا كان النسيج المادي يتكون من السدى واللحمة والمنوال... فإن النص يتكون من الحروف والكلمات المجموعة بالكتابة)) ⁽⁵⁵⁾، وارتباط النص بخاصية الكتابة، هي إحدى موجات الالتباس والإشكال التي تواجه المشتغلين والمعنيين بالنصية، عند استعراضهم الخلفيات المرجعية لهذا المصطلح الشائك وآليات تطوره.

ثانياً- النص اصطلاحاً

إن الزوايا التي ينظر منها إلى النص متشعبة، وغاية في التعدد، حتى بلغت به مشارف الغموض والاعتياص، ومن ثم لم يحظ باتفاق العلماء والمختصين على تعريف له، ما انتهى بهم إلى تعدد مفهومي يفوق ما كان عليه مفهوم الجملة من اختلاف واضطراب، ولكن رغم هذا التعدد، الذي يكثر صفو النص، فإن هذه المفاهيم لا تخرج عن أحد المعايير الآتية ⁽⁵⁶⁾:

1. كونه منظوقاً أو مكتوباً.
2. مراعاة الجانب الدلالي.
3. مراعاة التحديد الحجمي (طول النص).
4. مراعاة الجانب التداولي.
5. مراعاة جانب السياق، وهو متعلق بالمعيار السابق.

(51) ينظر: مدخل إلى علم النص، الصبيحي/19.

(52) المفاهيم معالم/17. كذلك النص بوصفه إشكالية راهنة في النقد الحديث، فاضل ثامر، مجلة الأقلام - دار الشؤون

الثقافية العامة، بغداد ع(3-4) من (27) 1992م/16-17.

(53) مدخل إلى علم النص/19.

(54) م.ن/20.

(55) المفاهيم معالم/16.

(56) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السوء المكية، الدكتور صبحي إبراهيم الفقي، ط1،

دار لواء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م/29.

6. مراعاة جانب التماسك وهو أهم المعايير التي يقوم عليها التحليل النصي.
7. مراعاة الجانب الوظيفي للنص.
8. مراعاة التواصل بين المنتج والمتلقي.
9. الربط بينه وبين مفاهيم تحويلية، مثل الكفاءة والأداء ... وغيرها.
10. إبراز كونه مقيداً.

إن النظرة المثالية للنص تستدعي أن تندرج تحته كل هذه المعايير، لكونه ظاهرة شاملة. بيد أن أغلب التعريفات تكتفي بجوانب جزئية دون الجوانب الأخرى ((فبعض تعريفات النص تعتمد على مكوناته الجمالية وتتابعها، وبعضها الآخر يضيف إلى تلك الجمل الترابط، وبعض ثالث يعتمد على التواصل النصي والسياق، وبعض رابع يعتمد على الانتاجية الأدبية أو فعل الكتابة، وبعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصاً؛ فيكون لديك حصيلة كبرى من التعريفات التي تقرينا من ملاحظه))⁽⁵⁷⁾. لذا فقد وردت له في الثقافة الغربية، والثقافة العربية المعاصرة التي تنحو منحى غربياً، تعريفات كثيرة.

ومن هنا كان لزاماً أن ننبه على أمر بشأن ثقافتنا العربية المعاصرة، فإنه وفي ضوء ما قيل في النص وبنيته ودلالته وانفتاحه وانغلاقه وتقييده وانتاجيته في الغرب، سيتم توظيف هذه التصورات في الدراسات الأدبية العربية- تنظيراً وإجراء-بناء على ((ما جرى استعماله في الجامعات الغربية، وهو يختلف كل الاختلاف عما قدمته التصورات العربية القديمة، حيث سُحِن بدلالات غريبة غير التي أنتجت الثقافة العربية في الماضي))⁽⁵⁸⁾. وهنا سنعرض أهم التعريفات بحسب المعايير التي يركز فيها كل فئة، ومن ذلك:

- تعريف هارفيج، فهو عنده: ((ترابط مستمر للاستدلالات السنتجمية التي تظهر الترابط النحوي في النص))⁽⁵⁹⁾.
- ويعرفه (هلبش) بأنه ((تتابع متماسك من الجمل))⁽⁶⁰⁾.
- وعند زيليج هاريس- مؤسس العلم- ((تتابع من جمل كثيرة ذات نهاية))⁽⁶¹⁾.

⁽⁵⁷⁾ نحو النص، أحمد غيفي/21.

⁽⁵⁸⁾ المفاهيم معالم/30.

⁽⁵⁹⁾ علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م/131.

⁽⁶⁰⁾ مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، تأليف زتسيسلاف واورزنيك، ترجمه وعلق عليه د. سعيد بحيري، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010/62.

⁽⁶¹⁾ من/62.

- ويعرفه برينكر - مرحلياً قبل أن يأتي بتعريف آخر - بأنه: ((تتابع متماسك من علاقات لغوية، أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى))⁽⁶²⁾ أشمل منها.

- والنص عند فاينرش ((تكوين حتمي يحدد بعضه بعضاً؛ إذ تستلزم عناصره بعضها بعضاً لفهم الكل))⁽⁶³⁾. والمتأمل في هذه التعريفات يجد تركيزها على الخاصية المتعلقة بتركيب النص، كالامتداد اللفظي (النسجوية) والتماسك الشكلي والروابط بين وحداته، والتأكد على النهاية الحتمية، لكونه أكبر وحدة لغوية، لا تتطوي عليها أية وحدة أخرى أكبر منها. وخلافاً لهذه التصورات نجد لـ(برينكر) تعريفاً يتراجع فيه عن موقفه الأول، حين يؤكد على التماسك النحوي فقط، إذ يردفه بتعريف آخر قائم على أساس دلالي، حين يقول: ((إنه مجموعة من القضايا أو المركبات القضية، تترايط بعضها مع بعض على أساس محوري موضوعي، أو جملة أساس من خلال علاقات منطقية دلالية))⁽⁶⁴⁾.

فهذا التعريف مصوغ على أساس دلالي بحت، لأنه يتخذ (القضية) أساساً في بناء النص، ولم يتخذ مكوناً لغوياً آخر لأن مفهوم القضية مرتبط - أساساً - بعلاقات دلالية كبيرة. وسيوضح هذا الأمر عند كلامنا عن (مكونات النص). وعلى الصعيد نفسه يحاول (فان ديك) بناء نحو توليدي للنص، منطلقاً من افتراض أساس دلالي موضوعي للنص، فيعرف النص بأنه ((بنية سطحية توجهها وتحفزها بنية عميقة دلالية))⁽⁶⁵⁾ وافترض بنية عميقة دلالية للنص - عند فان ديك - يدعم الجوانب الآتية⁽⁶⁶⁾:

1. التماسك الدلالي للنصوص، الذي يعد في رأيه ظاهرة تركيبية عميقة.
2. إمكانية اختصار نص في ملخص، في عنوان ... الخ.
3. إمكانية تذكر مضمون نص طويل حتى دون استخدام الوحدات المعجمية للنص ذاته.
4. إمكانية كتابة نصوص مختلفة ذات بنية عميقة دلالية مطابقة، كما في أشكال المحاكاة تقريباً، وفي المعالجة الدرامية أو السينمائية لرواية ... الخ.

واستدعاؤه - هنا - شومسكي واضح، في محاولة صياغة قواعد تكفل له حصر المعطى اللغوي، فهذه القواعد تمكّن ((في نحو شومسكي من حصر الجمل، وفي نحو (فانديك) من حصر النصوص، والهدف عند شومسكي إنتاج عدد لا نهائي من الجمل، وعند فاندريك إنتاج عدد لا نهائي من النصوص، إلا أن الوصف لدى فاندريك اعتمد على اسس دلالية منطقية لم ترد لدى شومسكي))⁽⁶⁷⁾. وهو كذلك - فاندريك -

(62) علم لغة النص، بحيري/132.

(63) م.ن/131.

(64) م.ن/65.

(65) مخيل إلى علم النص، واورزنيك، /64.

(66) م.ن/65.

(67) علم لغة النص، بحيري/177.

((يقدم مفهوماً آخر للتماسك ليست له طبيعة نحوية فحسب، وإنما يركز على أساس دلالي محوري مجرد للنص))⁽⁶⁸⁾.

وينقل مفردات شومسكي كالكفاءة والأداء والبنية العميقة والبنية السطحية والنواة وغير ذلك، يأخذ النص سمته الدلالية ويتجاوز تلك التصورات التي حبسته بالتركيب والتماسك النحوي، ويحاول إبراز تماسكه الدلالي ووسائله.

بقي أن نقف على الرؤى والتصورات التي تولى اهتماماتها بتداول النص، والسياقات التي يرد فيها والعمليات المشكلة له.

يقول (شميث): ((على عكس الاتجاهات الداخلية الباطنية التي تعرف النص بالنظر إلى مكوناته، فالآراء الجديدة تعتمد في نظر النص على السياق الاتصالي، وما يتضمنه عملياً، وترى أن النصوص ليست سوى مجموعة من الرموز اللغوية المعبرة وأن وظيفتها إنما هي الاتصال الاجتماعي))⁽⁶⁹⁾.

فللنص الأدبي سياق يحتضنه يكون سبباً في تشكيله، وله وظيفة اتصالية، فيقول (شميث) في تعريفه: ((النص هو كل جزء لغوي منطوق من فعل التواصل في حدث التواصل، يحدد من جهة الموضوع، وفيه بوظيفة تواصلية يمكن تعريفها أي يحقق كفاءة انجازية يمكن تعريفها))⁽⁷⁰⁾.

وقد أدخل شميث - كما هو جلي في تعريفه - النصوص الشفوية في حيز الدراسة، فالنص في اللحظة الآنية لعملية التخاطب إنما هو كم ((من منطوقات في وظيفة))⁽⁷¹⁾، أما كم المنطوقات التي يمكن عزلها عن السياق، فإنه يطلق على ذلك ((صيغة أو قالب النص))⁽⁷²⁾، والنص - في هذه العزلة عن سياقه - يبدو وكأنه ((نص بلا وظيفة، بنية نظرية متضاربة في ذاتها...))⁽⁷³⁾.

ولذا لا يمكن تحليل هذه الصيغة المجردة من وظيفتها دون استدعاء سياقه، وإبراز الجانب الاتصالي فيه.

هذا و يعرف هارتمان النص بقوله: ((علاقة لغوية أصلية تبرز الجانب الاتصالي والسميائي))⁽⁷⁴⁾. إن اكتفاء هذه التصورات ببعض المعايير والوجوه النصية دون المعايير الأخرى لا يضع في الاعتبار انعدام وجود تعريف يحاول بسعة نظره احتواء كل هذه الاعتبارات - اللغوية والدلالية

(68) علم لغة النص، بحيري/132.

(69) م.ن/141.

(70) مدخل إلى علم النص، واورزنيك/67.

(71) م.ن/67.

(72) م.ن/67.

(73) م.ن/67.

(74) علم لغة النص، بحيري/131.

والبراجماتية- لتبدو متكافئة؛ فإن النظر إلى النص- من هذه الوجهة التكاملية- يحقق للسانيات النصية طموحها وسعيها للثبات والاستقرار، ذلك أن حاجة هذا العلم للمزيد من الجهود، أمر في غاية الواقعية. وممن احتوت تعريفاتهم كل تلك المعايير وجمعت كل الرؤى والتصورات السابقة، بحيث كانت من الأعمام والاقتضاب ما يتشوق إليه الأفق اللساني الحديث-تعريف (زيسلاف واورزنيك) يقول: ((نفهم تحت (نص) مكوناً لغوياً أفقياً نهائياً {نحوية النص} مقصوداً به التطابق لواقعة التواصل {المقصدية} المختصة، يصير من خلال الدمج الانجازي {تداولية النص} وأوجه التناظر الدلالية الموضوعية {دلالية النص} والترابطات النحوية تتابعاً متماسكاً من الجمل)) (75).

فيكون الدكتور سعيد بحيري والدكتور الأزهر الزناد -جذ- قريبين من هذا التصور، إذ يرى البحيري في النص: ((أنه وحدة مترابطة تركيبية متماسكة دلالية ذات وظيفة اتصالية محددة ووحدة ذات بنية معقدة)) (76).

ويرى الأزهر الزناد أنه ((يطلق النص على كل الوحدات اللغوية ذات الوظيفة التواصلية الواضحة التي تحكمها جملة من المبادئ، منها الانسجام والتماسك والإخبارية)) (77).
ثالثاً- ما يدور في فلك النص من قضايا إشكالية

وتتصل بالنص جملة من المسائل والقضايا تدور في فلكه، يفترض الإمام بها بغية توضيح مفهومه، فمن ذلك:

1. حجم النص

من المسائل التي تعترضنا- لمعرفة مفهوم النص- مسألة مهمة تتعلق بطول النص وقصره، مع أنها لا تثير إشكالاً حاداً كالذي حدث في طرح مفهومه، فالمجمع عليه عند علماء النص وتحليل الخطاب أن تحديد حجم معين للنص يعد فكرة في غاية الوهن، فعلم النص وإن كان ظهوره ردة فعل قوية على الدراسة اللسانية التي ظلت عصوراً ((متوقفة عند حدود الجملة باعتبارها إطاراً شاملاً لمختلف المكونات اللغوية ذات الأهمية⁽⁷⁸⁾)). إلا أنه لم يأخذ بفكرة حتمية تجاوزها من ناحية حصر النص بطول معين أو نهاية معينة للملفوظات فقد يكون مبنى النص كلمة واحدة، أو جملة، أو جزء منها، أو كتاباً كاملاً في مجلدات، أو- كما يرى بول ريكور- مجموعة من الأعمال المختارة، أو مجموعة من الأعمال الكاملة

(75) مدخل إلى علم النص، واورزنيك/69 المعقوفتان وما بينهما من وضع الباحث.

(76) علم لغة النص، بحيري/132.

(77) نسيج النص ما يكون به الملفوظ نصاً، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان 1993م/51.

(78) معجم السرديات تأليف مجموعة من الباحثين بإشراف محمد القاضي، ط1، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، دار

محمد علي للنشر - تونس 2010م/452.

لمؤلف⁽⁷⁹⁾. وبهذه الوجهة يأخذ (هلمسليف) في حديثه عن النص، فهو لا يبالي - بعد أن أثبت النص نصيته - أكان طويلاً أم مختصراً ((كلمة (قف) تعد نصاً مثل (رواية طويلة!))⁽⁸⁰⁾.

معيار الكم إذاً، ليس ضرورياً بحيث يقول تودروف: ((يمكن أن يتطابق النص مع جملة مثلما يتطابق مع كتاب بكامله، فهو يتحدد باستقلاله وانغلاقه))⁽⁸¹⁾. فالاستقلالية والانغلاق - الشكلي لا الدلالي - عند تودروف هو المعتبر وليس الشأن في طوله وقصره، والحال كذلك عند غير البنيويين الذين يفسرون الانغلاق بالشكل فقط، إذ لا يعتبرون بحجم النص، بل بمعناه ودلالته، فكل وحدة لغوية تقدم لنا دلالة وتجري عليها معايير النصية فهي نص.

2. إنفتاح النص وانغلاقه، ونعني بانغلاق النص أمرين⁽⁸²⁾:

أ. انغلاق شكلي، بحيث يكون النص محدداً ببداية واضحة ونهاية واضحة، فاصلاً بين بياضين، وكل يتق على هذا الانغلاق.

ب. انغلاق دلالي، من جهة عدم تقبله التأويل، والاحالات السياقية، وهو منزع بنيوي شكلاني بحث، وخير ما يدل عليه تحديد تودروف للنص بالاستقلالية والانغلاق، وقد اشرنا إليه سلفاً، إذ إن النص عند البنيويين ((كيان عضوي يحدده انسجام نوعي ناتج عن علاقة التناسب القائمة بين أجزائه، ذلك أن النص إنما هو موجود نعالجه معالجة الموجودات الأخرى، وهو موجود تركيبى، بمعنى أنه جملة من العلاقات (المكتفية بذاتها) حتى لتكاد تكون مغلقة))⁽⁸³⁾.

فالنص كتلة لغوية مهيكلية، مكتفية بذاتها، ولا تحكمه أية علاقة خارج بنيتها النحوية، ولا تحيل إلا على ذاتها. أما (انفتاح النص) فيعني احتواء النص على خصائص وسمات اشكال أدبية وأنواع وأجناس مختلفة بانفتاحه على نصوص سابقة⁽⁸⁴⁾، وأخرى لم ترَ النور بعد، مما تحقق له الطابع القرائي والكفاءة الإنتاجية وتتيح له الانفتاح على الآثار الإنسانية، ومساعدتها الكونية.

وبينما يحاول البنيويون الاكتفاء بالبنية السطحية في النص، فإذا بالانفتاحيين يتجاوزون الإطار الشكلي اللغوي، إلى ما هو عابر لهذا الإطار، فالنص عند (جوليا كرسيفا): ((أكثر من مجرد خطاب أو قول، إذ إنه موضوع لعدد من الممارسات السميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة (عبر لغوية)

⁽⁷⁹⁾ ينظر: قراءة في الخطاب الأصولي (الإستراتيجية والإجراء) الدكتور يحيى رمضان، ط2، عالم الكتب الحديث - الأردن 2011م/204.

⁽⁸⁰⁾ مدخل إلى علم النص، الصبيحي/20.

⁽⁸¹⁾ مقالات في الأسلوبية، منذر عياشي، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1990م/128. وينظر: لسانيات النص: النظرية والتطبيق، مقامات الهمذاني نموذجاً، تأليف ليندة قياس، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة/33.

⁽⁸²⁾ ينظر: معجم السيميائيات/134.

⁽⁸³⁾ النقد والحداثة، عبد السلام المسدي، ط2، منشورات دار أمية، تونس 1989/15.

⁽⁸⁴⁾ ينظر: التعليق النصي، عمر عبد الواحد، ط1، دار الهدى للنشر، المنيا، مصر 2003م/13-14.

بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة، لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها... والنص نتيجة لذلك إنما هو عملية انتاجية)) (85).

ليس النص - عند كرسيفا - قيمة لغوية اكتفت بذاتها، وإن كان فضل اللغة ظاهراً في تكوينه، ودفعه إلى حيز الوجود، لكنه ليس حبباً لحديثاتها ومعاييرها الحادة، ولم تله تلك الحثيات عن ممارسات أخرى خارج قيودها، بحيث صار النص كياناً عابراً لفضائها الضيق، وهو أكبر من أن يكون مجرد قول ينحصر في حدود اللغة ومقولاتها بحيث تعطل عنه نشاطه الانتاجي اللامحدود. بيد أن هذه الانتاجية التي طرحها كرسيفا، أخذت عند فارس النص (رولان بارت) وجوداً مبالغاً فيه، بحيث أوصلته إلى اشهار شهادة وفاة المؤلف، فقد ((بالغ في دور القارئ والمفسر إلى درجة يمكن أن يقال فيه: إنه إهدار لكيثونة النص والتوضحية بها لحساب فعالية التأويل)) (86) التي تجعل القارئ مؤلفاً، أو مسهماً في التأليف، أضعف الإيمان.

يقول بارت: ((النص نشاط وانتاج ... النص قوة متحولة تتجاوز جميع الاجناس والمراتب المتعارف عليها.. إن النص يتكون من نقول مضمنة وإشارات وأصداء ولغات أخرى وثقافات عديدة تكتمل فيه التعدد الدلالي. إن النص مفتوح ينتج القارئ في عملية مشاركة، لا مجرد استهلاك، هذه المشاركة لا تتضمن قطيعة بين البنية والقراءة، وإنما تعني اندماجها في عملية دلالية واحدة، فممارسة القراءة اسهام في التأليف)) (87).

أما عند هاليداي وحسن، فإن طول النص وقصره هما اللذان يحددان انفتاح النص وانغلاقه، ((فالنص إذا كان قصيراً يكون حينئذ مغلقاً. أما إذا كان طويلاً، فإنه يكون مفتوحاً)) (88)، ومثال النص المفتوح الوصفات الطبية المطولة، واللغة التي تدور بين الطلاب، ولغة الفصول في المدارس بين الأساتذة والطلاب.

ومثال النص المغلق، الرسائل المستعملة في خدمة الجنود بالقوات المسلحة، والتي ترسل خلال الأجهزة اللاسلكية، أو إذا كانت الرسالة عبارة: (عيد ميلاد سعيد) و(أرجو إرسال..). ومثل نصوص المناقصة والمزاد ونصوص قوائم الطعام، وكورسات الموسيقى الايطالية (89).

(85) علم لغة النص، بحيري، 135.

(86) مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد، ط7، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

2008م/6.

(87) علم لغة النص، بحيري/136.

(88) علم اللغة النصي، الفقي/57.

(89) ينظر: علم اللغة النصي، الفقي/57.

وقد أدلى الدكتور صبحي إبراهيم الفقي ببلوه حين أضاف معيارين آخرين، بهما يُميز النص المفتوح عن النص المغلق، إلا أن ما طرحه الفقي يكاد لا يخرج عما فُهمه كل من (بارث) و(كرستيفا) وهذان المعياران هما:

- المعيار الأول: ((أن النص المغلق هو النص الذي اكتفى بنفسه ولم تدخل أي تداخلات أجنبية من نصوص أخرى، بمعنى آخر لم يحدث له عملية التناص (Intertextuality). أما النص المفتوح؛ فهو الذي حدث له تناص بالمساس بنصوص أخرى))⁽⁹⁰⁾.
- المعيار الثاني: ((وهو أن النص المغلق هو النص ذو الدلالة الواحدة، أما النص المفتوح، فهو النص ذو الدلالات المتعددة))⁽⁹¹⁾.

ولئن كنا نشم من المعيار الأول رائحة كرسيفية- نسبة إلى جوليا كرسيفا- فإننا في المعيار الثاني أمام نص بارتني ليس إلا. فكان الأجدر بالدكتور الفقي أن يشير إلى ذلك. انفتاح النص، إذًا، تفعيل لمحتوياته الثرة الدفينة من إشارات وثقافات متنوعة تستوطنه، والتي لا تنفك بانتظار من يستخرجها (ينتجها) وذلك هو واجب القارئ (الكفاء) لا القارئ المستهلك الذي لم يؤث ما أوتي الكفاء من أدوات، تنل له السبل في إنتاج النص⁽⁹²⁾.

3. كتابية النص وشفاهيته

المثير لهذه الإشكالية، هو اتصال النص في أساسه الوضعي بالكتابة، فالنسيج لا يصدق على النص ما لم يكن تجلياً خطياً مسجلاً، يقول الدكتور محمد مفتاح: ((وتتحقق هذه الخصائص إيقص الانتظام والانسجام والتعقد والتشابك-] بالكتابة المنظمة ذات الأبعاد المعقدة والمتشابكة، وعليه، فإذا لم تستحل الأصوات والألفاظ والكلمات إلى الكتابة، أي إلى (نسيج) فإنها ليست نصاً))⁽⁹³⁾. فهل هذا يعني أن خصائص الانتظام والانسجام والتعقد- حسب محمد مفتاح- هي حكر على الكتابة دون غيرها؟ يقول (مايكل ريفاتر): ((الكاتب أشد وعياً برسالته من المتكلم، فالمتكلم عليه أن يتغلب على جمود الشخص المقصود بالرسالة، بأن يركز على النقاط الأهم من حديثه، أما الكاتب فعليه أن يفعل ما هو أكثر من ذلك حتى تصل رسالته، لأنه لا يمتلك وسائل التعبير اللغوية وغير اللغوية))⁽⁹⁴⁾، ووعي الكاتب برسالته هو ما يحقق له ولها الدقة والحكمة والانتظام المحسوب ، ويدفع عنها اللغو والحشو، وكل ما يحول دون وقوع ذلك الانتظام في النص. فضلاً عن أن الكتابة- يقول دي سوسير - ((تقيم بيننا وبين اللغة حجاباً يمنعنا

⁽⁹⁰⁾ م.ن/57.

⁽⁹¹⁾ م.ن/58.

⁽⁹²⁾ ينظر: لذة النص، رولان بارت، ترجمة منذر عياشي، ط1، مركز الانماء الحضاري، حلب 1992م/109.

⁽⁹³⁾ المفاهيم معالم/16.

⁽⁹⁴⁾ الأسلوبية: الرؤية والتطبيق، د.يوسف أبو العدوس، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن

من رؤيتها كما هي، وذلك أن الكتابة ليست ثوباً عادياً تلبسه اللغة بل هي قناع/ خداع تتكرر فيه⁽⁹⁵⁾. وهذا ما دفع (جاك دريدا) ليجعل -خلافاً لسوسير وغيره- اللغة/ الكلام المكتوب مركز ثقل في كل الأنشطة الثقافية، فاللغة الأثرية أي المنطوقة تتسل ذاتها دائماً، على حين تظل الكتابة حافظاً أميناً لها⁽⁹⁶⁾.

وهي أيضاً بمثابة عصا سحرية يحقق النص بها انفتاحه، وسبل إنتاجه اللامحدود، لكنها -يقول دريدا- ((تقود إلى مزيد من الكتابة إلى ما لا نهاية))⁽⁹⁷⁾. لذلك لقيت هذه الخاصية -الكتابية- رواجاً وجعلت معياراً للحكم على نصية النص. وقد ارتبط النص -عند البنينيين الفرنسيين- بمفهوم الكتابة ومنهم تسرب هذا المفهوم؛ ليكون محط اهتمام غير قليل من المعنيين بالدراسات النصية ((فأصبح النص الأدبي -والكلام لبارت- عند دعاة الكتابة بهذا المفهوم، وهو جنس من أجناس المؤسسة الاجتماعية (أي الكتابة الأدبية) يشاركها في سماتها العلمية، ويتميز عنها بخصائص (مقننة) هي الأعراف والشفرات الأدبية والتقاليد المتعارف عليها، فتجعله فرعاً من فروع المؤسسة الاجتماعية الأم "الكتابة عموماً")⁽⁹⁸⁾. بيد أن هذا المفهوم لم يتغلغل إلى نفوس غير أولئك وبخاصة، وأن مفهوم النص انسحب على أنماط تعبيرية أخرى غير لغوية، كالإيماء والفوتغراف والسينما وغير ذلك، مما أتاح للنص الشفاهي أحقية الدخول في عالم النص، فلم يعد النص محصوراً في حدود الكتابة والكتابية، بل انطوت على كل وسائل الاتصال الأخرى شريطة أن تشكل وحدة دلالية أو تحقق غاية اتصالية، بحيث -يقول كلاوس هيشن- ((لا يفهم في ذلك تحت (نص) وثيقة مكتوبة فحسب بل كل تحقيق للغة يمكن ضبطه، أي مجموعة نشاطات إنسانية سواء أكانت مكتوبة أو منطوقة أو على نحو آخر))⁽⁹⁹⁾. ولذا كثرت التعريفات التي تضع هذا الخط المائل (/) فاصلاً بين ألفاظ (المحكي والمكتوب) أو (الملفوظ والمكتوب) أو ما شابه ذلك، تعبيراً عن عدولهم عن انحصار النص في حدود الكتابة، فهاليداي ورقية حسن، يجدان في كلمة (نص) أنها ((تستخدم في علم اللغة للإشارة إلى أي فقرة... منطوقة أو مكتوبة مهما طالت أو امتدت...))⁽¹⁰⁰⁾.

(95) دروس في الألسنية العامة، فرنان دي سوسير/ 56.

(96) ينظر: الكتابة والاختلاف، جاك دريدا، ترجمة كاظم جهاد، ط1، دار توبقال للنشر - دار البيضاء - المغرب 1998م/ 140.

كذلك نظرية التأويل والخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - المغرب 2006م/ 56.

(97) المركزية الغربية، د. عبد الله إبراهيم، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون - بيروت 2010م/ 426.

(98) معجم السيميائيات/ 36.

(99) القضايا الأساسية في علم اللغة، كلاوس هيشن، ترجمه وعلق عليه د. سعيد حسن بحيري، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة 2010م/ 131.

(100) علم اللغة النصي، الفقي/ 29.

وهذا هو صنيع (جان ماري سشايفز) نفسه حين عَرَفَ النَّصَّ بأنه ((سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة تشكل وحدة تواصلية))⁽¹⁰¹⁾. إلا أن الانتهاء من هذه الخاصية لا يزال عالقاً، حتى نأتي إلى مصطلح آخر يلتبس بالنص إلى درجة الاعتياص، وهو مصطلح (الخطاب).

وقبل الولوج بفضاء الالتباس والاعتياص الذي يثيره النص والخطاب، لابد - مع كل ما تقدم - أن نصل إلى تصور لمفهوم النص، كيما نؤكد فاعلية التصورات السابقة في موضوع هذه الدراسة التي ترى في النص: كتلة لغوية كبرى (عبر جمليّة) منغلقة شكلاً مفتوحة دلالة، مقبلة لانتاجها وطرحها اللانهائي بامتلاكها صك انتمان مفتوح. وهي كذلك - وقبل كل شيء - ذات أبعاد نحوية تحقق لها سلامة الترتيب والسبك، وأخرى دلالية، توفر لها التساوق والانسجام، وأخرى تداولية، تكيفها للسياق الذي ولدت فيه وإليه.

4. بين النص والخطاب

يلتبس النص - تداولاً واستعمالاً - بمصطلح آخر تربطه به وشائج متينة، وهو مصطلح الخطاب، إذ ((ظلّ يلزمه في المعنى ويرادفه في الاستعمال، فقد يسمع الواحد منا مصطلح النص والخطاب، فيظن أن النص هو الخطاب، وأن الخطاب هو النص، فتختلط عليه المفاهيم والتصورات، كما أن توظيفه في البحوث النقدية عرف ارتباطاً كبيراً بسبب تداخل المصطلحات فيما بينها وعدم الضبط المنهجي في استعمال المصطلحات))⁽¹⁰²⁾.

والخطاب مصطلح حديث التداول، قريب العهد مما يثار حوله من جدل، وتتضارب في شأنه الآراء والرؤى والأفكار، فقد كانت نشأته الأولى على يد (فردينان دي سوسير) حين أرسى بمحاضراته قواعد اللسانيات الحديثة، ففي معرض وضعه الحدود الفاصلة بين ثنائياته الشهيرة، وقف ملتأً على ثنائية (اللغة والكلام)⁽¹⁰³⁾، وكان أن اتخذ موقفاً من الثاني، بأن أخرجته من دائرة الدرس اللغوي، ورأى في غريمته (اللغة) مادته الأثيرة المستأهلة للدرس والتحليل والنظر.

رأى سوسير أن (اللغة) من أكثر الأشياء قسمة وعدالة بين بني البشر ((تأخذ شكل سمات أو سمات موضوعية في كل عقل تقريباً، أي شكل معجم تتوزع نسخاته المتعادلة بين الأفراد))⁽¹⁰⁴⁾. وبينما هو كذلك، نظر إلى (الكلام) نظرة هامشية غير حقيفة بالاهتمام العلمي، فهو ((عمل فردي يسيطر الفرد دائماً عليه))⁽¹⁰⁵⁾.

⁽¹⁰¹⁾ معجم السيميائيات، فيصل الأحمر/134. وينظر: النص، جان ماري سشايفز، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص،

إعداد وترجمة د. منذر العياشي/119.

⁽¹⁰²⁾ لسانيات النص، ليندة قياس/25-25.

⁽¹⁰³⁾ ينظر: دروس في الأُسنية العامة لفرديناند دي سوسير، تعريب صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، ط1،

الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا 1985م/35-36.

⁽¹⁰⁴⁾ الأُسنية، علم اللغة الحديث، ميشال زكريا/42.

⁽¹⁰⁵⁾ م.ن/43.

ولما كان الاستعمال الفردي عرضة للتغيير والتبديل والتقلبات النابعة من الأهواء والميول والرغبات أو لأنه فعل ابتكار الفرد، وللفرد طغياناً دائم على الكلام⁽¹⁰⁶⁾. طرح (سوسير) هذا الفعل الفردي جانباً وأخرجه من دائرة اهتمامه، وأثر (اللغة) واليهما انصرف جلّ تركيزه، والموقف ذاته سيتخذ من يخلقه في الدراسة اللسانية. وهكذا تصبح ثنائية (اللغة والكلام) (النموذج والواقع) عند (إدوارد سابير) و(الكفاية اللغوية والأداء الكلامي) عند (نعوم شومسكي). إلا أن ما استغنى عنه سوسير، وكذلك من سار على نهجه، وما لم يوله اهتماماً، أصبح هو الموضوع الذي ظهر فيه نشاط واجتهادات المتأخرين، فما كان عند سوسير وخلفائه مسألة هامشية، صار عند المتأخرين مالى مباحثهم وشاغل قرائحهم وعقولهم، فراحوا يقلصون من أهمية (اللغة) بسبب ماضويتها وسلطانها ومشاعيتها، وأخلوا محلها عبقرية (الكلام = الخطاب) الذي هو سلوك فردي متفرد ذو حيوية يعمل ضد السلطة والجمود⁽¹⁰⁷⁾، والجدول الآتي يوضح ما صار إليه هذان المصطلحان⁽¹⁰⁸⁾:

دي سوسير	اللغة	الكلام
هيلمسلاف	الجهاز/ النسق	النص
شومسكي	الطاقة/ التمكّن/ الكفاية اللغوية	الإنجاز/ الأداء الكلامي
جاكسون	السنن/ القانون	الرسالة
غوستاف غيوم	اللغة	الخطاب
رولان بارت في بعض استعمالاته	اللغة	الأسلوب
إدوارد سابير	النموذج	الواقع الكلامي

يقع الكلام، إذًا، في قلب الدرس اللساني، ويصير (الخطاب) مرادفاً له؛ بحيث يعرفه الأسلوبيون تعريفاً يكاد يكون جملة من كلام دي سوسير، إذ يعرفه الأسلوبيون بأنه ((اللغة التي يسيطر عليها المتكلم في حالة استعمال))⁽¹⁰⁹⁾ فهو - عندئذٍ - موضوع الأسلوبية وموضع نظرها، ظاهرة ذات خصوصية، وكسر للاعتقاد اللساني السائد الذي يقول بأحقية اللغة للدرس والتحليل، وهو كذلك تجلّ للتحول الكبير الذي شهدته اللسانيات المعاصرة، من اللغة التي هي مشاعية وملك للجميع، إلى اللغة التي هي معطى خاص، واحتكار لفرد معين، وهو أيضاً - يقول النقاد في تعريفه - ((فعل النطق، أو فاعلية تقول وتصوغ في نظام يريد المتحدث قوله. الخطاب، إذًا، كتلة نطقية لها طابع الفوضى وحرارة النفس، ورغبة تتعلق بشيء ليس هو، تماماً، الجملة ولا هو، تماماً، النص، بل هو فعلٌ يريد أن يقول))⁽¹¹⁰⁾. حتى أخذ الكلام/ الخطاب -

(106) ينظر: اللسانيات وتحليل النصوص، الدكتور رابع بوحوش، ط1، عالم الكتب الحديث، أريد-الأردن، 2007م/86.

(107) ينظر: م. ن/86.

(108) ينظر: م. ن/86، وكذلك الأسنية، علم اللغة الحديث، ميشال زكريا ص37 وما بعدها كذلك لسانيات النص، ليندة

قياس/38، كذلك القضايا الأساسية في علم اللغة، كلاوس هيشن/131.

(109) لسانيات النص، أحمد مذاس/10.

(110) معجم السيميائيات/164.

بعد خروج الدراسة اللسانية من قبضة سوسير - مكانة سامقة مرموقة، لا في مجال اللغة والنقد والأدب فحسب، وإنما اخترق كل ميادين الفكر والمعرفة، من اجتماع والاقتصاد وسياسة وتاريخ وتاريخانية؛ الأمر الذي جعله يثير الكثير من الاشكال والجدل وعدم توحيد الرؤى عند من يتعاطونه نظراً وإجراء.

وهنا نستعرض بعض التصورات التي يقترحها اللسانيون والنقاد والأدباء لتعريف (الخطاب) لتكون على بيّنة مما يعتمدون ومما يقصون في إعماماتهم وحدودهم هذا المصطلح:

- جاء في معجم السيميائيات: ((كل ملفوظ أعلى من الجملة، بحيث ينظر إليه من زاوية نظر تسلسل المجموعات الجمالية))⁽¹¹¹⁾.
- ويعرفه هاريس، بأنه: ((ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نطل في مجال لساني بحث))⁽¹¹²⁾.
- وعند جان كوهن ((متتالية منسجمة من الملفوظات))⁽¹¹³⁾.
- ويعرفه تودروف بـ((مجموعة البنيات اللفظية التي تعمل في كل عمل أدبي))⁽¹¹⁴⁾.
- أما بنفسه - بعلو كعبه في هذا المجال - فيعرفه بأنه ((ملفوظ منظور إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، وهو كل تلفظ يفترض مرسلأ ومستقبلاً للمرسل اللغوية، ويفترض عند الباث قصد التأثير على المتلقي بكيفية ما))⁽¹¹⁵⁾.
- وعند هارتمان وستورك: ((محكوم بوحدة كلية واضحة، متكون من صيغ تعبيرية متوالية تصدر عن متحدث يبلغ رسالة ما))⁽¹¹⁶⁾.
- ويعرفه ليتش وشورت بأنه ((وحدة تواصلية لسانية يفترض وجود متكلم ومستمع (لحظة انتاجه) أي أنه فاعلية تواصلية بهدف تحقيق غاية اجتماعية))⁽¹¹⁷⁾.
- وقريباً من مفهوم جوليا كرسيفا للنص، يعرف ماكدونيل الخطاب، مصرحاً بترادفه مع النص، بأن ((كل ما اشتمل على دوال ارتبطت بظرفها التاريخي، وهي قابلة للقراءة بعد القراءة أي يمكن انتاجها في كل مرة

(111) م.ن/168، نقلاً عن أحد المعجمات اللسانية الغربية لم يصرح به الدكتور فيصل الأحمر.

(112) تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، ط4، المركز الثقافي العربي، 2005م/15.

(113) م.ن/24.

(114) تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،

2003م/185.

(115) لسانيات النص، ليندة قياس/40، وينظر: تحليل الخطاب الروائي، يقطين/19.

(116) المصطلح اللساني النصي، دراسة تأصيلية، نعمان بوقرة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م/235.

(117) م.ن/235.

إنتاجاً يتفاوت اختلافه قلة أو كثرة، فهو (نص) وهو (خطاب) ((⁽¹¹⁸⁾ غير أن (كرستيفا) تعمم الخطاب على النص على ما سيتضح لاحقاً. ونخرج من هذه التعريفات بجملة استنتاجات وهي:

1. اشتمال الخطاب على الجملة واستيعابه إياها.
2. عدم الأخذ بمعيار الكم في تحديده.
3. إدراج الجانب (الشفاهي) للغة في حيز الخطاب؛ وذلك حين أدخلوا مفاهيم (الملفوظ) و(التلفظ) و(لحظة الانتاج الآتية).
4. ادخال الخاصية الاخبارية(التواصلية) في الخطاب، وذلك بافتراض المفاهيم السابقة لعملية التواصل.
5. اعتماد المعيار الدلالي بذكرهم الانسجام الدلالي (كما عند كوهن) واتسام الخطاب بالوضوح (كما عند هارتمان وستورك).
6. اعتماد المعيار التداولي والوظيفي، لكون الخطاب وحدة تواصلية يفترض عند الباث التأثير على المتلقي (كما يقول بنفسه) بهدف تحقيق غاية اجتماعية (كما يقول ليتش وصاحبه) ولكونه مرتبط بسياقه التاريخي كما يقول (ماكدونيل).
7. السمة الإنتاجية وافتاحه للامحدود على قراءات لاحقة (حسب ماكدونيل أيضاً).

فالخطاب بهذه المعايير المعتمدة، لو قبل بوجهة من يراعي في النص كل هذه الأبعاد، إنما هو (النص)، ولا يختلف عنه قيد انملة، وهذا ما حدا بـ(ماكدونيل) إلى الترادف بينهما أخيراً. فهل - يا ترى - تأكيدهم على الخاصية الشفاهية للغة بإدخال مفهوم (الملفوظ) و(التلفظ) بدل الكتابة التي هي شديدة الصلة بالنص، كان داعياً من دواعي الفصل بينهما؟

يذهب (بول ريكور) هذا المذهب، إذ النص عنده ((كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة، وهذا التثبيت أمر مؤسس للنص ومقوم له))⁽¹¹⁹⁾. وهذا يعني أن المعطى اللغوي - وربما غير اللغوي - ما يزال خطاباً حتى توفر له وسيلة حفظ وديمومة، وهي عند (بول ريكور)، الكتابة حصراً ليس غير، وبغيرها لن يحقق نصيته. أما الخطاب، كما هو واضح من التعريفات السابقة - وبخاصة عند بنفسه وشورت - فإنه يفترض المتلقي لحظة الإرسال، فهو نشاط تواصل يَتَأَسَّس، قبل كل شيء على اللغة المنطوقة، وحسب (بنفسه) هو ملفوظ من زاوية النظر إلى آليات اشتغاله وعمليات المشكلة له في عملية التوصيل. أما حين يفترض متكلاً ومستمعاً يهدف فيه المتكلم التأثير في متلقيه، فإنه، آنئذٍ، ملفوظ آني (= تلفظ) وهو في هذه الحالة لا يتعدى المقصود بالخطاب إلا إذا شاركه فيه أكثر من مستمع، لأنه مرتبط بلحظة إنتاجه⁽¹²⁰⁾.

(118) مقدمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، ترجمة وتقديم د. عز الدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1/2001م/41.

(119) مدخل إلى علم النص، الصبيحي/14. وينظر: الاسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي/131.

(120) ينظر: نظرية التأويل والخطاب وفائض المعنى/ 34، كذلك إشكالية المصطلح، وغليسي/ 60.

وبينما الخطاب كذلك، فإن النص يكون بانتظار من يقبده ليحقق به ديمومة (الخطاب) بالكتابة، فالمتلقي هنا لا يزال غائباً مؤجلاً إلى حين تحقيق هذا القيد، ليلتقي ما وجه إليه بالقراءة ومن هنا يرتبط النص بالكتابة، حيث يجعل منه يقرأ في كل زمان ومكان بخلاف الخطاب الذي يكون - ربما - رهين لحظته. فالقول يتحول من عمل لفظي أني إلى عمل كتابي بمجرد عزل الرسالة عن مرسلها، ويصبح حينئذ عملاً مغلقاً، فما كان ملفوظاً هو الخطاب، ومتى سَوِدَ به بياض الصفحات صار نصاً، وعادت إليه حيويته وانفتاحه⁽¹²¹⁾.

بيد أن هذا الاعتبار سيزول عند من يفسر فعل التواصل في النص بالكلام والكتابة على السواء. يقول (هورست آيزنبرج): ((النص هو الشكل الأساسي للتنظيم الذي يتجلى فيه لغة إنسانية، وحين يتواصل الناس لغوياً (بوجه عام) فإنهم يتواصلون (يتكلمون/يكتبون) في صورة نصوص))⁽¹²²⁾. إذ الاستعمالات العديدة للنص والخطاب في سياقات عامة، وحدثياً، يفضي إلى أنهما شيء واحد ((فقد كان لهذين المصطلحين - والكلام لسارة ميلز - العديد من الاستعمالات.... وبصفة خاصة قد يُستعمل كل من الخطاب، والنص بمعنى أوسع بكثير، ليشمل جميع الوحدات اللغوية التي لها وظيفة اتصالية محددة، سواء أكانت تلك الوحدات (محكية أو مكتوبة)، فمن العلماء من يتحدث عن الخطاب المحكي أو المكتوب، ومنهم من يتحدث عن النص المحكي أو المكتوب))⁽¹²³⁾. وهكذا يشكل الخطاب والنص ثنائية ينفصلان بين الكتابة والتلفظ في مجال التنظيم، ويلتقيان، بل يتداخلان، في مجالات الاستعمال والتطبيق. أما حين ينظر إليهما من زاوية أيهما يشتمل على الآخر، فإن (جون ميشال آدم) يرى أن كل نص يعد خطاباً إذا ما طُرِحَ منه ظروف الإنتاج، وبخلاف ذلك فإن كل خطاب يعد نصاً إذا روعي فيه تلك الظروف والسياقات، وفق معادلته الشهيرة⁽¹²⁴⁾:

النص = الخطاب - ظروف الإنتاج

الخطاب = النص + ظروف الإنتاج

فالنص - حسب آدم - ((يمثل المظهر الشكلي المنجز للخطاب، بينما يعني الأخير الممارسة الفعلية الاجتماعية للنص))⁽¹²⁵⁾ والنزعة المدرسية في هذه المعادلة واضحة، حين يفصل النصوص عن وضعيات قولها المحددة، وهذا الصنيع لا يختلف عما ألفناه قديماً من فصل (الشكل) عن (المضمون)

⁽¹²¹⁾ ينظر: الخطيئة والتكفير من النبوية إلى التشريعية، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1998م/62-63.

⁽¹²²⁾ بعض المفاهيم الأساسية لنظرية لغوية النص، هورست آيزنبرج، مقال ضمن كتاب (إسهامات أساسية في العلاقة بين

النص والنحو والدلالة) نقله إلى العربية د. سعيد بحيري، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م/25.

⁽¹²³⁾ معجم السيميائيات/159.

⁽¹²⁴⁾ ينظر: معجم السرديات/454.

⁽¹²⁵⁾ مدخل إلى علم النص، الصبيحي/73.

لغايات أكاديمية، وهي كذلك غاية (آدم): ((من أجل تبين الانساق المقطعية العامة وثوابتها البنيوية)) (126).

ويُفرق (دي بوجراند) بين الاثنين، معمماً الخطاب على النص، فالسمة التي تميز النص هي استعماله في عملية التواصل - بخلاف ما يراه آدم - وأن الخطاب هو مجموعة من النصوص تربطها علاقة مشتركة، أي توالي مجموعة مظاهر يمكن الرجوع إليه لاحقاً⁽¹²⁷⁾، فالخطاب من هنا، أشمل من النص.

ولم يلق هذا الرأي قبولاً عند سعيد يقطين، الذي يرى أن الخطاب ((هو في آن واحد فعل إنتاجه اللفظي ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئية، بينما النص هو مجموع البنات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه))⁽¹²⁸⁾، فالنص عند يقطين أشمل من الخطاب، ولو قورنت بمعادلة (آدم) لكانت هذه المعادلة:

الخطاب = النص - البنية النسقية

النص = الخطاب + البنية النسقية

وهو بذلك ينتصر للموقف القائل بشمولية النص واستيعابه الخطاب، لأن التحليل لا يمكن أن يتوقف عند حدود الوصف كما هو الحال في الخطاب الذي يقف عند انساق اجتماعية وسياسية وثقافية. في حين يتعداه النص إلى التفسير بالوقوف عند جمالياته بوصفه معولاً للدلالة⁽¹²⁹⁾.

أما هذه السعة والاشتمال عند (جوليا كرستيفا) فإنها تكون لصالح النص من أنه - وكما تقدم - أكثر من مجرد خطاب أو قول، معتمدة ((على مفهوم البنية، فالنص ممارسة دالة وصيرورة لإنتاج المعنى فهو يدرس باعتباره تبيناً لإنتاج وتغيير المعنى لابنية جاهزة للمعنى فحسب))⁽¹³⁰⁾. لأنها ترى أن النص مسجل ((من حيث هو تجلّ خطي، وهذه الخاصية الخطية هي التي تسمح بفك شفرته ومواده اللسانية))⁽¹³¹⁾. وممن لا يميزون بين هذه الثنائية، أغلب السريدين البنيويين لكونهم يركزون على البعد النحوي، أو ما يحدد (سردية العمل الأدبي) ولم يولّوا اهتماماً بالبعد الدلالي والسياق والخاصية التداولية وغير ذلك مثل جنت، وتودروف، وفاينرش⁽¹³²⁾.

(126) معجم السرديات/454.

(127) ينظر: النص والخطاب والإجراء، مقدمة المترجم/6.

(128) انفتاح النص الروائي/12.

(129) ينظر: من النص إلى النص المترابط، د. سعيد يقطين، مجلة عالم الفكر، ع (2)، لسنة 2003م/57.

(130) تقابلات النص وبلاغة الخطاب.

(131) م.ن/133.

(132) ينظر: النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، يقطين 57، كذلك انفتاح النص الروائي/10. كذلك تحليل الخطاب

الأدبي، يقطين/157.

وعلى أي، ومهما طال عرضنا للتصورات المتباينة حول هذين المصطلحين، فإننا لا محالة سنتوصل إلى حقيقة مفادها أن كليهما يندرج تحت مجال واحد، إلا على مستوى التتظير، فعلى مستوى الإجراء، لأن وجودهما ((متلاحم وليس بوسع أحدهما الاستغناء عن الآخر))⁽¹³³⁾. ومن ثم فإن كليهما تجاوز حدوده ووضعه الأهل، فالنص لم يعد حبيس الحقل اللساني، إذ لم يعد مجرد مجموعة من الجمل المكتفية بذاتها والمنحصرة بالوصف الشكلي للابنية النصية، وإنما أخذ يسعى إلى شيء أكثر من ذلك، وأخذ يغزو حيز الخطاب حتى توحد معه، لأنه ((حينما يعزل عن الخطاب فإنما يعزل عن سياقه، ليصبح مجرد كلمات هامة بلا صوت، فالخطاب هو الذي يمنحها التفاعل، ويخرجها من عزلتها اللغوية فالخطاب الذي يصدر عن النص يندرج في العالم الثقافي حاملاً كل القيم الجمالية والفنية والسياسية والاقتصادية والدينية))⁽¹³⁴⁾. وكذلك الحال مع الخطاب الذي هو في الأساس الممارسة الفعلية والاجتماعية، والوحدة الأساسية للتبليغ والتبادل⁽¹³⁵⁾، فإنه لا يلبث أن يكون ((مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي، إذ تشكل الجمل نظاماً متتابعاً في نسق كلي))⁽¹³⁶⁾ وعلى ذلك فإن توحدتهما انسحب بدوره على كليهما، ليكونا واحداً، لذا يقول (فانديك) إن ((الفرق الوحيد بين العلمين هو أن ما يطلق عليه في العالم الأنجلوسكسوني (تحليل الخطاب Discourse Analysis) يقابله في بعض الدول الأوربية وفي فرنسا بخاصة مصطلح (علم النص Science Dutable))⁽¹³⁷⁾. ويرى الدكتور محمد الأخضر الصبيحي أنه - وإن كنا قد انتهينا إلى أنهما مختلفان، وأن بينهما ما لا حصر له من الفروق ((فإن هذا الفرق لا يلبث يتلاشى على مستوى التحليل والدراسة، ولا أدل على ذلك من أن كلاً من علماء النص وأصحاب تحليل الخطاب يجمعون على أن دراسة النص وتحليله يجب أن يشمل البنية النصية وسياقهما معاً))⁽¹³⁸⁾ وبناء عليه؛ فإنه لم يعد قائماً، التمييز بين هذه الثنائية، بل أصبحا يتداعيان ويجتمعان على علاقة تكاملية لا يمكن الاكتفاء بأحدهما دون الآخر.

(133) شعر الهذليين في الخطاب النقدي العربي المعاصر (اطروحة دكتوراه) للباحث سعد جرجيس، كلية الآداب، جامعة

الموصل/16.

(134) م.ن/16.

(135) ينظر: الشكل والخطاب، د. محمد الماكري، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991م/64.

(136) مدخل إلى علم النص، الصبيحي/76.

(137) م.ن/76.

(138) م.ن/76.

الفصل الثاني

(لسانيات النص مفهومه ونشأته وقضاياه

ومصطلحاته)

المبحث الأول (لسانيات النص مفهومه ونشأته والنقطة

الكبيرة التي شهدتها اللسانيات)

أولاً- مفهوم لسانيات النص ونشأته

ثانياً- نشأة لسانيات النص

ثالثاً- من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص

رابعاً- بين لسانيات الجملة ولسانيات النص

المبحث الثاني (لسانيات النص قضاياها ومصطلحاتها)

أولاً- مكونات النص (-الوحدة النصية الصغرى)

ثانياً- معايير النص أو مقوماته (-النصية)

ثالثاً- إشكالية المصطلح

المبحث الأول

(لسانيات النص مفهومه ونشأته والنقطة

الكبيرة التي شهدتها اللسانيات)

أولاً- مفهوم لسانيات النص ونشأته

ثانياً- نشأة لسانيات النص

ثالثاً- من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص

رابعاً- بين لسانيات الجملة ولسانيات النص

أولاً- مفهوم لسانيات النص

لم تعد الجملة- كما يرى جون ميشيل آدم ويرى غيره كذلك- ((الوحدة القاعدية للتبادلات الكلامية والخطابية، بل النص هو وحدة التبليغ والتبادل))⁽¹³⁹⁾. فالسمة المميزة لهذا الاتجاه هو تجاوز حدود الجملة إلى فضاء أرحب وهو الفضاء النصي، وقد عدت الأستاذة خولة طالب الإبراهيمي التوجه صوب النص نقطة تحول جديدة في تاريخ اللسانيات الحديثة ((لأنه أخرجها نهائياً من مازق الدراسات البنيوية التركيبية التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية البنيوي والدلالي والتداولي))⁽¹⁴⁰⁾، كما أنه نجح في ((الوصول إلى ماهية النص وعوامل تشكيله، فإنه، بالتالي، ليس منهجاً لغوياً فحسب، بل إنه يضم إلى جانب الإجراءات التحليلية اللغوية إجراءات مماثلة تنتمي لمناهج أخرى بهدف الوصول إلى رؤية أكثر موضوعية، ويعدّ بذلك أكثر المناهج المعاصرة تبلوراً وإفادة من المقولات السابقة عليه، واستيعاباً لإدراجها في منظومته العلمية))⁽¹⁴¹⁾.

فاللسانيات النصية ليست دراسة أحادية الجانب، ولكن قائمة معرفية تحتضن، أو قل تحتضنها كل المناهج السابقة، لأن هذه اللسانيات نجحت في نفس ما أبتنته المدارس والمناهج السابقة من جدران وحدود شائكة بين الاختصاصات، ساعية إلى دمجها بالتواتر الحداثي، فهي تضم ((في إطار واحد العديد من الإجراءات المنهجية الأخرى اللغوية والأدبية، فهناك إجراءات علم اللغة الوصفي بأقسامه المختلفة: المعجمية والصوتية والدلالية، وهناك أيضاً إجراءات نظرية السياق وتحليل الخطاب، ونظريات التلقي والتفكيكية، بل النظرية الإعلامية كذلك، باعتبار أن النص فاعل في المجتمع ومؤثر إيجابي في الجمهور))⁽¹⁴²⁾. إذ تتعاش في فروع معرفية كثيرة، فالمعايير النصية التي يفترض بها أن تكون من شروط الحكم على النص، يتصل بعضها بالاسلوبية (التنّاص)، وبعضها بالبلاغة (المقامية والإعلامية) وبعضها بمنتج النص أو متلقيه (القصد والقبول)، وذلك يوضح لنا أن نحو النص يتكون من مجموعة من الفروع اللغوية والأدبية والنقدية والنفسية والاجتماعية وغير ذلك⁽¹⁴³⁾.

(139) مبادئ اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، ط2، دار القصة للنشر، الجزائر العاصمة 2000م/168.

(140) م.ن/167.

(141) نظرية علم النص، الدكتور حسام فرج/15.

(142) م.ن/15.

(143) ينظر: نحو النص، غيفي/77.

يتضح هنا أن (تجاوز حدود الجملة) و(تداخل الاختصاصات)⁽¹⁴⁴⁾ بتعبير (فاندك) أو (الهجنة النحوية)⁽¹⁴⁵⁾ بتعبير (ديبو جراند) أو (عبر التخصصية)⁽¹⁴⁶⁾ بتعبير صلاح فضل، هي أهم سمات هذا المبحث المعرفي الذي يعد من أحدث فروع علم اللغة الحديث، يُعنى بدراسة مميزات النص من حيث حده وتماسكه ومحتواه البلاغي⁽¹⁴⁷⁾. ولعل من أكثر التعريفات تفصيلاً ما ساقه (ديفيد كرستيان) من أن لسانيات النص (= نحو النص): هو ((العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها وصور الترابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكنا من فهمها وتصنيفها ووضع (نحو خاص) لها، مما يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النص ويشرك فيها متلقيه أو هو الدراسة اللغوية لبنية النصوص))⁽¹⁴⁸⁾.

ثانياً- نشأة لسانيات النص

لا نعدم، إن لم نؤكد، أن التراث اللغوي قد فطن إلى الظواهر النصية، وتناولها بالبحث قصداً لذاته وقصداً لغيره، فغياب المصطلح، وغياب النظرية، لا يعنيان غياب الإجراء، ووعي القدماء بمضامينها، فالنظرة العلمية لظواهر هذا العلم لها جذورها التاريخية الضاربة في مباحث النحو القديم والبلاغة القديمة، وبخاصة من خلال تداخل هذين العلمين، حين فُهما على أنهما علمان تجمعهما علاقة تكامل.

إذ أفضت طريقة النظر النحوية البلاغية الموحدة إلى أوصاف نصية تشكّل مادة ضخمة تنتظر المزيد والمزيد من الدراسات، فبصرف النظر عن جهود النحويين وتفعيلهم معايير الربط بين الجمل فإن البلاغة القديمة ((تضم الأفكار الجوهرية التي غُذيت الدراسات النصية بالتوسع فيها، ومن ثم توجد جوانب اتفاق عدة بينهما، إلى حد يصعب معه إغفال الأثر))⁽¹⁴⁹⁾ الذي تركه الأسلاف، خدمة لكل من تجاوز بنظره حدود الجملة إلى الفضاء النصي، فجهود الجاحظ والباقلاني والعسكري والجرجاني والحاتمي والقرطاجني والسيوطي والبقاعي، شاهدة على الإسهام العربي الفعال في صناعة هذا العلم الخصب، بعكس ما يعتقد بعض الغربيين، وكذا المعاصرين من العرب، من ((أن هذا الحقل المعرفي الجديد قد نشأ

(144) إن وصف هذا العلم بأنه (متداخل الاختصاصات) جاء عنواناً لأحد مؤلفات (فاندك) وهو: (علم النص مدخل متداخل الاختصاصات)، ترجمة سعيد بحيري، ط1، دار القاهرة للكتاب، 2001م.

(145) إذ يصف (ديبو جراند) هذا العلم بأنه (نحو هجين) تتداخل فيه جملة اختصاصات. ينظر: النص والخطاب والإجراء/300.

(146) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، ط1، دار الكتاب اللبناني بيروت 2005م/293.

(147) ينظر: لسانيات النص، أحمد مداس/3.

(148) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، نماذج من السنة النبوية، د. نادية رمضان، ط1، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2004م/5.

(149) علم لغة النص، بحيري/185.

وترعرع في محاضن الثقافة الغربية، فالغرب بهذا الزعم هو الذي أسهم إسهاماً كبيراً وواضحاً في إنتاج هذه المعرفة الجديدة الخصبة، وهو الذي عمل على إنتاج اصطلاحاتها، ثم شحنت هذه الاصطلاحات بدلالات واضحة ومحدودة)) (150).

وبعيداً عن متابعة الجذور والإسهامات التاريخية البعيدة، التي نحتاج في تعقبها أفراد دراسة خاصة، فإن صلاح فضل يعزو وضع حجر الأساس إلى (فانديك) عند قوله: ((وتطورت الدراسات النصية في السبعينيات على يد (فانديك Van Dijk) الذي يعد مؤسس علم النص أو نحو النص)) (151) فيما يذهب الدكتور سعد مصلوح إلى أن ((إرهاصات نحو النص بدأت على يد هاريس)) (152) وهو بقوله هذا يخالف الدكتور صلاح فضل، فالاتجاه النصي لم يبدأ يفرض نفسه على الدرس اللساني إلا مع بدايات النصف الثاني من القرن المنصرم، وهو التاريخ الذي ينشر فيه (زليج هاريس) دراستين رائدتين تكتسبان أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة، وهو بهاتين الدراستين، لا يكون أول لسانٍ يعتبر الخطاب/النص موضوعاً شرعياً للدرس اللساني فحسب، بل إنه يجاوز ذلك إلى تحقيق قضاياها التي ضمّنها برامجه بتقديم أول تحليل منهجي لنصوصٍ بعينها، خارجاً بذلك على تقليد أرساه (بلومفيلد) يقضي بأن التعبير اللغوي المستقل بالإفادة (=الجملة عند التوزيعيين) هو ما يهتم به اللساني، أما النص فليس إلا مظهراً من مظاهر الاستعمال اللغوي غير قابل للتحديد (153). ويتابع الدكتور مصلوح في ذلك الدكتور سعيد بحيري الذي يقول ((عُدَّ هاريس من خلال عمله وبخاصة (تحليل الخطاب 1952) أول من أسس علم لغة النص الحديث)) (154).

اعتمد هاريس أدوات اللسانيين ومفاهيمهم في تعامله مع النص ((فقد وسّع مناهج تصنيف التوزيعية التي حافظت على المستويات الدنيا)) (155) في التحليل اللغوي، ليسخرها في اشتغاله عليه، كما أنه اعتمد مفهوماً ((للتحويل يختلف عن مفهوم التحويل الذي تعتمده الأسنوية التوليدية التحويلية فالتحويلات في رأيه هي بمثابة علاقات قائمة، بشكل عام بين الجمل وتنص على فئات من الجمل المتعادلة، لذلك لا يمكن تحليل الجملة إلا من حيث علاقتها بالجملة الأخرى ومن خلال تحديد هذه العلاقات)) (156). كما أنه أدرج في منهجه عناصر غير لغوية خارجة عنها كالعلاقات الاجتماعية والسياق وغير ذلك (157). وما نزال في

(150) لسانيات النص، لندة قياس/56.

(151) بلاغة الخطاب وعلم النص/225.

(152) اجرومية النص الشعري، سعد مصلوح/253.

(153) ينظر: من نحو الجملة إلى نحو النص، سعد مصلوح/408. كذلك علم لغة النص، بحيري/32.

(154) علم اللغة النصي، بحيري/33.

(155) م-ن/33.

(156) الأسنوية (علم اللغة الحديث) ميشال زكريا/260.

(157) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، نادية رمضان/1.

بداية الخمسينات وإذا بنا نعث على لساني آخر يؤكد النظرة نفسها ويردّفها بدراسة أخرى عام 1954 وهو اللساني الأميركي (بايك) الذي هذا حنّو (هاريس) في تعامله مع المعطى اللغوي. وفي مطلع الستينات أظهر (دل همز Dell Hemes 1960) دراسة يركز فيها على الحدث الكلامي في مواقفه الاجتماعية⁽¹⁵⁸⁾. وتبعه في مسعاه كل من (اوسم 1962) و(فاينرش وهارتمان 1968) و(سيرل 1969) بمنحاه التداولي⁽¹⁵⁹⁾ إذ كرّس هؤلاء جهودهم خدمة لهذا الاتجاه الذي توجهت به اللسانيات ((توجهاً قوياً نحو الاعتراف بأجرومية النصّ بديلاً موثقاً به لأجرومية الجملة، وفتحت للدرس اللساني منافذ كان لها أبعد الأثر في دراسة اللغة ووظائفها النفسية والاجتماعية الفنية والإعلامية))⁽¹⁶⁰⁾.

وتشهد فترة السبعينات بداية قوية في تبني هذا الاتجاه، إذ يرى (ديبو جراند) أن الخطوة الكبرى قد جاءت عندما اجتمع عدد من الباحثين في مقدمتهم (هاتمان) و(رايس) و(بتوفي) و(فانديك) بجامعة كونستانس الألمانية. لدراسة ما أصبح يُعرف بـ(لسانيات النصّ) وتوجهت عنايته بادئ الأمر إلى إنشاء نحو لتوليد النصوص من خلال عمل (برخت) (ديوان انسيد المفضل) وقد تبين أن العملية أكثر تعقيداً مما يُتصور، لصعوبة كتابة نحو للنصّ بالروح التي هي عليها في نحو الجملة، ومن هنا اتضح لهم ما كان لا بد منه وهو أن تتركز العملية، أولاً، في كيفية إنتاج النصّ واستقباله من أجل التفريق بين ما هو نص وما هو غير ذلك⁽¹⁶¹⁾. وهو بدوره ما دعا إلى عدّ (فانديك) مؤسساً لهذا العلم من خلال عمله الرائد (النصّ والسياق 1972) ويعقبه (هاليداي) بدراسة أخرى سنة 1973 قبل أن يكون ثنائية مع (رُقية حسن) التي شاركته في أغلب أعماله⁽¹⁶²⁾. وتتولى الأعمال بعد ذلك بظهور أسماء كثيرة تعالج آثارهم مفردات هذا العلم ومعاييره منهم (سينكيلار 1975) و(كوفمان 1979)⁽¹⁶³⁾ وغيرهما كثير ممّن تطور على يدهم العلم النصّي حتى أصبح ((نحو النصّ الذي ولد في عباءة النصّ أو نظرية النصّ حقيقة راسخة على يد الأميركي (روبرت ديبو جراند) في الثمانينات من القرن الماضي))⁽¹⁶⁴⁾. فالحاجة، إذاً أصبحت ضرورة لقيام تحليل ينكب على النصوص، ويتناولها من كل الزوايا، ويقوم بديلاً ناجعاً عن

(158) علم اللغة النصّي، الفقي/23.

(159) ينظر: م.ن/23. كذلك علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق، نادية رمضان/1.

(160) نحو أجرومية للنصّ الشعري، دراسة في قصيد جاهلية، د. سعد عبد العزيز مصلوح، وهو في الأصل مقال ضمّته كتابه

(في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية)، آفاق جديدة، ط1، عالم الكتب، القاهرة 2006م/225.

(161) ينظر: علم النصّ ونظرية الترجمة، يوسف نور عوض/17.

(162) م.ن/16. كذلك علم اللغة النصّي، الفقي/23.

(163) ينظر: علم اللغة النصّي، الفقي/23.

(164) ينظر: نحو النصّ، عفيفي/11.

الجملة ونحوها ومن هنا تزامنت هذه المحاولات كلها في أكثر من بلد ((لأن نشأته لم ترتبط ببلد معين ولا بنظرية محددة))⁽¹⁶⁵⁾. بل هو علمٌ هجين في نشأته، مثلما هو هجينٌ في طبيعته.

ثالثاً- من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص

كانت الجملة موضوعاً لا حياد عنه في الدراسة اللسانية وُعدت نهاية المطاف، أي أكبر وحدة لغوية قابلة للوصف والتحليل اللغوي، وحتى عهد قريب ظلت هذه الوحدة اللغوية مقولة اللسانيات الأساس، فهي نهاية المطاف في أي مستوى من مستويات الدرس اللغوي، سواء من جانب التعقيد أو من جانب الوصف. أما الوحدات التي تعلوها فلم تثل عناية اللسانيين، فهي، في رأيهم، خارجة عما هو منوطٌ بهم. وما أن أتخمت بحثاً ودراسة "تنظيراً وتطبيقاً" حد التذمر والملل حتى وجدت الجملة، انثذ، نفسها في قلب مرمى الثائرين، وتلفت منهم ما كانوا يصبون إليه من تجاوزها، لعدم جدواها في وصف ظواهر اللغة الخارجة عن نطاقها الضيق ورأوا أنها لا تحقق هويتها إلا إذا كانت إلى جانب جمل وتراكيب أخرى، لذا فإن محاولة وصف الكلام من خلال الجمل هو إجراء غير مضمون النتائج، وعليه فلا بد من أن يكون موضوع الدراسة والوصف وحدة لغوية أشمل يكون من أهم خصائصها التواصل والحوار والاستقلال⁽¹⁶⁶⁾. وهكذا يكون النصيون قد بلغوا وحققوا هدفهم، بأن اعتمدوا وحدة للتحليل تتعدها في الدرس اللساني تكون أحق به وأهله في التعرف على انتظام العناصر والوحدات اللغوية التي تتجاوزها ((إلى مجموعة تتابعات كبرى تتصل بكلية النص وبنائه العام، عن طريق البحث في تلك الظواهر التي تتعلق ببنية النص الكلية))⁽¹⁶⁷⁾.

فعلى صعيد العلاقات الداخلية في هذه الكتل وعلاقتها بالسياق يقول (أريبول): ((إن بعض الوحدات اللغوية، مثل الضمائر والروابط وأزمنة الفعل، لا يمكن دراستها والوقوف على كيفية أدائها لوظائفها، إذا وقفنا بالدراسة عند حدود الجملة، بل يمكن الذهاب أبعد من ذلك، والقول بأن تحديد بعض هذه الوحدات (العناصر الإشارية) لا يمكن أن يتم إلا بالرجوع إلى مقام التلطف، أي الظروف المحيطة بإنتاج النص))⁽¹⁶⁸⁾.

ومن صور النقد الموجهة إليها كذلك- يرى ميشيل مايبر- ((أنها لا وجود لها منعزلة في الاستعمال الفعلي للغة، فهي دائماً محتواة في سياق التلطف، وعليه فالجملة لا تحقق ولا تكتسب هويتها الحقيقية إلا في إطار الخطاب أو السياق، كما أن عملية عزلها هي نتيجة، وهي ممارسة مقصودة {مصطنعة لغايات مدرسية} وليست معطى طبيعياً قائماً بذاته، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض الكتب

(165) لسانيات النص، لندة قياس/55.

(166) ينظر: انفتاح النص الروائي، يفتين/16. كذلك اللسانيات والدلالة، دمنذر عياشي، ط2، مركز الإنماء الحضاري،

دمشق 2007م/2005.

(167) نحو النص، عفيفي/65.

(168) مدخل إلى علم النص، الصبيحي/64-65.

اللغوية تتماهى في دراسة الجمل ككيانات مستقلة منطقياً...))⁽¹⁶⁹⁾. ومن هذا المنطلق يعلن (بول روبرتس) ((عن تشييع جثمان النُحاة))⁽¹⁷⁰⁾ تعبيراً وإيضاحاً بانتقال ثقل الدرس اللساني من الجملة إلى النص. وبالرغم مما في قولة روبرتس من شعيرية طافحة تتأى به عن الموضوعية المرتجاة منه، إلا أنها تصور الإقبال على هذا الناشئ الجديد وأنها إقرارٌ بجدارته وجدواه في الدرس اللغوي والأدبي المعاصرين، من ضرورة إتباع منهج جديد في اللسانيات يكفل لنا الخروج عن بوتقة الاكتفاء بما هو لغوي فقط إلى حيث التفاعل والتواشج مع العلوم الوثيقة الصلة به، بعد أن ثبت ((أن الحدود التقليدية الضيقة للسانيات تتلاشى أمام التفاعل القوي بينها وبين العلوم ذات الصلة بها وهي علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة وعلم الحاسب الآلي والسميوطيقية والسيرنطيقية والتربية والدراسات الأدبية، وينبغي للدراسات، إذا لم تتلاش بسبب عزلتها من حيث هي حقل للبحث، أن تصبح علماً محورياً للخطاب والاتصال))⁽¹⁷¹⁾. بعد أن ضيقت البنيوية والشكلانية عليهما الخناق وحصرتهما في حدود الجملة، يقول (بارت): ((إن الجملة في اللسانيات وحدة أخيرة في اللغة، وهذا يعني أن الخطاب لا يوجد إلا في الجملة، لأن الجملة هي القسم الأصغر الذي يمثل بجدارة كمال الخطاب بأسره، واللسانيات لا يسعها أن تتخذ موضوعاً أرفع من الجملة، لأن بعد الجملة ليس هناك جمل، لهذا من الحتمي أن يكون الخطاب ذاته، منتظماً ضمن مجموعة من الجمل، فتغدو عبر هذا التنظيم رسالة تبعث بها لغة أخرى، متفوقة على لغة اللسانيين، لأن للخطاب وحداته وقواعده وقوانينه، لهذا يجب أن يكون الخطاب موضوع لسانيات ثانية))⁽¹⁷²⁾. وبذا فجدير بنا -إذا أردنا دراسة النشاط اللغوي الحقيقي لدى الإنسان، بحيث نراعي كل ما له علاقة بهذا النشاط- أن نتجاوز إطار الجملة، ونهتم بأنواع النسيج النصي التي يحدثها المتكلمون أثناء ممارستهم الكلامية، فالجملة، من هذا المنظور، ليست هي الوحدة القاعدية للتبادلات الكلامية والخطابية، بل النص هو وحدة التبليغ والتبادل⁽¹⁷³⁾ وموقف الباحثين المعاصرين ممن اطلعوا على منجزات الدراسات النصية جاء مطابقاً لمواقف الغربيين، فيرى الدكتور تمام حسان في مقدمة ترجمته كتاب النص والخطاب والإجراء أن ((الاتصال لا يتم بواسطة وصف الوحدات الصغرى: صوتية وصرفية، ولا بعرض الوحدات النحوية، وإنما يتم باستعمال اللغة في موقف أدائي حقيقي، أي بإنشاء نص ما، وقد يطول هذا النص ويقصر...))⁽¹⁷⁴⁾. أما الدكتور سعد مصلوح، فبشاعرية لا تقل حرارة جذوتها عن التي كانت تعتمل وتتأجج في وجدان (بول روبرتس) يقول مصلوح: ((لقد استنفذ هذا النحو أغراضه واستهلك نفسه، واستهلكه أصحابه درساً وتدرساً

(169) مدخل إلى علم النص، الصبيحي /66. المعقوفتان وما بينهما من وضع الباحث

(170) النص والخطاب والإجراء/561.

(171) م.ن/71.

(172) اللسانيات وتحليل النصوص، برحوش/100-101.

(173) ينظر: مبادئ اللسانيات، خولة طالب الابراهيمى/168.

(174) النص والخطاب والإجراء، مقدمة المترجم/4.

بعد أن أنضج أسلافنا حتى احترق، وولجنا به نحن إلى نفق مظلم يستحيل معه أن نضيف إليه جديداً)) (175). وتعليقاً على هذه الإشادة الصريحة بعلم النص يكتفي الدكتور أحمد عفيفي بالقول بضرورة نحو الجملة وحاجته إلى واقع علمي يناسبه، بحيث يتكيف مع حاجة العصر، لذا يقول ((ومن هنا لا نذهب مذهب من رأى أن نحو التقليدي -نحو الجملة- قد نضج حتى احترق، وأن علينا أن نتجاوزه إلى واقع علمي جديد)) (176) وقريباً من سعد مصلوح يقف الدكتور محمد الأخضر الصبيحي، في شأن الجملة ونحوها فيرى أن ((من الأسباب الأخرى التي دعت إلى الانتقال بالبحث إلى مستويات تتجاوز الجملة، هو أن هذه الأخيرة نالت كفايتها من التمحيص والدراسة من جميع نواحيها، وأن الوقت قد حان للانتقال إلى دراسة ظواهر لغوية، هي النصوص بجميع أنواعها)) (177)، فيما يرى الدكتور رايح بوحوش اقتصار كفاءة اللسانيات واللساني على تحليل الوحدة المفضلة لديهما، وافتقارهما إلى سلاح بعيد المدى يطال ما هو أبعد من تلك الوحدة، فاللساني ((يشعر بارتياح أكثر وسط الجملة، وكلما اقترب من تخوم الخطاب، من التحدث التام يكون غير مسلح لتناول الكل، فليس من بين مقولات اللسانيات مقولة تصلح لتحديد الكل)) (178).

ولكن - وبكل ما تقدم - هل استطاعت تلك الرؤى والتصورات بهذه النقذات والمحاولات الجادة إيقاع الجملة ونحوها في مناطق الظلام؟

الذي يبدو أن الجملة قد وطدت لنفسها، في النحو واللسانيات، أساساً قوياً صلباً لا يمكن للنصية والحالة هذه، قلعه وإزاحته، الأمر الذي أدى بأصحاب المواقف السابقة إلى مراجعة ما وجهوه صوب الجملة واضطروهم إلى مهادنتها، لذلك - وبعد أن أطلق فاندريك حكمه عليها بعدم كفايتها في استكناه الكتل اللغوية الكبرى التي تجاوزتها - نراه يتراجع عن ذلك الحكم ويحتاط فيه، إذ يقول: ((غير أن ذلك لا يعني رفض مقولات نحو الجملة أو التقليل من قيمتها أو التشكيك في صحتها)) (179).

ويقول أيضاً: ((إن نحو الجملة يشكّل كمّاً غير قليل من نحو النص)) (180). حتم، إذاً، لكيما نؤثر السلامة من ردادات الفعل القوية، أن نجمع بين الاتجاهين واللجوء إلى القول: إن الصلة بين نحو الجملة ونحو النص وثيقة، بهما تتحصل النظرة الكلية إلى النص، وليس لأحدهما أن يلغي الآخر فلا تبني الدراسات النصية يلغي الدراسات التحليلية ((ولا تغني الدراسات التحليلية عن الاعتراف بالدراسة النصية))

(175) من نحو الجملة إلى نحو النص، مصلوح/406.

(176) نحو النص، عفيفي/68.

(177) مدخل إلى علم النص، الصبيحي/66.

(178) اللسانيات وتحليل النصوص، بوحوش/100.

(179) علم لغة النص، بحيري/218.

(180) علم لغة النص، بحيري/43.

(181). يقول (هورست ايزنبرج): ((النص وحدة ذات خواص تركيبية دلالية وبرجماتية، تفسر أساساً بالوسائل ذاتها التي تفسر بها الخواص التركيبية والدلالية والبرجماتية للجمل، وتستخدم (وحدة الجملة) أساساً للقياس بين الجملة والنص، حيث يمكن أن توصف أو توضح القواعد المحددة لبناء النص قياساً على النحو والدلالة والبرجماتية للجملة بوصفها قواعد خاصة بتركيب النص ودلالته وبرجماتيته)) (182) عندئذ لا مسوغ لانفصال هذين الاتجاهين اللذين تربطهما وشائج وعلاقات متينة متواترة، فنحو الجملة من مشتملات نحو النص، وكل ما ينضوي تحت لسانيات الجملة هو بالضرورة منطوق تحت لسانيات النص والعكس غير صحيح (183).

فمن الدلائل التي يأتي بها النصيون على هذا التداخل والتواتر بين المنهجين هو ((أننا- والكلام لبحيري- لا نزال ننقل مصطلحات الجملة ونضيفها إلى النص، وليس في هذا تمييز له، بل إن ذلك الأمر يقوي التداخل بينهما، وبذلك يفقد هذا العلم خاصيته الأساسية في تجاوز حدود الجملة)) (184). فبناء لسانيات مناسبة للنص رهين بما تعتمد من الأفكار والمفاهيم والتصورات التي انبنت على أساسها لسانيات الجملة، فقد كان التراث النحوي والطروحات الوصفية بمثابة الصوى التي يسترشد بها علماء النّصية، فكان التراث النحوي السابق الأساس الفعلي الذي بُنيت عليه هذه الاتجاهات النّصية، بكل ما تتسم به من تشعب في أفكارها وتصوراتها ومفاهيمها (185). وبذلك فإن قواعد نحو الجملة هي القواعد المؤسسة لنحو النص، دون أن يدّعي أحد عدم الحاجة إلى إضافات أخرى جديدة، وهذا يكفي لأن يرفض علماء النّصية فكرة طرح الجملة جانباً، لأن الحاجة إلى نحو جديد لا يعني طرح إنجازات نحو الجملة جانباً (186).

رابعاً- بين لسانيات الجملة ولسانيات النص

ثُبّت مما سبق العلاقة الوثيقة بين لسانيات الجملة ولسانيات النص، ولم يكن بمقدور أحد أن يجزم بحتمية فصلهما عن الآخر، غير أنه من دواع أكاديمية الوقوف عند الخصائص التي يمتاز بها هذان النمطان من اللسانيات والنحو، بغية الخروج بمزيد من المبادئ التي تخصّ نمطاً دون الآخر، ومن ثم إدراك أوجه التشابه بينهما.

(181) النص والخطاب والإجراء، مقدمة المترجم/4.

(182) النص في مقابل الجملة، هورست ايزنبرج، ضمن كتاب اسهامات أساسية.../164.

(183) ينظر: نحو النص، عفيفي/69.

(184) علم لغة النص، بحيري/155.

(185) ينظر: م.ب/118.

(186) ينظر: نحو النص، عفيفي/71.

❖ المبادئ التي ينفرد بها نمط دون الآخر هي:

1. أن نحو الجملة جانح إلى الاستقلال عن رعاية المقام، فهو يقوم بدراسة الجمل معزولة عن سياقها التواصلية⁽¹⁸⁷⁾، أما لسانيات النص، فإنه يراعي في اشتغالاته على البنى اللغوية الجوانب الدلالية والتداولية التي غابت عن الدرس النحوي السابق عليه⁽¹⁸⁸⁾.

ونرى أن هذا الكلام، إن صدق على الشكليين، فإنه من الغبن والتجني سحبه على الوظيفيين وذوي النزعة التداولية، لأن هذا الأمر أصبح محل شك كبير وإلا فإن لحاة الجملة - كما يشير إلى ذلك (بول وبراون) - يعتمدون، ضمناً، على اعتبارات السياق والمواقف اللغوية⁽¹⁸⁹⁾. هذا ويشير (ايزنبرج) إلى أن أحد الفروق بينهما يرتكز على أن جملاً - خلافاً للنصوص - يمكن أن تكون جيدة السبك نحوياً، دون أن تكون تامة تواصلياً، فالتمام التواصلية ليس من شروط الصحة النحوية، بخلاف النص الذي يكون التمام التواصلية شرطاً ضرورياً في جودة السبك⁽¹⁹⁰⁾. ويضيف أنه ((توجد أفعال لغوية لا يمكن أن تكون أفعالاً قولية، أي لا يمكن أن يُنجز كل فعل لغوي داخل جملة))⁽¹⁹¹⁾. وخلافاً لذلك ((يمكن في نص مكون من أكثر من جملة أن تتجزأ أفعالاً لغوية غير قولية))⁽¹⁹²⁾.

2. إرجاع الجملة المركبة (في النحو التوليدي التحويلي) إلى مجموعة ثابتة من التراكيب البسيطة، ما يجعلها عقبة أمام التوالي اللغوي⁽¹⁹³⁾، إذ يؤدي ذلك إلى نموذج للغة تتم فيه العمليات بتحويل تراكيب إلى تراكيب أخرى، ما ينتهي إلى عدم تمكّن النحو والمعنى أن يتفاعلا في أثناء عملياتهما الخاصة⁽¹⁹⁴⁾. يسوق (ديبو جراند) هذه الخصيصة لنحو الجملة - وحسراً للنحو التوليدي التحويلي - ليجعل منها تعلقة يُهاجم من خلالها هذا الضرب من النحو، هذا من جهة. وليقول كذلك باستحالة إجراء هذه العملية على النصوص، لأن النصوص لا يمكن حصرها بأشكال ومجموعات ثابتة.

(187) ينظر: النص والخطاب والإجراء/129. كذلك تحليل الخطاب، بول وبراون، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطي ومدير

التركي، ط1، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض 1997م/129 وما بعدها. كذلك نحو النص، عفيفي/72.

(188) ينظر: العلاقات النصية، عمر عبد العاطي أبو العينين، بحث في كتاب بين نحو الجملة ونحو النص ضمن أعمال

المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، دار العلوم، جامعة القاهرة 2005م، 637/2.

(189) ينظر: نحو النص، عفيفي/72.

(190) ينظر: النص في مقابل الجملة، هورست ايزنبرج/204.

(191) م.ن/202.

(192) م.ن/202.

(193) ينظر: النص والخطاب والإجراء/70.

(194) ينظر: نحو النص، عفيفي/73.

3. الاطراد⁽¹⁹⁵⁾، وهو مبدأ حتمي ينفرد به نحو الجملة، والاطراد هو ثبات القاعدة في الحكم على الفصحى، وما خرج عنها عَدَّ شاذاً. أما نحو النص، فينأى عن الاطراد، لأنه يقيم اعتباراً للأسلوبية ومؤشراتها، فالتصرف اللغوي الفردي لا يمكن أن يأتي على نسق واحد مُطَرَّد، ومن أجل ذلك ظهرت ملامح نحو النص التي تعطي فرصة قوية للتدخل الذاتي في النص⁽¹⁹⁶⁾.

4. الإطلاق، فنحو الجملة - خلافاً إلى نحو النص - تطلق عليه القاعدة لتصدق على كل ما قيل أو سيُقال؛ فهي الحكم الذي يرد إليه كل كلام. أما النص، فلا تتحكم فيه قاعدة قبل صياغته أو اثباتها، ومن هنا يكون الحكم دائماً بعد إنتاجه، وفي حالة التواصل الفعلي⁽¹⁹⁷⁾.

5. المعيارية، إذ القاعدة في نحو الجملة، تُعدّ أساساً للصحة والخطأ، ويستوجب مراعاة هذا الأساس عند النظر في أي قول⁽¹⁹⁸⁾.

((أما نحو النص، فهو أبعد ما يكون عنه المعيارية، لأنه نحو تطبيقي غير نظري، ولا ينشأ إلا بعد أن يكتمل النص، وبعد أن يكون النص حاضراً أو معرضاً لتطبيق النحو عليه مستخرجاً من مادته))⁽¹⁹⁹⁾.

6. الاقتصار، ويُراد به اقتصار نحو الجملة ((على بحث العلاقات في حدود الجملة الواحدة، دون تجاوزها إلا عند إرادة معنى الإضراب أو الاستدراك أو غير ذلك من الدلالات، أما نحو النص فالأصل فيه، كما هو واضح من تسميته، أن يكون ميدانه النص كاملاً دون تجزئته، ومن هنا كانت أهم ملامحه هي دراسة العلاقات بين أجزاء النص كاملاً، مع الاختلاف الشديد في كيفية تقسيمه⁽²⁰⁰⁾)).

7. هذا، ولعلماء النص جملة معايير أو مبادئ وصفات، يستقل بها النص، عن الجملة ولسانيات النص عن لسانيات الجملة، تتمثل بمعايير تزول عن المعطى اللغوي (نصيته)، إذا تخلف عنه أحدها، وهي معايير تشكّل مباحث نحو النص وأهم خصائصه، وهي كما طرحها (ديبو جراند وزميله) سبعة، إلا أن المعيارين

⁽¹⁹⁵⁾ وهذه المبادئ التالية من طرح الدكتور تمام حسان الذي يرى أن المبادئ التي تفصل نحو الجملة عن نحو النص أربعة، وهي: (الاطراد والمعيارية والإطلاق والاقتصار). ينظر: نحو النص، عفيفي/74، نقلاً عن نحو الجملة ونحو النص، محاضرة ألقاها الدكتور تمام حسان في معهد اللغة العربية بأم القرى (مكة المكرمة) في الموسم الثقافي الصيفي، ص 1 وما بعدها.

⁽¹⁹⁶⁾ ينظر: م. ن/74، نقلاً عن المصدر المشار إليه.

⁽¹⁹⁷⁾ ينظر: نحو النص، عفيفي/74، نقلاً عن نحو الجملة ونحو النص، محاضرة ألقاها الدكتور تمام حسان في معهد اللغة العربية بأم القرى (مكة المكرمة) في الموسم الثقافي الصيفي، ص 1 وما بعدها.

⁽¹⁹⁸⁾ ينظر: م. ن/74، نقلاً عن المصدر المشار إليه.

⁽¹⁹⁹⁾ ينظر: م. ن/74، ويلاحظ أن اعتبارات (المعيارية والإطلاق والاطراد) خارج عن موضوع اللسانيات الحديثة لأنه علم وصفي غير معياري وواقف من المعيارية موقف الضد، فلا يتصل بلسانيات الجملة بل بنحو الجملة، بخلاف مبدأ (الاقتصار) إذ يدخل هذا المبدأ ضمن لسانيات الجملة ونحو الجملة على السواء.

⁽²⁰⁰⁾ ينظر: نحو النص، عفيفي/74-75.

الأولين منهما يُعدان من المبادئ التي يشترك فيهما نحو الجملة ونحو النص، وهما (الاتساق والانسجام).
على حين تعدّ الخمسة الباقية مبادئ تفصل بين مجالي الجملة والنص وهي⁽²⁰¹⁾:

1. الإعلامية

2. المقبولية

3. المقصدية

4. الموقفية

5. التناص

❖ المبادئ التي يجتمع عليها كلا النمطين (الجملة والنص) و(لسانيات الجملة ولسانيات النص):

كان ما تقدم أبرز ما تختلف فيه وعليه الجملة عن النص، ونحو الجملة عن نحو النص، فيما رصده علماء النصية، غير أن أوجه الاختلاف لم تصرف الأنظار عن وجود أوجه اتفاق جوهرية يجتمع عليها الاثنان، ذلك انه ((لما كانت النصوص والجمال - أيضاً - هي أشكال تحقيق اللغة الإنسانية، فإنه ليس من المستغرب إذا ما قرر مراراً أن لها أوجه اشتراك كثيرة))⁽²⁰²⁾. ولعل أهم هذه الأوجه هو اتفاق النمطين على صفتي (الاتساق) و(الانسجام) اللتين تتضحان بالآتي:

1. الاتساق (Cohesion) وينصب هذا المعيار على ((الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي))⁽²⁰³⁾. فكلا النمطين يحلان البنية، ويستهدفان فيها الرتبة والانسباب ((بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي))⁽²⁰⁴⁾. وعندئذ يمكننا تقويم سطح هذه البنية ((وفق جودة السبك))⁽²⁰⁵⁾.

2. الانسجام (Coherence) وهو معيار متصل بالمعاني، إذ يرصد ((وسائل الاستمرار الدلالي، في عالم النص أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي))⁽²⁰⁶⁾. ويُعدّ هذا المعيار من أهم المعايير النصية، لكونه يربط بين البنيتين (السطحية والعميقة) في النص، بآية أن الدلالة تعمل على تحفيز الانتلاقات اللغوية وكيفية تماسكها.

إن اشتراك نحو الجملة ونحو النص في أهم معيارين من معايير النصية (الاتساق والانسجام) يبطل الآراء الداعية إلى الفصل بينهما بحجة أن كلاً منهما ينتمي إلى حقل يختلف فيه عن الآخر، بل

⁽²⁰¹⁾ ينظر: النص والخطاب والإجراء/103-104. كذلك نحو النص، عفيفي/90.

⁽²⁰²⁾ النص مقابل الجملة، هورست ايزنبيج/194.

⁽²⁰³⁾ نحو النص، عفيفي/90.

⁽²⁰⁴⁾ النص والخطاب والإجراء/103.

⁽²⁰⁵⁾ النص في مقابل الجملة/194.

⁽²⁰⁶⁾ النص والخطاب والإجراء/103.

الحق نقول: إن كلا النمطين أو الحقلين يكمل أحدهما الآخر وتجمعهما علاقة تكاملية، وهذا ما يؤكد الدكتور تمام حسان بقوله: ((إن نحو النص لا يرفض نحو الجملة رفضاً مطلقاً، إنما يقف به عند هذا الحد تاركاً له العلاقات داخل الجملة الواحدة، ومتجاوزاً ذلك إلى مسرح النص على اتساعه))⁽²⁰⁷⁾.

⁽²⁰⁷⁾ نحو النص، عفيفي/91.

المبحث الثاني

(لسانيات النص قضاياه ومصطلحاته)

أولاً- مكونات النص (=الوحدة النصية الصغرى)

ثانياً- معايير النص أو مقوماته (=النصية)

ثالثاً- إشكالية المصطلح

أولاً- مكونات النص (= الوحدة النصية الصغرى)

إن الحديث عن النقلة الكبرى التي شهدتها اللسانيات الحديثة يقتضينا الحديث عن نتائجها الملموسة التي تجسدت بإشكالية (مكونات النص) أو العناصر المشكلة له، فهذه النتائج توقفتنا على صلب هذه التحولات وتجلياتها التي تكون لدينا صورة تعذ من أوضح الصور المعبرة عن ضيق الدرس اللساني بالجملة ونحوها ذرعاً، وعن حاجته إلى إيجاد مكون آخر يقوم بأعباء هذه المرحلة من تاريخ علم اللغة، على كونه بديلاً ناجحاً عن مكون الجملة الذي صرفت له الدراسات اللغوية جلّ اهتماماتها على مدى قرون، وهنا سنأتي للحديث عن هذه الإشكالية. تتألف العلامة اللغوية من أصوات (فونيمات) ولواصق صرفية (مورفيمات) ووحدات معجمية (لكسيمات) وهذه الوحدات المترتبة من الأدنى إلى الأعلى، تشكل وحدات أوسع يضمها جميعاً، وهي الجملة أو القضية، ومن هاتين الوحدتين تتكون وحدة لغوية كبرى تدعى (النص). فما يراد بمصطلح (مكون) في الدراسات اللغوية هو ((الدور المنوط بوحدة من الوحدات ضمن وحدات أعلى منها، كما يشير إلى دخول وحدة من وحدات البناء ضمن أخرى أكبر منها))⁽²⁰⁸⁾. ومن هذا يفهم تحت (مكونات النص): ((العناصر التي يتأسس عليها النص))⁽²⁰⁹⁾. أو الدور المنوط بكل عنصر من عناصره عند التحليل. وقد تنوع اهتمام الدارسين، باختلاف تصوراتهم لمفهوم النص، حول أحقية أحد هذه المكونات التي يتأسس عليها هذا الكيان اللغوي العابر لكل الوحدات التي دونها. فما هي، إذاً، أحق وحدة من مكوناته تستأهل لتكون وحدة صغرى يُحلّل من خلالها هذه البنية الكبرى المتمثلة بالنص؟.

1. وحدات أصغر من الجملة، وهذا يقتضي أن وحدة لغوية أقل من الجملة، أو وحدة ليست من صنف الجمل توافرت فيها مقومات أكسبتها النصية، فعدت، إذ ذاك، نصاً بالاستناد إلى أن الخاصية الأولى لتحديد النص هي الاكتمال الدلالي والتواصل، ولذا وجدت هذه الكيانات قبولاً عند من يرى أن ضرباً من التخاطب قائم على ألفاظ من قبيل أسماء الأفعال وأسماء الأصوات أو على أقوال غيّبت منها بعض العناصر بالاختزال، على أن بعضهم أشار إلى ضرب من النصوص في الأدب الأكماني لا تتوافر فيها مقومات الجملة إذ هي راجعة من حيث التركيب إلى المركب الاسمي⁽²¹⁰⁾. إن تكون النص على صيغة كهذه، مدعاة ((إلى التشكك في الحد الذي يرجع النص إلى مقطوعة (Sequence) من الجمل المستعملة في عملية التواصل))⁽²¹¹⁾. ولكن سرعان ما يتلاشى هذا الشك حين نرى أن تشكل النص من

(208) قضايا لسانية وحضارية، د. منذر عياشي، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا 1991م/

(209) أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، 87/1.

(210) ينظر: م. ن، 88/1.

(211) م. ن، 88/1.

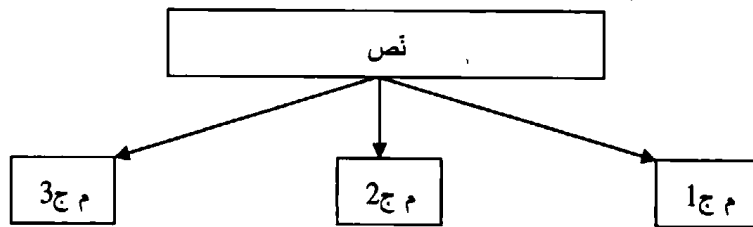
صحيح كهذه لا يعدو أن يكون حالة استثنائية، فالحدود والمفاهيم التي ترجع النصوص إلى الجمل والقضايا تنوّه وتنبّه أغلبها على ما تثيره قضية النصوص المتكونة على هذه الشاكلة من مباحكات وإشكالات.

2. الجملة، إن حد النص بأنه متتالية من الجمل يكاد يكون له الغلبة في الدراسات اللسانية، فعلى الرغم مما وجّه إلى هذا الاتجاه من نقود، إلا أنه يظلّ ذا سيادة على هذا المبحث اللغوي. وهنا ينبغي أن ننبه على أمر من زهد من الدارسين مثل -Sgall- في اعتماد الجملة مكوناً للنص بدعوى أن النصوص بنى منجزة (مستعملة) وأن (الجملة) ((كيانات مجردة معزولة عن السياق بمعنى أنها ليست مقيدة بأي زمان معين أو مكان معين))⁽²¹²⁾.

ولذا طرحوا مفهوماً للنص قائماً على الأقوال (بتعبير جون لاينز) لا على الجمل، إذ لا وجود للنص قبل الإنجاز (الإجراء)، فالأجدر في اتخاذه وحدة لتحليل النص هي (القولة) ومعناها ((نتاج معنى الجملة والسياق))⁽²¹³⁾.

إلا أنك لست واجداً من يفهم الجملة - حين تتخذ وحدة لتحليل النص - على أنها وحدة نظامية، كما أنك لم تجد من يعتبر النص بنية مجردة أو شكلاً نظرياً (= نظامياً) إلا عند من سار على هدي التوليديين، فاعتبار النص مكوناً من جمل ((جاء مرفوقاً دائماً بالتصنيف على كون تلك الجمل من قبيل الأقوال المنجزة ضرورة في عملية تواصل، فلا قائل باعتبار النص بنية مجردة متكونة من مواضع تملأ بالجملة إلا عند من كان من قبيل ما ذهب إليه الذين نسجوا على منوال الجملة في النحو التوليدي، فأضافوا قاعدة إعادة كتابة بمقتضاها يتولد النص من ضم جملة إلى جملة))⁽²¹⁴⁾.

بيد أن قضية طول النص أغرى بعضهم إلى التماس مكون آخر، غير الجملة، في دراسة النص وهو (مجموعات الجمل) بدل الجملة المفردة، فقد أشار (Kukharencu) إلى أن الشكل المناسب لتمثيل مكونات النص يكون على النحو الآتي⁽²¹⁵⁾:

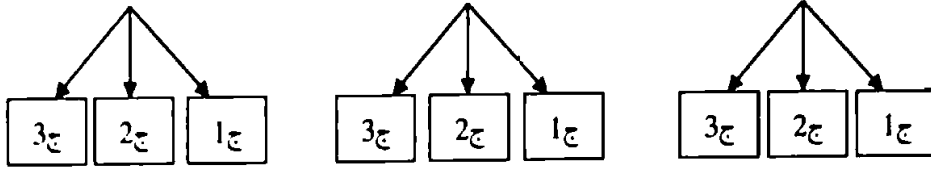


⁽²¹²⁾ المعنى وضلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي، ط2، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا 2007/م 139.

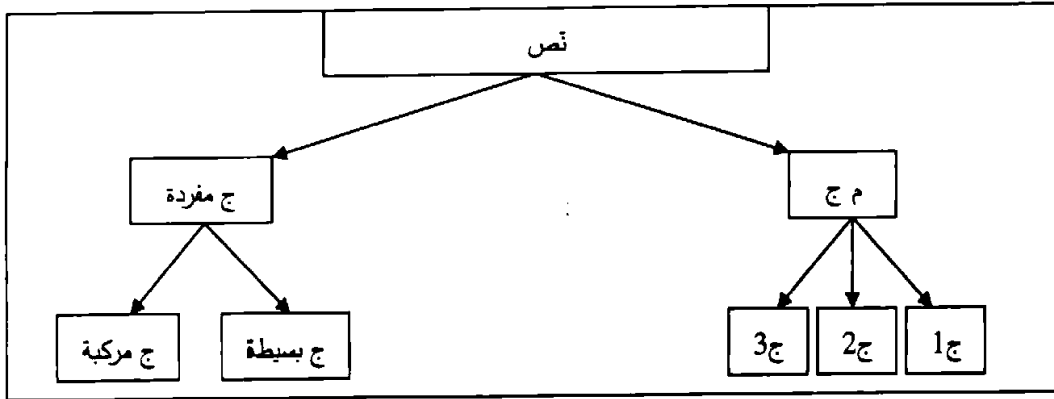
⁽²¹³⁾ م.ن/139. وينظر: نظرية الأدب في القرن العشرين، د. محمد العمري، ط2، منشورات أفريقيا الشرق - الدار البيضاء 2004/م 49-51.

⁽²¹⁴⁾ أصول تحليل الخطاب، 90/1.

⁽²¹⁵⁾ م.ن، 91/1.



فيما أقترح (Langlaben) أن تقوم ثلاثية (النص ومجموعة الجمل والجملة المفردة) مكان ثنائية (النص والجملة) على أن هذه الثلاثية أضحت رباعية حين أدخل التمييز بين (الجملة البسيطة) و (الجملة المركبة)، لكون الثانية منهما مستوى يوافق درجة أوغل في التركيب من الأولى، بحيث يكون النص في تصوره وفق هذا الشكل⁽²¹⁶⁾:



ذلك عن طول النص، أما عن قصره، فتقوم إشكالية (النص الأحادي الجملة) حجة في منتهى الخطورة على بطلان قيام مفهوم النص وتشكله على الجملة، وكذلك ((على انعدام بنية متميزة للنص، وبالتالي فإن النص يفقد كل شرعيته، في اعتباره من الوحدات اللغوية، اعتماداً على استوائه بالجملة الواحدة))⁽²¹⁷⁾. إلا أنهم وجدوا لهذا المأزق مخرجاً حين اقترحوا أن هذا النص (المتكون من جملة واحدة) جملة مقترنة بالسياق والتداول والاستعمال، فهي بتعبير (جون لاينز) قول منجز وليست وحدة نظامية مجردة غير منجزة، ولذا فهي تأتي على إحدى الطرق الآتية⁽²¹⁸⁾:

1. جملة + تداول = نص

2. جملة + مقام = نص

3. قول منجز = نص ≠ جملة

ويذهب (جيرار جينات) إلى أن (الإجراء) ينقل الجملة من الوحدة إلى التعدد، فإنجاز القول ((يقتضي من المستلزمات أو مقتضيات الأقوال ما يقتضي واعتبار تلك المقتضيات والمستلزمات من قبيل

⁽²¹⁶⁾ أصول تحليل الخطاب، 91/1 - 92.

⁽²¹⁷⁾ م من 84.

⁽²¹⁸⁾ ينظر: م من 85/1. كذلك النص في مقابل الجملة، هورست ايزنبرج/164.

الجملة المغيبة من اللفظ وعلى هذا النحو تتقلب أحادية الجمل اثنيانية وتعدداً، فيتم الخلاص من مازق النصّ المستوي في جملة واحدة⁽²¹⁹⁾.

3. القضية، رأى بعض الدارسين أن قيام تحليل النصّ على مكون الجملة، ما هو إلا تمثيل للبنية السطحية فيه، دون أدنى اهتمام بتماسكه الدلالي (المضموني) ومفهوم القضية هنا يختلف عما يُراد بها عند المناطق، من أنها جملة خبرية مفيدة أو قول لا يحتمل الصدق والكذب، أو أنه تعبير لفظي عن حكم⁽²²⁰⁾. إذ يرتبط مفهومها في لسانيات النصّ بأحوال الموضوعات وليس بالمفاهيم المنطقية (الصدق والكذب) فمفهوم القضية ((يستخدم بطريقة مرنة جداً في الأدب المتخصص في التحليل النصّي، ليدل في غالب الأحيان على أفكار من الأفضل أن ينظر إليها على أنها (تأكيدات) أو (جمل بسيطة) على حين أن هذا المصطلح في المنطق يستخدم ليمثل المعنى غير المتغير، أو المعنى المستقل للسياق الذي تعبر عنه جملة ما))⁽²²¹⁾.

ولذا، وفي ظل وجود هذا البديل الناجح للجملة، كان حتماً اتخاذ وحدة للتحليل النصّي، فالجملة- يقول ايزنبرج- ((لا يمكن أن تكون أساساً نظرياً مناسباً ومقبولاً لتفسير وقائع اللغة، ومن هذه الناحية يبدو أن المفهوم القضوي للنصّ قد خُفِّز بشكل لا بأس به))⁽²²²⁾. على ما تقدم، فإنه ليس مجال النصّ الصيغ والبنية السطحية، وإنما مجاله الدلالة كذلك، ولذا ((صار مفهوم القضية المفهوم المفتاح لهذا التصور، إذ يمكن في مصطلحات القضايا دراسة مضامين الجمل المفردة، وكذلك ربط هذه الوحدات ودمجها بمركبات قضوية ذات مراحل هرمية متباينة))⁽²²³⁾. ومن هذا الأساس تُفهم النصوص ((على أنها تتابع منظم من قضايا ترتبط من خلال علاقات قضوية متداخلة))⁽²²⁴⁾.

⁽²¹⁹⁾ ينظر: أصول تحليل الخطاب، 58/1.

⁽²²⁰⁾ ينظر: المنطق السوري منذ أرسطو وتطوره المعاصر، د.علي سامي النشار، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، الإسكندرية، مصر 1955م/168. كذلك الفلسفة وقضايا اللغة قراءة في التصور التحليلي، د. بشير خليف، ط1، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان 2010م/28.

⁽²²¹⁾ الخطاب والقارئ، نظريات التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة، د.حامد أبو أحمد، ضمن كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، العدد 30، يونيو 1996م/170. وينظر: اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة د.عباس صادق الوهاب، مراجعة د.يونيل عزيز، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1987/117-118.

⁽²²²⁾ النصّ في مقابل الجملة، هورست ايزنبرج/165.

⁽²²³⁾ مدخل إلى علم لغة النصّ، فول فجانج هاينه مان، ديتز ذي هيفجر، ترجمة سعيد بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، مصر 2004م/38-39.

⁽²²⁴⁾ مدخل إلى علم لغة النصّ، فول فجانج هاينه مان /41.

ومما وجّه صوب هذا التصور من مؤاخذات ما قاله محمد الشاوش: من أن ((مثل هذا المنطلق لا يعتد إلا بالمحتوى ويهمل جميع الظواهر البنيوية التركيبية للنص، ولا يكاد يلتفت إلى ما يمكن أن تقوم عليه من وجوه التعلق بين المكونات ومستويات تركيبها))⁽²²⁵⁾.

بيد أن هذا المنطلق لا يبقى محطاً للنقد والمؤاخذة: إذا ما انضم إلى دراسة المحتوى والمضمون كل الظواهر البنيوية والتركيبية، والـ((فإن وحدتي الجملة والقضية في الواقع تتصلان فيما بينهما اتصالاً وثيقاً وإن كانا لا يتطابقان واحداً إلى واحد- إذ تمثلان طبقات مختلفة لبنية المنطوق، فالجمل هي الوحدات النحوية للبنية والقضايا هي الوحدات الدلالية للبنية))⁽²²⁶⁾، فحين يتعلق الأمر بالمستوى السطحي للنص تكون الجملة ذات نجاعة في التحليل، أما ((على المستوى الموضوعي، فيتعلق الأمر بتحليل الربط الإدراكي {الانسجام} الذي ينشئ النص بين الأحوال (المضامين الجمالية والقضايا) المعبر عنها في الجمل))⁽²²⁷⁾.

بقي أن نقول إن اختلافهم حول هذه الوحدات: (ما دون الجملة- والجملة- ومجموعات الجمل والقولة والقضية) وجداره إحداها بالتبني للتحليل النصي، لإشارة عريضة إلى استيعاب علم النص جميع ((الصيغ التي تتكون منها النصوص))⁽²²⁸⁾. وقدرته على إدخالها حيز الدراسة الإجرائية، التي معها تتلاشى هذه الخلافات.

ثانياً- معايير النص (= مقوماته) (= مبادئه) (= النصية)

يُراد بالنصية أو معايير النص (= Norms of Textuality) ((المقومات التي يتميز من خلالها النص عن اللانص))⁽²²⁹⁾. أو تلك ((المكونات التي تجعل النص كلاً موحداً متماسكاً دالاً لا محض سلسلة من الكلمات والجمل غير المترابطة))⁽²³⁰⁾. وهذه المقومات- التي تتحدد من خلال معايير معينة تُنَاط بها الحكم على المعطى اللغوي وغير اللغوي كذلك بأنه نص، نظراً لترابطه وانسجامه ومجموع مزاياه- تشكل أهم ((المباحث الأساسية للسانيات النص))⁽²³¹⁾. ولعل من المسلمات أنه ليس كل بناء لغوي عابر- كمّا- حدود الجملة اكتسب بذلك نصيته، ما لم يتمتع بمؤهلات لغوية وأخرى غير لغوية، تحققان له

(225) أصول تحليل الخطاب، 88/1.

(226) التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة سعيد بحيري، ط2، مؤسسة المحتر للنشر والتوزيع، القاهرة 2010م/46.

(227) م.ن/40.

(228) أصول تحليل الخطاب، 88/1.

(229) مدخل إلى علم النص، الصبيحي/81. وينظر: أسس لسانيات النص، مارغوت هاينه مان وفول فغنغ هاينه مان، ترجمة د.موفق محمد المصلح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 2006م/151.

(230) مدخل إلى علم النص، الصبيحي/81.

(231) مدخل إلى علم النص، الصبيحي/104.

التنظيم والرتابة على مستوييها (السطحي والعميق)، فالنص ((بناء حصيف يخضع لمعايير عديدة، منها ما يتصل بالنص ذاته، ومنها ما يتصل بمنتجه ومتلقيه أو بسياقه بصفة عامة، وإن من شأن الإخلال بأحد هذه المعايير أن يجعل هذا البناء يخل بسبب فقدانه لأحد مقومات حصافته وانسجامه)) (232). وليس بالنص- ولا نحو النص- لو توقّف أمره عند الحدود اللغوية لهذه الكتلة ولكنه يستوجب أن ينظر إلى ما يصاحبها في أثناء الأداء-أو أثناء التحليل-من مفاهيم ثقافية واجتماعية وتاريخية، تكون عوناً ومحفزاً لتحقيق هذا الانسجام الذي به تتحقّق النصية. فالنص بنية كبرى تتقاسمها وسائل التعبير المسؤولة عن عملية تشكيله، أي على الوسائل اللغوية المتحققة عياناً والعلاقات التي تجمع بينهما، وعلى وسائل أخرى، غير تلك، خارجية تتواشج بعضها مع بعض للخروج بنيل نصيتها. ولما كان ذلك، فإن (هاليداي ورقية حسن) لم يسلماً ممّا وجّه إليهما من نقود بشأن المعايير التي طرحاها في عملهما الرائد (الاتساق في الانجليزية) فقد رأيا أن حيّزة النصية تأتي من اعتبارات لغوية بالدرجة الأساس، فهذه الحيّزة عندهما قضية داخلية (233)، ولذا انحصرت دراستهما في إطار الاتساق وأساليبه ولم تلق العوامل السياقية التي تصاحبه حقها في هذه الدراسة، وأهم المعايير التي اعتمداها هي (234):

1. الإحالة References
2. الاستبدال Substitution
3. الحذف Ellipsis
4. الوصل Conjunction (=أدوات الربط)
5. الاتساق المعجمي Lexical Cohesion

واكتساب البناء اللغوي، بهذه المعايير، نصيته نابغ من إيمانها العميق بأن نحو النص ما هو إلا دراسة هذه الاعتبارات الخمسة الرابطة بين الجمل اللغوية في متتالية خطية (235). فمع أنها يقران بأن للعلاقات المعنوية الضمنية- قبل الأدوات النحوية الخاصة بالربط- الأثر البارز في ترابط النص وتماسكه، إلا أنها يصرّان على أن الشيء الذي يمثل دعامة النص هو وجود الوسائل الأدائية للترابط (236). ومن ثمّ انصبّ توجههما على الإجراءات اللغوية بشكل طاغٍ على تعاملهما مع العوامل السياقية الخارجية، دون أن نعني أنهما عطلا، تماماً، عن تلك العوامل غير اللغوية، فمن التعريفات التي يسوقانها للنص: أنه ((وحدة من التنظيم الدلالي الموقفي، أي أنه استمرارية معنوية، أو انتظام للمعاني في

(232) م.ن/104.

(233) ينظر: نحو النص نقد النظرية... أبو خرمة/83.

(234) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي، ص12. كذلك أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، 125/1. مع اختلاف

فيما يقابل هذه المصطلحات بالعربية.

(235) ينظر: نحو النص نقد النظرية... أبو خرمة/81.

(236) ينظر: تحليل الخطاب، يول وبراون/28-29.

السياق، تشييده علاقة الحبكة {الانسجام} الدلالية))⁽²³⁷⁾. وحقاً، فمن يطالع عملهما الرائد، يجد لتلك العوامل حضوراً ليس بالقدر القليل، ومع هذا فإنهما لقيا من المؤاخذات ما هما في غنى عنها، ولعل أشدها تلك الداعية ((إلى عدم التسليم بوجهة نظرهما ... إذ لا بد من وجود اعتبارات أخرى))⁽²³⁸⁾. قد غفلاً عنها.

بهذا الحكم يرد الدكتور عمر أبو خرمة، المولع بتصورات (بارت) وبالفروق التي يطرحها لتمييز النص من الأثر الأدبي، وجهة نظرهما التي لو طبقت ((على أي مكتوب (نصاً أو عملاً أدبياً) لوجدنا أن المتحصل لا يتجاوز ما قدّم في الأسلوبية الإحصائية ومن هذا المرتكز يواصل نقده ليطال به، هذه المرة، دراسة الدكتور صبحي إبراهيم الفقي (علم اللغة النصي) الذي طبق فيها هذا الثاني مفاهيم (هاليداي وحسن) على النص القرآني ((فوصل إلى قراءة أسلوبية للنص، وفق مفهوم الأسلوبية الإحصائية التي نعلم جميعاً أن عليها من المآخذ ما يُجنبنا التعامل معها مفردة في دراسة (العمل) فكيف والحال أننا نتعامل والنص))⁽²³⁹⁾؟!.

أما تحقيق النصية عند (فانديك)، فإنه بمعايير ((لا ينطلق من نموذج نحوي صارم للنص، على الرغم من إصراره على أن نهجه يدخل تحت ما يسمى بنحوية النص، وذلك لأنه يوسع من إطار النحو ليضم مفاهيم أخرى تتيح له تجاوز الأطر الضيقة التي تعجز عن تفسير دقيق للنصوص، وتقتصر على السلامة النحوية يضمها النص أو الخطاب... وقد استعان على ذلك بصياغة منطقية لبعض القواعد... من جهة، والاستناد إلى مفاهيم دلالية تواصلية أساساً، مثل معرفة العالم والعوالم الممكنة أو المحتملة والعوالم الفعلية والإطار وغير ذلك من جهة أخرى))⁽²⁴⁰⁾.

فهو يعتقد أن السياق -يعني به معرفة العالم أي مجموع الخبرات الحياتية الواقعية التي يكتسبها الفرد من منظومته الاجتماعية- هو الذي يشكل المعنى في النصوص، ومن ثم هو الذي يخلق انسجامه وتربطه، وعلى هذا، فالذي يحكم بنصية النص، بالدرجة الأساس، هو المتلقي⁽²⁴¹⁾، الذي تقلص دوره واضمحلت عند (هاليداي وحسن) بالحكم على وجود الاعتبارات اللغوية التي ساقاها ليس غير⁽²⁴²⁾.

فإسناد الحكم على النص إلى القارئ، عند (فانديك)، اقتضاه ((إدخال عناصر القراءة التي يملكها المتلقي داخل ما يسمى بكفاءة النص وإنجازه، فإن نظم العقائد والأعراف والأبنية العاطفية وما يطلق عليه الشفرات المساعدة، تسهم كلها في صنع هذا التماسك للخطاب النصي))⁽²⁴³⁾. ومدار الكلام، في ما يحسب

(237) النص والخطاب والاتصال، محمد العبد/90.

(238) نحو النص، أبو خرمة/84.

(239) نحو النص نقد النظرية...، أبو خرمة/84-85.

(240) علم لغة النص، بحيري/267.

(241) ينظر: نحو النص، أبو خرمة/84-85.

(242) ينظر: نحو النص نقد النظرية...، أبو خرمة/83.

(243) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل/311.

لـ(فانديك)، أنه تبني رؤية منطقية دلالية في التعامل مع النص، فالنصية لديه، لا تنهض على أحكام تتعلق بالصحة النحوية فحسب، لأن الأبعاد البنيوية اللغوية للنص بكل جوانبها التركيبية والدلالية، لا تقتضي ضرورة نصيته، فلا بد، إذاً، من الاعتبار للأبعاد الضمنية والتداولية وما تتضمنها من آفاق اجتماعية وتاريخية ونفسية للنص تسهم في تشكيله اللغوي، تلك الأبعاد التي تتحدد بما يسميه بمعرفة العالم (=World Knowledge)⁽²⁴⁴⁾. وعليه، فإن (فانديك)، مقارنة بـ(هاليداي وحسن)، ((استطاع أن يقارب قضايا نحو النص))⁽²⁴⁵⁾. غير أنه، بالنسبة إلى (ديبو جراند وزميله) لم يقارب ((منها سوى جزئية من جزئياته))⁽²⁴⁶⁾ لما قدمه هذان الأخيران من رؤية تُعد الأكثر شمولاً ونضجاً لمفهوم النص ونحوه، فقد أفادا فيها من مجهودات السابقين عليهما، وقدما منهجاً يجمع بين الجوانب اللغوية والدلالية والتداولية⁽²⁴⁷⁾، بل بكل ما يحيط بالنص، حتى لقيت تلك المعايير التي طرحها قبولاً لا نظير له لدى الباحثين، ويكفي لتأكيد ذلك أنها تشكل مادة أساساً لكل مبحث نظري أو إجرائي في مباحث لسانيات النص، وهذه المعايير هي⁽²⁴⁸⁾:

1. السبك (= الاتساق) Cohesion
2. الحبك (الانسجام) Coherence
3. الإعلامية Informativity
4. المقبولية Acceptability
5. القصدية Intentionality
6. الموقفية Sitauationality
7. التناص Intertextuality

⁽²⁴⁴⁾ ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/16.

⁽²⁴⁵⁾ ينظر: نحو النص نقد النظرية... أبو خرمة/90.

⁽²⁴⁶⁾ م.ن/90.

⁽²⁴⁷⁾ ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/17.

⁽²⁴⁸⁾ ينظر: النص والخطاب والإجراء/103 وما بعدها. كذلك مدخل إلى علم لغة النص، هاينه مان وزميله/81. كذلك مدخل إلى علم لغة النص بتطبيقات لنظرية ديبو جراند وولفجانج دريسلر، د. إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1999م/11-12. كذلك المقاربة التداولية لخطاب المناظرة، العصر العباسي نموذجاً (132-656هـ). د. محمد عدیل عبد العزيز علي، ط1، دار البصائر، القاهرة 2011م/83، 82. مع اختلاف في ما يقابل المصطلحات الغربية.

هذا، وقد ذكر (بوجراند) في كتابه (النص والخطاب والإجراء)⁽²⁴⁹⁾ أنه يستوجب لما يكون به الكلام نصاً هذه المعايير، ولا يُقال عن الكلام: إنه نص، إذا ما واحدٌ منها تخلف عنه⁽²⁵⁰⁾ ثم دُلِّفَ إلى تصنيف هذه المعايير، حسب صلة كل معيار بالنص أو بخارجه، فرأى أن معياري (الاتساق والانسجام) شديدا الصلة بالنص، ورأى أن (المقامية والتناص) معياران نفسيان، أما معيار (الإعلامية) فقد تركه لتقدير المنتج والمتلقي وسكت عن معياري (القصد والقبول)⁽²⁵¹⁾. فيما يرى الدكتور سعد مصلوح إمكانية تصنيف هذه المعايير إلى ثلاثة أصناف وهي⁽²⁵²⁾:

1. صنف متصل بالنص اتصالاً مباشراً، ويشمل معياري (الاتساق والانسجام).
2. صنف متصل بمستعمل النص سواء كان منتجاً أم متلقياً، ويشمل معياري (القصد والقبول).
3. صنف متصل بظروف إنتاج النص وتلقيه، ويشمل معايير (الإعلام والسباق والتناص).

وهذا التصنيف -كما يرى أحمد عفيفي- ((يدخل في حساباته، بدقة شديدة، النص وكل ما يتصل به من ظروف محيطية كالمنتج والمتلقي والسياق المقامي التواصلية والإعلامية والتناص))⁽²⁵³⁾. لولا أن الدكتور عفيفي لا يلبث أن يخالف الاثنين -مصلوح وديبو جراند- بشأن معيار التناص، إذ يرى أن التناص داخل ((ضمن إطار ما يتصل بالنص وسياقه مرتبطين معاً، لا كما صُنف من قبل عند مصلوح ولا كما صنّفه روبرت ديبيو جراند))⁽²⁵⁴⁾.

والذي نراه -في شأن هذه التصنيفات- أن طرحها، بهذه الطريقة، لا يخلو من إغماص يصرفنا عن حقيقة تداخلها فيما بينها على مستوى الاستعمال والإجراء، فجميعها تتحد وتتداخل، لتعمل بشكلٍ شمولي فيما بينها، فمثلاً، حين نُحدِّد ((عناصر السبك {الاتساق} فإن ذلك يمثل البنية السطحية القائمة على بنية تحتية تعمل أساساً لها، وهي الحبكة {الانسجام}، والحبكة نفسها يستمد وجوده الفعلي من الشق الآخر للنصية المتمثل في (الموقف والقصد والقبول). إن فكرة واحدة في إطار النص تحدده عدة عوامل لفظية ودلالية في سبيل التعبير عنها، وتلتزم الفكرة، بدورها، بأفكار أخرى في إطار النص، لتكون باتحادها تلك

(249) يرى د. أحمد عفيفي أحقية (ديبو جراند) بنسبة هذه المعايير إليه وحده دون زميله (دريسler)، فكتاب (النص والخطاب والإجراء 1980) الذي ألفه ديبيو جراند بمفرده سابقٌ لكتابه بالاشتراك مع (دريسler) الموسوم بـ(مدخل إلى علم لغة النص 1981) إلا أن الشائع في الأوساط العلمية نسبة هذه المعايير إليهما معاً. ينظر: نحو النص، عفيفي/75.

(250) ينظر: النص والخطاب والإجراء/103.

(251) ينظر: م.ن/106. كذلك نحو النص، عفيفي/76.

(252) ينظر: نحو أجرومية للنص الشعري/154. كذلك نحو النص، عفيفي/76. كذلك مدخل إلى علم النص، الصبيحي/81-

82.

(253) نحو النص، عفيفي/76.

(254) م.ن/76.

البنية الكبرى التي تسعى الدراسة المنهجية إلى الوصول إليها⁽²⁵⁵⁾. هذا، ومن المبادئ والمقومات التي تحظى أيضاً، بالمقبولية في الأوساط العلمية، المبادئ الأربعة التي طرحها (بول وبراون) في كتابهما (تحليل الخطاب)، فبعد أن عدا كل وحدة لغوية أكبر من الجملة موضوعاً لتحليل الخطاب⁽²⁵⁶⁾، قاما بطرح تلك المبادئ التي لا بد من أن يتوافر (الخطاب/ النص) عليها لينال بها انسجامه، وهذه المبادئ هي:

1. السياق، والسياق لديهما كان من أبرز مبادئ الانسجام، لأنهما انطلقا أساساً من اختزال الوظائف إلى وظيفتين هما (النقل)، أي نقل المعلومات بين الأفراد والجماعات والأفكار والثقافات، (والتفاعل)، أي استعمال اللغة من أجل تعزيز «علاقات الاجتماعية والحفاظ عليها»⁽²⁵⁷⁾.
2. التأويل المحلي، وهو ثاني مبادئ الانسجام لديهما، ويعني تقييد تأويل النص/الخطاب بما وردت فيه من معلومات دون التعسف في التأويل، ولِيْ عنق النص باحتمال المعنى البعيد عند وجود معنى أقرب يمكن التلليل عليه من النص مباشرة⁽²⁵⁸⁾.
3. مبدأ التشابه، ويعني اعتماد المحلل على معرفته السابقة بالنصوص التي سبقت النص الراهن على صعيد النوع والمضمون، ومحاولة إجراء مقارنة بين النص وسابقاته، والقياس على معطيات السابق في اللاحق⁽²⁵⁹⁾.
4. مبدأ التفريض، وبه ختما تلك المبادئ، ويعني أن في كل نص مجموعة من مكونات لها الحظ الأوفر في التأثير وتوجيه الفهم، لأنها تمثل مفتاح العلاقات في النص، وذلك مثل العناوانات والجملة الأولى أو الفقرة الأولى في كل نص⁽²⁶⁰⁾. فهذه المعايير أو المبادئ عند كل من (هاليداي وحسن وديبو جراند ودريسلر، وفانديك وبول وبراون) تُعد الأكثر راهنية في الدراسات النصية التي تعتمد منهاجاً في مقارنة النصوص، وهذا بطبيعة الحال يعني أن هذه المعايير والمبادئ ليست إلا مجرد مؤشرات مهمة في إنشاء النص والحكم على نصيته، دون أن تكتسب صفة القوانين الصارمة⁽²⁶¹⁾. ولعل السبب في ذلك حداثة هذا المنهج، وانفتاحه اللامحدود على آفاق واسعة تجعل منه ركما تقدم - في حاجة إلى الاكتمال وتقبل المزيد، الأمر الذي يضع في الاعتبار أن المعايير والقواعد المطروحة في مفهوم النص وحيازة النصية لا تشكل حتميات صارمة بحيث لا يمكن الخروج عليها أو التوفيق بينها، فالمبحث النصي لم يستكن بعد

(255) نظرية علم النص، حسام فرج/19.

(256) ينظر: لسانيات النص، خطابي/47.

(257) ينظر: م.ن/47-48. كذلك نحو النص، أبو خرمة/90.

(258) ينظر: لسانيات النص، خطابي/56. كذلك أصول تحليل الخطاب، الشاوش/158.

(259) ينظر: المصدرين السابقين، ص.ن.

(260) ينظر: المصدرين السابقين، ص.ن.

(261) ينظر: النقد الأدبي الحديث، د. يوسف نور عوض، ط1، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م/101.

لأي من تلك القوانين، وإنما يتشوّف لإمكانية تعديلها والإضافة إليها باستمرار، وعندئذ ارتأى هذا المبحث إرجاء القطع بهذه القواعد على أنها ثابتة، وإنما اكتفى بضرورة الإبقاء على معايير تحظى بقدر من المقبولية والفاعلية عند المختصين. ومن هنا حاول الباحث التوفيق بين هذه التصورات قدر المستطاع، حسب ما تستوجبه طبيعة النصّ المقروء.

ثالثاً- إشكالية المصطلح

يمثل المصطلح ((المفتاح المعرفي والأساس العامل والفاعل في صلب الميدان البحثي، إذ تحتاج كل نظرية إلى جهاز مصطلحي مناسب وقوي وفاعل ومتطور يعمل على الاستجابة لمنطق النظرية ورؤيتها ومنهجها ويتمكن من التعبير عن جوهر النظرية في المساحة الإجرائية التي لا معنى للنظرية من دونها))⁽²⁶²⁾. ولذا تعد إشكالية المصطلح من أبرز الصعوبات التي تواجه الباحث في عمله، فقد مني المصطلح النصي -شأنه في ذلك شأن كل حقل معرفي يتبنى جهازاً مفاهيمياً وافداً- بحالة التعدد والاتساع حد الاضطراب واللبس ومن هنا أثر الباحث الوقوف عند مصطلحات كانت قد شكلت أمامه عقبة كبيرة تعرقل سير الدراسة، دون أن يعني أن غير هذه المصطلحات، في هذا الحقل اللغوي، ليست بحاجة إلى دراسة تعين فيها درجات اللبس والاضطراب ولعل أهم هذه المصطلحات هي:

❖ Linguistics

إن اختلاف المختصين حول نقل هذا المصطلح وضبط مفهومه يكاد يشغلهم عن مفهومه⁽²⁶³⁾، وإلا فإن علم اللغة والألسنية، واللسانيات واللّسانيات، والألسنيات وعلم اللسان، والدراسات اللغوية، واللغويات والبحث اللغوي، والدراسات اللغوية الحديثة، وعلم اللغة العام، واللانغويستيك⁽²⁶⁴⁾، وكلّ يستعمل، هي حشّة من المصطلحات، ترادفت لتدلّ على علم اللغة الحديث، وكلها تنافست- وما تزال- لنيل حق الإطلاق على هذا العلم، إلا أن الثلاثة الأولى منها- علم اللغة والألسنية واللّسانيات- كانت أشد حماسة لنيل هذا الحق.

⁽²⁶²⁾ في تكوين العقل البحثي وعي النظرية وسلامة الإجراء، د. محمد صابر عبيد، مقال بجريدة الاتحاد، العدد 3147،

الانتين 4-12-2012م، السنة الحادية والعشرين/8.

⁽²⁶³⁾ ينظر: مبادئ اللسانيات/35. كذلك المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، د. أحمد مختار عمر، مجلة عالم

الفكر، العدد 1، المجلد 2، أكتوبر/نوفمبر ديسمبر 1989م/5-6.

⁽²⁶⁴⁾ ينظر: علم اللسانيات الحديثة، نظم التحكم وقواعد البيانات، د. عبد القادر عبد الجليل، ط1، دار صفاء للنشر

والتوزيع، عمان 2002م/105. هذا وقد أورد الدكتور عبد السلام المسدي ثلاثة وعشرين مقابلاً لهذا المصطلح

الأجنبي، ما بين معرب ومترجم، غير أنه انتهى إلى حسم درجة الاختلاف، حين اعتمد (اللّسانيات) ورجعه- بأدلة

تركيبية وتؤهله لاعتماده في الأوساط اللغوية ويوصي أهل الاختصاص باستعماله على نطاق واسع. ينظر: قاموس

اللّسانيات، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا 70/1984 وما بعدها.

ومن ثم كانت أكثر حضوراً في هذا المشكل الاصطلاحي، والذي يقف منها في الصدارة (علم اللغة) ويأتي بعده (الأسنوية)، فاللسانيات، ثم (علم اللسان) الذي يشكل أقل المصطلحات الأربعة حضوراً⁽²⁶⁵⁾.

ولئن كان تحمس المغاربة وبعض مؤيديهم من المشاركة وإصرارهم على اعتماد (اللسانيات) وترشيحه على حساب علم (اللغة) و (الأسنوية) فإنه -اللسانيات- سيواجه جملة من النقود على أنه واقع في المحذور اللغوي (اللاقاعي) بحيث يخرق المعيار ((ويتجاوز القواعد الصرفية والتركييبية ابتغاء حاجة وظيفية يقتضيها المفهوم الاصطلاحي))⁽²⁶⁶⁾، وإن كان لابد للبحث من الإشارة إلى المحذور اللغوي الذي يقع (اللسانيات) في دائرته، فحسبنا بجملة اعتبارات ساقها أحد الرافضين الساخنين لهذا المصطلح وهو الدكتور أحمد مختار عمر، وها هي كما وردت في مقّله⁽²⁶⁷⁾:

1. إن علم اللغة الحديث لا يختص بلغة معينة، وإنما يدرس أي لغة، ويحلل أي مستوى داخل اللغة الواحدة، فمعنى الجمعية ملحوظ في هذا العلم، ولذا يناسبه لفظ الجمع (السن) لا المفرد (اللسان).
 2. إنه لم يعد هناك حرج في النسب إلى جمع التكسير على لفظه، بعد أن أمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ذلك وبخاصة حين يكون الجمع اسماً لعلم من العلوم وقديماً يُنسب إلى علم الأصول، فقل (الأصولي)، وإلى الأخبار، فقل (الأخباري).
 3. إن التصرف في لفظ (الأسنوية) أسهل من التصرف في لفظ (لسانيات) فحين نأخذ الصفة من الأول، نقول (دراسات أسنوية) وحين نتحدث عن المشتغل بهذا العلم، نقول: (الأسني) بإبقاء الجمع على حاله، ولكن إذا أردنا أن نأخذ الوصف من (اللسانيات) فلا نقول: (دراسات لسانياتية) ولا (لسانياتي)، ولذا يرد الجمع مع مفردة عادة، فيقال (لسانية) و(لساني).
 4. إن اللبس الذي يحدث عند استخدام مصطلح (لغوي) وعدم القطع ما إذا كان نسبة إلى (اللغة) أو (علم اللغة) والذي فضلنا من أجله ترك هذا المصطلح⁽²⁶⁸⁾ يحدث نفسه إذا استخدمنا لفظ (لسانيات)، فحين النسبة سنقول (لساني) فلا يدري أي نسبة إلى (اللسان) أم إلى (لسانيات).
- على أن الدكتور مختار، وإن وفق في الاعتبارين الثالث والرابع، فإنه في الاعتبارين الأول والثاني اعتراه الضعف، من ناحية أن مصطلح اللسانيات، أيضاً، مجموع، وأن المغاربة ما اعتمدوه إلا لأنه مجموعٌ سالماً ليتناسب مع المصطلح الغربي المنتهي باللاحقة (ics)، ثم إن كلاً من تلك المصطلحات مزوّدة بخاصية الدلالة على الجمع، فمعنى الجمعية ملحوظ لا من لفظه حرفاً، وإنما من دلالاته على العموم، والسياق - عندئذٍ - كفيل لما يُراد بالمصطلح.

(265) ينظر: المصطلح الأسني/6.

(266) إشكالية المصطلح، وغيلسي/487.

(267) المصطلح الأسني/8-9.

(268) ننوه إلى أن هذا المقال وقف على كل مقابل تشتمل بنيته على لفظ اللغة، بمثل ما وقف على مصطلح اللسانيات بالرفض والإنكار.

وعن الاعتبار الثالث، فنرى انه على صواب، لأن من الإسراف والمجانية أن نجمع بين يأتي نسب في صيغة واحدة، حين تقع نعتاً، أو مصدرأً صناعياً، أو نسبة، فلا نقول: (لسانياتي) ولا (لسانياتية). مع أننا لا نعدم، في التراث العربي الإسلامي استعمال الصيغة التي عليها (اللسانيات) من قبيل: (الحديث والوهميات والضروريات... الخ) ⁽²⁶⁹⁾ مما كانت تعج به كتب الفلاسفة والمتكلمين، إلا أننا نضطر حين نتصرف بها إلى أن نعيدها سيرتها الأولى مفرداً، فعند حديثنا عن المستويات اللغوية أو المشتغل بهذا العلم، نقول: (الظاهرة اللسانية) أو (العالم اللساني) فلا يبقى المصطلح، عندئذٍ، على حاله، فالذي يبقى على حاله من المصطلحات، في كل تصرف لغوي، خير من الذي لا يبقى على حاله عند التصرف به.

والغريب أن بعضاً من النقاد ابتكروا صيغة اصطلاحية جديدة تتجهم من هذه العقبة، فآثروا إبدال ياء النسب الأولى (واو)، فقالوا- مثلاً-(الدراسات اللسانية) أو (التحليل اللساني) وكأنك بهم أجروا (اللسانيات) مجرى الاسم المختوم بياء مشددة بعد حرفين، فكرهوا اجتماع ياءين مشدتين!! ومهما يكن من أمر، فإن الدكتور مختار بالاعتبارات التي ساقها- التي منها ما هو لغوي، ويندرج تحته الاعتبار الأول والرابع، ومنها ما هو صرفي ويتضمن الاعتبار الثاني ومنها ما هو تركيبى وهو الاعتبار الثالث- جرد الدكتور مختار (اللسانيات) من معياريته، وانتصر لمصطلحه المفضل الصحيح معيارياً (=الأسنية) لو أن حججه صمدت أمام قوة الشيوخ والاذعان للتداول، وكلا الأمرين (الشيوخ والتداول) كانا حليفي (اللسانيات) ولم تقوَ اعتبارات الدكتور مختار لصد مغازيه.

والحق لو أننا احتكنا إلى المعايير اللغوية الصارمة، لكان مصطلح (الأسنية) هو الأجدر لأن تُنَاطَبَه مهمة الإطلاق على هذا العلم؛ غير ((أن تداول مصطلح ما (على علته اللغوية) كثيراً ما يكون شفيعاً له في أفضليته على مصطلح آخر أصح نحويًا، لكنه أندر تداولاً... رب خطأ مشهور خير من صحيح مهجور)) ⁽²⁷⁰⁾.

ومن هذا المنطلق استبعد الصحيح وهجر، وانحسر استعماله، وساد الخطأ المشهور، ولا أدل على ذلك من أننا لم نعثر على أحد يستعمل (الأسنية) مضافاً إليه لفظ (النص)، مركباً إضافياً على هذا الحقل المعرفي الجديد في الدراسات اللغوية- لسانيات النص أو علم النص- إذ لم يسمَ بـ(الأسنية النصية) أو (الأسنية النص) رغم أحقيته.

ولكن مهما بلغ الخلاف حول دقة هذا المصطلح أو ذاك، فإن التعددية لا تمس بؤرة المركز ⁽²⁷¹⁾، فكلها تدل على ((العلم الذي يقرأ اللغة الإنسانية، على وفق منظور علمي عميق ودقيق ويستند إلى معايينة

⁽²⁶⁹⁾ ينظر: مثلاً كتاب المبين لسيف الدين أبي الحسن الأمدي (631هـ) ضمن كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب، دراسة وتحقيق د. عبد الأمير الأسم، منشورات مكتبة الفكر العربي، بغداد 1985م/43-44.

⁽²⁷⁰⁾ إشكالية المصطلح، وعليسى/490.

⁽²⁷¹⁾ ينظر: علم اللسانيات الحديثة/106.

الأحداث وتسجيل وقائعها قائماً على الوصف وبناء النماذج وتحليلها بالإفادة من معطيات العلوم والمعارف الإنسانية الأخرى، ويرمي (...) إلى كشف حقائق وقوانين ومناهج والظواهر اللسانية وبيان عناصرها ووظائفها وعلاقاتها الفردية والتركيبية داخل وخارج بنية النص⁽²⁷²⁾.

فاللسانيات حسب- هذا التعريف- دراسة للغة الانسانية- أية لغة- وعن كونها دراسة علمية؛ فذاك احتراز وتمييز لها ((عن الجهود الفردية والخواطر والملاحظات التي كان يقوم بها المهتمون باللغة عبر العصور))⁽²⁷³⁾، إذ كان البحث فيه غارقاً في التأويل العقلي والفلسفي البعيد عن الموضوعية متّصفاً في أغلبه بالذاتية والتخمين، بعكس ما هو عليه اليوم من وصف ومعاينة للمظاهر اللغوية ((بعيداً عن النزعة التحكيمية والأحكام المعيارية، وذلك باتباع طريقة منهجية، والانطلاق من أسس موضوعية يمكن التحقق منها وإثباتها))⁽²⁷⁴⁾.

ومن كل ما تقدم فإن (اللسانيات) هو المصطلح الذي وقع عليه الاختيار؛ نظراً لقوة تداوله حين يأتي مفرداً، علماً على العلم الذي يهدف إلى ابعاد اللغة من الاحكام المعيارية، والانطباعات غير المعللة، سعياً إلى علمنة الظاهرة اللغوية؛ بالانكفاء على الاحكام الموضوعية ووصفها وصفاً علمياً دقيقاً قابلاً للإثبات، ومعالجتها خارج الافتراضات النظرية، بإخضاعها للممارسة الإجرائية الجادة، وكذلك حين يأتي- اللسانيات- مضافاً إليه لفظ (نص)، ليقابل المصطلح الأجنبي (Text Linguistics) الذي هو موضوع هذه الدراسة.

❖ مقابلات هذا الحقل المعرفي

تقدم أن هذا المصطلح (Linguistics) أفرز ما يربو على عشرين مقابلاً له في العربية، وكان مرد ذلك المواضع التي تقوم على اختلافها مشارب الباحثين وثقافتهم، والنزعة الفردية المتحكمة، غالباً، في مذاهبهم، ما زاد أمر الاتفاق وتقارب الوجهات تشتتاً في تشتت. ومن هنا كانت المحاولات الداعية إلى الحد من جماع الاختلاف على رغم تكاثف جهود هباء في ريح النزعات الفردية وقوة تداول المصطلحات التي تضعّ بها الآلة الاصطلاحية العربية وشيوعها مع ما يعترها من علّات تحول بينها وبين الكفاءة التي لا بد أن تتوافر فيها لتكسيبها أهلية الحضور في معترك الأدبيات، ما تسبب في رواج مصطلحات لم تقو على اختراق غريال الرصد والمتابعة، وشيوعها على ضعفها وعدم قواعديتها.

إن حالة التعدد التي مني بها حقل الدراسات اللغوية الحديثة، وما صاحب ذلك من لبس، جراء إحداث اتساع وعدم استقرار في المصطلح اللساني، قد انسحبت بدورها على هذا الحقل اللغوي البكر الذي تنافس من أجله حشد من المصطلحات بهدف نيل حق الإطلاق عليه، فهو مثل غيره من العلوم

⁽²⁷²⁾ م.ن/105.

⁽²⁷³⁾ مدخل إلى اللسانيات الحديثة، د. محمد محمد يونس علي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا.

9/2004م.

⁽²⁷⁴⁾ ينظر: مبادئ اللسانيات/5.

الوافدة التي شهدت، حين تعريب مصطلحاتها، زخماً من المقابلات وبكيفية مختلفة، فكان أن عانت مصطلحاتها من إشكالية التوحيد والاتفاق، فتنازعت عليها غير قليل منها.

وإذا كان كل ذلك التصعيد في الالتباس والغموض المحاط بمصطلح أتفق عليه عالمياً (=Linguistics) فما الذي نرجوه من مصطلح لم يُستقرَّ عليه، بعد، في الغرب حيث منابته الأولى؟.

ثم إلى أي حدٍ ستبلغ درجة الاضطراب والتخبط في نقل هذه المصطلحات التي أثبت إلا اختلافاً على مفاهيم تكاد تتفق في المضامين وآليات الاشتغال، إذ إن هناك اتفاقاً، أو شبهه، على أن التعبير عن هذا المفهوم العلمي الواحد (= علم النَّص) يكون بنحو خمسة مصطلحات أو ستة مختلفة. يذكر (كريماس وكورتاس) في معجمهما: ((أن افتقار عدد من اللغات الأوربية إلى معادلٍ للكلمة الانجلوفرنسية (خطاب Discourse) هو الذي قادها في الواقع إلى تعويضها بكلمة "نص Text") (275). ويشير الدكتور يوسف وغيلسي إلى أن هذا التعويض هو الذي أدى إلى إلتباس الخطاب بالنص، وجعل الغربيين يعبرون عن المفهوم الواحد بنحو خمسة مصطلحات مختلفة أو أكثر منها: (Textology/ Science Text = علم النَّص) و(نحو النَّص Grammar Dutexte) و(لسانيات النَّص Linguistics Textuelle) و(تحليل الخطاب Analysis Discourse) و(لسانيات الخطاب Linguistics Discourse) (276). ثم يأتي الدكتور وغيلسي بعبارة يضعها بين قوسين (277) يستشف منها نوع من الاستخفاف بالباحثين العرب المعاصرين الذين يميزون بين هذه المفاهيم، ويذيلها بثلاث علامات تعجب. كما ويستشف منها أيضاً - وهو الأهم - أن (وغيلسي) مساوٍ بين كل هذه المصطلحات. وعلى أي، لم تبلغ، بعد، المقابلات العربية لهذه المفاهيم ما بلغته الآلة الاصطلاحية العربية من التخبط والاضطراب بشأن (Linguistics). ويبدو أن حالة التعدد والاختلاف بصورة عامة في شأن (علم النَّص) ومصطلحاته بشكلٍ خاص، يعدّ بمثابة إشارة واضحة، مفادها أن هذا العلم ما يزال بانتظار المزيد ساعياً ومنفتحاً على آفاقٍ شتى بغية الاستقرار والاكتمال فهذا العلم كما يشير (فانديك) لا يخضع لنظرية محددة أو طريقة مميزة وإنما يخضع لسائر الأعمال في مجال اللغة التي تتخذ من النَّص مجالاً لبحثها واستقصائها (278).

فغياب نظرية محددة أو طريقة مميزة في دراسة النَّص أمانة على أن هذا العلم ما يزال في طور الناضج فأدواته إذاً، غير محدودة ولا يتوقف عند حد معين رافضاً أية إضافة تمكّنه من الوصول إلى كفاءة تفسيرية دقيقة... إنه العلم الذي استطاع أن يجمع بين عناصر لغوية وعناصر غير لغوية لتفسير

(275) إشكالية المصطلح، وغيلسي/60.

(276) ينظر: إشكالية المصطلح، وغيلسي/60 الهامش.

(277) وهذه العبارة هي ((يحسب كثير من العرب المعاصرين أنها (يقصد تلك المصطلحات أعلاه) مفاهيم واختصاصات مختلف أحدها عن الآخر!!!)). م.ن/60.

(278) ينظر: علم النَّص ونظرية الترجمة، د.يوسف نور عوض ط1، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية

الخطاب أو النص تفسيراً إبداعياً⁽²⁷⁹⁾ ما أدى إلى عدم استقراره حول مفاهيم وتصورات ومناهج ثابتة⁽²⁸⁰⁾ ومن ثم جعلنا نعدم استقرار الباحثين-حتى في الغرب- على مصطلح واحد يكون علماً عليه (ديفيد كرستيال) يربط (تحليل الخطاب Discourse Analysis) بتحليل اللغة المنطوقة، على حين يربط (تحليل النص Text Analysis) بتحليل اللغة المكتوبة، بيد أنه يؤكد في مكان آخر أن التحليل سواء كان نصاً أو خطاباً، فإنه يحوي كل الوحدات اللغوية المنطوقة والمكتوبة مع تحديد الوظيفة التواصلية⁽²⁸¹⁾ وكذلك في الفرنسية التي نعثر فيها على مصطلح (Science Texte) هو المصطلح ذاته الذي سمي في الهولندية (Text Grammatic) ⁽²⁸²⁾.

وتحصيل ذلك التعدد والاختلاف أن بلغت المصطلحات المترجمة ما يزيد على عشرة مصطلحات، منها ما وجد مكاناً على أغلفة الكتب، ومنها ما أثرت التجوال بين طوايا المؤلفات والبحوث، وفيما يأتي مسردٌ بهذه المقابلات الواقعة عنوانات لحشد من المؤلفات العربية⁽²⁸³⁾:

المقابل العربي	الباحث	عنوان المؤلف
أجرومية النص	سعد مصلوح	نحو أجرومية للنص الشعري
تحليل الخطاب	سعيد يقطين محمد عزام	تحليل الخطاب الروائي تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة
علم لغة النص	سعيد بحيري إلهام أبو غزالة وعلي خليل أحمد	علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت ديبو جران وولفجانج دريسلر
علم اللغة النصي	صبحي إبراهيم الفقي	علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق...
علم النص	صلاح فضل يوسف نور عوض جمال عبدالمجيد	بلاغة الخطاب وعلم النص نظرية الترجمة وعلم النص الأسس المعرفية لعلم النص
لسانيات الخطاب	نعمان بوقرة عبد الفتاح أحمد يوسف	لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة

(279) ينظر: علم النص، بحيري/9.

(280) ينظر: م.ن/10.

(281) ينظر: علم لغة النصي، الفقي/35. وينظر: معجم اللسانيات بإشراف جورج مونون، ترجمة د. جمال الحضري، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان 2012/120.

(282) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل/294. كذلك نحو النص، دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاة (رسالة ماجستير)، للباحث عثمان أبو زنيد، الجامعة الأردنية، نيسان 2004م/22.

(283) ضبطلت الباحثة ليندة قياس ستة مقابلات عربية لهذه المصطلحات الاجنبية وقد أفاد الباحث من عملها الكثير. ينظر: لسانيات النص، ليندة قياس/49.

لسانيات النص	محمد خطابي موفق محمد المصلح أحمد مدام	لسانيات النص مدخل إلى السجام الخطاب أسس لسانيات النص لمارغوت هاينه مان لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري
اللسانيات النصية	جمال عبد المجيد	البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية
نحو النص	أحمد غيفي عمر أبو خرمة أحمد محمد راضي	نحو النص... نحو النص نقد نظرية وبناء أخرى نحو النص بين الأصالة والحدثة
نظرية علم النص	حسام فرج	نظرية علم النص...
نظرية النص	إبراهيم خليل	الأسلوبية ونظرية النص

تلك ما استطعنا ضبطها من المصطلحات المترجمة إلى العربية التي وقعت على أغلفة الكتب، بغض النظر عما وقعت منها في سياقات شديدة انخصوصية بين سطور المؤلفات والبحوث من مثل (نحو النصوص ونحويات النص ونحويات النصوص وإعراب النص والتحليل النصي... الخ). إلا أنك- وكما تقدم- لم تجد أحداً يترجم أياً من تلك المصطلحات إلى (الأسنية النصية) أو (الأسنية النص) على الرغم مما يمتاز به من كفاءة، فهل يعني ذلك أن من روجوا لـ (مصطلح اللسانيات)-هم المغاربة ومؤيدوهم- و(علم اللغة) وهم أغلب المشاركة- قد تقاسموا أعباء هذا الوافد الجديد أو كانوا سباقين إلى احتضانه؟.

وحتماً تكون الإجابة بالإيجاب، فمصطلحا (علم لغة النص) و(علم اللغة النصي) رائجان عند المشاركة على حين أن (اللسانيات) أكثر رواجاً لدى المغاربة ومتابعيهم.. بقي أن نطرح سؤالاً، وهو هل ثمة فرق بين تلك المصطلحات؟.

قلنا إن هذه الحدود سرعان ما تتلاشى على مستوى الإجراء وتندمج كل الآفاق وتتكاثر للتعبير عن هذا الفرع من فروع علم اللغة الحديث، غير أن التقنين الاصطلاحي يستدعي ضبط ما يُراد بكلٍ منها، إلا على مستوى التطبيق، فعلى مستوى التنظير. وعلى ذلك فالذي يبدو أن لفظ (النص) حيث أُضيف إلى لفظي (علم) و(نظرية) في بنية المصطلح كان المراد منه الإعمام والشمول والتنظير. ومن هنا رأى الدكتور صلاح فضل أن الترجمة المقبولة لـ (Textology = Science Dutexte) في العربية هي (علم النص) وذلك لأن علم النص يطمح إلى شيء أكثر إعماماً وشمولاً، فهو من ناحية يشير إلى جميع أنواع النصوص وأنماطها في السياقات المختلفة، كما أنه يتضمن جملة من الإجراءات النظرية والوصفية والتطبيقية ذات الطابع العلمي الواحد⁽²⁸⁴⁾.

(284) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص/294.

أما إذا اقتصرنا في التحليل على نوع محدد من النصوص، فإن عملنا يرتبط حينئذٍ بمصطلحي (السانيات النص ونحو النص) وهذا ما عليه الدكتور بشير إبرير، الذي يرى أن هذين المصطلحين يرتبطان بنوع محدد من النصوص في التحليل، على حين يهتم (علم النص) بجميع أنواع النصوص، نحو: (الرواية، الإعلان الإشهاري، والمقال الصحفي والعلمي، والفلم السينمائي) بل بجميع ما تنتجه الثقافة المعاصرة من نصوص⁽²⁸⁵⁾ بالمعنى العريض للنصوص.

ولا نفوتنا الإشارة إلى أن نسبة (النحو Grammar) إلى (النص Text) تعني فضلاً عن ذلك المزيد من التذمر من الاتجاه التحوي السائد الذي اختار النحاة المعاصرون تجاوزه، بأن جاءوا بمصطلح (Grammar Text) على غرار نحو الجملة (Sentence Grammar) ذلك النحو الحبيس في فضاء ضيق المتمثل ببنية لغوية صغيرة مجردة لا يمكن أن تُنَاط بها الطبيعة التحليلية التي يمتاز بها علم النحو الحديث، وبذلك دلّوا على اتجاه معاصر ((في دراسة النص اللغوي، إيماناً بأن هذا النحو يجذب النص أكثر مما تجذب الكلمة أو الجملة، وأن تجزئة النص ليست إلا وهماً أو خيالاً وبهذا المفهوم يتجاوز النحو كل حدود المعيارية لنحو الجملة... وطرق التحليل اللغوي المعروفة))⁽²⁸⁶⁾.

ولم يأت اللسانيون لصياغة مصطلح ينسجم مع مجال عملهم بشيء أكثر مما فعله النحويون الجدد، فقد صاغوا مصطلحاً يتناغم، هو الآخر، مع محاولاتهم الهادفة إلى ما هو أبعد من الجملة في اشتغالهم على النصوص، ذلكم هو (السانيات النص) = (Text Linguistics) = (Linguistique Textuelle)⁽²⁸⁷⁾. لأنه وحتى عهد قريب، كما سبق الإشارة، ظلت الجملة محاطةً بأكاليل الدرس اللساني ولم يذهب هذا الدرس ببصره أبعد منها ((ولم يحاول أبداً سبر أغوار المجموعات اللغوية الكبرى كالملفوظات الطويلة التي نستعملها في حياتنا العادية، مثل الحوارات والخطابات))⁽²⁸⁸⁾.

هذا، ولم يكثر الكثير من الباحثين في استعمال كل هذه المقابلات مكان الآخر، فالدكتور سعد مصلوح يرى أن (أجرومية النص Text Grammar) = نحو النص = لسانيات النص (Text Linguistics)⁽²⁸⁹⁾. ولكن مهما بلغت درجة اختلاف هذه المصطلحات، فإن جميعها تتفق حول وجوب اجتياز الجملة في التحليل إلى فضاء أوسع وأرحب في القراءة وهو الفضاء النصي.

❖ Coherence و Cohesion

(285) ينظر: من لسانيات الجملة إلى علم النص، د. بشير إبرير، مجلة التواصل، جامعة عنابة، الجزائر، العدد 14، عام

2005م/94.

(286) نحو النص، غيفي/9.

(287) ينظر: لسانيات النص، ليندة قياس/48.

(288) مدخل إلى علم النص، الصبيحي/61.

(289) ينظر: نحو أجرومية للنص الشعري/224.

أما هذان المصطلحان، فكأبهم اختلفوا في إيجاد مقابلين لهما كما اختلفوا في مفهومهما حدّ التختُّط والالتباس، وهنا نمهد لطرح هذه الإشكالية، بسوقنا تعريفاً لكلٍ منهما، فمصطلح (Cohesion)، كما هو مستقر عليه في البحوث اللغوية النصية، يعني: ربط العناصر السطحية للنص بوسائل نحوية محددة. أما مصطلح (Coherence) فيعني التماسك الدلالي والعلاقات التحتية للنص، أي الائتلاف الأساس بين المفاهيم والعلاقات⁽²⁹⁰⁾. وهذا الخلاف تحفّزه جملة أمور، ولعل أهمها هو أن هذين المصطلحين ومبثثيهما مختلف في شؤونهما في الغرب، فإدماج هذين المبحثين تحت مسمى واحد (Coherence) شائع عند أصحاب النص في الغرب، فمثلاً يشير هذا المصطلح عند (فان ديك) بدلالته على المبحثين المنفصلين عند (دي بوجراند وديرسلر)⁽²⁹¹⁾، وكذا فإن مصطلح (Axiome De Coherence) عند غرايس، الذي يترجمه الدكتور أحمد مدّاس بـ (مبدأ الترابط) يدخل ضمنه مبحثا الاتساق والانسجام معاً⁽²⁹²⁾. على حين ينطلق (كلاوس برينكر) بمصطلحه (Text Koharnz) أو (التماسك النصي)، من رؤية شاملة للتماسك يضم كل جوانب النص ومباحثه، نحوياً وموضوعياً وبراجماتياً، صريحاً وضمنياً⁽²⁹³⁾، بما يعني أن هذا سينسحب بدوره سلباً - على اللفظ الذي تحدّثه الآلة الاصطلاحية العربية وطرق اشتغال الباحثين وفق هذا المبحث المعرفي.

فقد أحدث الدارسون العرب اختلافاً ولغطاً في إيجاد مقابلين لهما، وهنا سنعرض مسردين يبرزان هذا الاضطراب والتكؤ:

⁽²⁹⁰⁾ ينظر: التحليل اللغوي للنص، كلاوس برينكر/35 الهامش.

⁽²⁹¹⁾ فمن استعمالات فان ديك لهذا المصطلح: ((أن أدوات الربط تخلق فقط التماسك المحلي (Local Coherence)

وغير قادر على خلق مستوى الخطاب (Discourse Level) أو التماسك العام (Global Coherence)، إذ هي

بحاجة إلى أشياء أخرى تساهم جميعاً في خلق ذلك التماسك)). كذلك نظرية علم النص، حسام فرج/83.

⁽²⁹²⁾ ينظر: لسانيات النص، أحمد مدّاس/77.

⁽²⁹³⁾ ينظر: التحليل اللغوي للنص، برينكر/35 الهامش.

أولاً - (Cohesion)

المصطلح الأجنبي ⁽²⁹⁴⁾	الترجمة العربية	الباحث	الكتاب	رقم الصفحة			
					E	F	G
Cohesion Cohesion Kohasion	التماسك	الأزهر الزناد	نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً	15			
	السبك	تمام حسان	النص والخطاب والإجراء لديبوجراند	103			
		جمال عبد المجيد	البدیع بین البلاغة العربية واللسانيات النصية	71			
		محمد العبد	النص والخطاب والاتصال	91			
	الاتساق	محمد الشاوش	أصول تحليل الخطاب	124			
		محمد خطابي	لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب	11			
	التضام	إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد	مدخل إلى علم لغة النص لديبوجراند	10			
	الربط التحويلي	سعيد بحيري	علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات	166			
		سعيد بحيري	علم لغة النص التحليل اللغوي للنص	35			
		سعيد بحيري	لكلاوس برينكر مدخل إلى علم لغة النص لفولفجانج وزميله	358			
	التماسك+الربط اللغوي	صبحي الفقي	علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق	36			
	الانسجام+الترابط الرصفي	أحمد مداس	لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري	40			
	التماسك النصي	ابراهيم محمود خليل	النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك	76			
	الانسجام+الاتساق	محمد الأخضر الصبيحي	مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه	82,86,81			

⁽²⁹⁴⁾ نرّمز ب الحرف (E) إلى اللغة الانجليزية، وبالحرف (F) إلى الفرنسية، وبالحرف (G) إلى الألمانية.

ثانياً – (Coherence)

رقم الصفحة	عنوان المؤلف	الباحث	الترجمة العربية	المصطلح الأجنبي		
				E	F	G
226 71 91	نحو أجرومية للنص الشعري البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية النص والخطاب والاتصال	سعد مصلوح جمال عبدالمجيد محمد العبد	الحبك	Cohesion	Cohesion	Kohasion
11 34	لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب دينامية النص	محمد خطابي محمد مفتاح	الانسجام			
103	النص والخطاب والإجراء لدى دييجوراند	تمام حسان	الاتحام			
10	مدخل إلى علم لغة النص لدييجوراند وزميله	إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد	التقارن			
83	لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري	أحمد مداس	الترباط الفكري			
164, 167	علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات	سعيد بحيري	الترباط الدلالي+التماسك			
385	مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه	سعيد بحيري	تماسك نصي+حبك			
35	التحليل اللغوي للنص كلاوس برينكر	سعيد بحيري	التماسك الدلالي			
204	مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص زتسيسلاف واورزنيك	سعيد بحيري	التماسك نصي			
86, 82, 81	مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه	محمد الأخضر الصبحي	الاتساق+الانسجام			
76	النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك	ابراهيم محمود خليل	الاقتران			

أما على مستوى الإجراء، فإن الدارسين العرب تعاملوا في اختيار مصطلحاتهم ومقابلاتهم بانتقائية بما ينسجم وطرق اشتغالاتهم ونزعاتهم الفردية. فحيناً يرادف الباحث بينهما، وحيناً يستبدل أحدهما بالآخر، وحيناً آخر يفرد لكل منهما مبحثاً. فمصطلح (التماسك النصي) الذي يعنون به الدكتور صبحي الفقي دراسته الإجزائية على السور المكية يضم كلا المبحثين، مع أنه حين يعرض معايير دييجوراند يضع مقابل (Cohesion) مقابلين عربيين هما (السبك والربط النحوي) ويضع مقابل (Coherence) مقابل (الحبك والتماسك الدلالي). إلا أنه لا يلبث أن يدرج كل ذلك تحت مصطلح (التماسك الدلالي) وتسويغ ذلك أن كلا المبحثين ((يتصلان بالتماسك النصي داخل النص ويرتبطان بالروابط الشكلية والدلالية، وهما يمثلان أساساً مهماً من أسس الدرس النصي، ولهما أدوات وأنواع وطبيعة وأهداف))⁽²⁹⁵⁾.

(295) علم اللغة النصي، الفقي/42.

ومن أوجه هذه الإشكالية أيضاً، أنك تعثر على من يدخل المباحث التي يدرجها ديوجراند ودرسلر ضمن مصطلح (Cohesion) تحت مقابل (الانسجام) وبالعكس يدخل المباحث التي يدرجها ضمن مصطلح (Coherence) تحت مقابل (الاتساق) مع أن أغلب الباحثين العرب وأسبقهم إلى هذا الحقل اللساني قد قابل بالاتساق مصطلح (Cohesion) وقابل بالانسجام مصطلح (Coherence). وهذا ما أقدم عليه الدكتور محمد الصبيحي، حين عكس الآية، إذ أدرج مبحث الأول ضمن المصطلح الثاني وبالعكس، فعنده أن المراد من ((اتساق النص: ترابطه وتتأسقه على المستوى المضموني والدلالي، أما انسجامه، فهو يعني تماسكه والتحامه على المستوى الشكلي عن طريق الروابط اللغوية المختلفة))⁽²⁹⁶⁾.

والذي يبدو لنا أن اضطراب الدكتور الصبيحي - وغيره كذلك - إلى هذا الاختيار نابع من أنه أراد أن يجمع تحت (Coherence) آراء الباحثين الغربيين الذين يطلقون هذا المصطلح على كلا المبحثين من غير أن يخصصوا للربط النحوي مبحثاً بمعزل عن الربط الدلالي أو الترابط الموضوعي ولذا فقد ألقينا الدكتور الصبيحي يسرد تصورات (فانديك) و(بول وبراون) و(غرايس) أكثر من غيرهم لا شيء إلا لأنهم - وكما تقدم - يحصرون كلا المبحثين في واحد وتحت مسمى (Coherence).

ومن بين هذه المقابلات وقع اختيار الدراسة على (الاتساق) مقابل (Cohesion) و(الانسجام) مقابل (Coherence) لأن هذين المقابلين، فيما نرى، أقرب للموضوعية باحتوائهما على (معايير الحد الاصطلاحي)⁽²⁹⁷⁾ لكونهما كلمتين قصيرتين غير مركبتين خفيفتين على اللسان يحتويان مفهومهما خير احتواء، بحيث تنحصر دلالاتهما على مبحثيهما مع اتصالهما تمام الاتصال بالدلالة الوضعية في لغة العرب، ويتضمنان معنى شائعاً، ويخضعان للصيغ الصرفية القياسية.

على أن كل هذه المعايير لا نعدمهما في ثنائية (السبك والحبك) إلا أن هذين قد أستهلكا في التراث البلاغي والنقدي، وتداولتهما القراءة القديمة بما يختلف، بطبيعة الحال، واستعمال المعاصرين لهما⁽²⁹⁸⁾. ورُبَّ قائل يقول: إن القراءة القديمة مثلما استهلكت (السبك والحبك) بغير ما يدلان عليه اليوم، فإنها كذلك استهلكت ما وقع عليه اختيار الدراسة. فنجيب: إنه لئن وجدنا من علمائنا القدامى من يفرد (الانسجام) باباً على نحو ما نجد عند ابن القيم⁽²⁹⁹⁾، وابن أبي الأصبع المصري⁽³⁰⁰⁾، فإن (الاتساق) لم يأخذ ما أخذه الأول من شيوع وثبات في المباحث القديمة بعكس (السبك والحبك) اللذين كانا من الشيوع والثبات. فمن هنا آثرنا الاتساق والانسجام على غيرهما، لأنهما أولى بالتبني، ولأنهما يجنباننا من الخلط بين

(296) مدخل إلى علم النص، الصبيحي/82 الهامش.

(297) ينظر: إشكالية المصطلح، وجليسي/69-70.

(298) ينظر: لسانيات النص، لندة قياس/27.

(299) ينظر: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية، مكتبة المتنبى، القاهرة د.ت/242.

(300) ينظر: بدائع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، تحقيق الدكتور حفني محمد شرف، ط2، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة 1971/166.

المفاهيم القديمة والحديثة، وعندها تبقى لكل حقل معرفي خصوصيته ومنظومته المفاهيمية التي تميزه من غيره من الحقول⁽³⁰¹⁾.

❖ Collocation

ينصرف الذهن في الدرس اللغوي الحديث، على اختلاف فروعه وتوجهاته، عند إطلاق هذا المصطلح صوب وجود علاقة تجمع عنصراً لغوياً بعنصر آخر، أو مجموعة عناصر في سياق خطي انتلافي، نظراً لتلازمهما شكلاً أو مضموناً، ولذا قيل في تعريفه ((توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم علاقة ما))⁽³⁰²⁾. وقيل أيضاً: ((علاقة أفقية تجمع لفظين متجاورين أو متباعدين، لوجود مناسبة بينهما وهذه العلاقة يعتادها أبناء اللغة الواحدة، بحيث يمكن توقع كلمة محددة في النص من خلال ذكر أخرى فيه))⁽³⁰³⁾. لكن الاتفاق على هذا المضمون لم يحل دون اختلاف فروع الدرس اللساني حول مفهومه وحول إيجاد مقابل مناسب لهم، فعلى الصعيد المفهومي تمّ توظيف هذا المصطلح في كل حقل لساني، لدعم توجهه المنهجي والنظري على النحو الآتي:

1. عند السياقيين (أتباع فيرث): فقد استخدموه ليشير إلى اشتراك الوقوع المألوف للمفردات المعجمية المستقلة، فعلى سبيل المثال تجد كلمة (سعيد) تتلازم أو تتصاحب مع كلمة (مناسبة)، وتجد كلمة (بريد) تتصاحب مع كلمتي (رجل وصندوق) فاجتماع هذه الكلمات، إذاً، هو من قبيل نمط من العلاقة المعجمية الأفقية (Syntagmatic) ومن الناحية اللغوية يمكن التنبؤ بها لغوياً على نطاق واسع أو على نطاق ضيق⁽³⁰⁴⁾.
2. عند الأسلوبيين، فإنهم يجهدون في الكشف عن هذه المصاحبات أو التلازمات بوصفها طريقة أسلوبية خاصة بلغة الكاتب وأدائه⁽³⁰⁵⁾.
3. عند الاصطلاحيين، فإنهم سخروا المصاحبات اللغوية خدمة للتعبيرات الاصطلاحية، وذلك حين يكون المصطلح مكوناً من أكثر من كلمة، عندئذٍ، يُنظر إليه على أن بنيته جاءت على صورة من صور المصاحبة، التي هي وسيلة من الوسائل التي تستعملها اللغة الاصطلاحية للتغلب على محدودية الألفاظ

(301) ينظر: لسانيات النص، لندة قياس/27.

(302) لسانيات النص، خطابي/25. والمقصود بقولهم (بالفعل) ارتباط الكلمتين وتلازمهما عبر دلالة احدهما على الأخرى بالتعارض، أي أنهما أضداد، ويقولهم (بالقوة) تلازمهما عبر تضمن احدهما على الآخر دلالياً باعتبارها جزء منها. ينظر: نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى/ 83 الهامش.

(303) المصاحبة في التعبير اللغوي، محمد حسن عبد العزيز ط1، دار الفكر العربي، القاهرة 1990م/11.

(304) ينظر: فصول في علم لغة التطبيق (علم المصطلح وعلم الأسلوب)، فريد عوض حيدر ط1، مكتبة الآداب، القاهرة

138/2008.

(305) ينظر: م/ن/136.

بالقياس إلى المعاني التي تعدّ غير متناهية، مثلها في ذلك مثل الوسائل الأخرى كالاشتقاق والنحت والاشتراك اللفظي⁽³⁰⁶⁾.

4. عند النّحاة، فإنهم وظفوها على جهة استعمالها قرائن لفظية لملازمة عنصر لغوي عناصر أخرى، ذلك أنه ((عندما يستلزم أحد العنصرين الآخر، فإن هذا الآخر قد يدل عليه بمعنى وجودي، على سبيل الذكر. أو يدل عليه بمعنى عدمي، على سبيل التقدير بسبب الاستتار أو الحذف))⁽³⁰⁷⁾.

5. في نظرية الاتساق الحديثة- وهو المعنى الذي نقصد إليه في هذه الدراسة- فُتحة النّص يهدفون عند دراستهم المصاحبة إلى بيان أثرها ((في اتساق النّص باعتبارها عاملاً من عوامل اتساقه عند اللغويين المحدثين، ذلك أن جزءاً من الاتساق المعجمي يُنجز من خلال ارتباط العناصر المعجمية التي تشارك في الوقوع بانتظام))⁽³⁰⁸⁾.

هذا، وقد لقي هذا المصطلح عند نقله إلى العربية، التعددية التي لقيتها بقية المصطلحات، سواء عند اللغويين أو عند المعنيين بنحو النّص، ولم يكن منهم أن يتفقوا على صيغة واحدة عند نقله إلى العربية، على ما يتضح في هذا المسرد:

(306) ينظر: التعابير الاصطلاحية والسياقية ومعجم عربي لها، د. علي القاسمي، ضمن أعمال ندوة مشكلات اللغة العربية

على مستوى الخليج والجزيرة العربية، نوفمبر 1979/101-114.

(307) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ط5، عالم الكتب، القاهرة 2006/217.

(308) فصول في علم لغة التطبيقي (علم المصطلح وعلم الأسلوب)، فريد عوض حيدر/137.

رقم الصفحة	عنوان المؤلف	الباحث	Collection
58	الترايط النصي بين الشعر والنثر	زاهد بن مرهون بن خصيف	الاقتران+التضام+المصاحبة المعجمية
46	معجم علم اللغة النظري	محمد علي الخولي	انتظام+متابع
21 142 112 25	اللغة العربية معناها ومبناها أصول تحليل الخطاب نحو النص لسانيات النص	تمام حسان محمد الشاوش أحمد غفني محمد خطابي	التضام
216 -	اللغة العربية معناها ومبناها النص والخطاب والإجراء لديبوجراند	تمام حسان	التوارد
11 111	المصاحبة في التعبير اللغوي المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث	محمد حسن عبدالعزيز محمد أبو الفرج	المصاحبة
107	البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية	جمال عبدالمجيد	المصاحبة المعجمية
42	علم اللغة النصي	صبحي ابراهيم الفقي	المصاحبة النحوية
111	نظرية علم النص	حسام فرج	المصاحبة اللغوية
140	علم اللغة التطبيقي	فريد عوض حيدر	المصاحبة اللفظية

إذ يكشف هذا المسرد أن (التضام) يشكّل أعلى نسبة حضور، مع أن مفهومه أوسع بكثير مما يُراد به هنا فتمام حسان يأتي إلى بسط مفهومه بقوله: ((يمكن فهم التضام على وجهين فيما يأتي:

أ. الوجه الأول، أن التضام هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما، فتختلف طريقة منها عن الأخرى تقديماً وتأخيراً، وفصلاً ووصلاً، وهلم جراً. ويمكن أن نطلق على هذا الفرع من التضام اصطلاح (التوارد)، وهو بهذا المعنى أقرب إلى اهتمام دراسة الأساليب التركيبية البلاغية الجمالية منه إلى دراسة العلاقات النحوية والقرائن اللفظية، ومن ثم نتخطاه ونتركه لمن شاء أن يوغل فيه.

ب. الوجه الثاني، أن المقصود بالتضام أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصراً آخر فيسمى التضام هنا (التلازم) أو يتنافى معه، فلا يلتقي به ويسمى هذا (التنافي) ⁽³⁰⁹⁾. والذي نراه أن نبقى في الدراسة اللسانية النصية على مصطلح (المصاحبة المعجمية) وإن لم يأت هذا المصطلح مفرداً وذلك لأسباب هي:

(309) اللغة العربية معناها ومبناها/216-217.

1. أن مصطلحات (التوارد-الانتظام-التتابع-الاقتران) لم يكتب لها الشيوخ والتداول في الأوساط العلمية.
2. اتضح أن مصطلح التّضام أوسع بكثير مما يُراد به في مباحث نحو النّص، كذا أنه يلتبس بمفهوم (Cohesion) الذي يترجمه بعضهم بالتّضام.
3. أن مصطلحات (المصاحبة- المصاحبة اللفظية- المصاحبة اللغوية) وإن اشتركت مع مصطلحنا المفضل في جزئها الأول من بنيتها، إلا أنها استهلكت جميعاً في مباحث علم الدلالة وعلم الأسلوب وعلم المصطلح.
4. دخول مصطلح (Colloction) ضمن وسائل (الاتساق المعجمي) الذي يُنجز من خلال ارتباط العناصر المعجمية. فالأحق أن تُضاف إلى لفظة (المصاحبة) لفظة (المعجم) ليتساق مع ما يدخل ضمنه- الاتساق المعجمي- ولذا فإننا سنعمد هذا المصطلح في دراستنا.

❖ Pragmatics

إن أول ما يجب الاحتراز منه عند مواجهة هذا المصطلح، هو عدم الخلط بينه وبين (Pragmatisim) على الرغم من وجود صلة وثيقة بين الاثنين، لأن هذا الأخير وضعه مؤسس السيميولوجيا (شارل ساندريس بيرس) للإشارة إلى المذهب النفعي الذرائعي الغائي في الفلسفة، وهو مذهب رأسمالي واقعي النزعة والاتجاه، برز في القرن العشرين في خضم الثقافة الانجلوسكسونية، منبثقاً من الروح المادية التي سادت ذلك العصر في مواجهة المذاهب المثالية في نزاعها مع الواقعية. ويُعد (وليام جيمس) و(جون ديوي) من أبرز منظري هذا المذهب الذي يركز ويؤكد على أن الفكرة توجد من خلال الواقع والتجربة الإنسانية الحية، وعليه فإن العمل والمنفعة هما مقياس الفكرة ودليل صدقها⁽³¹⁰⁾. وهو لذلك غير ما نحن في صدد الاشتغال عليه، لأن مصطلحنا (Pragmatics) ذو توجه لغوي ظهر على يد (جون أوستن) بإلهام من الفيلسوف اللغوي (فيتجنشتاين)، ويُراد به- من جملة ما يُراد به- العلاقة التي تجمع العلامة اللغوية ومستعملها واستعمالها وآثارها⁽³¹¹⁾. على أن هذا المصطلح لقي حشداً من المقابلات العربية التي لم ترق لترجمة الفيلسوف اللغوي المغاربي (طه عبد الرحمن) الذي وجد له في العربية مقابلاً مناسباً ومقبولاً في الأوساط، ذلكم هو (التداولية) الذي حظي بالإجماع والتداول، إلى درجة

⁽³¹⁰⁾ ينظر: المعجم الفلسفي، د. مصطفى حسيبة، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2009م/11 أو 226 وما بعدهما. كذلك المذاهب الفلسفية المعاصرة، سماح رافع محمد، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة 1973م/49 وما بعدها. كذلك دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، د. ميجان الرويلي ود. سعد البازعي، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2007م/167 وما بعدها.

⁽³¹¹⁾ ينظر: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2004م/574. كذلك المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة محمد- يحياتن، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت 2008م/101. كذلك المصطلحات الأدبية الحديثة، د. محمد عناني، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة 1996/77 وما بعدها.

يمكن معها القول إنه أوقع غيره من المقابلات في دائرة اللبس وعدم التوفيق، إن لم نقل مجانبية الصواب والموضوعية المتوخاة منها⁽³¹²⁾ وذلك مثل (المقاميات)⁽³¹³⁾ و(الفعاليات)⁽³¹⁴⁾ و(البراغماتية)⁽³¹⁵⁾ و(الذرائعية الجديدة)⁽³¹⁶⁾ و(التخاطبية)⁽³¹⁷⁾ و(علم التخاطب)⁽³¹⁸⁾ و(الزرعية)⁽³¹⁹⁾ وغير ذلك، وعليه فإن أكثر المصطلحات أهمية وقبولاً وانتشاراً، والأكثر استيعاباً وتغطية للمصطلح الأجنبي هو -كما سبقت الإشارة- (التداولية)⁽³²⁰⁾.

❖ Speech Act

يعود المختصون بهذا المصطلح إلى (بوهلر 1934) وكان يقصد به الاقتضاء الموافق للكلام⁽³²¹⁾. أما الذي أكسبه المدلول الحالي، الذي سنأتي إليه، ووضع له أصولاً بوصفه نظرية، فإنه العالم اللغوي الانجليزي (أوستن 1962)، ومن بعده تلميذه (سورل)، ويرى العلامة (طه عبد الرحمن) أن نظرية الأفعال اللغوية قد ((وضع أصولها (أوستن) وأقام بناءها (سورل) ووسع مجالها (غرايس) و(فان إيميرل)

⁽³¹²⁾ ينظر: في هذا الشأن استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية/574. كذلك الأسس الاستمولوجية والتداولية للنظر النوي عند سيبيويه ط1، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن 2007م/262 المتن والهامش. كذلك في التداولية إشكالية المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب، د. عيد بليغ، مجلة الأعلام (التداولية ملف العدد)، العدد 5، أيلول-تشرين الأول 2008م/27 وما بعدها. كذلك سورة الأنعام دراسة تداولية لأفعال الكلام والاقتضاء التخاطبي، الباحثة نور وليد عبد صالح، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، كلية التربية 2012م/11 وما بعدها.

⁽³¹³⁾ ينظر: معجم اللسانيات الحديثة (انجليزي-عربي)، د. سامي عياد حنا و د. كريم زكي حسام الدين و د. نجيب جرجيس، مكتبة لبنان ناشرون، د.ت/111. كذلك اتجاهات البحث اللساني، تأليف ميكا إفيش ترجمة إلى الانجليزية د. سعد مصطوح ود. وفاء كامل فايد، ط1، المجلس الأعلى للثقافة دمشق 2000م/352-287.

⁽³¹⁴⁾ ينظر: نظرية الفعل الكلامي بين علم لغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، بحث في علم الفعاليات، د. هشام عبد الله الخليفة ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت 2007م/16.

⁽³¹⁵⁾ ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1985م/48. كذلك علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فاندريك، ترجمة سعيد بحيري/114. والملاحظ أن د. بحيري يفضل هذا المقابل على غيره في جميع ترجماته، على أنه يستبدل بالجم الغين.

⁽³¹⁶⁾ ينظر: دليل الناقد الأدبي/167.

⁽³¹⁷⁾ ينظر: وصف اللغة العربية دلاليًا/16.

⁽³¹⁸⁾ مدخل إلى اللسانيات، محمد يونس/102.

⁽³¹⁹⁾ ينظر: الربط الزرعي في النص العربي، د. فالح شبيب العجمي، مجلة أبحاث يرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد 12، عدد (1) 1994/255.

⁽³²⁰⁾ ينظر: الأسس الاستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبيويه/262. كذلك في التداولية إشكالية المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب/27 وما بعدها. كذلك سورة الأنعام دراسة تداولية لأفعال الكلام/12-13.

⁽³²¹⁾ ينظر: التداولية النشأة والمفهوم، مؤيد عبيد، مجلة الأعلام (التداولية ملف العدد) العدد (5)، أيلول-تشرين الأول 2008م/41.

و(خروتندورست) ومبنى هذه النظرية إجمالاً على أن الجمل اللغوية لا تتقل مضامين مجردة وإنما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات المتنوعة...⁽³²²⁾. إن أكثر المقابلات شيوعاً وتداولاً لهذا المصطلح هو (فعل الكلام) فالجزء الأول من هذا المركب (Act) وإن شئت (Acts) يُترجم بـ(فعل) أو (أفعال) والمقصود بهما ((كل ما يقوله المرء قصد إنجاز عمل ما))⁽³²³⁾ عند التواصل، ولهذا قيل: ((عندما نتواصل نغير))⁽³²⁴⁾ فالمقصود ليس الأفعال (Verbs) ((لأن الأخيرة هي عبارة عن الأفعال النحوية، فضلاً عن أن (الأفعال Acts) تضم الأقوال الخبرية والإنشائية))⁽³²⁵⁾ أي الوصفية والإنجازية، بتعبير (أوستن)⁽³²⁶⁾. أما الجزء الثاني من بنية المصطلح، فالأصح أن يقابل بمصطلح (الكلام) نظراً لما يمتاز به الكلام من خصوصية، إذا ما قورن بمصطلح (اللغة) التي هي أكثر عمومية، إذ ((لها وجود لدى كل الأفراد، أما الكلام فيكون منسوباً إلى متكلم معين يعبر فيه عن مقاصده فهو بذلك أكثر خصوصية من اللغة، وأشد انسجاماً مع مفهوم التداولية التي تُعنى بالمتلقي، الطرف الآخر للعملية التخاطبية...

فمن البديهي أن تكون الترجمة الأصح هي أفعال الكلام بدلاً من أفعال اللغة))⁽³²⁷⁾. لولا أن هذا الأخير يزاحم الأول عند بعض المختصين، على نحو ما نجد عند الدكتور (سعيد علوش)⁽³²⁸⁾ والدكتور (محمد يحياتن)⁽³²⁹⁾.

على أن هذه المزاحمة تشتت حين يطرأ التغيير لا على الجزء الثاني من بنية المصطلح فحسب، وإنما يطل التغيير جزءه، على نحو ما نجد عند (صابر الحباشة)⁽³³⁰⁾ و(شكري المبخوت)⁽³³¹⁾، فالأول

(322) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2006م /260.

(323) سورة الأنعام دراسة تداولية/22.

(324) هذه العبارة عنوان رئيس لكتاب د. عبد السلام عشير وتامم العنوان (عندما نتواصل نغير - مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والججاج)، ط1، دار أفريقيا الشرق، المغرب 2006م.

(325) الأنعام دراسة تداولية/22.

(326) التداولية النشأة والمفهوم، د. مؤيد عبيد، مجلة الأقلام (التداولية ملف العدد)، العدد (5)، ايلول-تشرين الأول 2008م/42.

(327) سورة الأنعام دراسة تداولية/22.

(328) ينظر: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرياض د.ت/60.

(329) ينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب/7.

يفضل (الأعمال القولية) والثاني يفضل (الأعمال اللغوية) وكأنك بهما ينظران إلى ما يُنتج عن الكلام أو الأقوال من عمل. ومن هنا فإن هذين المقابلين يكونان قد وُفقا في جزئيهما الأول بخلاف الجزء الثاني الذي سبقت الإشارة إلى وجه التقصير فيه. هذا، ويرى (بول ريكور) أن أفضل مقابل لـ (Speech Act) هو (فعل الخطاب)⁽³³²⁾ وهو مقابل ينسجم تمام الانسجام مع موضوع دراستنا، لكونها تشتغل على نص/خطاب. ولكن وبما أن لشيوع المصطلح دوره في المجال العلمي، حتى في حال وجود مصطلح آخر أكثر دقة، ((فلا يمكن أن تتبنى غير المصطلح الأكثر شيوعاً))⁽³³³⁾. وبذا، فقد تبنت الدراسة (الأفعال الكلامية).

⁽³³⁰⁾ ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة د. صابر الحباشة، ط1، دار الحوار، اللاذقية، سوريا 2007م/53. كذلك في المعنى مباحث دلالية معرفية، صابر الحباشة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 2008م/113.

⁽³³¹⁾ ينظر: دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات، د.شكري المبخوت، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2010م.

⁽³³²⁾ ينظر: القراءة في الخطاب الأصول الاستراتيجية والإجراء/268 الهامش.

⁽³³³⁾ سورة الأنعام دراسة تداولية/12-13.

الفصل الثالث

(الاتساق)

المبحث الأول (الاتساق نظرياً)

أولاً - الاتساق النحوي

1. الإحالة 2. الحذف 3. الاستبدال 4. التحديد 5. الربط

ثانياً - الاتساق المعجمي

1. التكرار 2. المصاحبة المعجمية

ثالثاً - الاتساق الصوتي

1. الوزن والقافية 2. السجع والازدواج 3. الجناس

المبحث الثاني (الاتساق في طوق الحمامة)

أولاً - الاتساق النحوي

1. الإحالة 2. الحذف 3. الاستبدال 4. التحديد 5. الربط

ثانياً - الاتساق المعجمي

1. التكرار 2. المصاحبة المعجمية

ثالثاً - الاتساق الصوتي

1. الوزن والقافية 2. السجع والازدواج 3. الجناس

المبحث الأول

(الاتساق نظرياً)

أولاً – الاتساق النحوي

1. الإحالة

2. الحذف

3. الاستبدال

4. التحديد

5. الربط

ثانياً – الاتساق المعجمي

1. التكرار

2. المصاحبة المعجمية

ثالثاً – الاتساق الصوتي

1. الوزن والقافية

2. السجع والازدواج

3. الجناس

الاتساق: مفهوم

تبرز الخاصية البنوية للنص، من حيث صياغة قواعد نحوية تركيبية تكون سبباً لترابطه وتماسكه. وتفهّم هذه القواعد على أنها معايير الاتساق، ومن هنا فقد ((نال مصطلح الاتساق اهتماماً من علماء النص بتوضيح مفهومه وأدواته ووسائله وإبراز عوامله وشروطه))⁽³³⁴⁾؛ نظراً لأهميته ومكانته ضمن معايير النصية التي يقفُ الاتساق في صدارتها، فقد جعله (دي بوجراند) وزميلة أول معيار للنصية، ما يعني أنه أول شرط من الشروط التي يميّز من خلاله النص من اللانص.

يبرز الدور المحوري لهذا المعيار عبر الصياغة اللغوية السليمة للنص؛ لكون هذا الأخير متكوّنًا من وحدات متتالية هي قوام ترابطه على صعيد البنية السطحية، غير أنه علينا ألا نفهم من ذلك انحسار مجاله بالمعطيات اللسانية فحسب، وعدم دخول معطيات غير لسانية في تحديده وإبرازه، إذ يوجد عدد كبير من ((مظاهر البنية النصية ليس لها ما يقابلها في الصيغ اللغوية فتعتبر تلك الظواهر بناءً تأويلياً لأبنية لغوية))⁽³³⁵⁾، وبناءً عليه فإننا لسنا مع (Carter) في قوله: ((يبدو لنا الاتساق ناتجاً عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النصية، أما المعطيات غير اللسانية (مقامية - وتداولية) فلا تدخل إطلاقاً في تحديده))⁽³³⁶⁾.

ذلك أن التماسك الشديد الحاصل بين الأجزاء والأوصال المكوّنة للنص أو الخطاب، كبناء العبارات والجمل والفقر والمقاطع، لا يتمّ بالوسائل اللغوية الشكلية فقط، وإنما تشكّل المعطيات غير اللسانية، كالسياق والمقام، محفّزاً من محفّزات هذا التماسك وتعمل بالاشتراك مع الوسائل النحوية على تحقيق السبك النصي الداخلي.

ونظراً لهذه الفاعلية القوية للاتساق في حياة العمل الأدبي وغير الأدبي خاصية النصية من خلاله؛ فإنّه عند بعض الباحثين أصبح أمراً كافياً للتعرف على ما هو نص وما هو ليس كذلك، فقد اهتمّ (هاليداي وحسن) كما يفصح عن ذلك عنوان كتابهما، بالاتساق من أنه الكيفية التي يتماسك بها النص، فهما حين يبحثان عن وسائل الاتساق يبحثان في الوقت ذاته ما يميّز النص ممّا ليس نصاً⁽³³⁷⁾.

وجملة القول أن هذا المصطلح يحيل ((إلى العلاقات أو الأدوات التي تسهم في الربط بين الأجزاء الداخلة للنص، من ناحية وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى))⁽³³⁸⁾.

أما أهم الوسائل أو الأدوات الاتساقية فإنّها تتجه نحو ثلاثة مسارات، وهي :

1. الاتساق النحوي، وتدخل ضمنه (الإحالة والاستبدال والحذف والربط والتحديد).

(334) معجم لسانيات النص، بوقرة / 81.

(335) أصول تحليل الخطاب، الشاوش / 109.

(336) معجم لسانيات النص، بوقرة / 81.

(337) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي / 12.

(338) لسانيات النص، ليندة قياس / 28.

2. الاتساق المعجمي، ويضمّ التكرار والمصاحبات المعجمية.
3. الاتساق الصوتي، الذي ستكتفي الدراسة بثلاث وسائل من وسائله، وهي: الوزن والقافية، والسجع والازدواج، والجناس.

وهنا سنأتي إلى عرض مفاهيم هذه الأدوات قبل الشروع بإجرائها على نص الطوق في المبحث التطبيقي.

أولاً - الاتساق النحوي

وهو المظهر الأول من مظاهر اتساق النص وترابطه ويتشكل عبر مجموع الإمكانات النحوية المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة بعضها ببعض من خلال جملة علاقات في المتتالية الخطية، كالإحالة والاستبدال والحذف والربط والتحديد⁽³³⁹⁾، والتي سنأتي هنا لذكر كلّ منها على حدة :

أ. الإحالة

يراد بالإحالة أنّ قسماً من الألفاظ لا تمتلك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النصّ وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر⁽³⁴⁰⁾، وعليه فإنّ ((العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها))⁽³⁴¹⁾

إنّ هذه الخاصية التأويلية للإحالة جعلت منها أهمّ وسائل الاتساق في تداعي أجزاء النص بعضها إلى بعض بغية الاكتمال والانغلاق البنوي، إذ تعدّ الروابط الإحالية من أهم الوسائل الاتساقية وأنشطها لتشكيل ترابط النص وتماسكه.

❖ مكونات الإحالة

هذا وللإحالة مكونان بغيرهما لا تحقّق العناصر الإحالية فاعليتها على الترابط، بل لابدّ من وجودهما ولو كان ذلك تقديرًا، وهما:

- أ. العنصر الإحالي، وهو اللفظ المحيل إلى غيره ويتعدّر فهمه وتفسيره إلّا به، فهو ((كل مكون يحتاج فهمه إلى مكون آخر يفتره))⁽³⁴²⁾.

(339) ينظر: أصول تحليل الخطاب، الشاوش / 1 / 124.

(340) ينظر: نسيج النص، الزناد / 118. كذلك تحليل الخطاب، يول وبراون / 36.

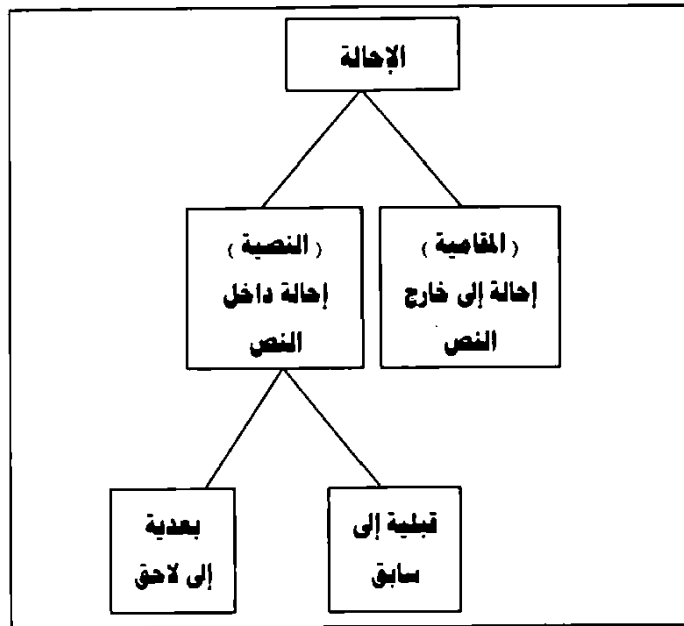
(341) لسانيات النص، محمد خطابي / 16 - 17.

(342) رسائل الأحزان، دراسة في نحو النص / 65.

ب. العنصر الإشاري، ويتمثل باللفظ المحال إليه، فهو ((مرجعُ العنصر الإحالي)) (343) وبه يتم تفسير العنصر الإحالي وقد يكون هذا العنصر لغوياً، وقد يكون غير لغوي، فالعنصر الإحالي اللغوي هو الذي يرد في النص صريحاً، أما العنصر الإشاري غير اللغوي، فهو العنصر المفتر للعنصر الإحالي الموجود خارج النص (344).

❖ أقسام الإحالة

وتنقسم الإحالة على نوعين، وهما: إحالة نصية (داخلية) وإحالة مقامية (خارجية) وتنقسم الأولى منهما على قسمين، وهما إحالة قبلية، وإحالة بعدية، كما هو موضح بهذه الترسيم التي وضعها هاليداي وحسن (345):



وتفصيل ذلك بما يأتي :

أ. الإحالة النصية، وتسمى إحالة داخل اللغة (Endaphara) وتتحقق هذه الإحالة بالعناصر اللغوية الواردة في النص، سواء كانت سابقة أم كانت لاحقة (346)، وهي تنقسم قسمين :

❖ إحالة قبلية (Anaphora) وتتضح بوقوع العنصر الإشاري قبل العنصر الإحالي من خلال ((استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة سابقة في النص أو المحادثة، وفيها يجري تعويض لفظ

(343) م. ن / 65.

(344) ينظر: م. ن / 65 - 66.

(345) ينظر: لسانيات النص، محمد الخطابي / 17، وينظر: نحو النص، غيفي / 118.

(346) ينظر: لسانيات النص، محمد الخطابي / 17، وينظر: نحو النص، غيفي / 117، علم اللغة النصي، الفقي، 1 / 40.

المفتر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمرة⁽³⁴⁷⁾. وهذا الضرب الإحالي هو من ((أكثر الأنواع دوراً في الكلام))⁽³⁴⁸⁾.

❖ إحالة بعيدة، وذلك بوقوع العنصر الإشاري بعد العنصر الإحالي، كما هو الحال في ضمير الشأن.
ب. الإحالة المقامية، ويسمى إحالة خارج اللغة (Exophara)⁽³⁴⁹⁾، ((وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كان يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم))⁽³⁵⁰⁾.

❖ المدى الإحالي

ولكل من هذه الإحالات مسافة فاصلة، تفصل بين العنصر الإحالي والعنصر الإشاري تسمى بالمدى الإحالي، وهو على قسمين⁽³⁵¹⁾:
أ. إحالة ذات مدى قريب، وتأتي في سياق جملة واحدة، ولا تتعدى غيرها، إذ لا توجد فواصل تركيبية جمالية بين العنصر الإحالي والعنصر الإشاري.
ب. إحالة ذات مدى بعيد، ويكون مجالها الجمل المتصلة المتباعدة في فضاء النص حيث تكون المسافة الفاصلة بين العنصرين: (الإحالي والإشاري) بعيدة تتجاوز الجملة الواحدة إلى فضاء أوسع.

❖ أدوات الإحالة

يختلف الباحثون في كثير من أدوات الإحالة وذلك ((بحسب اللغات التي يدرسونها، فمنها ما ينسجم مع طبيعة اللغة العربية ومنها ما لا ينسجم))⁽³⁵²⁾.
وعلى أي فإن الوسائل المعتمدة في هذا البحث هي: الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة. على حين تعتمد أغلب البحوث مع هذه العناصر عنصراً آخر وهو (الوسائل المقارنة) التي تنقسم أدواتها على⁽³⁵³⁾:

(347) الاتساق في العربية، رسالة ماجستير تقدم بها الباحث حازم رشك حسوني إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد،

2003 م / 35.

(348) نحو النص، عفيفي / 117.

(349) م. ن / 117.

(350) نسيج النص / 119.

(351) ينظر: م. ن/123-124، وينظر: نحو النص، عفيفي/120، وينظر: رسائل الأحزان... دراسة في نحو النص/ 67،

وينظر: لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، د. نعمان بوقرة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

2012 م / 46.

(352) الاتساق في العربية، حازم رشك / 36.

1. أدوات عامة ويتفرع منها:

- أ. التطابق، ويتم باستعمال عناصر، مثل (=Same)، نحو، بالمثل.
- ب. التشابه، وفيه تستعمل عناصر، مثل (=Similar) متشابه، يشبه.
- ج. الاختلاف، وفيه تستعمل عناصر، مثل مع أن، على الرغم، مع هذا.
- د. الإضافة باستعمال عناصر، مثل: كذلك بالإضافة إلى، فضلاً عن.
- هـ. السببية، باستعمال عناصر مثل: إذاً، هكذا.

2. أدوات خاصة ويتفرع منها

- أ. أدوات للكمية وتستخدم عناصر، مثل: كثير، قليل.
- ب. أدوات للجودة وتستخدم عناصر مثل، أجمل من، جميل مثل، أفضل.

فهذه الأدوات كما يرى، محمد خطابي- ويرى غيره كذلك- ((لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية، وبناءً عليه فهي تقوم مثل الأنواع المتقدمة لا محالة بوظيفة اتساقية تماسكية)) (354).

والذي أراه أن هذا الدور الاتساق والتماسكي الذي تقوم به هذه الأدوات لم يأت على سبيل مشابهتها أدوات الإحالة بقدر مشابهتها بل مطابقتها أدوات الربط الإضافية والسببية والتفريعية وغيرها، كما سيتضح ذلك في المبحث التطبيقي على وسائل الربط، ومن هنا فإننا لم نعتمدها في هذه الفقرة وإنما قمنا بتوظيف قسم منها هناك حيث تقوم هذه الأدوات بوظيفة ربط أجزاء النص، شأنها في ذلك شأن أدوات العطف.

أما أهم الأدوات النمطية للإحالة فهي:

1. الضمائر

لابد أن نشير بدءاً، إلى أن المقصود بالضمائر، هنا، غير ما يراد بها عند ثلثة من الباحثين الناحين نحو الغربيين الذين يقصدون بالضمير (المعوضات) التي تضمّ الضمائر الشخصية والاشارة والموصولة وغيرها معاً⁽³⁵⁵⁾ ولا يقلصون هذا المصطلح ليدلّ على ما هو شائع في العربية التي تعبّر عنه مصادرها القديمة بالكناية أو المكني⁽³⁵⁶⁾ وتعرفه بأنه ((اسم جامد يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب))⁽³⁵⁷⁾.

(353) ينظر: لسانيات النص، خطابي / 19، وينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، نادية رمضان / 18، وينظر:

رسائل الأحزان، دراسة في نحو النص / 73 - 74.

(354) لسانيات النص، خطابي / 19.

(355) ينظر: الاتساق في العربية / 37، وينظر: علم اللغة النصي الفقي / 138.

(356) ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي، ط 1، دار السلاطين، الأردن، 2010 م / 39.

يدخل الضمير ضمن المبهمات ويقف في صدارتها، ما يعني أنه لا يخلو من الغموض والإبهام، لذا فهو يحتاج إلى مرجع يفتره ويزيل إبهامه وغموضه، كما ويمثل الضمير ومرجعه، في باب الإحالة، العنصر الإحالي والعنصر الاشاري على الترتيب، أما الغرض من وقوعه في الكلام فهو الاختصار وأمن اللبس، فوجود الضمير يشير إلى أن ثمة تعالفاً بين الجملتين، وهو بالتحديد تعلق الجملة المحتوية على الضمير بصاحب الضمير الواقع في الجملة الأخرى⁽³⁵⁸⁾، وهذا هو سرّ اهتمام اللغويين والنصيين بالضمائر لما لها من دور فعال في الترابط النصي على صعيدي الشكل والدلالة في آن واحد.

هذا وتدور في فلك الضمير مجموعة مسائل تنتهي جميعها إلى أهميته وفاعليته باعتباره وسيلة من وسائل الاتساق في مباحث النحو والبلاغة ونحو النص ومن هذه الأمور:

❖ أقسام الضمير

وهذه القسمة لا تخرج عما تناوله الأقدمون - نحاة، ولغويين - إلا أن تركيز علماء النصية في قسمة الضمير، جاء على دوره الاتساق لا في الجملة فحسب، بل في النص كذلك، وإلا فكل تلك المباحث تقسم الضمير بحسب الحضور والغياب هي: ((أي بحسب مشاركة الأشخاص المشار إليهم في عملية التلغظ أو عدم مشاركتهم فيها))⁽³⁵⁹⁾ فضمائر الحضور المعنية بالمتكلم هي (أنا، نحن ... الخ) وضمائر المخاطب هي (أنت، أنت ... الخ) وضمائر الغياب هي: (هو، هي ... الخ) إلا أن النصيين ينظرون إلى الضمائر من زاوية اتساقية مكنتهم من أن يميزوا بين ما يندرج منها ضمن ما يسمونه (أدوار الكلام) وما يندرج منها ضمن (أدوار أخرى)، أما الأول فيندرج تحت جميع الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب التي تحيل بشكل نمطي لخارج النص، وأما الثاني، فيندرج تحت ضمائر الغيبة التي تحيل، بعكس ضمائر الغياب، إحالة داخلية قبلية بشكل نمطي، فأروا أن ما يندرج ضمن (أدوار الكلام) لا يؤدي دوراً في اتساق النص إلا في الكلام المستشهد به أو في خطابات مكتوبة متنوعة من بينها الخطاب السردى، الذي يتضمن سياقاً للإحالة، إذ إن النص السردى ناهض على التخيل، فينبغي أن يبنى انطلاقاً من النص نفسه، وهذا بخلاف الدور الذي تقوم به الضمائر المدرجة في قائمة (أدوار الكلام) أي ضمائر الغيبة، التي تؤدي دوراً مهماً في اتساق النص وبشكل نمطي، فهي على العكس من الأولى تحيل قبلية وتقوم بربط أجزاء النص وتصل بين أقسامه⁽³⁶⁰⁾.

❖ مرجع الضمير

(357) النحو الوافي، عباس حسن / 184.

(358) ينظر: رسائل الأحزان .. دراسة في نحو النص / 67.

(359) نسيج النص / 117.

(360) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي / 18.

الأصل في الضمير أن يتقدم عليه مرجعه لفظاً ورتبة، أما تأخير مفسره، فلا يخلو أن يكون لفظاً دون رتبة أو لفظاً ورتبة، فالأول - كما يذهب ابن مالك - شائع في كلام العرب، أما الثاني فقد نُظِرَ إليه نظرة شذوذ (361):

- الرجز -

وشاغ نحو خاف ربه عمر
وشد نحو زان نوره الشجر
من هنا أنكر بعض المحللين وجود الإحالة البعدية بالضمير، لكونها ((خارجة عن سنن الكلام، فالمتكلم العاقل لا يستعمل في كلامه المبهم، لأنه بذلك يناقض الغرض من الكلام مطلقاً ويخرج عن سنن الخطاب)) (362).

- وهو رأي - فيما نرى - غاية في الوهن، لا يرقى لأن يكون دقيقاً، فالذي يردّه ما أشار إليه النحاة من أن مرجع الضمير يتأخر لفظاً دون رتبة في مواضع حصرها ابن هشام في سبعة، وهي (363) :
1. إذا كان مرفوعاً ب (نعم) و (بئس) وما صيغ على (فعل) ولا يفسر إلا بالتمييز نحو ((نعم رجلاً زيداً)) و ((ظرف رجلاً زيداً)) فالضمير هنا مقدم على مفسر لفظاً ورتبة.
 2. إذا وقع فاعلاً لأول المتنازعين، نحو ((يموت ولا يستكين الشجاع)).
 3. إذا وقع مبتدأ ومفسره خبره نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [سورة الأنعام: الآية 29]، إذ الخبر يدل على أن الضمير وضع موضع (الحياة).
 4. ضمير الشأن أو القصة أو المجهول - حسب الكوفيين - نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: الآية 1].
 5. إذا جرّ برّب ومفسره التمييز، وحكمه، عندئذ، حكم فاعل (نعم) و (بئس) و (فعل) في الموضع الأول وذلك نحو: ((ربه امرأة)) ويلحظ هنا أن هذا الضمير يلزم التذكير وينتهك المطابقة للتمييز، بخلاف الكوفيين.
 6. إذا أبدل منه الظاهر المفسر له، نحو ((ضريته زيداً)).
 7. إذا اتصل بفاعل مقدّم، ومفسره مفعول مؤخر، وهذا ما أشار إليه ابن مالك بقوله: ((زان نوره الشجر)).
- على أن الضمير المؤخر عنه مفسره لا يؤدي دوراً اتساقياً كبيراً كالذي يؤديه الضمير بطبيعته النمطية حين يتقدم مفسره عليه.

❖ تعدد مرجع الضمير

يعتمد القطع بأحادية مرجع الضمير - إذا تعدد مرجعه - على الدليل المقامي والمقال الذي يرشدنا إلى القطع بالعنصر الاشاري أو - في أقل تقدير - التقليل من الاحتمالية الحاصلة إثر ذلك، فالأصل في

(361) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل،

تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2004 م، 2 / 86.

(362) أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، 1 / 1217.

(363) ينظر: مغني اللبيب، 2 / 188 - 194.

مرجع الضمير - وبالتحديد ضمير الغائب - أن يكون واحداً، فإن تعدّد في النص أكثر من مرجع صالح لأن يفسّر الضمير، واقتضى المقام الاختصار على واحد، تعيّن أن يكون المرجع الواحد هو الأقرب في الكلام من الضمير، تقول: ((حضر محمدٌ وضيف، فأكرمته))، فمرجع الضمير هنا هو (الضيف) لأنه الأقرب إلى الضمير.

أما إن دلّ دليل على أن المرجع ليس هو الأقرب، فإنه يتعيّن الأبعد، نحو ((حضرت سعادٌ وضيف فأكرمته)) فمرجع (الهاء) هنا (سعاد) وليس (الضيف) لوجود دليل مقالي وهو المطابقة. أما إن كان الأقرب مضافاً إليه، فيعود الضمير على المضاف، نحو ((زارني والد الصديق فأكرمته)) ف (الهاء) عائدة على (والد).

أما إن وجد دليل يدلّ على أن المقصود بالضمير هو المضاف لا المضاف إليه، فإن الأخذ بالدليل هو المتعيّن، نحو: ((عرفت مضمون الرسالة ثم طويتها)) فمرجع (الهاء) هنا هو (الرسالة) لاحتية المطابقة التي هي قرينة مقالية، ونحو ((قرأت عنوان الكتاب ثم طويته)) فمرجع الضمير هو (الكتاب) لحقيقة أن الذي يطوى هو الكتاب' لا العنوان فالقرينة هنا مقامية (364).

إلا أنّ ثمة مواطن تتسيّد فيها الاحتمالية لشدة تماهي الضمير ومراجعته المتعددة وعندئذ لا يمكن التوصل إلى القطع بأحدها، وهذه الاحتمالية المتسيّدة في النص يأخذ عند (صبحي الفقي) مظهراً من مظاهر التماسك الدلالي في النص الذي يعتمد بشكل كبير على توجّه القارئ الذي يعيد صياغته صياغة جديدة بما ينسجم ومقصدية الناص (365).

ومن أمثلة ذلك ما جاء في الإتيان للسيوطي عن قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَنْكُروْنَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾ [سورة فاطر: الآية 10]، إذ يحتمل الضمير في قوله (يرفعه) أن يعود إلى ما عاد عليه الضمير في (إليه) وهو الله تعالى، ويحتمل عوده إلى العمل الصالح، بمعنى أن العمل الصالح هو الذي يرفعه الكلم الطيب، ويحتمل عوده، كذلك، إلى الكلم من جهة أن الكلم الطيب، وهو هنا التوحيد، يرفع العمل الصالح لأنه لا يصحّ العمل إلا مع الإيمان (366).

(364) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، 1 / 220 - 221.

(365) ينظر: علم اللغة النصي، الفقي / 151.

(366) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي (911 هـ)، تحقيق عبد الرحمن فهمي الزواوي، ط1، دار

الغد الجديد، القاهرة، 2006 م، 2 / 141.

فيرى الفقي - تعليقاً على هذه الآية وتأكيذاً لتوجيه السيوطي - أن المعاني المحتملة هنا ما هي إلا مراد الآية التي لا يمكن تأدية كل معانيها إلا بجمع عدة، لولا أن الله تعالى أجملها في جملتين وذلك بإحلال الضمائر محل هذه المعاني⁽³⁶⁷⁾.

وهنا يظهر الدور الدلالي الذي يقوم به الضمير من خلال سمتة الاختزالية، بإيداع معانٍ جليلة في مبانٍ مختصرة.

2. أسماء الإشارة

وهي، كذلك، أسماءٌ مبهمة لا تتضح معانيها إلا بالإحالة على ما قبلها، أو ما بعدها، فهي مثل الضمير ((لا تفهم إلا إذا ارتبطت بما تشير إليه))⁽³⁶⁸⁾، وقد أدرجها صاحب الكتاب مع الضمائر تحت المبهمات، قال: ((والأسماء المبهمة هذا وهذان وهذه وهاتان وهؤلاء وذلك وتلك وتلك وتلك وأولئك وهـ وهي وهما وهم وهنّ وما أشبه هذه الأسماء))⁽³⁶⁹⁾، وهذا يعني أن الأقدمين قد تنبّهوا إلى هذا التقارب الدلالي بين الاثنين، فمثلاً يشير الزركشي إلى أناسم الإشارة ((قد يسدّ مسدّ الضمير))⁽³⁷⁰⁾ من جهة أنه يقوم بالوظيفة نفسها التي هي الإشارة والمرجعية والربط بين أجزاء الكلام عبر الإحالة إلى السابق أو اللاحق أو إلى خارج النص، هذا وتدور في فلك اسم الإشارة جملة مسائل لضبط كنهه ووظيفته، منها:

❁ أقسام الإشارة

يتفق الناصيون مع النحاة في تقسيماتهم أسماء الإشارة، في الاعتبارات التي يسوقونها، إلا أن الناصيين يدخلون ضمنها القرائن الزمنية والمكانية، إذ الإشارة عندهم ((مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان حيث ينجز الملفوظ الذي يرتبط به معناه))⁽³⁷¹⁾ وبذلك يمكن تقسيم الإشارة باعتبار الظرفية والمسافة والعدد والنوع على ما يأتي :

(367) ينظر: علم اللغة النصي، الفقي / 151 - 152.

(368) نسيج النص، الزناد / 119.

(369) الكتاب، 2 / 77.

(370) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (794 هـ)، طبعة كاملة في مجلد واحد، قدم له وعلق عليه وخرج

أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007 م / 732.

(371) نسيج النص، الزناد / 116.

الاعتبارات		العنصر الإحالي
الظرفية الزمنية		الآن، غداً، أمس
الظرفية المكانية		هنا، هناك، أمام، خلف
المسافة	البعد	أولئك
	القرب	هؤلاء
العدد	مفرد	هذا - هذه
	مثنى	هذان - هاتان
	جمع	هؤلاء - أولئك
النوع	مذكر	ذا
	مؤنث	ذه

ويلحظ في هذه الأسماء أن هناك تسامحاً في تعاورها إذ يمكن التبادل بين أسماء الإشارة دون أن يؤثر ذلك على المعنى⁽³⁷²⁾ ويبقى، عندئذ الأمر رهيناً بما تتضمنه هذه الأسماء من معانٍ وأغراض تتحقق والسياق الذي وضعت فيه والمقام الذي اقتضاها.

✽ طبيعة الإحالة باسم الإشارة

يحيل اسم الإشارة إحالتين، إحالة قبلية، وإحالة بعدية، ويلحظ أنه إذا أحال إحالة بعدية، كان مداه الإحالي قريباً لا يتجاوز جملته، نحو: ((هذا محمد)). وأنه إذا أحال إحالة قبلية كان مداه الإحالي إما قريباً كقولك: ((اشتريت كتابي هذا))، وإما بعيداً كقولك لصديق: ((ألم أقل لك ذلك)) تشير بذلك إلى قول سابق حدثته به، وهذا ما يسميه هاليداي وحسن بـ ((الإحالة الموسعة))⁽³⁷³⁾ التي يدرجها أغلب الباحثين ضمن الاستبدال المسمى بالجملي أو العباري وسنأتي على ذلك في موضوع الاستبدال. ويلحظ أيضاً أن اسم الإشارة يؤدي الإحالتين (القبلية والبعدية) معاً في آن واحد فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: الآية 85].

فلفظ (ذلك) في الآية الكريمة يحيل إحالة قبلية، فهو إشارة إلى مجموع ما ذكر قبله، كما يحيل أيضاً إحالة بعدية على خبره وهو لفظ (خير)، وإلى هذا أشار الدكتور (عمر أبو خرمة) إلى أن الإحالة في هذا الموطن يجتمع فيها أمران، الأول الاقتصاد، والثاني التوسعة⁽³⁷⁴⁾.

⁽³⁷²⁾ ينظر، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د. ت/137-138.

⁽³⁷³⁾ لسانيات النص، محمد خطابي / 19.

⁽³⁷⁴⁾ ينظر: نحو النص، نقد النظرية .. / 174.

❁ أغراض أسماء الإشارة

أما من أهم الأغراض التي تحتويها هذه الأسماء، فإنها كثيرة يمكن إجمالها بالآتي ⁽³⁷⁵⁾ :

1. التمييز والتخصيص، ومنه التباعد والتفرد والتفريق والعزل.

2. تنزيل غير المشاهد منزلة المشاهد.

3. بيان حال المشار إليه قرأً أو بعداً.

4. التعريض بغاوة المخاطب.

5. التعظيم.

6. التنبيه.

7. التفسير.

8. التعليل.

9. التتميم.

10. المحايدة.

11. التعجب.

12. التفضيل.

13. الربط وهذا هو محط النظر.

3. الأسماء الموصولة

((ينقسم الموصول إلى: اسمي، وحرفي))⁽³⁷⁶⁾ والمراد هنا هو الأول منهما، دون أن نعني أن الموصول الحرفي لا فاعلية له على الاتساق، بل العكس. لأن الموصولات ((كلها حرفية كانت أو اسمية يلزم أن تقع بعدها صلة تبيين معناها))⁽³⁷⁷⁾ فلو كان الموصول الاسمي داخلاً ضمن مبحث الإحالة، فإن الموصول الحرفي داخل في مبحث الربط ويقوم بوظيفة لا تقل أهمية عما يؤديه الأول في هذا المبحث.

على أيّ، فإن الموصول الاسمي اسمٌ مبهم يحتاج إلى ما يزيل إبهامه، وهو بهذا لا يختلف عن الضمير واسم الإشارة، على صعيدي الشكل والدلالة في الربط بين أجزاء النص، عبر حاجته إلى صلة تتأخر عنه تكون إما جملة فعلية أو اسمية أو شبه جملة، تسمى (صلة الموصول) الملزم فيها اشتمالها على ضمير لائق بالموصول⁽³⁷⁸⁾ فهذا الضمير يطابق الاسم الموصول الخاص في الأفراد والتثنية

⁽³⁷⁵⁾ سورة الأعراف (دراسة نصية)، حسين عبد الله موساي / 205.

⁽³⁷⁶⁾ شرح ابن عقيل / 126.

⁽³⁷⁷⁾ م. ن / 139.

⁽³⁷⁸⁾ ينظر: شرح ابن عقيل، 1/ 139 - 140.

والجمع والتذكير والتأنيث، بخلاف الاسم الموصول العام (المشترك) الذي يجوز في ما يعود إليه أن يراعى فيه اللفظ أو المعنى (379).

فصلة الموصول هي التي تعمل التماسك بفضل ملازمتها الموصول واشتمالها على هذا الضمير اللائق بما يعود عليه.

❖ أقسام الاسم الموصول

الاسم الموصول قسمان: خاص، وعام (مشترك) أما الخاص فله صيغ للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع منها: (الذي، التي، اللذان، الذين ...) وأما العام فإنه يبقى بلفظ واحد في جميع الأحوال، وهي: (من، ما، أي، ذا، ذو) (380).

ب. الحذف ((Ellipsis))

يراد بالحذف على كثرة تعريفاته: ((إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل)) (381) أو هو ((الاكتفاء بالمبنى العدمي (Substitution) فالبيانات السطحية في النصوص غير مكتملة غالباً بعكس ما قد يبدو في تقدير الناظر)) (382).

والحذف لا يحصل من دون أن تكون البنية السطحية قادرة على أداء المعنى. ولعل ما يلجئ الكاتب إليه هو ((أن المحذوف في الكلام لو بقي، فإنه يشكل خللاً على مستوى النص، يتمثل في حشو وزيادات لا طائل من ورائها، خاصة إذا وجد في النص أو في محيطه من القرائن الحالية والمقالية ما يغني عنها)) (383) ثم إن تغييب عنصر لغوي في النص يحدث فجوة يريدها ذهن المخاطب حين يراجع ما سبق العنصر المغيّب من العناصر الملفوظة، فهذه المرجعية السابقة هي التي تجعل النص متسقاً. أما أنماط الحذف، فإنها كثيرة يتطلب الإيغال فيها ((جهداً كبيراً لربط نموذج العالم التقديري للنص بعضه ببعض في الوقت الذي يقتطع من البنية السطحية بشدة وجود الحذف بدرجات مختلفة يتلاءم كل منها مع النص والموقف)) (384).

ولذا فإن هذه الدراسة ستكتفي بالأنماط الأقرب إلى طبيعة النص المدروس وهذه الأنماط هي :

1. الحذف الاسمي (Nominal Ellipsis) ويقصد به حذف اسم داخل المركب الاسمي، مثل: أي قميص ستشتري؟ هذا هو الأفضل، أي هذا القميص (385).

(379) ينظر: من، 1 / 139 - 140.

(380) ينظر: موسوعة الدحاح في علم العربية، معجم قواعد اللغة العربية في جداول ولوحات، العقيد أنطوان الدحاح، ط9.

مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، 1997 م / 99.

(381) البرهان للزركشي / 543.

(382) النص والخطاب والإجراء / 34.

(383) مدخل إلى علم النص، الصبيحي / 93.

(384) نحو النص، عفيفي / 127.

2. الحذف الفعلي (Verbal Ellipsis) أي أن المحذوف يكون عنصراً فعلياً كقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَرَّ النَّسْرَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة العنكبوت: الآية 61] فقد حذف الفعل (خلق) لوجود ما يدل عليه قبله (386).

3. الحذف الحرفي، إذ لا يقف الاتساق النصي عند الحذف عند مستوى الأسماء والأفعال، بل يظهر في الحروف وفيه يواجه المتلقي ألفاظاً معمولية دون أن يسبقها الحرف العامل وهذا يشير إلى فجوة تركيبية لا تسد إلا بتقدير ذلك الحرف (387).

4. حذف شبه جملة، ويراد به حذف الجار ومجروره أو حذف الظرف في جزء من النص (388).

5. حذف جملة، ويقصد به تغييب جملة من الكلام، لوجود قرينة دالة على المحذوف، ويرد هذا النوع في مواضع قليلة، إذا ما قيس بالأنواع الأخر.

ج. الاستبدال

يعرف هالدي رقية حسن الاستبدال بأنه ((عملية تتم داخل النص؛ إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر)) (389)، فالاستبدال قائم على الحذف وهو شبيه به حد الالتباس من حيث إن علاقتهما علاقة قبلية قائمة على تغييب عنصر أو أكثر من النص. ((غير أن الحذف استبدال من الصفر)) (390) وذلك ((لأن الحذف لا أثر له إلا الدلالة فلا يحل شيء محل المحذوف... أما الاستبدال فيترك أثراً يسترشد به المتلقي وهو كلمة من الكلمات المشار إليها في الاستبدال)) (391).
ويقسم الاستبدال على ثلاثة أقسام بحسب العنصر المعوض (المستبدل منه) في الكلام، وهذه الأقسام هي (392):

1. الاستبدال الاسمي (Nominal Substitution) ويقصد به استعمال عنصر معين بدل عنصر آخر ورد في موضع سابق من النص، ويتم ذلك باستعمال ألفاظ من قبيل (Some – ones – one) التي تقابلها في العربية كلمات، واحد، آخر...، مثل: (أرئت زيدا وآخر يرافقه) أي ورجلاً آخر.

(385) ينظر: لسانيات الخطاب، نعمان بوقرة / 45.

(386) ينظر: دراسة الحذف كعنصر اتساق في خطب نهج البلاغة، د. علي رضا نظري ود. نرجس أنصاري، ضمن أعمال المؤتمر العلمي الدولي الأول عن كتاب نهج البلاغة للإمام علي بعنوان (نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان)، النجف الأشرف، 2011 / 453.

(387) ينظر: م. ن / 458.

(388) ينظر: م. ن / 458.

(389) لسانيات النص، خطابي / 19.

(390) نحو النص، غيفي / 260.

(391) م. ن / 260.

(392) ينظر: لسانيات النص، خطابي / 20، وينظر: نحو النص، غيفي / 123 – 124.

2. الاستبدال الفعلي (Verbal Substitution) ويكون استعمال الفعل (عمل أو فعل) مكان فعل آخر، أو مجموعة معلومات مبنية على أحداث، وذلك كقوله تعالى ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية 24] فالفعلان (تفعلوا) استبدلا بكلام كان المفروض أن يحل محلها مأخوذ من قوله تعالى قبل هذه الآية، وهو قوله ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية 23] أي فإن لم تأتوا ... ولن تأتوا.
3. الاستبدال القولي أو الجملي أو العباري، ويكون باستعمال (ذلك ولا) وغيرهما بدلاً من قول سابق عليهما، نحو قوله تعالى ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّاعِلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [سورة الكهف: الآية 64] فكلمة (ذلك) جاءت بدلاً من الآية السابقة عليها مباشرة وهي قوله تعالى ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْنَأْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [سورة الكهف: الآية 63].

على أن طبيعة البحث اقتضت أن ندرج الاستبدال باسم الإشارة، كما هو واضح في الآية، ضمن مبحث الإحالة باسم الإشارة والتي يسميها هاليداى بـ (الإحالة الموسعة)، وسنكتفي هنا بالاستبدال الحاصل من استعمال (لا) النافية الجوابية وغير الجوابية مكان قول سابق عليها، نحو ((هل توافقني في أن القصيدة جميلة؟ لا)) فالأداة (لا) جاءت بدلاً من الجملة المفترضة أن تقع بعدها وهي: (لا أوافقك في أن القصيدة جميلة) وكذلك سيعد البحث كل جملة شرط محذوفة، مقترناً جوابه برابط استبدالاً عبارياً، وبخلاف ذلك إذا أسقط عن جوابه الرابط فإنه سيعد حذفاً.

د. التحديد

ويتعلق التحديد بمقصدية الكاتب ومقبولية متلقي النص، فهو مرتبط بالكاتب ومقصديته لأنه يوقر لنصه العناصر اللغوية المعروفة بنظراً لخبرة متلقيه بها ومعرفة المسبقة عنها، كما يوقر لنصه - أحياناً أخرى - العناصر المفكرة للمفاهيم الجديدة التي لا خبرة لقارئه بها، ولذا يلجأ إلى شحذ ذهنه وتشويقهم، وأحياناً يلجأ إلى الإحجام عن التصريح لغاية في نفسه لا تخرج عما تناوله البلاغيون قديماً، كان تكون للتعظيم أو القبح أو غيرهما، ولذا يقول النصيون: إن أداة التعريف تشير إلى المعلومات السابقة بينما تؤدي أداة التنكير وظيفة الإشارة إلى معلومات لاحقة أي إلى وحدات لغوية لم يوضحها المتكلم⁽³⁹³⁾، فقولنا: ((كان في قديم الزمان فتاة)) ففي كلمة (فتاة) إشارة إلى معلومة لاحقة يتوقع السامع أن يخبر بعد

(393) إلى هذا يذهب أبو هلال العسكري بقوله: ((الشيء إذا ابتدأت بذكره كان نكرة، فإذا أعدته صار معرفة ...)). كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري (365هـ) تحقيق مفيد قميحة دار الكتب العلمية - بيروت 2008م/

قليل عن هذه الفتاة، أما إذا قلنا: ((كانت الفتاة جميلة ومتواضعة)) فإن في لفظة (الفتاة) إشارة إلى معلومة سابقة قد ذكرها المؤلف في نصه⁽³⁹⁴⁾.

إن للتحديد أهمية بالغة في توضيح الدلالات التي يريد الناص إيصالها ((إلى المتلقي على أوضح وجه وأدق تعريف))⁽³⁹⁵⁾ فالكاظم ((بقدر ما يتعمد ممارسة لعبة الغياب على المستوى الدلالي للنص فهو يتعمد لعبة الحضور أيضاً، فهو إما يقصد إخفاء صفة الغموض والإبهام على بعض الأمور ليخفيها على المستوى الظاهري للنص أو يقصد تحديد أمور أخرى تحديداً لا لبس فيه على هذا المستوى))⁽³⁹⁶⁾.

هذا عن أهمية الترابط المفهومي بين أجزاء النص من خلال الإطار المعرفي المشترك بين الكاتب والمتلقي، أما عن دور التحديد الشكلي فإن لـ (أل) التعريف قدرة تضاهي قدرة الضمان في ضم أجزاء الخطاب وربطها ببعض، وقد تنبأ القدماء إلى أن (أل) تأتي بمعنى الضمير، فقد رأى الكوفيون وطائفة من البصريين أن (أل) في قوله تعالى ﴿إِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [سورة النازعات: الآية 41] نائبة مناب الضمير، إذ الأصل (ماواة)⁽³⁹⁷⁾، لذا فإن هذه الأداة لا تقل أهمية عما تقوم به الضمان. أما النكرات فإن لها - هي الأخرى - دوراً كبيراً في هذا المضمار، إذ تتطلب النكرة في الغالب، بغية توضيحها، تنشيط مساحات معلومية كبيرة من خلال ما تحتاج إليه من توسعة⁽³⁹⁸⁾ فهي على هذا تقوم بدور توسعي تلجئ الكاتب، لإيضاح مفهومها، إلى استعمال وحدات لغوية إضافية؛ خدمة لبسطها وإيضاحها في ذهن المتلقي.

هـ. الربط ((Junction))

نفهم تحت هذا المصطلح ((العلاقات التي بين مساحات المعلومات، أو بين الأشياء التي في هذه المساحات))⁽³⁹⁹⁾.

ويمتاز الربط باعتباره وسيلة من وسائل الاتساق، من بقية الوسائل التي تحدثنا عنها ((من حيث إنه يصل وصلأ مباشراً بين جملتين أو مقطعين في النص، فهو ليس كالأحالة - مثلاً - والاستبدال اللذين

⁽³⁹⁴⁾ ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانغ هاينه مان / 24، وينظر: النص والخطاب والإجراء / 3 - 7.

⁽³⁹⁵⁾ الإحالة في شعر أدونيس، د. داليا أحمد موسى، ط 1، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، سوريا، دمشق، 2010م/

152.

⁽³⁹⁶⁾ م. ن / 152.

⁽³⁹⁷⁾ ينظر: معنى اللبيب، 2 / 206.

⁽³⁹⁸⁾ ينظر: نحو النص، عفيفي / 114.

⁽³⁹⁹⁾ النص والخطاب والإجراء / 346.

نبحث فيهما عما يحيلان عليه فيما سبق أو لحق من الكلام))⁽⁴⁰⁰⁾ فالنص بنية ممتدة متلاحقة متلاحمة، ولا بد فيه، لكي يكون كذلك، ((من توفير أدوات رابطة، تفرض كل نوع منها طبيعة بين الجمل))⁽⁴⁰¹⁾.
والربط بين المتواليات التي يتألف منها النص كان وما يزال موضع العناية والدرس في البحث اللغوي والبلاغي، فقد لقي في التراث العربي عناية أهل العربية من لغويين وبلاغيين ومفسرين، وتكاد لا تقف على كتاب في هذه الحقول المعرفية إلا وقد أخذ منه جانباً كبيراً لا يستهان به.
فقد أولى النحاة باب العطف أهمية كبيرة، لما له من فوائد في الربط بين أجزاء التراكيب اللغوية، وفهم معانيها ودلالاتها، ولذا فقد درسوا أدوات العطف بأنواعها ومنحواها الكثير من العناية والدرس، ما جعلوا منها مرجعاً ثراً للبلاغيين الذين أعادوا النظر في هذا الباب إعادة مكنتهم من إيجاد ما لم تقع عليه أعين النحويين، ولعلّ باب (الفصل والوصل) هو من أجل المباحث التي تبرز فيها أهمية (الربط)، حتى أنهم جعلوا منه المحك الذي يتميز فيه البليغ من غيره، فقد جعلوا ملاك البلاغة متوقفة على معرفته، فمن ذلك ما أورده الجاحظ في ((البيان والتبيين)): ((قليل للفارسي ما البلاغة؟ قال معرفة الفصل من الوصل))⁽⁴⁰²⁾.

ولهذا كان من المؤكد أن يصرف علماء النصية اهتمامهم إلى دراسة هذا المبحث، ومعرفة الكيفية التي تتماسك من خلالها الجمل والعبارات في فضاء النص، فقد صنفوا أدوات الربط، بالاعتماد على أبعادها المعنوية والدلالية التي بها تتواشع الكتل اللغوية.

إن البحث عن هذه الأدوات في مباحث اللغويين والنصيين، قديماً وحديثاً، يوقفك على سيل من الأدوات اتخذت وسائل للربط إلى درجة لا يمكن معها العدّ والحصر، ويأخذ بيدك لتتوصل أخيراً إلى حقيقة مؤداها: أن هذا الموضوع يختلف في الدرس النحوي والبلاغي قديماً عنه في الدراسات الحديثة عامة والنصية خاصة، فهو عند النحاة العرب ينحصر في باب العطف، لأنهم لم يفرّدوا لأدوات الربط غير العاطفة أبواباً تسلط الضوء على وظيفة الربط، أمّا عند البلاغيين فقد انحصرت في باب (الوصل والفصل)، على حين اتسع الاهتمام في الدراسات الحديثة بالربط ليشيع على أيديها التقسيم الذي يفرّد الروابط العطفية عن الروابط غير العطفية، ولعلّ من بين أوسع المحاولات الساعية لجمع هذه الأدوات - على كثرة تفرعاتها وتشعباتها - ما قام به الدكتور (يوسف مارون)، فقد شمل بحثه وحدات لغوية لم تحظ بعناية الأولين، إن لم نقل إن من بينها ما لم نعتز على أدنى إشارة تومئ إلى أنها تقوم بوظيفة الربط، ذلك أن

⁽⁴⁰⁰⁾ مدخل إلى علم النص، الصبيحي / 94.

⁽⁴⁰¹⁾ م. ن / 94.

⁽⁴⁰²⁾ البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط4، مكتبة الخانجي، مصر، 1975م، 1 / 111.

الروابط، عنده، قد تكون ((أداة أو حرفاً أو ظرفاً أو تركيباً أو مفردة))⁽⁴⁰³⁾، وهو بهذه النظرة يقترب من نحاة النص ونظرتهم إلى الروابط التي لم تتحصر في باب بعينه أو مجموعة أدوات، فهم يعتمدون ((وسائل متعددة لربط المتواليات السطحية بعضها ببعض))⁽⁴⁰⁴⁾، ومن هنا أثر الدكتور (حسام فرج) سكّ مصطلح جديد وهو ((التعبيرات العطفية) وذلك لما ((يشمله من كلمات أخرى غير حروف العطف، فهو أعم))⁽⁴⁰⁵⁾. وحقاً، فإن ((نحاة النص لم يقتصروا على ذكر حروف العطف المعروفة، فقد ضمّ إلى جانبها عبارات أخرى تؤدي وظيفة الوصل، وإذا ما سلمنا بها، فإننا سنعيد ترتيب خارطة حروف العطف من جديد، إلا أنّ أغلب هذه العبارات تؤدي وظيفة الربط من باب السبب والنتيجة للجملة السابقة... ناهيك عن كون بعضها جملًا مستقلة))⁽⁴⁰⁶⁾ فالنقسيم الشائع عندهم هو الآتي⁽⁴⁰⁷⁾:

1. أدوات الوصل (Conjunctions) تربط بين الشئين اللذين لهما الحالة نفسها (المكانة) فكلاهما صحيح موجود في عالم النص (Text World) وهي علاقة إضافة سابق إلى لاحق تربط صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما؛ إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين، ومن تلك الأدوات: (الواو - كذلك - إضافة إلى - بالمثل - فضلاً عن ذلك، ناهيك عن...).
2. أدوات الفصل (Disjunction) وتشير إلى أنّ أحد المتعاطفين يمكن أن يكون صحيحاً (موجوداً) في عالم النص، ومن هذه الأدوات (أو، إمّا، وأما...).
3. أدوات الاستدراك (Contra junction) وتربط بين شيئين لهما المكانة نفسها ولكنهما يبدوان غير متسقين معاً في عالم النص، كأن يكونا سبباً ونتيجة غير متوقعة، فالجمع بينهما يكون غير محتمل، ومن تلك الأدوات (لكن - بيد أن - غير أنّ - وإمّا - خلاف ذلك - على العكس - في المقابل).
4. أدوات التفريع أو الإبتاع (Subordination) وتربط بين عنصرين يعتمد أحدهما على وجود الآخر، منها (اللام - لأنّ - لكي - لذلك - من أجل).
5. أدوات الربط الزمني (Temporal Conjunction) يجسد الوصل الزمني بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنياً، مثل (قبل ذلك، بعد ذلك، إثر ذلك ...).

إلا أنّ أغلب النصيين - وكما تقدّم - يختلفون بخصوص هذه الروابط، فغالباً ما يشفعون تصنيفاتهم هذه الأدوات بملحوظة يشيرون بها إلى أن ((معانيها داخل النص مختلفة فقد يعني الوصل تارة معلومات

(403) اللغة والدلالة، معجم في العربية ووظائفها وتقنياتها التعبيرية مع نماذج تطبيقية وفق المنهجية الجديدة، الدكتور يوسف مارون، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ليبيا، 2007 م / 181.

(404) النص والخطاب والإجراء / 301.

(405) نظرية علم النص، الهامش / 94.

(406) الاتساق في العربية، حازم رشك / 79.

(407) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج / 95، وينظر: في هذا الشأن نحو النص، عفيفي / 129، كذلك مدخل إلى علم النص، الصبيحي / 95، لنرى شدة اختلاف النصيين في تقسيماتهم لهذه الأدوات.

مضافة إلى معلومات سابقة أو معلومات مغايرة للسابقة أو معلومات (نتيجة) مترتبة عن السابق (السبب) إلى غير ذلك من المعاني)) (408).

هذا ويقدم الدكتور الزناد محاولة جادة في ضبط الكيفية التي يتم بها الربط بين الجمل والعبارات داخل النص، فقد لخص الربط في قاعدتين متفرعتين من حقيقة كلية واحدة، وهي (إذا توفّر في أي نص جملتان أو أكثر ارتبطت الواحدة منهما بالأخرى ارتباطاً بأداة أو بغير أداة) وفق الترسمة الآتية:

نص: ج¹ أداة / Ø ج² أداة / Ø ج³ أداة / Ø

ومن هذه الحقيقة تتفرّع قاعدتان هما (409) :

1. قاعدة الربط البياني، وهي كل جملتين متتاليتين في النص، ثانيتهما بيان للأولى، ترتبطان ارتباطاً مباشراً بغير أداة:

نص: [ج¹، ج²] ← ج¹ Ø ج² بشرط: ج² بيان ج¹

2. قاعدة الربط الخلافي (بالأداة) وهي أن كل جملتين متتاليتين في النص، ثانيتهما تخالف الأولى، ترتبطان بأداة ربط.

نص: [ج¹، ج²] ← ج¹ أداة ج² بشرط: ج² خلاف ج¹. (2)

والذي نراه أنّ هاتين القاعدتين إن صدقتا على النصوص التي اشتغل عليها الزناد في كتابه هذا ؛ فإنهما لا يمكن اعتمادهما في كل نص، لأن من النصوص ما يعتمد علاقة بيان بين جملتين مرتبطتين بأداة، وتعتمد الفصل بالمفهوم البلاغي بين جملتين بينهما تمام الابتعاد وغاية التباين، وإلا فما وجه الاختلاف بين هذه الجمل في قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران: الآية 104]، إن لم تكن الجملتان (يأمران بالمعروف) و(ينهيان عن المنكر) بياناً لجملة (يدعون إلى الخير) ((إذ الأمر والنهي من جملة الدعاء إلى الخير)) (410)، كذلك نسأل - ما الداعي إلى الفصل بين شطري هذا البيت (411):

- الرجز -

كل امرئ رهن بما لديه

وإنما المرء باصغريه

إن لم تكن الجملة الثانية منهما في منتهى الابتعاد وتمام التباين عن الأولى، فاقتضى الأمر الفصل بينهما، أي أن ترتبطا ((ارتباطاً مباشراً بغير أداة)) (412) بتعبير الزناد نفسه.

ومهما يكن من أمر ؛ فإنّ الباحث ارتأى أن يوفّق بين كل هذه الأطروحات، القديمة منها والحديثة، وذلك بأن يفرد الربط المباشر - بغير أداة - عن الربط غير المباشر - بواسطة أداة - معتمداً في الأول منهما

(408) لسانيات النص، خطابي / 24.

(409) ينظر: نسيج النص، الزناد / 28.

(410) البرهان، للزركشي / 475.

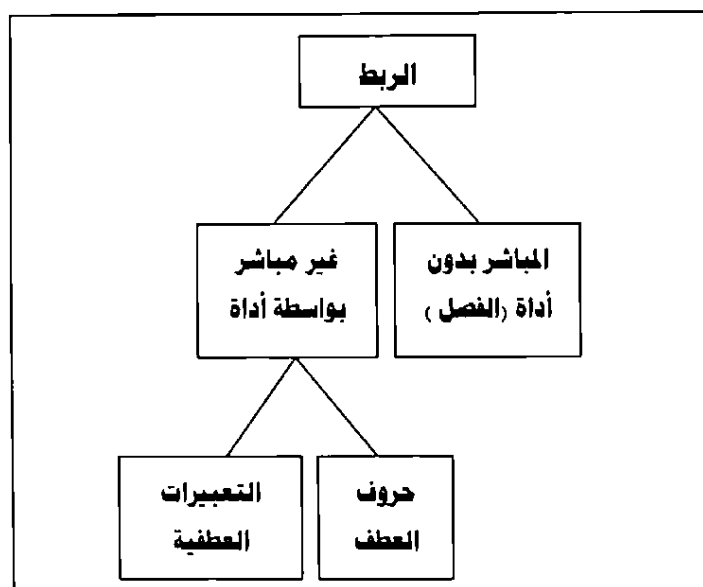
(411) لم أعثر على قائله.

(412) نسيج النص / 28.

على ما جاء في تراثنا البلاغي في مبحث (الفصل) من أن الجملتين يجب الفصل بينهما في مواطن منها (413) :

1. إذا كان بينهما (كمال الانقطاع) لاختلافهما خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى، أو معنى دون لفظ، أو إذا لم يكن بينهما مناسبة ما، فالعطف عندئذٍ غير مقبول.
2. إذا كان بينهما (كمال الاتصال) لكون الثانية مؤكدة للأولى أو بدلاً عنها أو بياناً لها، ما يعني أن ثمّ اتحاداً بينهما.
3. إذا كانت الثانية كالممتصلة بالأولى، عبر نزولها من الأولى منزلة جوابٍ عن سؤالٍ اقتضته الأولى، وعندئذٍ يتمتع الربط المباشر كما يتمتع بين السؤال وجوابه، ما يعني أن بينهما (شبه كمال الاتصال). كما سنعمدُ على ما جاء في كتاب الدكتور الزناد (نسيج النص) من ملحوظات قيمة حول الربط المباشر بغير أداة على اختلاف وجوهها.

أمّا في ما يخصّ الربط غير المباشر - الربط بأداة - فإنه سيعتمد على أدوات عطف النسق كما هو ثابتٌ في الوعي النحوي ويعتمد أيضاً جملة من (التعبيرات العطفية) غير الأدواتيّة اتكاءً على تصنيفات نحاة النص، ليكون اشتغال الباحث وفق هذا المخطط :



(413) ينظر: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، العلامة سعد الدين التفتازاني (792 هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوي، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007 م / 439 - 448.
وينظر: جواهر البلاغة، السيد أحمد الهامشي، قرأه وقّم له يحيى مراد، ط 2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2006 م / 173. وينظر: البلاغة الواضحة للمدارس الثانوية، علي الجارم ومصطفى أمين، طبع في لبنان، د. ت / 128 وما بعدها.

ثانياً- الاتساق المعجمي

وهو القسم الثاني من أقسام الاتساق النصي، ولعل ما يختلف فيه الاتساق المعجمي عن الاتساق النحوي ((أنه لا يمكن الحديث في هذا المظهر من العنصر المفترض كما هو الأمر سابقاً ولا عن وسيلة شكلية (نحوية) للربط بين عناصر النص))⁽⁴¹⁴⁾، وإنما يعتمد على اختيار المرسل (المتكلم/ الكاتب) عناصر معجمية معينة ترتبط بعناصر سابقة ضمن بعض العلاقات الدلالية المنظمة⁽⁴¹⁵⁾. ويتحقق الاتساق المعجمي عبر ظاهرتين لغويتين هما: التكرار والمصاحبات المعجمية اللتين سيأتي الذكر عليهما.

أ. التكرار ((Reiteration))

يقصد بالتكرار ((إعادة عنصر معجمي أو ما يرادفه أو شبهه أو عنصر مطلق أو اسم عام))⁽⁴¹⁶⁾، وإعادة العنصر المعجمي ((بعد ضرباً من ضروب الإحالة إلى سابق (Anaphora) بمعنى أن الثاني منهما يحيل إلى الأول، ومن ثم يحدث السبك بينهما، وبالتالي بين الجملة أو الفقرة الواردة فيها الطرف الأول من طرفي التكرار والجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الثاني من طرفي التكرار))⁽⁴¹⁷⁾. وقد اعتمد البحث أنماطاً من هذه الوسيلة المعجمية الاتساقية بما ينسجم وطبيعة النص الذي يشتغل عليه، وهذه الأنماط هي:

1. التكرار المحض (التكرار الكلي)، وهو نوعان: التكرار مع وحدة المرجع (أي أن يكون اسماً واحداً)، والتكرار مع اختلاف المرجع وذلك إذا كان المسمى متعددًا، وهو واقع ضمن المشترك اللفظي⁽⁴¹⁸⁾، فمن الأول قوله تعالى ﴿قَوِيلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة البقرة: الآية 79]. ومن الثاني قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الروم: الآية 55]، فقد تكررت كلمة (ساعة) في الآية (مع اختلاف المرجع).
2. التكرار الجزئي، ويراد به تكرار عنصر سبق استخدامه ولكن في أشكال وفئات مختلفة أو باستخدامات مختلفة للجذر اللغوي⁽⁴¹⁹⁾.

(414) لسانيات النص، خطابي / 24.

(415) ينظر: الترابط النصي بين الشعر والنثر، الدكتور زاهد بن مرهون الداودي، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان.

الأردن، 2010م / 53.

(416) النص والخطاب والإجراء / 306، وينظر: لسانيات النص، خطابي / 24.

(417) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية / 79.

(418) ينظر: نحو النص، عفيفي / 106 - 107.

(419) ينظر: نحو اجرومية للنص الشعري، مصلوح / 243، وينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية / 82.

3. التكرار بالمترادف، ويعرفه ستيفن أولمان بأنه: ((الألفاظ المتخذة المعنى وهي قابلة للتبادل بينهما في أي سياق)) (420).

على أن أغلب اللغويين - قديماً وحديثاً ينكرون في الترادف أن يكون كاملاً، ولذلك ظهرت (تسمية شبه الترادف) (421) اعتماداً على من ذهب إلى أن في اللغة الواحدة محال ((أن يختلف اللفظان والمعنى واحد)) (422)، ثم إنه ((إذا كانت كلمتان مترادفتين من جميع النواحي ما كان هناك سبب في وجود الكلمتين معاً)) (423).

4. شبه تكرار، وهو يقوم في جوهره على التوهم إذ تفقد العناصر فيه علاقة التكرار المحض، كما تفقد فيه العلاقة الصرفية القائمة على الاشتقاق أو تغاير صرفيمات الإعراب، ويتحقق غالباً في مستوى التشكيل الصوتي وهو أقرب شيء إلى ما سمي في البلاغة العربية بالجناس المحرّف (424).

5. التكرار من خلال الاسم الشامل، وهو تكرار بواسطة كلمة شاملة تندرج تحتها كلمة أخرى أو هو اسم يحمل أساساً مشتركاً بين عدة أسماء ومن ثم يكون اسم شامل لها، مثل كلمة (إنسان) التي تشمل كلمات (رجل) و(امراة) و(بنت) و(ولد) و(عجوز) و(شاب) (425).

6. التكرار من خلال الاسم العام، ويحصل التكرار به من خلال كلمات فيها من العموم والشمول ما يتسع بكثير عن الشمول الموجود في (الاسم الشامل) ومثاله: ((رأى خالد أن يستثمر أمواله في مزرعة ألبان، أنا لا أدري ما الذي أوحى إليه بالفكرة) فكلمة (الفكرة) كلمة عامة قد أحالت إلى ما رآه خالد في الجملة الأولى (426).

7. التكرار الجراماتيكي أو التكرار النحوي أو الموازة أو التوازي وهو عبارة عن تكرار لنظم الجمل بكيفية واحدة، أي تكرار للطريقة التي تبنى بها الجملة وشبه الجملة مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألف منها الجمل (427).

ب. المصاحبة المعجمية ((Collection))

(420) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشير، الطباعة القومية، القاهرة، 1962 م / 58.

(421) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط 7، عالم الكتب، القاهرة، 2009 م / 220.

(422) تصحيح الفصيح، ابن درستويه (347 هـ)، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1975 م، 1 / 316.

(423) علم الدلالة، أحمد مختار عمر / 225.

(424) ينظر: نحو اجرومية للنص الشعري / 244.

(425) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية / 82، وينظر: رسائل الأحزان ... دراسة في نحو النص /

(426) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية / 83.

(427) ينظر: نحو النص، عفيفي / 111.

- وهو ((توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك))⁽⁴²⁸⁾.
- إن العلاقات النسقية التي تحكم هذه الألفاظ المتلازمة تخلق - كما يرى فان ديك - ((ضرباً من ضروب التماثل (Identity) أو التكافؤ (Equivalence) وإنها بنيات معجمية تمهّد لحبك (Coherence) الجمل والمفاهيم ومن ثم النص بتمامه))⁽⁴²⁹⁾.
- ويرى هاليداي ((أنّ النظر إلى هذه الأزواج، ومن ثمّ إرجاعها إلى علاقة واضحة ليس بالأمر الهين فمدار الأمر كلّهُ على القارئ الذي يستطيع أن يخلق سياقاً تترابط فيه العناصر المعجمية معتمداً على حدسه اللغوي وعلى معرفته بمعاني الكلمات وغير ذلك))⁽⁴³⁰⁾.
- وتتنوع علاقات المصاحبة المعجمية لتشمل ما يأتي :
1. علاقة التضاد، والتضاد هو ((اللفظ المستعمل في معنيين متضادين))⁽⁴³¹⁾ وللتضاد أنواع متعدّدة منه ما يسمى بالتضاد الحاد (غير المترج) مثل: (ميت - حي) و(متزوج - أعزب) و(ذكر - أنثى)، وهناك ما يسمى (بالتضاد المترج) الذي تكون درجة التضاد فيه نسبية متوقفة على المقارنات، مثل: (دافئ - منخفض) و(أطول - أقصر) فهذه الألفاظ يصعب فيها تحديد أضدادٍ لها، وهناك نوع اسمه (التضاد العكسي) وهو علاقة بين أزواج من الكلمات، مثل: (باع - اشترى) و(زوج - زوجة)، فلو قلنا: (إنّ محمداً باع منزلاً لعلّي) فيعني هذا أنّ علياً اشترى منزلاً من محمّد. ومن أنواعه أيضاً (التضاد الاتجاهي) ومثاله العلاقات بين كلمات مثل (أعلى - أسفل) (يصل - يغادر)⁽⁴³²⁾ وإلى غير ذلك من أنواعه.
 2. علاقة الجزء بالكل، فإنها تتضح حين نتكلّم مثلاً - عن علاقة اليد بالجسم والعجلة بالسيارة، والغطاء بالصندوق وغير ذلك⁽⁴³³⁾.
 3. علاقة الصنف العام، وهي أن تتصاحب العناصر اللغوية في انتمائها إلى صنف عام يجمعها مثل الكرسي/ الطاولة حيث تشملها كلمة (أثاث)⁽⁴³⁴⁾.
 4. علاقة التلازم الذكري، وهو أن يتصاحب عنصر معجمي مع آخر يناسبه، مثل (المرض - الطبيب) و(النكتة - الضحك) و(القط - الفأر)⁽⁴³⁵⁾، وقد عرض القدماء لهذه العلاقة في حديثهم عن فنّ (مراعاة

(428) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية / 109.

(429) ينظر: م. ن/ 109.

(430) لسانيات النص، خطابي / 25.

(431) علم الدلالة، أحمد مختار عمر / 191.

(432) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر / 102 - 104.

(433) ينظر: م. ن / 101، وينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية / 108.

(434) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية / 108.

(435) ينظر: لسانيات النص، خطابي / 25.

النظير) أو ((التناسب والانتلاف والتوفيق أيضاً، وهو أن يُجمع في الكلام بين أمرٍ وما يناسبه لا بالتضاد كقوله تعالى ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانٌ﴾ [الرحمن: 5] ((⁽⁴³⁶⁾.

5. علاقة التدرج التسلسلي، وهي أن يُجمع بين العناصر المعجمية على أساس وجود أبعادٍ زمنية، بحيث تتعاقب تعاقباً منطقياً بالتسلسل (⁽⁴³⁷⁾.

ثالثاً - الاتساق الصوتي

ليس دقيقاً القول: إنَّ عبقرية اللغة العربية بتفوقها على بقية اللغات، نظراً لاستجابتها لمفردات علم البديع، هي السبب في عدم التفات علماء لغة النص إلى العناصر الصوتية ودورها في اتساق النصوص، فمنَّ ذهب إلى هذا الدكتور حسام فرج، الذي يرى أن علماء لغة النص المختصين لم يتكلموا عن عناصر صوتية تقوم بوظيفة الاتساق، وأن ما تناولوه كحديثهم عن (التنظيم - والنبر) بوصفهما مظهرين من مظاهر الأداء الشفاهي المصاحب لعملية (التلفظ)، لا يعدو أن يكون من مشتملات (السياق المصاحب)، ولعلَّ السبب في انصرافهم عن الدور الوظيفي لهذه العناصر - وفقاً للدكتور حسام - هو أنَّ (علم البديع)، الذي يعدُّ المرجع الأهم لهذا الضرب الاتساق هو مبحثٌ مقصور ((على اللغة العربية، وهو ما يفسِّر لنا عدم التفات علماء لغة النص لتلك العناصر غير الموجودة في اللغات العربية)) (⁽⁴³⁸⁾.

ونرى أنَّ من أجلِّ مهام الدراسة الأدبية هو أن ينصرف الحديث من عبقرية اللغة إلى عبقرية الكلام (⁽⁴³⁹⁾ هذا من جانب، ومن جانب آخر نرى أنَّ مفردات علم البديع - الداخلة في عملية الاتساق - كلّها تنهض على مبدأ التكرار، وهذا عين ما اتجهت إليه عناية (جاكسون) الذي وجدَّ أن من أهم الأدوات التي تقوم عليها (الشعرية)، هي ظاهرة (التوازي) التي تستغرق - وفق طرحه - كلّ الأدوات الشعرية اللسانية (التكرارية) (ممكنة) (منها الجناس والقافية والتصريح والسجع والتطريز والتقسيم والمقابلة والتقطيع والتصريح، وعدد المقاطع أو التفاعل والنبر والتنظيم...) (⁽⁴⁴⁰⁾ وإلى غير ذلك ممَّا أفاد منه - فيما بعد -

(436) الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني، ط 1، دار الكتاب الإسلامي، طهران، 1985 م / 355.

(437) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج / 113.

(438) نظرية علم النص، حسام فرج / 117 وينظر: الصفحات / 23 - 24 - 27.

(439) يقول الدكتور تمام حسان عن محاولة بعض الباحثين بالنظر إلى امتياز العربية على اللغات الأخرى: ((ولست أحب أن أدخل في مجال حصر نواحي عبقرية اللغة العربية وامتيازها على غيرها من اللغات ؛ لأن هذه القضية في نظري تعتبر ممَّا وراء منهج اللغة (Meta Linguistic) (...)).

اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان / 193.

وكلام الدكتور حسان مسوق على بحوث منصبة على (اللغة) فكيف بالبحوث المنصبة على (الكلام) (=الخطاب)؟.

(440) التواصل اللساني والشعرية مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، الطاهرين حسين، ط 1، الدار العربية للعلوم،

ناشرون، بيروت، 2007 م / 58.

أحد علماء لغة النص وهو (فانديك) الذي حاول أن يضع قواعد النص الأدبي من أجل وصف البنيات الأدبية مثل الوزن والاستعارة والحبكة السردية، وفي إطار هذا تناول (فانديك) المكونات السطحية الخاصة بالنص الشعري لتشمل عنده (الصوت) والخط والصرف والتركيب، وفيما يتعلق بالمكون الصوتي، فزق فانديك بين البنيات الوزنية - كما هي الحال في النظام العروضي - وبين البنيات غير الوزنية، كالجناس والسجع والتجانس الصوتي بين الملفوظات، على الرغم من وجود خاصية أساسية مشتركة بين هذه البنى، متمثلة بخاصية التكرار الصوتي (441).

هذا وفضلاً عما أشار إليه (ديبوجراند) وزميله من أنّ تكرار البنية النحوية - لتشكيل التوازي (= التكرار الكراماتيكي) وسيلة من وسائل السبك النحوي الحاصل بوسائل إضافية (صوتية)، ذلك أن التوازي النحوي يجيّد توازي المحتوى، والأمر كذلك حين تتكرّر البنية النحوية (مقلوبة) بما يقابل في العربية الفنّ البديعي المسمى بـ (العكس) على وجه التقريب (442).

فالبعد الصوتي، إذاً، يكاد يكون عنصراً أساساً من عناصر الترابط، فهو وسيلة إضافية مهمة من وسائل بناء النص وتحقيق اتساقه، ومن هنا سنعتمد البعد الصوتي (الاتساق الصوتي) قسماً ثالثاً بعد (الاتساق النحوي) و(الاتساق المعجمي) فوجود الاتساق الصوتي يزداد النص قوة ومتانة عبر عناصر صوتية موزعة توزيعاً منظماً في سياق خطّي ضمن سلسلة من الملفوظات، تبعاً لحشد من الوسائل الاتساقية، كالوزن والقافية والسجع والجناس وغيرها من مخلفات علم العروض والبلاغة القديمة التي احتواها (علم البديع) خير احتواء.

على أننا، هنا، نعترضنا إشكالية النص ببعديه الشفاهي والكتابي، فالنص الذي بين أيدينا مدونة كتابية ((يتعدّر علينا معرفة الأداءات السميولوجية المصاحبة لها، كما ويخفى علينا طرائق التلفظ بها، وما تبرزه هذه الطرائق من دلالات)) (443) فهل يعني هذا أنّ النصوص الكتابية تُلغى خاصيتها الشفاهية تماماً؟ وإذا كانت الإجابة عن هذا بالسلب، فهل يعني حقاً أن ثمة نصوصاً مكتوبة ((ولكنها تقوم في طريقة أدائها على أساس شفاهي)) (444)؟ وإذا كانت الإجابة هذه المرة إيجابياً، فما الباعث على اتخاذ النصوص الكتابية طريقة أداء شفاهية؟

(441) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصيّة / 122.

(442) ينظر: م. ن/ 121.

(443) لسانيات النص، ليندة قياس / 169.

(444) البلاغة العربية بين الشفاهية والكتابية، دراسة في كتابي (سرّ الفصاحة ودلائل الإعجاز)، د. فائز الشرع، مجلة المورد

الصادرة عن وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، المجلد (37)، العدد (1)، 2010 م / 82.

يخضع النص - من جملة ما يخضع له - إلى وعي كاتبه بجانبه: الذاتي والجمعي (= الذات والعالم) وذلك حين يعدّ الكاتب الأدب رؤية للحقيقة والعالم والوجود ويسعى إلى ربطه بالحياة وبما هو إنساني (445).

فإذا كان الجانب الكتابي، الذي تملّيه على الكاتب متطلبات الخصوصية والاستقلال والتفرد، معبراً عن الذاتي والفرد في تجربته، فإن الجانب الشفاهي تعبير عن تماهي الذات الكاتبة مع السائد الجمعي، فمثلاً حين يركن الكاتب إلى رؤية منهجية دقيقة، ليرسم لنصّه خطة هندسية مدروسة سابقاً بطريقة فاخرة قوامها الترتيب والتبويب يقول بها نصّه؛ فإنّه عندئذٍ كشف عن امتياز وعيه الكتابي، ومن ثمّ شهادة دامغة على إبداعه واستقامة رؤيته الذاتية، وأما حين يلجأ إلى الأشكال والأنماط الأدبية السائدة - (ولا نعني بذلك البنية العليا للنص) - كتبنيه البنية النمطية (العمودية) للشعر العربي، أو الزخرفة اللفظية، فإنّه تعبير عن أنّه كرّس نمطاً مماثلاً مطابقاً لما في الوعي الجمعي من أطر ثابتة وأشكال قارة مترسّخة، ما يعني أنّه ما يزال في قلب العالم يتأثر بجملة ما يحيط به من ثوابت الحياة ومتغيراتها.

يقول (والتر - ج - أونج) في كتابه (الشفاهية والكتابية): إن ((النصوص المكتوبة مضطرة بطريقة ما مباشرة أو غير مباشرة إلى الارتباط بعلم الصوت الموطن الطبيعي للغة كي تعطي معانيها)) (446)، ما يعني أنّ الكاتب يجهّد إلى بعث مظاهر الأداء المصاحب للنص بواسطة الكتابة، وذلك من خلال تركيزه على مظاهر صوتية - (سواء كان هذا الجهد أتياً من وعي الكاتب أم اللاوعي لديه) - تجسّد مكنونه الذاتي، ولذا، فإن ((الكتابة لا يمكن أن تستغني عن الشفاهية)) (447) ولا سيما في النصوص العربية القديمة القريبة العهد من النسق الشفوي الطاعلي، إن لم نقل إنها ذابت في هذا النسق أو كادت رغم شيوع الكتابة، وذلك أنّ ((التعبير الفردي والذاتي في موضوعات خاصّة بالذات يخفت أمامه بصورة لا واعية النسق الشفوي ليسمح للنسق الكتابي بالحضور والتعبير عن الذات)) (448) بخلاف التوجّه نحو الجماعي المهيمن والطاعلي، الناهض على خفوت الذاتي والفردي الذي يفسح المجال إلى ((تنامي النسق الشفوي على حساب انحسار النسق الكتابي المعبر عن الذات الفردية)) (449).

(445) ينظر: الفنّ كروية للعالم، د. سعيد توفيق، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد (3)، المجلد (40)، يناير / مارس، 2012 م / 38 - 39.

(446) الشفاهية والكتابية، والتر - ج - وانج، ترجمة حسن البنا عز الدين، مراجعة الدكتور محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1990 م / 44.

(447) م. ن / 44، وينظر: أدوات النص، محمد تحريشي، ط1، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000 م / 137.

(448) نازك الملائكة بين الكتابية وتأنيث القصيدة، د. عبد العظيم السلطاني، ط 1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،

2010 م / 169.

(449) م. ن / 169.

وتأسيساً على ما تقدّم فإنّ المدونة التي نحن بصدد الحديث عنها مدونة كتابية تجبّد لنا وعي صاحبها الأصيل بذاته وبالعالم (= الفردي والجماعي) فإنها لا محالة - والأمر هكذا - من أن ينصاع هذا الوعي إلى الشائع الذي يعيه مثلما يعي ذاته وأن يهادنه بالخروج ((من بوتقة الذاتي والفردي))⁽⁴⁵⁰⁾ ليتحوّل إلى ((ذات مشاركة في الحراك الاجتماعي والإيديولوجي والسياسي))⁽⁴⁵¹⁾ عن طريق اعتماد ((وسائل أدائية لغوية متعدّدة تدخل في تشكيل البعد الجمالي الشفاهي كالاتفاقات الصوتية والاختلافات المتوازنة، وهو ما يمكن أن يحقّق بالجناس والسجع والقافية والروي والفاصلة والإيقاع الناتج عن تكرار، وتوازن التراكيب وغيرها من الظواهر التي رصدتها البلاغة العربية في هذا الخصوص))⁽⁴⁵²⁾. ومن هنا سنعمدُ جملة من الوسائل الأدائية الصوتية الفعّالة في اكتمال الاتساق النصي، النابع من تركيز الناص ((على المكوّن الصوتي بوصفه الوسيلة التي يتلقّى بها النص السمة الأساس في الأداء الشفاهي))⁽⁴⁵³⁾ الذي يفسّر لنا توجهه نحو ((الانفتاح على الواقع ذي النزعة الجمالية لا الفردية))⁽⁴⁵⁴⁾. ولعلّ أهمّ هذه الوسائل هي :

1. الوزن والقافية

يقول ابن سينا: ((إن الشعر هو كلام مخيّل مؤلّف من أقوال موزونة متساوية. وعند العرب مقفأة، ومعنى كونها موزونة أن يكون لها عدد إيقاعي. ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قولٍ منها مؤلفاً من أقوال إيقاعية، فإنّ عدد زمانه مساوٍ لعدد زمان الآخر. وكونها مقفأة هو أن يكون الحرف الذي يختم به كل قولٍ منها واحداً))⁽⁴⁵⁵⁾.

فالوزن والقافية إنما هما ممّا يشتمل عليه التكرار بالمعنى الواسع، لأنهما يعتمدان التنسيق المتواتر في النصوص الشعرية، وهذا ما دفع (ريتشاردز) إلى القول ((إن الإيقاع في الشعر - والوزن هو صورته الخاصة - يعتمد على التكرار والتوقع))⁽⁴⁵⁶⁾.

⁽⁴⁵⁰⁾ م. ن / 168.

⁽⁴⁵¹⁾ م. ن / 168.

⁽⁴⁵²⁾ البلاغة العربية بين الشفاهية والكتابية / 82.

⁽⁴⁵³⁾ نازك الملائكة بين الكتابية وتأنيث القصيدة / 168.

⁽⁴⁵⁴⁾ م. ن / 168.

⁽⁴⁵⁵⁾ فنّ الشعر من كتاب (الشفاء) لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا، ضمن كتاب فن الشعر، أرسطو طاليس، مع

الترجمة العربية القديمة وشرح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجمة عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمن

بدوي، ط 2، دار الثقافة، بيروت، 1973 م / 161.

⁽⁴⁵⁶⁾ مبادئ النقد الأدبي، (إ.أ. ريتشاردز)، ترجمة مصطفى بدوي، مطبعة مصر، القاهرة، 1963 م / 180.

إنّ تبني هذين العنصرين - الوزن والقافية - في موضوع الدراسة يعتمد أساساً - على احتواء النص المقروء أجزاء شعرية تتعاضد وأجزاءه الأخرى في تكوينه ((فهما يسهمان في اكتمال الجانب الصوتي لمفهوم السبك، فهي عناصر صوتية تقارب بين كلمات النص على أساس مبدأ المشابهة أو الوحدة الإيقاعية ... ويشكل هذان العنصران المختصان بالشعر مع العناصر الأخرى المختصة بالنثر الجانب الصوتي للسبك))⁽⁴⁵⁷⁾.

ومن جهة أخرى فإن هذه الأشعار رسمت لنا الجانب الشفهي المائل في النص بتماهي صاحبها مع هذا الوعي المترسخ في ذهن العربي الذي يسعى إلى تغييره وإقناعه بالوسائل المنسجمة مع ثقافته وتطلّعه، ومن ثمّ فإنّه إذا كان الشعر العربي شعراً حافلاً بالذاتية والتغني بها، فإنّه لم يكن ليعبر عن الذات الشاعرة بمعزل عن الآخر، وإنما كان يصدر عن ذات ملتزمة، عن ذات يمكث الآخر في أحشائها، وترى حقيقتها بمرآته، وإلاّ فإنّ ((الشاعر الغنائي قادرٌ على التعبير عن ذاته، وقادرٌ على أن ينفلت من شخصه بالتعبير عن معاناة الآخرين، وأن القدرة على أن تلتحم الذات بالموضوع في الشعر الغنائي هو نفسه عملٌ فني))⁽⁴⁵⁸⁾، وهذا ما يثبت لنا حين نجد أن فيضاً من المعاني الحكيمة والوعظية قد تسرّبت إلى شعر ابن حزم، فيدخل في أبواب الحكمة والعظة والنصح والإرشاد، ذلك لأنّ ((ارتباط الشعر بالحكمة - على هذا النحو - ينطوي على أبعاد دالة، ذلك لأنّ هذا الارتباط يعيد للشاعر أهميته ويقرن هذه الأهمية بمجموعة من الأدوار التي يؤديها الشاعر في حياة الجماعة، يؤكّد هذا الارتباط الأهمية المعرفية للشعر من حيث هو وسيلة أساسية في معرفة الحقيقة كما يؤكّد أهمية أخلاقية يغدو معها الشعر مصدراً للقيم وموجهاً لها، وعندما تتجاوب الأهمية المعرفية مع الأهمية الأخلاقية فيغدو الشعر كشفاً وتأملاً وتشريعاً وتعليماً على السواء))⁽⁴⁵⁹⁾.

2. السجع والازدواج (المزدوج)

وقد أثرنا ربط هذين الفنين لشدة ارتباطهما، فقديماً عولجا في باب واحد على ما يتضح عند (الجاحظ)⁽⁴⁶⁰⁾ وعند (أبي هلال العسكري)⁽⁴⁶¹⁾ فالسجع هو ((تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف

⁽⁴⁵⁷⁾ نظرية علم النص، حسام فرج / 117.

⁽⁴⁵⁸⁾ دراسات في الألب والنقد، ثمار التجربة، د. هادي نهر، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011 م / 230. وينظر:

الإنسان والالتزام والقضايا المصيرية، د. نوري القيسي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد (23) آب 1987م/305.

⁽⁴⁵⁹⁾ استعادة الماضي، دراسات في شعر النهضة، جابر عصفور، ط 2، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا.

65/2002م.

⁽⁴⁶⁰⁾ ينظر: البيان والتبيين، 2/116.

⁽⁴⁶¹⁾ ينظر: كتاب الصناعتين/201.

واحد... والاسجاع في النثر كالقوافي في الشعر))⁽⁴⁶²⁾ والمزدوج أو الازدواج ((أن يزاوج بين الكلمات أو الجمل بكلام عذب وألفاظ حلوة))⁽⁴⁶³⁾.

ولا يخفى ما في هذين الفنين من قدرة على إيجاد وسيلة سبك إضافية في النصوص عامة، والنصوص العربية القديمة بخاصة، إذ يسهمان بشكل لافت في تماسكهما عبر المماثلة المعقودة بين الكلمتين أو أكثر في الوزن والقافية. وهما، كذلك، يمثلان وجهاً من وجوه الحضور الشعري في النثر، ومن هنا يعدّان من أنشط الوسائل اللغوية والفنية العاملة على إبراز النمط الشفاهي في النص لما لهما من تأثير بالغ في جذب المتلقي ومحاولة إقناعه بما لا يقل عن الوظيفة التداولية في النصوص الشعرية، وقد ذكر الجاحظ في عدة مواضع من (البيان والتبيين) بما يشي بهذه الوظيفة، فمنه أنه ((قيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي: لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن، قال: إن كلامي لو كنت لا أمل فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك، ولكنّي أريدُ الغائب والحاضر والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع والأذان لسماعه أنشط، وهو أحقّ بالتقييد وبقلة النقل))⁽⁴⁶⁴⁾.

3. الجناس

وهو من أشهر فنون البديع وأكثرها شيوعاً ويعني أن تتشابه اللفظتان في أربعة أمور: نوع الحروف، عددها، هيأتها، وترتيبها، وهذا ما اصطلح عليه البلاغيون بالجناس التام، وأمّا إذا فُقدَ واحدٌ من هذه الأمور الأربعة بين اللفظتين كالعدد والهيئة (الوزن) أو الترتيب أو النوع كان الجناس غير تام⁽⁴⁶⁵⁾. نلاحظ هنا أن الضرب الأول (التام) ينزع ليجمع بين الجانب الصوتي والمعنوي في آن واحد، بخلاف النوع الثاني (غير التام) الذي ينصرف ((إلى الجانب الصوتي دون المعنوي لشدة عنايته بالموسيقى))⁽⁴⁶⁶⁾، ولكن هذا لا يعني أن الضرب الثاني عاطلٌ تماماً عن أداء دورٍ معنوي، وبخاصة حين يقع على الكلمات الرئيسة في النص، بغية توكيدها وإيضاح معناها، فتنتج عنه، حينئذٍ، دورٌ دلالي ودورٌ تداولي ((يخلق لدى القارئ إحساساً بالانتلاف مع النص))⁽⁴⁶⁷⁾، إذ لا يلبث أن يشدّه من حينٍ إلى آخر بفعل التناغم الصوتي الحاصل بين الألفاظ المجانسة.

(462) الإيضاح، للخطيب القزويني/402.

(463) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، لابن قيم الجوزية/249.

(464) البيان والتبيين، 1 / 287.

(465) ينظر: جواهر البلاغة / السيد أحمد الهاشمي / 315 - 316.

كذلك النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين / 471.

(466) شعر البحتري، د. خليفة الوقيان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985 م / 232.

(467) نظرية علم النص، حسام فرج / 115.

أما عن دوره الاتساقى، فإنه بكلّ نوعيه فعّال في القيام بهذا الدور، على ما سيتضح في مبحث التكرار حين يقع نُبذُ منه هناك. على أننا لا نستعرض في طوق الحمامة كل ما فيه من أضرب الجنس كما فصل القول فيه البلاغيون المتأخرون، وإنما نوضح به حقيقة اعتماده وسيلة من وسائل سبك النص، ومن ثم نُبرز وظيفته الإعلامية والتداولية ليتضح لدينا البعد الشفاهي الذي نزع إليه الكاتب.

المبحث الثاني

(الاتساق في طوق الحمامة)

أولاً – الاتساق النحوي

1. الإحالة
2. الحذف
3. الاستبدال
4. التحديد
5. الربط

ثانياً – الاتساق المعجمي

1. التكرار
2. المصاحبة المعجمية

ثالثاً – الاتساق الصوتي

1. الوزن والقافية
2. السجع والازدواج
3. الجناس

الاتساق النحوي

أولاً- الإحالة

أ. الإحالة الضميرية

للإحالة الضميرية أثر كبير في النص، وفي تشكيل نسجه وشِدِّ أزره على التلاحم والاستمرار، إذ أسهمت بشكل لافت في ربط جملته، وجعل بعضها تداعي بعضها الآخر في فضائه، كما جعلت على عاتقها سمة (الاختزال) التي بها ينال النص استقامته بدفع الترهّل والتفكك عنه، وعلى هذا أكثر الضمير حضوره في الطوق متنوعاً ومتعددًا، ذلك أننا إزاء نصّ مطوّل يحتاج بناؤه إلى مقتضيات الاقتصاد اللغوي، لينال بها حصافته ودقته، كما ويحتاج متلقيه المزيد من وسائل تنشيط الذاكرة بين الحين والآخر بغية فهمه واستيعابه.

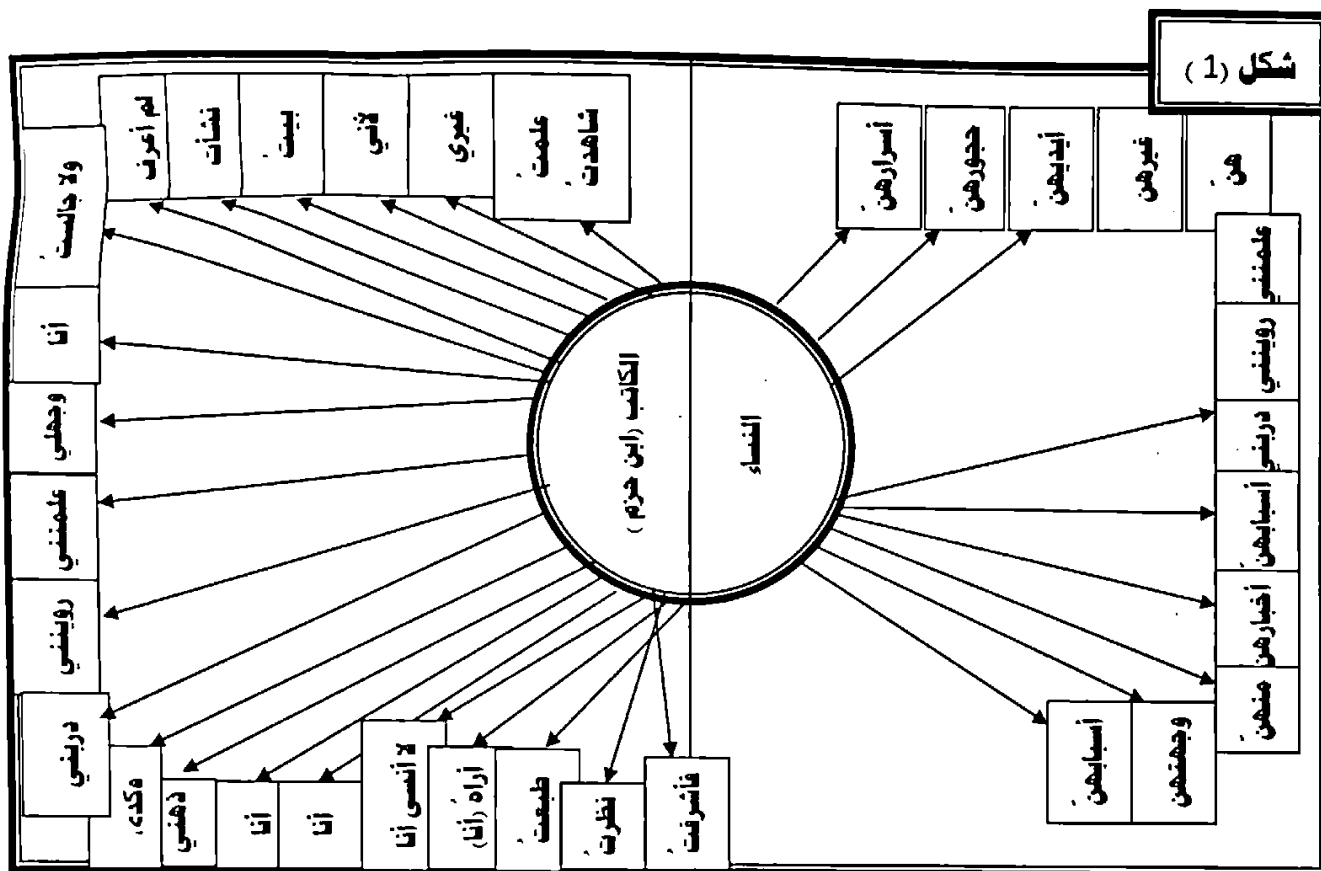
ونرى، بدءاً، أن ضمير المتكلم - الذي يمثل أحد شقي ضمائر أدوار الكلام - يظهر تفوقاً، وبفارق كبير، على الشق الآخر (ضمائر المخاطب)، فالكتاب من أوله إلى آخره يستحضر مبدعه وينشد إليه، لأنّه يعدّ النسيج الرابط لكل أبوابه، ويعاضده في ذلك ضمير المخاطب، الذي يقف مرجوعه - مثل المبدع - خارج النص، وأكثر ما يبرز هذا الضمير في صدر الرسالة وفي الباب الأول منها وفي نهايتها، وهو ما يفضي، فضلاً عن اتساق النص، إلى ارتباط المدونة ووحدتها من خلال تعلق أولها بآخرها، وسيتأتي الكلام على ذلك عند حديثنا عن التكرار.

ومن أمثلة ما ورد في النص من هذا الضرب الإحالي قوله في باب الطاعة :

((ولقد شاهدت النساء، وعلمت من أسرارهنّ ما لا يكاد يعلمه غيري، لأنني ربيت في حورهن، ونشأت بين أيديهنّ، ولم أعرف غيرهنّ، ولا جالس الرجال إلا وأنا في حدّ الشباب وحين تفيل وجهي، وهنّ علمنني القرآن، ورويني كثيراً من الأشعار، ودرينني في الخط، ولم يكن وكدي وأعمال ذهني مذ أول فهمي وأنا في سن الطفولة جداً إلا تعرف أسبابهنّ، والبحث عن أخبارهنّ، وتحصيل ذلك، وأنا لا أنسى شيئاً ممّا أراه منهنّ، وأصل ذلك غيرة شديدة طبعت عليها، وسوء ظنّ في جهتهنّ فطرت به، فأشرفت من أسبابهنّ على غير قليل)) (468).

نتأمل في هذه اللوحة النصية، فنرى أن الضمير انتشر انتشاراً مميزاً يعود أغلبها إلى مرجوعين، أحدهما يقف خارج النص، وهو ابن حزم وثاني المرجوعين له وجود داخل النص، وهو لفظ (النساء) التي تربي المؤلف في حورهنّ، ولتوضيح ذلك نأتي بهذه الخطاطة:

(468) طرق الحمامة، باب الطاعة/108.



على أننا نلاحظ أنّ ظاهرة من الظواهر الأسلوبية قد طرأت على ضمير المتكلم، تلكم هي (انتهاك المطابقة الضميرية)⁽⁴⁶⁹⁾ التي تسجل حضوراً لافتاً في بعض أمكنة النص كقوله في مقدّمة الكتاب: ((عصمنا الله وإياك من الحيرة ... فإنّ كتابك وردني ...))⁽⁴⁷⁰⁾.

فالنسق الالتفافي، هنا، واضح حين تتحول الصياغة من ضمير الجمع الواقع مفعولاً في قوله (عصمنا) إلى ياء المتكلم الواقع مضافاً إليه في قوله (وردني) مع أن الذات المتكلمة مرجع كلا الضميرين. إنّ انتهاك المطابقة الضميرية في حالة كهذه ومقام كهذا ((يفيد معنى المشاركة والقرب إذ يجعل المتكلم ناطقاً باسمه وباسم غيره، ولا (غير) أقرب إليه من المخاطب، حتى كأنّ هذا المخاطب عالم بما يخبره به المتكلم ومشارك فيه، فيكون ضمير الجمع من هذه الجهة أبلغ في الدلالة على التآنب والتواضع من صيغة المفرد ولا دلالة له إطلاقاً على تعظيم الذات ولا على الإعجاب بالنفس))⁽⁴⁷¹⁾.

غير أننا لا نعدم استثمار الكاتب هذه الظاهرة في مقام يستشف منه التفخيم والتعظيم، لأن هذه الصياغة كما تدل على التواضع والتأدب - تدلّ كذلك على التعظيم والتفخيم، يقول (بنفست) عن هذا الضمير: إنه ((ليس أنا) مجموعاً بل هو الضمير (أنا) وقد تمطّط !!! متجاوزاً حدود الشخص وهو ضمير زيد عليه شيء وأصبح ذا حدود غامضة [وعلى ذلك يفسّر ضمير الجمع بدلالته] على علو مرتبة المتكلم من جهة... ودلالته على تواضع المتكلم الفرد من جهة أخرى))⁽⁴⁷²⁾، فمن ذلك قوله: ((... فإنما هذا من جهة الشهوة التي ذكرنا آنفاً...))⁽⁴⁷³⁾، فالذي يترجّح لدينا، هنا، هو الأمر الأول أي دلالته على علو المرتبة، وسبب ذلك هو أن الكاتب لم يأت بهذه الصياغة إلا في مقام التأكيد والتذكير لما ذهب إليه في كلامه عن ماهية الحب في أول أبواب الكتاب، من أنه لا علة للحب إلا اتصال النفوس وإلا فهو شهوة⁽⁴⁷⁴⁾.

فالمقام هنا يدعو إلى أن تظهر هذه الذات متعالية مفخّمة ليتسق مع جلال ما ذهب إليه ومحاولة فرضه على المخاطب.

أمّا عن الدور الاتسافي لضمير المخاطب (المرسل إليه)، فإنّه لا يشكّل حضوراً لافتاً كالذي يشكّله ضمير المتكلم، إذ يبرز هذا الضمير - لو استثنينا مقدّمة الرسالة وخاتمتها - بنسبة قليلة جداً في بعض الأبواب، ولا يؤدي دوراً كبيراً في الاتساق، على العكس ممّا نجده في مقدّمة الرسالة وخاتمتها من دور

(469) دراسات في النص العذري، الدكتور فائز القرعان، ط1، عالم الكتب الحديث، اريد، الأردن، 2010م/18. وينظر: فقه اللغة وسرّ العربية، لأبي منصور الثعالبي، حققه حمد وطماس، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2007م/374.

(470) طوق الحمامة / 25.

(471) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن / 13 (الهامش).

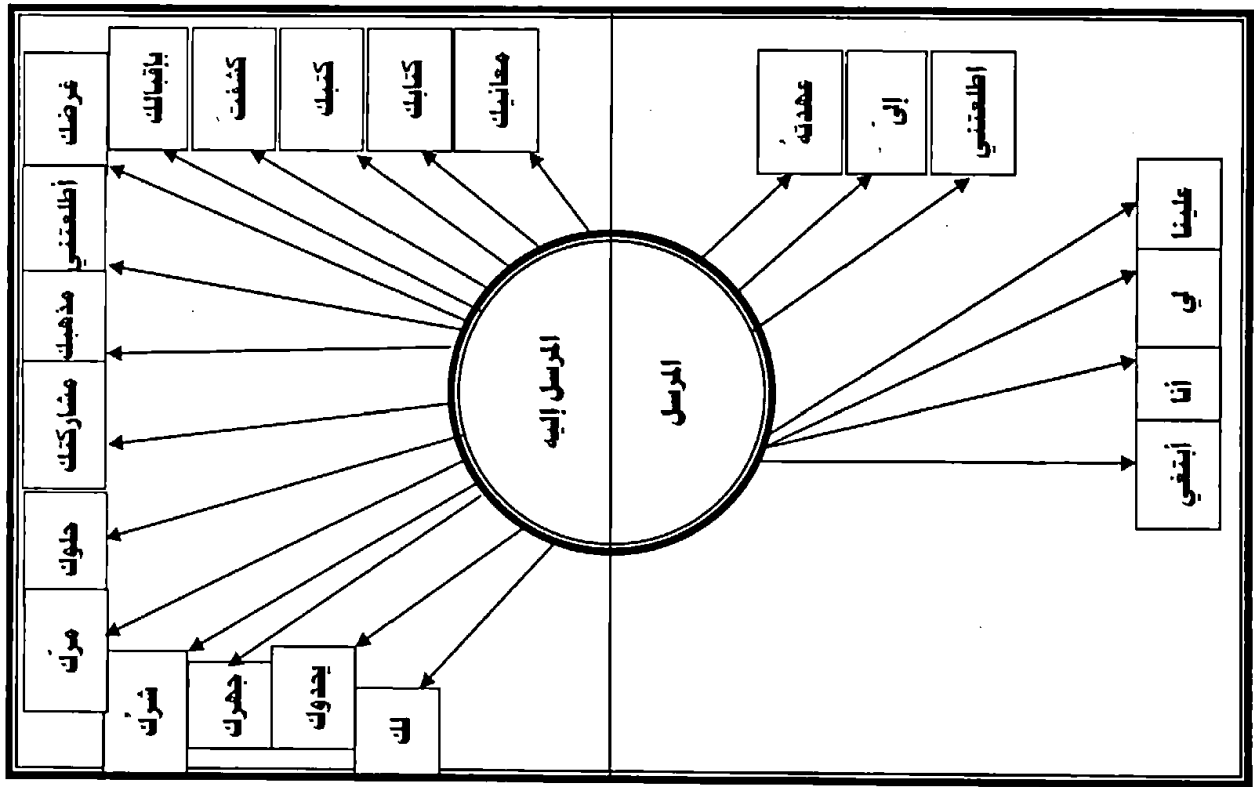
(472) أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، 1 / 1093.

(473) طوق الحمامة / 67.

(474) ينظر: طوق الحمامة / 36.

ترابطي كبير، نحو قوله: ((وكانت معانيك في كتابك زائدة على ما عهدته من سائر كتبك ثم كشفت إلى بإقبالك غرضك، وأطلععتني على مذهبك، سجيّة لم تزل علينا من مشاركتك لي في حلوك ومزك وسرك وجهرك، يحدوك الودّ الصحيح الذي أنا لك على اضعافه ابتغي جزاء غير مقابلته بمثله)) (475).

إذ تسيطر الضمائر المنتمية إلى ما يسمى بـ(أدوار الكلام) على فضاء هذه اللوحة النصيّة، فضمير المتكلم وضمير المخاطب أحدثا نسيج الكلام وترابطه، وأحالا على سياق الموقف الذي مكثنا من التعرف على المتكلم وسبب كتابته الرسالة، وكذلك على المرسل إليه الذي لم يذكره المؤلف صريحاً سوى أنّه صديق، ولذا فإن الإحالة بهذين الضميرين كانت (إحالة خارجية) جعلت النص أكثر تماسكاً، وحفّزت المتلقي لأن يكون يقظاً لتنظيم عملية الإحالة وإرجاع كل ضمير إلى مفسّره الذي يقف خارج النص، وأن لا يغفل ما أحدثته (الكاف) من إيقاع بصري وصوتي يمثلان مظهراً آخر من مظاهر الاتساق، ولتوضيح ذلك نأتي بهذا الشكل :

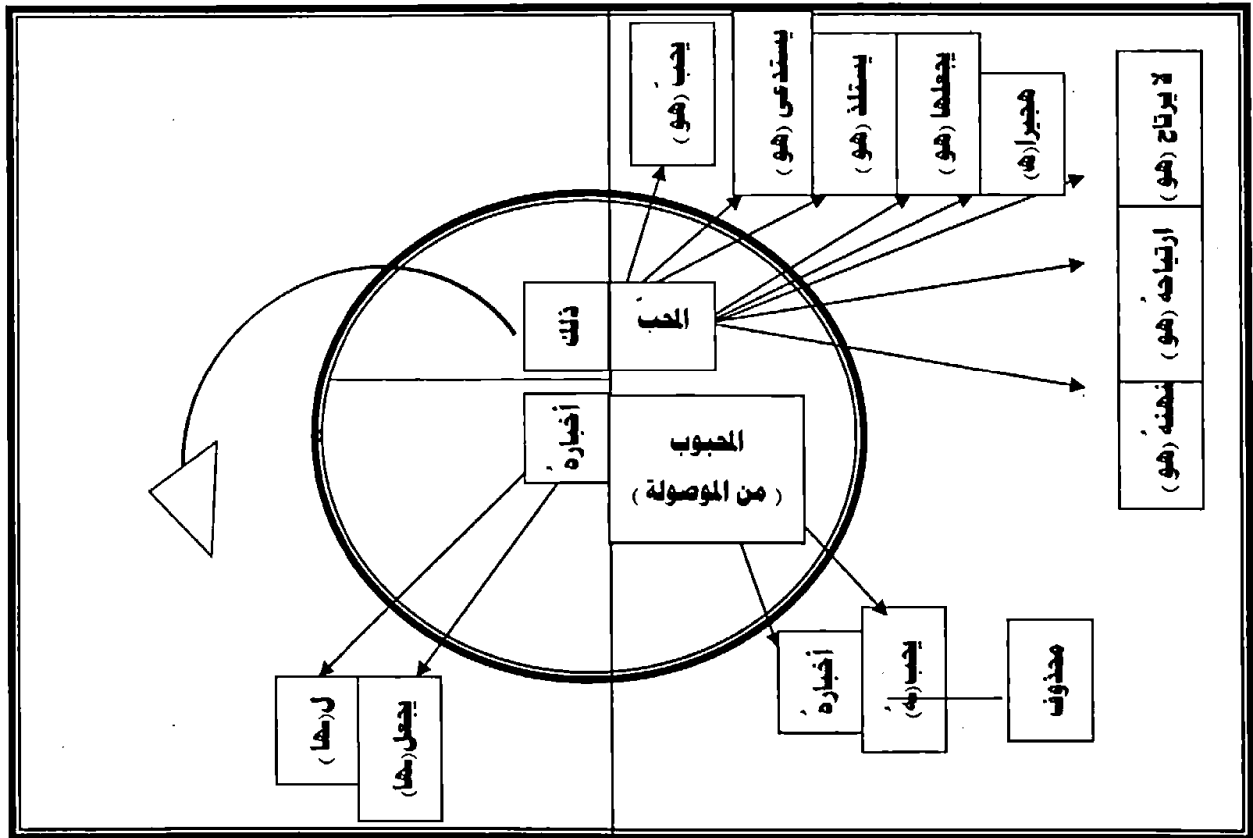


ومن هنا فإن طبيعة النص - لكونه خطاباً مكتوباً يطغى فيه السرد - فسحت المجال لضمائر (أدوار الكلام) كي تقوم بوظيفة اتساقية كبيرة.

ومن أمثلة الإحالة الداخلية، قوله في باب علامات الحب: ((ومن أعلامه [أي أعلام الحب] أنك تجذ المحب يستدعي سماع اسم من يحب، ويستلذ الكلام في أخباره، ويجعلها هجيراً، ولا يرتاح لشيء ارتياحه لها ولا ينهه عن ذلك تخوّف أن يظن السامع ويفهم الحاضر))⁽⁴⁷⁶⁾.

فالعناصر الإشارية (المحال إليها) موجودة في النص وهي (المحب) و(المحبيب المعبر عنه بـ (من) الموصولة) و(أخباره)، وتأتي العناصر الإحالية بعد كلّ منها، لتكون، لنا، إحالة داخلية قبلية، بعيدة المدى.

وتتضاف إلى الإحالة الضميرية، في هذه الفقرة، إحالتان أخريان، إحداها الإحالة بـ (من) الموصولة، والأخرى باسم الإشارة (ذلك)، وبكل هذه الإحالات نحصل على إحالة مؤطرة - إن صحّ التعبير لأنها جميعاً تداخلت مع بعضها لتحقيق الترابط، وزيادة السبك في النص واختصاره، وتنشيط ذهن متلقيه، على هذا النحو:



أما ورود الضمير قبل مفسّره لتكوين (إحالة داخلية بعيدة)، فإنّه قليل جداً في هذا النص إذ نكاد لا نعثر إلا على واحدة أو اثنتين، فمن ذلك قوله:

⁽⁴⁷⁶⁾ طرق الحمامة / 46 - 47.

((إنَّه كان بيني وبين رجلٍ من الأشراف وُدٌ وكيدٌ))⁽⁴⁷⁷⁾ إذ الضمير المتَّصل بـ(إن) ضمير يدل على (الحال والشأن) وهو هنا عنصر إحالي، والجملة الاسمية التي تليها عنصر إشاري، والإحالة به هي (داخلية بعيدة قريبة المدى).

ب. الإحالة باسم الإشارة

أما الإحالة باسم الإشارة، فمثلها مثل الإحالة بالضمائر في ترابط النص وتماسكه وتمدده، وهي كذلك مثلما تكون الإحالة النصية بها قبلية، تكون كذلك بعيدة وعليه؛ فإن حضورها في النص لا يقل عن حضور الضمائر، وإنما جرت مجراها، متبينة الوظيفة ذاتها، التي تقوم بها الضمائر من ناحية سبك النص ومتانتها، وهذا ما سيتضح من خلال هذه الأمثلة :

يقول ابن حزم في باب من لا يحب إلا مع المطاوعة : ((فقد علمنا أنَّ النفس في هذا العالم الأدنى قد غمرتها الحجب))⁽⁴⁷⁸⁾.

فاسم الإشارة (هذا) عنصر إحالي، والبديل منه (العالم) عنصر إشاري، فهو مرجعه وموضح إبهامه، وباتتلاف هذين العنصرين نحصل على (إحالة داخلية بعيدة قريبة المدى) والسر الذي يقف وراء مجيء الكاتب بهذا العنصر الإشاري من بين أسماء الإشارة، هو بيان حال هذه الدنيا من أنها قريبة في متناول من يطلبها، وذلك استحقاقاً لها. ولذا أتى بما يدل من أسماء الإشارة على القرب، وينطبق ذلك أيضاً على قوله عن بعض القافة: ((... فقال لأبيه: من قِتل هذه الصورة أتيت في ابنك [؟]))⁽⁴⁷⁹⁾.

فالعنصر الإحالي (هذا) يدل على قرب العنصر الإشاري (الصورة المعلقة على الجدار) وهي كذلك (إحالة داخلية بعيدة ذات مدى قريب) وهنا يتضح أن العنصر الإحالي باسم الإشارة لا يتعدى ما يزيل إبهامه، على أننا نجد من الإحالات ما يسميه هاليداي وحسن (بالإحالة الموسعة) وذلك حين يكون العنصر الإشاري (المحال إليه) جملة كاملة تقع قبله أو قطعة نصية كاملة، وذلك من قبيل قوله في باب علامات الحب : ((ويعرض في الحب سوء الظن واتهام كل كلمة من أحدهما وتوجيهها إلى غير وجهها، وهذا أصل العتاب بين المحبين))⁽⁴⁸⁰⁾.

فالعنصر الإحالي، هنا، هو اسم الإشارة (هذا)، أما العنصر الإشاري (المحال إليه) فإنه يشكل كل ما وقع قبله في هذا المثال، فالإحالة بها (إحالة داخلية قبلية بعيدة المدى) وبغير هذا العنصر، كان يتحتم على (المرسل) إعادة كل ما وقع قبله من كلام، لنذكر بذلك مدى فاعلية اسم الإشارة في اختزال النص، وجعله يترابط ويتراص على أحسن وجه.

⁽⁴⁷⁷⁾ طوق الحمامة / 58.

⁽⁴⁷⁸⁾ طوق الحمامة / 67.

⁽⁴⁷⁹⁾ طوق الحمامة / 39.

⁽⁴⁸⁰⁾ طوق الحمامة / 52.

هذا وربما جيء باسم الإشارة؛ اختزالاً لقطع نصية طويلة، تنشيطاً لذاكرة القارئ، وأخذ ذهنه إلى ما تقدم، وهو، فضلاً عن استحضاره ما يقع قبله، يحيل إحالة بعدية كذلك، فيقوم، عندئذٍ، بدور مزدوج يجمع الإحالتين معاً، كما في قوله:

((ومحبة العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس، فكل هذه الأجناس منقضية مع انقضاء عليها)) (481).

فلكون اسم الإشارة (هذه) بحاجة إلى ما بعده (الأجناس) لإزالة إبهامه، نتحصل على إحالة بعدية قريبة المدى، ولكونه يحيل إلى الأجناس المذكورة قبله نتحصل على (إحالة قبلية بعيدة المدى) فنرى أنه حقق دوراً ذا أهمية في التماسك النصي بهذه الوظيفة المزدوجة التي تجمع (الاتساع والاختصار) في آن واحد.

ومن أمثلة الإشارة أيضاً ما يحيل على قطعة نصية مقدارها باب كامل، على نحو ما جاء في مستهل باب المراسلة: (ثم يتلو ذلك إذا امتزجا المراسلة بالكتب) (482).

فمرجوع العنصر الإحالي، هنا، هو الباب السابق لهذا الباب برمته، فبعد انقضائه وبسط القول فيه أشار إلى مضمونه، ليستحضره إلى ذهن متلقيه، على اعتبار أنه أصبح بعيد العهد في ذهنه، ولذا جاء باسم الإشارة الدال على البعد؛ ليشير إلى مضمون ما صار بعيداً عن الذهن، وربطه بما هو راهن، وهو باب المراسلة، فيناسب بين البابين.

أما الإشارة الظرفية، فإن لها فاعلية كبيرة في الإحالة على ملابسات النص وسياق الموقف فيه، وهذا ما تؤكد الإحالات الإشارية الظرفية في نص الطوق، وهنا سنقف على اثنتين منها لنرى ما تقوم به هذه الإشارة من دور إعلامي كبير تتمثل في إعانة القارئ على معرفة ملابسات الطوق فمن ذلك قوله في مقدمة الرسالة :

((فإن كتابك وردني من مدينة (المرية) إلى مسكني بحضرة الشاطبية)) (483)، وقوله في باب الطاعة: ((... وحكم المذكور [حكم بن منذر بن سعيد البلوطي -] في الحياة في حين كتابي إليك بهذه الرسالة، قد كفت بصره وأسّناً جداً)) (484).

فقد اشتمل المثالان على إشارتين ظرفيتين، تحيل الأولى منهما، في المثال الأول، إلى المكان الذي كتبت فيه الرسالة والمكان الذي يسكن فيه صديقة المعني بها، وذلك من خلال الاسترشاد بحرفي الجر (من ... إلى) اللتين تفيدان ابتداء الغاية وانتهائها.

(481) طرق الحمامة / 36.

(482) طرق الحمامة / 79.

(483) طرق الحمامة / 25.

(484) طرق الحمامة / 97.

أما المثال الثاني، فقد احتوى على إشارة ظرفية زمانية يحيل بها إلى زمان كتابته هذه الرسالة من خلال قوله (في حين كتابتي ...) فهو يُعلم متلقيه - أولاً - بقاء (حكم) على قيد الحياة على طريقة أهل التراجم، ويعلمنا - نحن - أن هذه الرسالة كتبت أواخر أيامه.

ويرى المؤرخون أن ابن حزم نزل شاطبة في حدود (سنة 417)، ولعلهُ استوطنها قبل ذلك بقليل وفي ذلك العام جاء إليه صديق من المرية⁽⁴⁸⁵⁾، وإلى هذا أشار ابن حزم حين قال ((ثم لم ألبث أن أطلع عليّ شخصك وقصدتني بنفسك على بعد الشقة...))⁽⁴⁸⁶⁾، كما تخبرنا كتب التراجم أنّ حكماً هذا توفي في حدود سنة (420هـ)⁽⁴⁸⁷⁾، وأنّ ولادة ابن حزم كانت سنة (384هـ)⁽⁴⁸⁸⁾، فالمدة الفاصلة بين هذين التاريخين هي ست وثلاثون سنة والذي يدعم هذا التقريب كون (حكم) بن المنذر ((قد كفت بصره وأسّ جدّاً)) وعليه، فإنّ الرسالة كتبت عندما كان ابن حزم - يقول إحسان عباس من خلال هاتين الإشارتين - في شاطبة ولا بدّ أن يكون ذلك قد تمّ في وقت ما بين سنتي (417 - 418) حين كان ابن حزم في حدود الرابعة والثلاثين من عمره⁽⁴⁸⁹⁾، أو أكثر من ذلك بقليل.

فهذه هي فاعلية الإشارة المكانية والزمانية، لكونها تحيل خارج النص، حيث الملابس التي كُتِب فيها، ما يعين القارئ على الوقوف على جزئيات مهمة يسترشد بها في فهم مرامي النص وتأويله تأويلاً محلياً.

ت. الإحالة بالاسم الموصول

قلنا إن الموصلات - الاسمية منها - مبهمات تحتاج إلى ما يزيل إبهامها، وما أن عثرت على موضحها حتى - رأينا الكلام قد تمدّد وأخذ بعضه بعضاً، فهي لذلك لا تختلف عن الإشارة والضمير في الربط بين أجزاء النص وسبكه، توسيعاً واختصاراً، وهنا نحاول متابعة الموصولات، ومدى فاعليتها في تماسك نص الطوق من خلال ربطه بين جملة وعباراته.

يقول ابن حزم: ((وأشنع ما يكون الرقيب إذا كان ممن امتحن بالعشق قديماً، ودهي به وطالت مدّته فيه، ثم عري عنه بعد إحكامه لمعانيه))⁽⁴⁹⁰⁾.

فالعنصر الإحالي، هنا، (من) الموصولة التي تفيد العموم، والعنصر الإشاري هو جملة صلة الموصول الموسّعة بالعطف، الواردة بعده مباشرة، فالإحالة بها (داخلية بعدية) و(المرسل) هنا قد وُفّق في تسخير (من) الدالة على عموم العاقلين، ولم يأت بموصولٍ يخصّ به أحداً بعينه، فكاتبنا نزاعاً لأن يعيّم

⁽⁴⁸⁵⁾ رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، مقدمة المحقق، 1 / 38.

⁽⁴⁸⁶⁾ طوق الحمامة / 26.

⁽⁴⁸⁷⁾ ينظر: الصلة، لابن باشكوال، 1 / 46.

⁽⁴⁸⁸⁾ ينظر: جذوة المقتبس، للحميدي / 290.

⁽⁴⁸⁹⁾ ينظر: رسائل ابن حزم، مقدمة المحقق / 38 - 39.

⁽⁴⁹⁰⁾ طوق الحمامة / 111.

أحكامه التي تنزل منزلة السنن والنواميس، وحقاً فإن الرقيب إذا كان ممن نزلت به كل هذه الغوائل، أحكم معاني الحب وطرقه، واستبطن العشاق ووقف على مأربهم وكشف نياتهم، فكانوا ضحية لشناعته وعبثه وخبثه، فالمقام هنا مقام تحذير وتنبيه يستحق الإعمام.

هذا، وغالباً ما نجد (المرسل) يستعمل (من) حجاباً يستر به من يتكلم عنهم، وربما يستر به ذاته أيضاً، على ما سيتضح في حديثنا عن (التناص الهيكلي) فتكون (من)، عندئذ، عاماً مشرباً بالخاص، كقوله عن أحدهم:

((ولقد رأيت من اشتدَّ وجده وعظم كلفه حتى كان العدل أحبَّ شيء إليه))⁽⁴⁹¹⁾.

فالعنصر الإحالي هو (من) وصلتها الموسعة بالعطف عنصر إشاري، والسر في استعماله الإعمام هنا، لا كما تقدّم أنه يريد الإعمام فحسب، فالذي يريدُه هنا هو ((الكناية عن الأسماء فهي- يقول ابن حزم- إما عورة لا نستجير كشفها وإما نحافظ في ذلك صديقاً ودوداً ورجلاً جليلاً))⁽⁴⁹²⁾، فالسر في الإعمام هو التغطية على أسرارهم.

ولكن ثم سؤال يفرض نفسه في هذا المقام وهو هل استطاع ابن حزم المحافظة على ودّ الأصدقاء والتغطية على العورات في كل أرجاء نصّه؟ وإذا كانت الإجابة هنا سلباً فهل يعني أن النص وقع تحت مظنة التعارض من أن كاتبه أراد شيئاً في مستهله ثم ما لبث أن نقض ما قاله قبلاً؟

ليس ببعيد أن يكون ابن حزم قد جاء بهذه الفقرة ليغطي على جملة من خصوصياته، التي لم تقو شجاعته الاعترافية التصريح والاعتراف بها، وليس ببعيد أيضاً أن يكون الناسخ قد استبدل ألفاظ العموم بالمواثيق السير الذاتية من قبيل (وعني احدث) (وقد وقع لي...) وغيرها، هذا من جانب⁽⁴⁹³⁾، ومن جانب آخر نرى أن ابن حزم حافظ على ودّ الأصدقاء، ولكن- وفي المقابل- لم يستطع التغطية على عورات الأعداء والمناوئين، فقد عُرف عنه أنه ((تصدى له المنافسون والمعادون، مشهرين به ومجرحين فيه ومشنعين لسقطاته الصغيرة حتى جعلوه رمزاً للطيش والمروق ونزق الضلالة والغرارة))⁽⁴⁹⁴⁾، ولذا وجد ابن حزم في هذه الرسالة مكاناً مناسباً ليَشهرَ بهم بمثل ما شَهرَ به هو، ويجرحَ فيهم بمثل ما جرحَ به هو، ويشنع لسقطاتهم الصغيرة ويسلط عليها مجهره، بحيث يجعلهم أسفل سافلين، على ما يتضح في حديثه- مثلاً- عن (مقدم بن الأصفر)⁽⁴⁹⁵⁾ وعشقه الفتى عجيب، إذ لا نستبعد أن يكون مقدم هذا أحد منافسي ابن حزم وأعدائه الألداء، وكذلك في حديثه عن (سعيد بن المنذر بن سعيد) وزواجه من جاريته، وكيف

(491) طرق الحمامة / 103.

(492) طرق الحمامة / 28.

(493) سنأتي إلى ذلك في الفصل المخصص للتناص الهيكلي.

(494) طرق الحمامة، بتحقيق صلاح الدين القاسمي، مقدمة المحقق / 24 - 25.

(495) طرق الحمامة / 95 - 96.

أنه ((رضي بهذا العار الفادح على ورعه ونسكه واجتهاده))⁽⁴⁹⁶⁾، فإن يك سعيدٌ هذا صديقاً ودوداً لابن حزم، فما الذي دعا إلى أن يستجير كشف هذه السقطة، إن لم يكن قد بدا منه تجاه ابن حزم موقف ظل يعمل ويتأجج في قلبه حتى تهيأت له الفرصة المرجوة، كي يخدم بها ما يتأجج في قلبه، وإلا فإن صاحبنا قد نجح في مراعاة مقاصده وتحقيقها حين اختار ما يدلُّ على العموم من الموصولات حفاظاً على مبدئه الذي يأبى إلا الحفاظ على عورات الناس، ومراعاة لمقصدية رسالته، التي ينبغي ألا يتعارض بعضها مع بعضها الآخر، وهذا ما حققته الإحالة، فضلاً عن تحقيقها التماسك النحوي.

ومن استعمالاته الموصول، كذلك، قوله: ((ومن عجيب طاعة المحبِّ لمحبيه أني أعرف من كان سهرَ الليالي الكثيرة، ولقي الجهد الجاهد، فقطعت قلبه ضرورُ الوجد ظفر بمن يحب، وليس به امتناع ولا عنده دفع، فحين رأى منه بعض الكراهية لما نواه تركه وانصرف عنه، لا تعقفاً ولا تخوفاً، لكن توقفاً عند موافقته رضاه، ولم يجد من نفسه معيناً على إتيان ما لم يرَ له إليه نشاطاً، وهو يجد ما يجد))⁽⁴⁹⁷⁾.

يضمُّ هذا الخبر حشداً من الإحالات -الضميرية والموصولية- المنتشرة في فضائه، وكانت جميعها سبيلاً لاتساقه وظهوره على هذه الشاكلة، فقد تعاضدت لبروزه مستويًا يداعي بعضه بعضاً، وفضلاً عن الضمائر التي هي بحاجة إلى التوضيح، احتوى الخبر على خمسة موصولات دالة كلها على العموم، لاقتضاء المقام ذلك، إذ الخبر عن أناسٍ يعرفهم ولا يريد البوح بأسمائهم، هذا من جهة ما يتعلق بـ (من)، أمّا من جهة ما يتعلق بـ (ما)، فإنه كذلك يحسن الاختيار حين يوظفها في أغراضٍ شديدة الاتصال بمراميه، لأن (ما) تعميمية كذلك، دالةً على الإحاطة بالأحوال ((التي لا يحيط بها المتكلم ولا المخاطبون))⁽⁴⁹⁸⁾.

فقوله (لما نواه) تتضح فيه هذه الدلالة من أن ما نواه المحبوب نجهله نحن المخاطبين - وليس بإمكان المتكلم - ابن حزم - إيضاح هذه النية، فكلانا يجهل حدود هذه النية الكامنة في صدر المتحدث عنه، وكذلك الحال في قوله (ما لم يرَ له ...) وقوله (وهو يجد ما يجد)، سوى أن هذا الأخير فيه إيحاء لعظم ما يجده وما يعانیه المحب، فهو، إذاً، تعميمٌ مشرب بالتهويل والتعظيم.

فالإحالات الموصولية في هذا الخبر، هي (إحالات داخلية بعدية) جمعت شمل هذه القطعة النصية على ما يتضح من خلال هذا المسرد :

⁽⁴⁹⁶⁾ طوق الحمامة / 96- 97.

⁽⁴⁹⁷⁾ طوق الحمامة / 97.

⁽⁴⁹⁸⁾ سورة الأعراف، دراسة نصية، حسين عبد الله موساي / 187.

العنصر الإحالي	العنصر الإشاري	نوع الإحالة	موقعه من الإعراب	معنى اسم الموصول	وظيفته في السبك
اعرف (من)	سهز الليالي	داخلية بعدية	مفعول به	التعميم	الاتساع
ظفر به (من)	يحب(هـ)	داخلية بعدية	اسم مجرور	التعميم	الاتساع
بعض الكراهة لـ (ما)	نواه	داخلية بعدية	اسم مجرور سواء كانت مصدرية أم موصولة	التعميم	الاتساع
على إتيان ما	لم يزل	داخلية بعدية	مضاف إليه	التعميم	الاتساع
وهو يجد (ما)	يجد(هـ)	داخلية بعدية	مفعول به	التعميم والتهويل	الاتساع

ومن أمثلة الإحالة بالاسم الموصول أيضاً قوله:

((وهي رائد النفس الصادق، ودليلها الهادي، ومرآتها التي بها تقف على الحقائق...))⁽⁴⁹⁹⁾.

فاسم الموصول الخاص بالمفرد العاقل المؤنث، هو عنصر إحالي، يحقق إحالتين، لا إحالة واحدة، ف (التي) يحيل إحالة قبلية على (مرآتها) وبها نحصل على (إحالة داخلية قبلية)، كما أنه يحيل إحالة أخرى على العنصر الإشاري الواقع صلة له وهو جملة (تقف) الواقعة بعده، فتكون الإحالة هنا (إحالة داخلية بعدية) وهي بذلك تربط السابق باللاحق، وتقوم بوظيفتي الاختصار والاتساع معاً.

ثانياً- الحذف

يؤدي الحذف دوراً مهماً في هذه الرسالة، باعتباره وسيلة من وسائل اتساقها، ويتمثل هذا الدور بارتباط اللاحق من الكلام بسابقه، من خلال فجوة كانت نتيجة لتجنب (المرسل) تكرار بعض الوحدات اللغوية على مستوى جملتين أو أكثر، كما يتمثل هذا الدور بتقليص بنية كلامية كبيرة نسبياً ببنية أصغر منها، الأمر الذي يجعل الحذف يتقاطع مع الإحالة، في أنه يترك في النص فجوات يقتضي ملؤها الرجوع إلى وحدة لغوية مذكورة داخله تحيل على (صفر) بتعبير هاليداي وحسن.

ولم تقتصر هذه الوسيلة الاتساقية على أنواع الحذف الثلاثة: (الاسمي والفعلية والجملي) وإنما توسعت لتشمل نوعين آخرين، وهما الحذف الحرفي، وحذف شبه الجملة، فتلك هي سمة النصوص العربية.

ومن أمثلة ما ورد فيه الحذف، قوله :

((واعلم، أعزك الله، أن للمحب حكماً على النفوس ماضياً

و(↓)

⁽⁴⁹⁹⁾ طرق الحمامة / 76.

و(...) سلطاناً قاضياً
و(...) أمراً لا يخالف
و(...) حذاً لا يعصى
و(...) ملكاً لا يتعدى
و(...) طاعة لا تصرف
و(...) نفاذاً لا يرد⁽⁵⁰⁰⁾.

فكل من تسير عيناه على انتلافات هذا المثال يعين - لا محالة - غياب عنصر لغوي واقع بين واو العطف والأسماء المنتصبة عطفاً على اسم (إن) المؤخر جوازاً (=حكماً)، ما يقتضي، ذلك، أن يُملاً ما بين الأقواس بشبه جملة يردم به هذه الفجوة الحاصلة في سطح النص، وذلك باستحضاره من خلال ما وقع قبلها، وهو قوله (...) للمحب) الذي يقوم دليلاً على ما تغيب عن النص، وبناءً عليه تقوم هذه الفجوة بوظيفة اتساقية، لأن ملئها يلزم الإحالة إلى ما قبلها من الكلام الذي يأخذ بعضه بعضاً ويتعلق ببعضه ببعض عضويًا.

ومثل ما تقدّم ينطبق على قوله:

((فمعه يحمل الإنس

و (...) تتجلي الأحزان

و (...) يقصر الزمان

و (...) تطيب الأحوال⁽⁵⁰¹⁾).

فهنا، أيضاً، غُيِبَ شبه الجملة (معه) المتعلق بالفعل (يحمل)، فاستدعاء الأفعال، (تتجلي) و(يقصر) و(تطيب)، شبه جملة، ليس بحاجة إلى التقصي الممض، إذ الدليل، هنا، على حذف هذا العنصر، دليل لغوي سابق عليه، وبغيابه حصل الترابط بين هذه الانتلافات، ناهيك عما تقوم به أداة الربط (الواو) بشد بعضها إلى بعض عبر نقلها الحكم الإعرابي من السابق إلى اللاحق.

ومن أمثلة الحذف الحرفي، قوله :

((ولم يحصل من ذلك إلا عن كشف الغطاء

و(...) إذاعة السر

و(...) شناعة الحديث

و(...) فتح الأحداث

و(...) شرود محبوبه عنه جملة⁽⁵⁰²⁾)).

⁽⁵⁰⁰⁾ طرق الحمامة / 69.

⁽⁵⁰¹⁾ طرق الحمامة / 106.

إذ تصادفنا، مع هذا المثال، أسماء مجرورة (إذاعة، شنعة، فتح، شرود) دون أن يبرز الجاز إلى سطح النص، ما يشير إلى فجوة تركيبية، لا تردم إلا بتقدير جار ممّا يقع بعد أداة الحصر ((لا) يكفل لهذا التركيب العطفى تماسكاً بمساعدة أداة الربط الواو.

إنّ من يمعن النظر في الأمثلة السابقة يرى أنّ الحذف لا يظهر فيها إلا ويكون مصحوباً بفن الإطناب، فحيثما قصد (المرسل) الإطناب - خدمة لأغراضه واهتماماته - توسّل بالحذف، وكأنّك به كان يعي جيداً - وهو أهل لذلك - أنّ نصّه لن ينال ترابطه واتساقه ما لم يوظف وسيلتين تحويليتين تتجاذبان عباراته، وهما الحذف والإطناب (= التطويل)؛ فلو لا الحذف لكان الأمر تطويلاً على تطويل، ولم يظهر نصّه بهذا المظهر القوي المعبر عن اتساقه، ولا أدلّ على ذلك من أننا نظفر بمظهر جمالي رائع من خلال تضافر هاتين الوسيلتين - الحذف والإطناب - ألا وهو ظاهرة (التوازي) التي تضيف إلى النص ضرباً آخر من الاتساق، غير الاتساق النحوي والمعجمي، ذلكم هو الاتساق الصوتي :

الإطناب + الحذف = التوازي # اتساق صوتي

فالحذف في هذه الرسالة ((لا يصحبه التوازي إلا ويمثّل مظهراً قوياً من مظاهر الاتساق النصي))⁽⁵⁰³⁾، كما يبدو في هذا المثال:

((وكان كدّه عناء

و(...) تعبهُ هباءً

و(...)) بحثهُ وباءً وكلما ازداد عن وجه السيرة انحرافاً

و(...)) في تجنبها إغراقاً

و(...)) في غير الطريق إيغالاً

ازداد عن بلوغ مراده بعداً⁽⁵⁰⁴⁾.

إذ تداعى على هذا المثال كلا طرفي المعادلة السابقة فاسم (كان المغيبة) وخبرها في الجملتين المعطوفتين على الجملة الأولى يحقق لهذا الامتداد الخطي اتساقه، حين يبقى الذهن مركّزاً على (كان) المذكورة صريحة في المثال، إذ لا تزال عالقة في خلد المتلقي باعتبارها ((قرينة سابقة، تحملها أدوات الربط وتسريها إلى العبارات اللاحقة، فبناءً عليه يقوم هذا الحذف بوظيفة اتساقية مصحوبة بأدوات الربط الإضافية))⁽⁵⁰⁵⁾، كذلك الحال مع تغييب الفعل الماضي (ازداد) الدال على المطاوعة والذي توصلنا إليه، بعلوق الذهن بذكره، أول الأمر، صريحاً وبقاء أثره بعد حذفه - في الجملتين الأخريين - في معموليه (إغراقاً - إيغالاً)، فكان جنوح (المرسل) نحو التطويل (الإطناب) بغية تثبيت وجهته وتوكيد

⁽⁵⁰²⁾ طوق الحمامة / 91.

⁽⁵⁰³⁾ دراسة الحذف كعنصر اتساق / 468.

⁽⁵⁰⁴⁾ طوق الحمامة / 91.

⁽⁵⁰⁵⁾ دراسة الحذف كعنصر اتساق / 462.

الترغيب في نصائحه- باعاً على طلبه الحذف، لخلق توازناً بين عباراته التي تكاد كلها تكون بمعنى واحد مستقصياً لكل ما يدل به من الألفاظ، لتأكيد هذا العناء النازل بطالب الحب؛ إثر خروجه عن الطرق السليمة والسنن الناصعة التي يكون سلوكها من دواعي إقبال المحبوب عليه، وإلا فإن ((هذا داعية نفار المحبوب وفساد في التدبير))⁽⁵⁰⁶⁾، ولم يكتفِ (المرسل) في شحذ ذهن متلقيه، وكسب انتباهه، حتى أردفه بواحد من أهم المنبهات الأسلوبية والمؤثرات الصوتية في النص، وهو التوازي⁽⁵⁰⁷⁾، باعتباره وسيلة لإحكام سلوك من يتر عليهم بنصحه، بخاصة وإن بنية التوازي قائمة ((على الاحتجاج مع الاستقصاء (استيفاء وصف الحالات) وهذا كله يجري متسقاً مع المستوى الصوتي (الإيقاع) بكل وسائله التي يتشكل منها))⁽⁵⁰⁸⁾، وبذلك تكون كل هذه الوسائل- الحذف والإطناب والتوازي- قد أحاطت بالمنصوح، فما له- عندئذ- من استيعاب النص من بد.

هذا عن حذف الحروف والأفعال وأشباه الجمل، أما عن حذف الأسماء، فإنه كذلك يشكّل رافداً من روافد الحذف، ومنه رافداً من روافد اتساقه، وأكثر ما يكون هذا الحذف، حيث يكون (المرسل) إزاء المباني التعريفية في النصوص التي يهيمن فيها الطابع الإعلامي، نحو قوله في باب الوصل الذي يستهلّه بتعريفه :

((ومن وجوه العشق الوصل، وهو خط رفيع

و (...) مرتبة سرية

و (...) درجة عالية

و (...) سعد طالع، بل هو الحياة المجتدة

و (...) العيش السني

و (...) السرور الدائم

و (...) رحمة من الله عظيمة))⁽⁵⁰⁹⁾.

فهيمنة الوظيفة المرجعية في هذا المثال واضحة جلية، إذ ((الغاية في هذا النوع من النصوص - يقول آدم- هي تقديم معلومات ومعارف حول موضوع معين يفترض أن المتلقي يجهلها، أو ليست لديه معلومات كافية حولها))⁽⁵¹⁰⁾، وهذا مدعاة لأن تكون المعلومات على قدر من الشرح والوضوح اللذين يعالجهما ابن حزم هنا بطاقته الاسترسالية، وضخامة معجمه اللغوي، باختياره العبارة المقترضة القصيرة

⁽⁵⁰⁶⁾ طوق الحمامة / 90.

⁽⁵⁰⁷⁾ ينظر : التوازي منبهاً أسلوبياً ومؤثراً صوتياً في القرآن الكريم، دراسة للدكتور طلال خليفة سلمان، مجلة المورد الصادرة عن وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية، مج 38، ع 2، 2011 م / 98.

⁽⁵⁰⁸⁾ التوازي منبهاً أسلوبياً / 99.

⁽⁵⁰⁹⁾ طوق الحمامة / 123.

⁽⁵¹⁰⁾ مدخل إلى علم النص، الصبيحي / 109.

المتوازنة واللفظة السهلة، وعدم اللجوء إلى تكرار (المعزّف)، وإنما اللجوء إلى الكناية عنه بالضمير، أول الأمر، ثم القيام بحذفه هو أيضاً في حشد من الجمل الموضحة.

ومن أمثلة الحذف الاسمي، كذلك، قوله في باب السفير:

((فكم منيع سهل بهذه الأوصاف

و(... عسير يبتّر

و(... بعيد قرب

و(... جموح أنس ...)) (511).

بهذا المثال يدل المرسل على نجاعة استعمال المحبّ سفيراً ((ذا قرابة من المرسل إليه لا يشخّ بها عليه)) (512)، فكان جديراً بهذا المقام توظيف (كم الخبرة) الدالة على الكثرة، ترغيباً في أن يكون الرسول من هذا النوع، ((فيه يستهل الصعب، ويستيسر العسير، ويهتدي من يعصي الهوى...)) (513). فنرى أن (كم) قد غيّبت هنا وبقيت عاملة في التمييز الواقع بعد حرف العطف، وبذلك اتصلت هذه التراكيب لاشتراكها جميعاً في عامل محذوف، وبمصاحبة أداة الربط لها، لتظهر سلسلة متماسكة مستوفية وصف الحالات التي يكون عليها المحبوب الممتنع.

ومن أمثلة الحذف الاسمي، أيضاً:

((فالكذب أصل كل فاحشة

و(... جامع كل سوء

و(... جالب لمقّب الله [عَلَيْكَ]) (514).

فنرى كيف استقصى كل ما للكذب وما عليه، وكيف احتترز عن التكرار، بلجونه إلى الحذف، وترك افتراض المحذوف على كاهل المتلقي، في ملء تلك الفجوات بالعناصر المفترضة التي تقوم بربط الجمل بعضها ببعض، على أن نصيب الرسالة من (حذف الجمل) يكون قليلاً جداً لو قيس بأضرب الحذف الأخرى، فكان لذلك ذا دور ضعيف في اتساق النص؛ لأنه ((أضعف أنواع الحذف من حيث مدى قدرته على أن يكون أداة اتساقية، إذ يربط بين قليل من الجمل والعبارات)) (515)، فمن ذلك (516):

- الطويل -

(511) طوق الحمامة/82.

(512) طوق الحمامة/82.

(513) طوق الحمامة/82.

(514) طوق الحمامة/118.

(515) الحذف كعنصر اتساق ... / 470.

(516) ديوان ابن حزم الأندلسي، تحقيق وجمع عبد العزيز إبراهيم، ط1، دار صادر - بيروت، 2010م/56، وينظر: طوق

الحمامة/72.

يعيبونها عندي بشقرة شعرها

فقلت هذا الذي زانها عندي

فثمة جملة محذوفة في الشطر الثاني من البيت، وهي جملة الصلة، فبرجعنا إلى الشطر الأول نتوصل إلى أنَّ ثمة علاقة وطيدة بين الشطرين، من خلال تقدير جملة صلة من مضمون صدر البيت ليكون التقدير: (هذا الذي تعيبونها به زانها عندي)، فنكتشف أن المرسل أقام جملة (زانها عندي) مقام الصلة.

ومما يتميز فيه الحذف من الاستبدال، قوله :

((... فقلت له: إذا كان صاحبه مؤوفاً))⁽⁵¹⁷⁾، فهنا استبدل ب(إذا) جملة الشرط، والتقدير: (لو كان

الامر كما زعمت إذا كان صاحبه مؤوفاً)

فالسباق يدلنا على أنَّ هذه الجملة استنتاج لما دار بين ابن حزم ومحاورة المتيم، وقد وظف الناص حرف الجواب (إذا) للدلالة على هذا الاستنتاج، لذا فقد حذف جملة الشرط ولم يكتب بالمبنى العدمي، ونرى لو أنَّ الناص لم يأت ب(إذا) لكان هذا المثال حذفاً لا استبدالاً؛ لأن الحذف إحالة على صفر، أما هنا فقد جعلت (إذا) الرابطة دليلاً استغني بها عن الجملة المحذوفة.

ثالثاً - الاستبدال

قلنا إنَّ العلاقة بين الحذف والاستبدال علاقة وطيدة إلى الحد الذي يتضمَّن فيه أحدهما الآخر، فكلاهما يحقق إيجاز النص وتماسك أجزائه، فالاستبدال، إذاً، وسيلة من وسائل الاقتصاد اللغوي عبر تغييب عنصر وإحلال آخر مكانه، وهنا ننبّه على أننا أدخلنا الاستبدال العباري باسم الإشارة ضمن فقرة الإحالة بأسماء الإشارة تحت اسم (الإحالة الموسعة)، وأننا أدخلنا حذف الجمل الشرطية المقترنة بجوابها برابط ضمن الاستبدال العباري، وذلك لأن الإبقاء على جواب الشرط مقترناً برابط، يمنع أن يكون المحذوف أو المستبدل منه استبدالاً من صفر، لأن الرابط هنا يقوم دليلاً على المحذوف، ومن نماذج الاستبدال في الطوق قوله⁽⁵¹⁸⁾ :

- البسيط -

وآخر كان في محبوبه قوة

يقول حسبي من الأفواه غزلان

وثالث كان في محبوبه قصر

يقول إن ذوات الطول غيلان

حين نتأمل في قوله: (وآخر) وقوله (ثالث)، نلاحظ أنهما استبدلا بكلمة (فتى) الواردة في قوله⁽⁵¹⁹⁾:

⁽⁵¹⁷⁾ طوق الحمامة / 99.

⁽⁵¹⁸⁾ ديوانه / 146، وينظر: طوق الحمامة / 72.

⁽⁵¹⁹⁾ طوق الحمامة / 72.

منهم فتى كان في محبوبه وقص

كأنما الغيد من عينيه جنان

نقول استبدل بها كلمة (آخر)، أي (وفتى آخر) ثم استبدل بها كلمة (ثالث) في البيت الأخير، على تقدير (وفتى ثالث)، لنرى كيف تواشج النص بربط قائله البيتين الأخيرين بما سبقهما، فكان دخولهما ضمن ما سبقهما دخولاً عضوياً لا فكاك لأحدهما عن الآخر، ومن أمثلته، أيضاً، قوله :
(ودليل عيان على هذا أنك تأخذ مرأتين كبيرتين، فتمسك إحداهما بيمينك خلف رأسك والثانية بيسارك) ((520)).

فقد استبدل بكلمة (مرأة) الواقعة في سياق تفصيلي لقوله (تأخذ مرأتين كبيرتين) كلمة (الثانية) والتقدير: (والمرأة الثانية)، فالعنصر الاستبدالي كان استمراراً لما استبدل منه، ما يعني أنه كان وسيلة لاستمرار الكلام وتنشيط ذهن متلقيه العالق بما يستدعي تفصيلاً وهو قوله (مرأتين ...)، وهذا ما زاد في ترابط النص.

وشبيه قوله هذا ما جاء في باب (الواشي) من أن الكذب والنميمة ((صفتان متقاربتان في الظاهر متفاوتتان في الباطن، إحداهما داء والأخرى دواء)) ((521))، فقوله (والأخرى دواء) واقع ضمن تفصيل المرسل لهاتين الصفتين، فقد استبدل بكلمة (الصفة) المفهومة من السياق الخطي، كلمة (الأخرى) على تقدير (والصفة الأخرى) فكان لهذا الاستبدال ما كان للمثال السابق من أثر في تماسك النص وتلاحمه. أما الضرب الثاني من أضرب الاستبدال - الاستبدال الفعلي - فقد شكّل حضوراً هو أيضاً على غرار ما شكله الضرب الأول، فمن نماذج، قوله :

((وكان في جملة من خضر أخوه حكم بن منذر، فقال لمن حضر: اعرض عليها أني أخطبها أنا، ففعل فأجابته إليه)) ((522)).

فكان من المفروض أن يقول (فخطبها)، إلا أن المرسل استبدل بهذا الكلام المفترض قوله (ففعل) وذلك اختصاراً لكلامه، وتجنباً لتكراره، وبذلك حلّ المستبدل به محل المستبدل منه، ليشدّ به أجزاء النص، ويجعل لاحقه متعلقاً بسابقه.
وشبيه قوله هذا قوله :

((... فقالت له عرّضي له بالشعر، ففعلت المزة بعد المزة، وهو لا يأبه في كل هذا ...)) ((523)).
فالذي يغني عن قوله (فعرضت له بالشعر) قول يوجزه، ويحقق هذا الكلام اقتصاداً وسبكاً ما كان التكرار ليحققه، وهو أنه استبدل بهذا القول، كلمة (فعلت) ليغني عن كل ذلك ويحقق ترابط هذا الكلام.

(520) طوق الحمامة / 76.

(521) طوق الحمامة / 121.

(522) طوق الحمامة / 97.

(523) طوق الحمامة / 126.

أما الاستبدال العباري فقد اتكا عليه ابن حزم في مواطن منها :
((وأما هذا الفعل للمحب فقليل فيما يجب عليه وفرض لازم وشريعة مؤداة، وكيف لا وقد بذل نفسه
...)) (524).

فتغيب الكاتب ما هو واقع بعد (لا) غير العاملة، واستغناؤه عنها ب (لا) جلي واضح، إذ التقدير
:((وكيف لا يكون ذلك)) وبهذا التقدير ارتبطت جمل الكلام، فالمحذوف مقتر مّا وقع قبل (لا).
ومنه أيضاً قوله في حوار مع أبي السري عمار بن زياد: ((هل تعلم من هي؟ قال لا والله)) (525)
أي: (لا أعلم من هي والله) فاستغنى عن هذه الجملة ب (لا).

ومنه أيضاً، قوله: ((ولا يقولنّ قائل إن صبر المحب على دلة المحبوب دناءة في النفس، فقد
أخطأ...)) (526). فقد استبدل الكاتب بجملة الشرط المحذوفة (الفاء) الرابطة بينهما وبين جوابها، إذ السياق
يستدعي أن يكون الكلام هذا تقدير: (فإن قال قائل ذلك فقد أخطأ)، ولو أنه أبقى على هذا المقتر في
البنية السطحية لما كان لذلك ما له الآن من استقامة، وذلك من خلال عدول الكاتب عن التكرار واللجوء
إلى الاختصار.
رابعا - التحديد

وللتحديد نصيب كبير في اتساق نص الطوق ولعلّ أجل مظاهر هذه الخاصية تتضح حين تتعاون
الأسماء المعرّفة ب(أل) مع الأسماء المكررة فتشكّل لدينا - على حدّ تعبير واورزنيك - شبكة إحالية
اسمية، أو ضفيرة اسمية إحالية (527). يقول ابن حزم في باب علامات الحب:
((والبكاء من علامات المحب، ولكن يتفاضلون فيه، فمنهم غزير الدمع، هامل الشؤون تجيبه عينه
وتحضره عبرته إذا شاء، ومنهم جمود العين، عديم الدمع)) (528).

نجد الكاتب في هذه الفقرة جاء بالفاظ معرّفة، كلها تحيل إلى النواة الرئيسة فيها (البكاء) فكون
العناصر (الدمع - الشؤون - عينه - عبرته ...) متلازمة مع (البكاء) ولكونها تحيل على بعضها بعضاً
عن طريق التكرار، لا ينفي الدور الاتساق والدلالي الذي يقوم به التعريف، إذ يؤدي (التعريف) بجانب
التكرار دوراً بارزاً في الترابط، فالكاتب جاء بهذه العناصر معرفة كون المتلقي خبيراً بها وبمضامينها،
إذ ((ترتبط أداة التعريف بما سبق ذكره)) (529) في النص أو في مقام ما سبق ذكره، وبها ارتبطت أجزاء هذه
الفقرة عن طريق (أل) العهدية الذهنية.

(524) طوق الحمامة / 130.

(525) طوق الحمامة / 55.

(526) طوق الحمامة / 87.

(527) ينظر: مدخل إلى علم النص، واورزنيك / 139.

(528) طوق الحمامة / 51.

(529) النص والخطاب والإجراء / 307.

كما يمكن أن يتضمن التعريف أي عنصر من عناصر عالم النص في نطاق دلالي يربطه بمركز الضبط (المتكلم) ⁽⁵³⁰⁾ نحو قوله في القطعة نفسها:

((... وأنا منهم وكان الأصل في ذلك إدماني أكل الكندر لخفقان القلب، وكان عرض لي في الصبا، فإني أصاب بالمصيبة الفادحة، فأجد قلبي يتقطر ويتقطع، وأحس في قلبي غصة أمر من العلقم تحول بيني وبين توفية الكلام حق مخارجه، وتكاد تشرقني بالنفس أحياناً، ولا تجيب عيني البتة إلا في الندرة بالشيء اليسير من الدمع)) ⁽⁵³¹⁾.

إذ لم يأت (المرسل) بنكرة في هذه القطعة سوى كلمة (غصة) الموصوفة وصفاً مفرداً بكلمة (أمر) ووصفاً بجملة (تحول...) ولم يكن (المرسل) ليأتي بها لولا أن متلقيه لم يكن خبيراً بخبايا نفسه، ولذا جاء بها موصوفة لإزالة جهل المتلقي بها.

أما عن العناصر المعرفة بـ(أل) - (الدمع - الصبا - الكلام - النفس) فقد أدت دوراً بارزاً في اتساق الفقرة، إذ جعلت من الجمل الحاوية إياها، مترابطة من خلال إسهامها في الاتساق عن طريق صلة أداة التعريف بمركز الضبط - المرسل - فقد أورد المرسل قبل هذه العناصر دلالات عائدة إليه (أنا) (إدماني) (لي) (فأني أصاب) (أجد) (قلبي) وغير ذلك.

فلا بد - إذاً - أن تكون هذه العناصر المعرفة مساوية لـ (دمعي - صباي - كلامي - نفسي) فكلها ذات صلة بالمتكلم، وتحليلتها بـ(أل) أدت إلى هذا التواضع النصي - على صعيد هذه الفقرة - ولو أن المتكلم استغنى عن أداة التعريف لظهر التفكك والاجتزاء داخل نصه، فلكون دلالاتها تعود على شخص (المرسل) استحالة مجيئها نكرة.

ويندرج ضمن هذا المفهوم الترابطي العناصر المعرفة باللام العهدية الذكورية، أي ما يتصل بما ذكر من معلومات مشتركة بين طرفي الاتصال، فمن ذلك قوله في باب التعريض بالقول:

((وأنا أعرف فتى وجارية كان يتحاجان، فأرادها في بعض وصلها على بعض ما لا يحل، فقالت: والله لأشكوئك في الملاء علانية ولأفضحكك فضيحةً مستورة، فلما كان بعد أيام حضرت الجارية مجلس بعض أكابر الملوك وأركان الدولة وأجل رجال الخلافة، وفيه ممن يتوقى أمره من النساء والخدم عدد كبير، وفي جملة الحاضرين ذلك الفتى لأنه كان بسبب من الرئيس، وفي المجلس مغنيات غيرها، فلما انتهى الغناء إليها سوت عودها واندفعت تغني بأبيات قديمة...)) ⁽⁵³²⁾.

فمجيء ألفاظ (فتى وجارية ومجلس) نكرة أول الأمر، وتعريفها فيما بعد، يبرز لنا الدور الدلالي الكبير في عملية التماسك النصي، ولو حذفت (أل) منها لانهدم هذا التماسك ⁽⁵³³⁾، إذ تعانقت أداة التعريف

(530) ينظر: نحو النص، عفيفي / 114.

(531) طوق الحمامة / 51.

(532) طوق الحمامة / 74.

(533) ينظر: نحو النص، عفيفي/116. كذلك تحليل الخطاب، يول وبراون/286.

مع التكرار في ضبط هذا التماسك وكذلك الحال مع لفظي (الرئيس) و(الغناء) فإنه حين ذكر المجلس وما يحتويه من أكابر الملوك، فإنه لابد أن يحتوي كبير القوم - الرئيس - وهو كذلك حين ذكر لفظ (مغنيات) أعقبها في الجملة التالية بلفظ (الغناء) فإن هذا الترابط عن طريق التكرار الجزئي لا ينفي دور التعريف في تماسك الجملتين.

هذا عن المعارف، و أما النكرات فإن الذي يلجئ الكاتب إلى تبنيها أمران أولهما أنه يريد إضافة مفاهيم جديدة لا عهد لقارئه بها، وعندئذ يأتي بالنكرة ثم يجنح إلى وصفها وصفاً دقيقاً يلزمه أن يتوسع في عرض تلك المفاهيم، وآخر الأمرين أنه يريد أن يبقي المفهوم مجهولاً في ذهن القارئ لغاية في نفسه، فحين يقول ابن حزم مثلاً:

((ولقد قال بعض الشعراء بقرطبة شعراً تغزل فيه بـ(صبح) أم المؤيد رحمه الله، فغنت به جارية أدخلت على المنصور محمد بن أبي عامر ليبتاعها فقتلها)) (534).

فالشاعر الذي قال هذا الشعر، والشعر الذي قيل، والجارية التي غنت به، كل أولئك ظل مجهولاً عند المتلقي، ولعل السبب في ذلك أن ابن حزم أموي الهوى فأنثر عدم التصريح بهم وأبقى على مجهوليتهم احترازاً عن التصريح الذي، ربما، يكون إعلاء لشأن الشعر والشاعر والجارية، ولذا أثر التنكير ((تحقيراً)) (535) لهم.

ومن أبرز أشكال الربط غير المباشر في الرسالة اعتماد صاحبها على الجمل الموسعة التي لا تحتاج فيها الجملة الفرعية (الدمجة) رابطاً يربطها بما قبلها داخل الجملة الأساس، فأكثر الجمل المدمجة استعمالاً في الطوق هي الجملة الموسعة المحتوية على الجملة الواقعة نعتاً لمفردة نكرة ضمن الجملة الأولى فجملة النعت تعمل على سبك النصّ لاحتوائها على ضمير يعود على مفعّله (المفردة المنكرة)، ولارتباطهما ببعضهما ارتباطاً معنوياً وشكلياً؛ ذلك ((أن النعت مثل المنعوت لأنهما كالاسم الواحد)) (536).

على أن الفاعلية التواصلية والاتساقية التي تناط بالنعت الواقع جملة، تناط كذلك بالنعت الواقع مفرداً، وبخاصة في تلك الفقرات القائمة على استقصاء المعاني والمفاهيم؛ نظراً لضخامة معجم الكاتب اللغوي، وسعة ثقافته، على نحو ما نجده في مستهل (باب المساعد من الأخوان) (537) حيث احتوت الفقرة على ثمانية وأربعين نعتاً للفظ (صديق) مستقصياً بهذه النعوت المضافة إلى مفردات أخرى، أوصاف

(534) طوق الحمامة / 86.

(535) المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم، العلامة سعد الدين التفتازاني (792هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، ط2، دار

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007م / 235.

(536) الكتاب، 1 / 421 - 422.

(537) ينظر: طوق الحمامة/ 105-106.

الصديق المخلص الذي يحمل على كاهله أعباء الصيانة ودواعي المودة، لنظفر منه بلوحة نصية منسوجة على أدق حال وكأنها لفظة واحدة.

خامساً - الربط

تمثلت وسائل الربط في الطوق في نوعين، الربط المباشر والربط غير المباشر (بالأداة) وقد قمنا بتقسيم هذا الثاني على نوعين، هما الروابط العطفية الأدوات والتعبيرات العطفية، وهنا سنأتي إلى مقاربتها:

1. الربط المباشر - من دون أداة

((ويقصدُ به الربط القائم على غياب الرابط الشكلي، إذ لا يعدو النص، وإن تعددت جملة، أن يكون واقعة واحدة جرى تفصيلها في جملة أو جمل كثيرة، فغياب الرابط دليل على قوة الارتباط بين الجملتين))⁽⁵³⁸⁾، ومن أشكال غياب الرابط الاستئناف البياني الذي عولج قديماً باسم (الفصل) ومن أمثله:

((... فقال له وزيره الذي كان يتولى إيصال كلامه إليه: أيها الملك، قد استبان لك أنه يرى...))⁽⁵³⁹⁾.

فقد ارتبطت جملتا (أيها الملك) و(قد استبان) ارتباطاً مباشراً دون أداة، وذلك لاختلافهما خبراً وإنشاءً، فالجملة الأولى جملة نداء إنشائية طلبية، والثانية جملة خبرية، ولهذا تعين الفصل بينهما بداعي (كمال الانقطاع)، أما عن ارتباط جملتي (قال) و(أيها) ارتباطاً مباشراً، فإن الداعي إليه هو أن هذه الثانية هي مقول القول حلت محل مفردة في الجملة الأساس، وبارتباطهما تكونت لدينا جملة موسعة، فلا رابط عندئذ.

ومن أمثلة الفصل، كذلك:

((... وقد أحب من الخلفاء المهيدين والأئمة الراشدين كثير، منهم بأندلسنا عبد الرحمن بن معاوية...))⁽⁵⁴⁰⁾.

فالجملة الثانية، هنا، نزلت من الأولى منزلة بدل بعض من الكل، فلا حاجة، إذاً، لربط يربط بينهما، إذ هما بمعنى، والذي يؤكد لنا ذلك انتهاء الجملة الأولى بلفظة (كثير) واستهلال الجملة الثانية بما يدل على التبعية وهو الجار والمجرور - منهم - الواقع خبراً مقدماً.

(538) الترابط النصي بين الشعر والنثر / 86.

(539) طرق الحمامة / 38.

(540) طرق الحمامة / 32.

ومنه كذلك:

((... وإلا هي كامنة في خجرتها، لا تبدو ولا تظهر)) (541).

فقد جاءت الجملة الثانية (لا تبدو) مفصولة عن الأولى لما بينها وبين الجملة وبين الجملة الأولى من كمال التأليف - كمال الاتصال - إذ كان الداعي لمجي الجملة الثانية بغير رابط، هو إزالة نوع من الإبهام من الأولى، ولذا جاءت تفسيراً وتبييناً لمعنى (الكمون) في الأولى، ومنه أيضاً (542):

- الوافر -

سابعُ عن دواعي الحب إني

رأيتُ الحزم من صفة الرشيد

رأيتُ الحبَّ أوله التصدي

بعينك في أزاهير الخدود

يتضمن البيتان جملاً ارتبطت ببعضها ببعض من دون أن يتوسطها رابط، ففي البيت الأول استغني عن الرابط لما بين الجملتين من (شبه كمال الاتصال)، ذلك لأن جملة (إن) وقعت بمنزلة جواب عن سؤالٍ مقدّر يفهم من الجملة الأولى، فبعد أن نطق بها توهم أن أحداً سأله: ولم تبعُد عن دواعي الحب، فكان الجواب عنه جملة (إن).

أما فصل جملة (رأيتُ الحبَّ) عما قبلها، وهي جملة (رأيتُ الحزم...) الواقعة خبراً لـ (إن)، فلأن بينهما امتزاجاً معنوياً، فالجملة الثانية جاءت لايضاح إبهام الأولى، فهي تنزل منها منزلة عطف بيان، كما يجوز أن تكون بمنزلة جواب عن سؤال يفهم من الجملة الأولى، ذلك أنه حين قال (إني رأيتُ الحزم من صفة الرشيد) قيل له: (وكيف يكون ذلك) فاجاب بالبيت الثاني، فيكون عندئذ، بين الجملتين شبه كمال الاتصال، وتأسيساً عليه استغني عن الرابط.

ومنه: ((وحدثني موسى ابن عاصم بن عمر، قال...)) (543).

وهنا استغني عن الرابط بين جملة (حدث) وجملة (قال) ولعل السبب في ذلك أن الجمل التي تأتي على هذه الشاكلة تتفق - يقول الزنّاد - ((في أن الثانية منها وردت لتفسير الأولى، فالاستئناف فيها بياني يقوم على التوضيح بالتفصيل بعد الإجمال، فالجمل القائمة على فعل (حدث) تخبر بواقعة عناصرها الثلاثة: طرف التواصل (الراوي وهو فاعل (حدث في الجملة)) والمتقبل (الضمير المفعول به فيها وهو الذي ينقل المقول فيصبح بذلك راوياً، ولكن في مستوى آخر)، والحدث المجرى في لفظ الفعل في الجملة

(541) طوق الحمامة / 37.

(542) ديوانه / 58، وينظر: طوق الحمامة / 65.

(543) طوق الحمامة / 90.

(حدّث)، أمّا الجمل اللاحقة فتورد مضمون ذلك الحديث، فالنص الرئيس، وكذلك كل نص من النصوص الفرعية، وإن تعدّدت جملة، لا يعدو أن يكون واقعة واحدة جرى تفصيلها في جملة أو جمل كثيرة فغياّب الرابط كان لقوة الارتباط بين الجملتين)) (544).

ومنه كذلك في حوار دار بينه وبين صاحبه:

((... فتمتّع ساعة ثم قال: لي أعجوبة ما سمعتُ قط. قلت: وما ذاك؟ قال: رأيتُ في نومي الليلة ... وقلتُ له: ...؟ قال ...؟)) (545).

نلاحظ هنا أن أغلب الجمل المصدّرة بالفعل (قال) لم تحتج إلى رابط شكلي، وذلك ((لأنها مثلت الجزء الواقع من الكلام بين طرفي الحوار مباشرة، حيث ينشأ عن كل جملة من أحد أطراف الحوار جملة من الطرف الآخر، فهي قول وردّ عليه، وهذا لا يحتاج إلى رابط شكلي، وقد شكّل تبادل أدوار المتكلمين رابطاً في هذه الجمل)) (546).

وبناءً على ذلك تتضح هنا درجة الاتساق بين جمل النص، نظراً لما يتمتّع به الكاتب من كفاية لغوية عالية ذلك لأن ((الفصل في ذاته مهارة نابعة من كفاية، فالتوقف في المواطن التي ينبغي أن يتوقف فيها المتكلم، دليل على أنه يعرف أن الفصل ضرورة دلالية أحياناً، وضرورة أدائية في كل الأحوال)) (547).

2. الربط غير المباشر

وينقسم هذا الوجه من أوجه الربط على قسمين، هما: الربط بالتعبيرات العطفية، والربط بالروابط العطفية أو (الأدائية).

أ. التعبيرات العطفية

إذ لم يقتصر الربط المباشر في نظرية الاتساق الحديثة على حروف العطف المعروفة، فقد انضمت إلى جانبها أشكال أخرى لأداء هذه الوظيفة، وتتمثل هذه الأشكال في مكونات كثيرة تأبى الحصر، وهي تتجاوز في بنيتها حروف الربط المعتادة فكان أن اصطلاح عليها الدكتور حسام فرج (التعبيرات العطفية) وكان محقّقاً، فالرابط اللفظي في قول ابن حزم:

((... لعمرى ما لي إليه سبيل، غير أني أجدُ لنفسي استقلاً لا أدري ما هو ...)) (548).

نقول، فالرابط اللفظي هنا هو عبارة (غير أني)، فهي أداة مندرجة - بحسب تقسيم علماء النص - ضمن (الربط الاستدراكي أو العكسي) الذي يفيد أن الجملة الثانية مخالفة لما تقدّمتها، فالربط بين قول

(544) نسيج النص، الزناد / 39.

(545) طرق الحمامة / 55.

(546) الترابط النصي بين الشعر والنثر / 87.

(547) اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف استيتة، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2008م/ 461.

(548) طرق الحمامة / 38.

الملك: (مالي إليه سبيل) الذي يدلّ به على براءة (أفلاطون)، وبين قوله: (أجد لنفسني استنفالاً) الذي يدلّ على عدم اطمئنانه منه— ربط استدراكي قائم على أمرين غير متوافقين في عالم النص، ولذا جاءت الجملة الثانية استثناءً متصلًا من لفظة (سبيل) في الجملة الأولى، وبذلك ترابط الكلام. ومنه:

((حتى قد صار ذلك [البشرة الشقراء] فيهم خلقه حاشى سليمان الظافر— رحمه الله—فإني رأيته أسود اللمة واللحية))⁽⁵⁴⁹⁾.

فالرابط هنا جملة (حاشى) التي عملت الربط العكسي بين جملتين توسطتهما، إذ استدرك بها مخالفة سليمان الظافر خلقه خلفاء بني أمية الذين كانت الشقرة فيهم خلقه، باستثناء الظافر فقد كان أسود اللمة واللحية، فالربط الخلافي هنا ظاهر من خلال التعبير الاستثنائي الذي قام بدور اتساق بين هذه الجمل. ويقول ابن حزم:

((... ولن يفقد الإنسان من صاحب هذه الصفة عوناً جميلاً ورأياً حسناً، ولذلك اتخذ الملوك الوزراء والدخلاء...))⁽⁵⁵⁰⁾.

فقد لعب التعبير الإشاري (لذلك) دوراً اتساقياً واضحاً في الربط بين اللاحق والسابق، إذ العلاقة بين الجملتين اللتين بتوسطهما علاقة تدرج، فاتخاذ الملوك الوزراء والدخلاء متوقف على صفة العون الجميل والرأي الحسن عندهم، ولولا هذه الصفة لما كان الملوك في حاجة إليهم، فالعلاقة هنا حاصلة ((بين صورتين بينهما حالة تدرج أي أن تحقق وحدة منهما يتوقف على حدوث الأخرى))⁽⁵⁵¹⁾، على أننا لا نغفل دور هذا التعبير الإشاري في تعديل القوة الانجازية للفعل الكلامي الذي يحمله، فإن التعبير (لذلك) يستخدم في قوة الفعل (استنتج)⁽⁵⁵²⁾، فالكلام هنا مبني على استنتاج الكاتب ودقة ملاحظته.

ويقول ابن حزم:

((ويجد في ذلك راحة كما يجد المريض في التأوه والمجنون في الزفير))⁽⁵⁵³⁾.

إذ الرابط الإضافي بالتعبير (كما)، الدال على المقارنة بالتطابق⁽⁵⁵⁴⁾، واضح هنا وجلي بين الجملتين، وفيه كذلك تحفيز القارئ على المقارنة بين الحالين: بين الراحة التي يجدها المحب حين يوفق في اختيار مساعد له من إخوانه، وبين ما يجده المريض والمحزون في التأوه والزفير من روح.

⁽⁵⁴⁹⁾ طوق الحمامة / 70 - 71.

⁽⁵⁵⁰⁾ طوق الحمامة / 106.

⁽⁵⁵¹⁾ نحو النص، عفيفي / 129.

⁽⁵⁵²⁾ ينظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد / 323.

⁽⁵⁵³⁾ طوق الحمامة / 106.

⁽⁵⁵⁴⁾ ينظر: لسانيات النص / 19، وينظر: رسائل الأحزان ... دراسة في نحو النص / 73.

وبذلك ارتبط الكلام بعضها ببعض وتوضَّح المعنى المقصود وهذا هو السرّ في إنزال النصيين (وسائل المقارنة) منزلةً الضمائر وأسماء الإشارية في قيامها بوظيفة الاتساق والتماسك، وذلك لما لهذه الوسائل من دور بنيوي ودلالي لا يقل عن الإحالة.

ويقول أيضاً: ((ومن أسباب الكشف وجة ثالث وهو عند أهل العقول وجة مرذول وفعل ساقط، وذلك أن يرى المحب من محبوبه عدداً أو ملأً أو كراهة ...)) (555).

فالذي يشدّ الجملة التالية إلى سابقتها ليس الواو فحسب، بل شاركها في هذا الربط التعبير الإشاري (وذلك)، فعن طريقهما تقوّت العلاقة بين السابق واللاحق عبر تمتين التماسك بينهما، فالسياق هنا قد أوقع هذا التعبير الإشاري تحت الصنف الذي يفيد (السبب).

فما وقع سابقاً كان نتيجةً وسببها هو اللاحق، وعندئذٍ تتضح عندنا مسألة مهمة، وهي أن السياق النصي هو الذي يكسب الرابط معنىً ما، ولذا فإن التصنيفات المقترحة عند النصيين تقريبية وليست ثابتة.

وهكذا اتكا نص الطوق على التعبيرات العطفية التي لا ندرك قيمتها في تأدية المعاني والترابط النصي إلا إذا جردنا هذه الأمثلة من هذه التعبيرات، لنبود النص أجزاءً مفككة وأوصالاً مضطربة لا يجمعها جامع.

ب. الروابط الحرفية العطفية

اكتفى الباحث بأحرف العطف من بين سيل من الأدوات والحروف الظاهرة التي تقوم بوظيفة الربط بين أجزاء النص، فقد أسهمت حروف العطف، بأنواعها، في تحقيق هذه الوظيفة على أتم وجه، فقد تبين من خلال بحثنا أنّ بروز التماسك النصي الناتج عن وجود هذه الأدوات في البنية السطحية، سارت وفق ثلاثة مستويات:

1. الربط بين الكلمات داخل الجملة الواحدة، وذلك لأن أحرف العطف ((كلها صالحة لأن تعطف المفرد)) (556) ولذلك حصل الاتساق بها على مستوى الجملة الواحدة.
2. الربط بين الفقرات والجمال داخل الباب الواحد، مؤديةً إلى اتساق الباب.
3. الربط بين بعض أبواب الرسالة لتظهر هذه الأبواب متصلة بعضها ببعض، وهذا ما يظهر في غير باب من أبواب الرسالة.

وقد استطاع الكاتب، بامتلاكه ناصية الوصل، أن يظهر بدرجة عالية من الاتساق في نصه، وإلا فإن استعماله حروف العطف، لوصل كلامه بعضها ببعض، لم يأت اعتباطاً، وإنما جاء بطريقة محسوبة

(555) طوق الحمامة / 92.

(556) بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد المطلب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003/194.

ومنظمة تترايط بها أجزاء النص المتعاقبة خطياً بشكل سليم، تكفل للكاتب اتساق نصه، ولذا فقد سارت هذه الحروف وفق مستويين (557):

1. ربط خطي يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى لاحقة فيفيد مجرد الترتيب في الذكر، مثل (الواو).
2. ربط خطي منطقي يقوم على الجمع، أيضاً، ولكنه يدخل معنى آخر يتعين به نوع العلاقة المنطقية بين الجملة والأخرى، مثل (الفاء) و(ثم) و(أو).

يقول ابن حزم في (باب من أحب صفة):

((واعلم أعزك الله أن للحب حكماً على النفوس ماضياً، وسلطاناً لا يخالف، وحداً لا يعصى وملكاً لا يتعدى وطاعة لا تصرف، ونفاذاً لا يرد، وأنه ينقض المرر، ويحل المبرم، ويحل الجامد ويحل الثابت، ويحل الشغاف...)) (558).

نرى هنا أنه اعتمد المستوى الأول، أي الربط الخطي غير المنطقي، إذ تقوم هذه الوحدة النصية - فضلاً عن الوسائل الاتساقية الأخرى كال تكرار والإحالة وغيرهما - على الربط بالحرف (الواو) التي تقوم بوظيفة الوصل أو الربط الإضافي التابع من المخالفة بين الجمل التي تعدّ - عند الزناد - شرطاً لحضور أداة الربط بينهما، فسارت - لذلك - المعطوفات فيها ((وفق خط مستقيم يمكن أن يكون غير متناه، إذ يمكن أن نزيد من المعطوفات ما نشاء ولن تتغير الدلالة التي يحققها العطف هنا)) (559) وهي إشراك المعطوفات جميعاً على اسم (إن) المؤخر في الجملة الموسعة الواقعة صدر اللوحة النصية، ثم إشراك جملة (إن) الثانية مع جملة (أن) الأولى الفرعية، دون أن تغفل دور هذا الحرف في تحقيق الاختزال والتوسع معاً في هذه اللوحة، فقد ساعدت في الجملة الموسعة الأولى على دور اختزالي تمثل في حذف (أن) وخبرها المقدم، وقامت في الجملة الثانية بدور توسعي واضح عبر وصل محتوى الجملة المعطوفة بمحتوى الجملة المعطوف عليها، وعندئذ لا توجد علاقة منطقية يسيّر وفقها العطف سوى الاتجاه الخطي القائم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها، نظراً لاتساع المفاهيم في النص.

على أنك واجد لهذه الأداة (الواو) في الطوق استعمالات، في سياقات كثيرة، تفند ما ذهب إليه الزناد من أن كل جملتين في النص ثانيتهما بيان للأولى ترتبطان ارتباطاً مباشراً بغير أداة، وأن كل جملتين ثانيتهما تخالف الأولى ترتبطان ارتباطاً غير مباشر بأداة (560).

يقول ابن حزم، لا على سبيل الحصر:

((فترى المحب، حينئذ، يكتّم حزنه ويكظم أسفه وينطوي على علته)) (561).

(557) ينظر: نسيج النص، الزناد / 37.

(558) طرق الحمامة / 69.

(559) الترابط النصي بين الشعر والنثر / 90.

(560) ينظر: نسيج النص، الزناد / 28.

(561) طرق الحمامة / 94.

ويقول:

((ومن علاماته [أي الحب] حب الوحدة والأنس بالانفراد ونحول الجسم دون أن يكون فيه ولا وجع مانع من التقلب والحركة والمشي ...)).⁽⁵⁶²⁾

إن مغايرة المعطوف المعطوف عليه، هنا، لا تعني المخالفة ولا تنفي كون اللاحق بياناً وتوضيحاً وتأكيذاً للسابق، وإلاّ فأية مخالفة بين (يكتّم حزنة) و(يكظم أسفة) و(ينطوي على عقله)، وأية مخالفة بين (حب الوحدة) و(الانس بالانفراد) كذلك الحال مع غير هذه المعطوفات في المثالين، فكلها أشركت مع المعطوف عليه لإفادة فكرة واحدة، ففي المثال الأول يؤكّد العطف ويوضح فكرة (كراهة إظهار الشكوى) التي تدور الفقرة في فلكها. وفي المثال الثاني، اشتركت أغلب المعطوفات مع المعطوف عليها لإفادة حقيقة واحدة، وهي تأكيد وتوضيح هذه العلامات - علامات الحب - ليتّم تلقي الكلام بالقبول، ولذا، فإنّ الوصل بالواو جاء بداعي علاقة دلالية هو البيان والتوضيح والتطرية للمعطوف عليه، وتجديداً لذكره وترسيخه في ذهن المتلقي رغم قيام العطف بينهما على المغايرة الشكلية، ذلك أن عطف أحد المترادفين على الآخر أو ما هو قريب منه في المعنى يأتي لقصد التأكيد، وأتّاه يجيء عند اختلاف اللفظ الذي يحسن عطفه بالواو⁽⁵⁶³⁾.

أما عن الرابط السائر وفق خطّ منطقي، فإنه سجّل حضوراً لافتاً، فترتيب الوحدة المنطقية القائمة على العطف ترتيباً دلالياً كان سبباً ناجحاً لتحقيق مقصدية الناص وحكمته، وهذا ما لم يغيب عن خلد أبي محمّد لحظة تدوينه نصّه، فمن ذلك قوله:

((... فنظر إلى أعلامه فرأه لهما غير شاك، فرغب أن يوقف على الموضع الذي اجتماعا عليه، فأدخل البيت الذي كان فيه مضطجعا، فرأى فيما يوازي نظر المرأة صورة أسود في الحائط فقال لأبيه: من قبل هذه الصورة أتيت في ابنك)).⁽⁵⁶⁴⁾

إذ ترابطت جُمْل هذه الوحدة بتوسط (الفاء) بينها، ووظيفة الفاء عند سيبويه أنها ((تضمّ الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو، غير أنها تجعل ذلك (متسقاً) بعضه في إثر بعض))⁽⁵⁶⁵⁾ وأنها - كما يرى الزجاجي - ((تدلّ على أن الثاني بعد الأول ولا مهلة))⁽⁵⁶⁶⁾.

ونرى أن الفاء قد عملت في سبيل تشكيل صورة كاملة لهذه الحكاية وما كان لهذه الصورة النصية، أن تتمّ لو أنّها حذفت فعلاً من هذه الأفعال السائرة وفق ترتيب دلالي منطقي قائم على علاقة (التعقب والسببية دون مهلة بين الأحداث)، إذ المتقدّم منها سبّب في حصول اللاحق:

⁽⁵⁶²⁾ طرق الحمامة / 47.

⁽⁵⁶³⁾ ينظر: البرهان للزركشي / 477.

⁽⁵⁶⁴⁾ طرق الحمامة، الكلام في ماهية الحب / 39.

⁽⁵⁶⁵⁾ الكتاب، 217/4.

⁽⁵⁶⁶⁾ ينظر: الجلى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي (749هـ)، تحقيق طه محسن، بغداد، 1976م / 39.

(نظرَ ← رآهَ ← رَغِبَ ← أدخلَ ← رأى ← قال)

وإنَّ تغييب (الفاء) أو (فعلٍ) من هذه الأفعال عن سياقهِ سيكون سبباً في عدم اكتمال هذه الصورة، لأن ذلك سبيل إلى تفكيكها واضطرابها، لأنها قائمة على توالي أحداثٍ لا متسع من الوقت بينها، فالفعل (رآهَ) - فعل الرؤية - غير مفصول عن الفعل (نظر) وكذلك الحال مع الأفعال الباقية التي أسهمت جميعها بوساطة (الفاء) على تحقيق هذا التماسك بين الجمل وضمَّ بعضها إلى بعض.

إضافةً إلى (الواو) و(الفاء) فقد برزت في النصوص المختارة جميع أحرف العطف بنسب متفاوتة باستثناء (حتى) التي لم تسجل أية حالة ربط في النص من بين أحرف العطف، على حين كثر استعمالها رابطاً في بقية حالاتها الإعرابية كالابتداء، والنصب، ما يمكن، عندئذٍ، توزيع هذه الأحرف حسب نسبة توافرها في النص في هذا الجدول:

	إنا	بل	لكن	لا	حتى	أم	ثم	أو	الفاء	الواو	
	4	×	1	×	×	×	55	1	16	137	مقدمة الرسالة
	3	×	1	1	×	1	2	×	57	192	الكلام في ماهية الحب
	2	×	×	×	×	1	2	1	45	279	علامات الحب
	×	×	×	×	×	1	1	4	8	21	باب من أحب في النوم
	×	×	×	×	×	×	3	1	16	52	باب من أحب في الوصف
	×	×	×	×	×	3	1	×	31	42	باب من أحب من نظرة واحدة
	×	1	2	1	×	×	×	2	24	85	باب من لا يحب إلا مع المطاوعة
	×	1	3	1	×	1	3	7	20	77	باب من أحب صفة لم يستحسن بعده غيرها مما يخالفها
	2	×	×	×	×	×	×	10	15	41	باب التعريض بالقول
	1	×	×	1	×	×	3	4	7	73	باب الإشارة بالعين
	3	×	×	×	×	×	1	×	9	40	باب المراسلة
	2	×	×	×	×	×	×	5	10	55	باب السفير
	×	×	×	×	×	×	×	3	27	90	باب طي السر
	1	×	×	×	×	×	3	6	10	118	باب الإذاعة
	×	2	1	×	×	×	3	×	51	143	باب الطاعة
	×	×	×	×	×	×	×	1	2	13	باب المخالفة
	×	×	×	×	×	×	1	1	3	36	باب العاذل
	2	×	×	×	×	×	×	×	18	99	باب المساعد من الإخوان
	×	×	×	×	×	×	3	×	22	81	باب الرقيب
	×	×	×	×	×	×	1	4	30	223	باب الواشي
	×	3	×	×	×	2	3	3	66	229	باب الوصل
	20	7	9	4	×	9	85	53	486	2126	
2799	0.71	0.25	0.32	0.14	×	0.32	3.03	1.89	17.36	75.95	المجموع

هذا وقد أكسب السياق كل هذه الأحرف البارزة على سطح النص معنى إضافياً يخدم غرض (الناص) في توجيهه بنصه نحو مخاطبيه، وهذا ما سيتضح عند استخبار النص.

يقول ابن حزم: ((أما أبو شاكر عبد الرحمن بن محمد القبري، فكان لي صديقاً مدةً على غير رؤية، ثم التقينا فتأكدت المودة واتصلت وتمادت إلى الآن)) (567).

فقد ترابطت الجملتان بتوسط (ثم) بينهما، ترابطاً منطقياً، فالمعنى الذي أفادته هنا هو الترتيب والانفصال أي التراخي (568) إذ نجد المسافة الفاصلة كبيرة بين كون أبي شاكر صديقاً للكاتب ولم يكن قد رآه، وبين لقائهما، على حين لا تتضمن (ثم) هذا المعنى - الترتيب والتراخي - في قوله:

((فلما حان قيامها عنه بدرت إليه فقبلته في قمه، ثم ولت في ذلك الحين ولم تكلمه بكلمة وهي تنهذى في مشيتها)) (569).

إذ المسافة الزمنية بين القبله وانصرافها تحتم ((الترتيب فقط، إذ لا تراخي بين الأخبارين)) (570) بآية أنه قيد الفعل (ولت) بقرينة تحكي الحال الماضية وهي قوله (في ذلك الحين)، وهكذا أضفى السياق اللغوي معنى جديداً على (ثم) خدمة لمراد (الناص) الذي ساق هذه القصة في مقام العفة والتصاوت ((بعيداً عن المعاصي)) (571) ولو أنها فسرت على التراخي لترتب على ذلك خلاف مقصده، وعلى أي، فإن الكلام في كلا المثالين قد تنامي وشكل كلاً متماسكاً عبر حاجة بعضه إلى رابط ومنظم زمني تمثل بالأداة (ثم) (572).

ويقول ابن حزم:

((وقد اختلف الناس في ماهيته وقالوا وأطالوا، والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع، لا على ما حكاه محمد ابن داود - رحمه الله - عن بعض أهل الفلسفة: الأرواح أكثر مقسومة لكن على سبيل مناسبة قواها...)) (573).

ارتبطت هذه الوحدة النصية بتوسط روابط (الواو) و(لا) و(لكن) بين جملها، وهنا سنقف عند (لا) و(لكن) اللتين قد عملتا التماسك من خلال أنهما تشركان الثاني مع الأول في إعرابه لا في حكمه (574).

فوظيفة (لا) هي ((نفي الحكم عما بعدها وإثباته على ما قبلها ... للدلالة على الاستدراك والتوكيد وردّ

(567) طوق الحمامة / 59.

(568) ينظر: شرح ابن عقيل، 187/3.

(569) طوق الحمامة / 126.

(570) مغني اللبيب، 231/1.

(571) طوق الحمامة / 126.

(572) ينظر: لسانيات النص، أحمد مداس/283.

(573) طوق الحمامة / 34.

(574) شرح ابن عقيل، 185/3.

السامع من الخطأ في الحكم على الصواب)) (575) وهذا ما حققته (لا) هنا، فقد نفت ما حكاه محمد بن داود الظاهري في ماهية الحب. وأثبتت مذهب الناص، من خلال أنها جاءت استدراكاً لطرح هذا المذهب وإثباته وتوكيده لدى السامع؛ إذ العطف بها طريقة من طرق (القصر). ولذا فقد لجأ ابن حزم إليها لحسم الخلاف، وذلك بقصر ماهية الحب على ما ذهب إليه هو من أنه اتصال بين أجزاء النفوس في أصل عنصرها الرفيع، فإنه إذا كان العطف بـ (لا)، كان المقصور عليه واقعاً قبلها ومقابلاً لما بعدها (576)، ولذا فقد أدلى الناص بمذهبه ثم أعقبه بما حكاه ابن داود.

ثم يتوسع النص بإدخال الناص مفهوماً جديداً (سرّ التحابب) الذي يرى فيه أنه تناسب الأرواح بعضها البعض ومجاورتها في هيئة التركيب، فنجد هذه المرة قد أقحم (لكن) لفرض مذهبه عبر أسلوب القصر - أيضاً - الذي تحقق هذه المرة بوقوع المقصور عليه (مذهب ابن حزم) بعدها (577).

وهكذا تقاسمت هاتان الأداتان وظائف الربط الشكلي والدلالي عبر معنى الاستدراك والتوكيد بالقصر، ضمن دائرة دلالية واحدة تمثلت بهذه الوحدة النصية.

ومن هذه الأحرف، أيضاً، (بل) التي نقف عليها عند توسطها جملتين، ودلالاتها على الابتداء بالانتقال من موضوع إلى آخر لتؤدي، عندئذ، معنيين:

1. الإضراب الإبطالي (578)، وذلك بإبطال ما قبلها وإثبات ما بعدها، نحو قول ابن حزم:

((وريمًا استحلّى الوصال واتفقت القلوب حتى يقع التحليح في الوصال، فلا يلتفت إلى لائم، ولا يستتر من حافظ، ولا يبالي بناقل، بل العذل، حينئذ، يغيري...)) (579).

فقد قرّرت (بل) نفي أو (إبطال) التفات المحبين واستتارهما من حافظ، واستدراك تأكيد إغراء العذل وتلذذهما به، وهنا أدت الدور نفسه الذي تقوم به (لكن) وهي الوظيفة الاستدراكية الإبطالية (580)، محققةً الترابط بين الجملتين على صعيدي الشكل والدلالة.

2. الإضراب الانتقالي (581)، إذ تؤدي دوراً انتقالياً في الجملة، من حكم سابق إلى حكم آخر لاحق دون إبطال الحكم السابق، ومثاله قول ابن حزم: ((ومن وجوه العشق الوصل، وهو حظ رفيع ومرتبّة سرية، ودرجة عالية وسعدّ طالع. بل هو الحياة المجددة والعيش السني...)) (582).

(575) اللغة والدلالة، يوسف مارون/270.

(576) ينظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي/158.

(577) م. ن/158.

(578) ينظر: مغني اللبيب، 1/220 - 221، وينظر: اللغة والدلالة، يوسف مارون/88 - 89.

(579) طرق الحمامة / 132.

(580) ينظر: اللغة والدلالة، يوسف مارون/89.

(581) ينظر: مغني اللبيب، 1/220 - 221، وينظر: اللغة والدلالة/89.

(582) طرق الحمامة / 123.

إذ انتقل الكاتب عبر (بل) من المعاني التي يحملها الوصل، قبل ورودها، إلى معنى جديد، دون أن تنفي السابق عليها، وذلك حين قام الكاتب بتوسيع مفاهيمه عن (الوصل) بطرح مفاهيم أخرى، استجابت لها (بل) وحقت الاتساق بين جملة هذه المفاهيم المحمولة على تراكيب عاطفية.

ومن أحرف العطف، أيضاً، (إمّا) و(أو) اللتان قد لحظ النحاة اجتماعهما في المعنى، يقول ابن مالك⁽⁵⁸³⁾:

- الرجز -

ومثل (أو) في القصد (إمّا) الثانية

في نحو ((إمّا ذي وإمّا الثانية))

يقول ابن حزم:

((ولعمري أنّ الكتاب للسان في بعض الأحيان، إمّا لحصر في الإنسان، وإمّا لحياء، وإمّا لهيبة))⁽⁵⁸⁴⁾

إن الترابط الذي قامت به (إمّا) في هذا المثال واضح، فالثانية منها، وما بعدها، تأتي بمعنى (أو) مطلقاً، لو استثنينا معنى الإضراب ومطلق الجمع⁽⁵⁸⁵⁾ فقد أفادت هنا (التفصيل) ونرى أن كون الأولى باتفاق النحاة غير عاطفة⁽⁵⁸⁶⁾، لا ينفي عنها وظيفتها الاتساقية في ربط اللاحق بالسابق من خلال أن ((الكلام معها يبقى من أول الأمر على ما جيء لأجله ولذلك وجب تكرارها))⁽⁵⁸⁷⁾ ثم إن اختلافهما حول كون الثانية عاطفة أو غير عاطفة لمصاحبتها (الواو) لا يعني أن الذي يقوم بالربط هو (الواو) بمفردها، ولا سيما، ونحن نرى أنها تفيد معاني لا تتحملها (الواو) بمفردها، وعلى أيّ، فإن (إمّا) قامت هنا بربط أجزاء هذا الكلام وبتوضيح الكيفية التي يكون بها الكتاب (=الرسالة) لساناً، والذي لا يخلو ذلك من أمور ثلاثة فصلها ابن حزم بالحصر والحياة والهيبة، وبذلك ارتبطت أجزاء الكلام.

وربما وجدنا الكاتب يستغني عن (إمّا) الثانية بذكر ما يغني عنها فمن ذلك قوله:

((وبحسبك من قوة إدراك العين أنها إذا لاقى شعاعها مجلّوا صافياً، إمّا حديداً مفصلاً أو زجاجاً أو ماءً أو بعض الحجارة الصافية أو سائر الأشياء المجلّوة..))⁽⁵⁸⁸⁾

فهنا لا تعدو (أو) من أنها تقوم بالدور الذي قامت به (إمّا) بمصاحبتها الواو، وهو ربط أجزاء النص وتوضيح الكلام الذي جيء بها لأجله، وهو إيجاد بديل عن الحديد في الأجسام المجلّوة الصافية.

⁽⁵⁸³⁾ شرح ابن عقيل، 192/3.

⁽⁵⁸⁴⁾ طرق الحمامة، باب المراسلة/79.

⁽⁵⁸⁵⁾ ينظر: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، 193/3.

⁽⁵⁸⁶⁾ ينظر: مغني اللبيب، 129/1، وينظر: الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي (1491هـ)، ط1، دار الفد

الجديد، القاهرة، 2006م، 141/2.

⁽⁵⁸⁷⁾ مغني اللبيب، 129/1.

⁽⁵⁸⁸⁾ طرق الحمامة / ٩.

وعليه، فإنَّ ما تقدّم كان ((توضيحاً لما تقدّمه أدوات العطف الحرفية- على اختلافها- من فاعلية اتساقية يتم بها الارتباط بين الأخبار التي يعرضها الكاتب بشكل أفقي، ومع كلّ هذه الأدوات يعكس الكاتب وجهة نظره أو يسعى إلى تقديم معلوماته تقدماً مقصوداً؛ بهدف الحصول على قبول القارئ لإجراءاته البنائية والتي تصل إلى قبول النص كلياً))⁽⁵⁸⁹⁾، كما يتضح لدينا السّر في تكثيف الكاتب أدوات الربط بكل أنواعها وأشكالها، سواء هذه التي وقفنا عندها أو التي لم نقف عندها، فالسّر في ذلك كما يرى (ميشيل هوي) هو أن الكاتب الجيد هو من يمتلك نصّة كثافة في أدوات الربط، فيها يحصل لديه تمكّن أفضل في مهارات الابتكار التي تسمح له بإحكام المفاهيم وتوسيعها، وتقديم معلومات جديدة باستمرار، وعندها يصبح النصّ طويلاً، فتصبح حرية القارئ في تفسير الجمل المترابطة محدودة، وذلك لاعتماد الكاتب- في إقامة المعنى- على الوسائل اللغوية أكثر من اعتماده على إبداع القارئ⁽⁵⁹⁰⁾ وعلى هذا نجد أن أبا محمد قد اتكأ على وسائل الربط غير المباشر أداة لتحقيق الاتساق، ذلك أنه ((كلّما ازداد عدد أدوات العطف في النص ازداد الاتساق بين مكوناته: الكلمات والعبارات والجمل، لكي تكوّن في النهاية نصّاً متماسكاً))⁽⁵⁹¹⁾.

ثانياً- الاتساق المعجمي

1. التكرار

يلجُ المرسل- إن واعياً أو غير واعٍ- على إعادة بعض الصيغ والوحدات المعجمية للحفاظ على كلية النص واستمراره وتلاحمه، فالعناصر المكرّرة تحافظ ((على بنية النص وتماسكه وتخدم الجانب الدلالي والتداولي فيه، لأن تكثيف المفردات أو شبهها بالتكرار يعني بناء الخطاب، وإعادة تأكيده بهذا الأسلوب اللغوي))⁽⁵⁹²⁾.

فالتكرار وسيلة اتساقية تعمل على استدعاء العناصر المتباعدة بعضها بعضاً، محققاً استمراريتها وتلاحمها على المستوى النحوي والدلالي والتداولي، وهذا هو السّر في أن بعض الدارسين يطلقون عليه (الإحالة التكرارية)⁽⁵⁹³⁾.

يظهر من خلال تتبعنا حركة نص الطوق على مدى الأبواب العشرين التي وقع الاختيار عليها- أن التكرار فيه يأتي عبر عدّة أنواع. ولكن، قبل أن نأتي إلى بسطها، نشير إلى أن مجموعة من الوحدات المعجمية تأتي مكرّرة على مدى استمرار النص من أوله إلى آخره، ولم تكن لتأتي مكرّرة ضمن فقرة أو

⁽⁵⁸⁹⁾ نظرية علم النص، حسام فرج/96.

⁽⁵⁹⁰⁾ ينظر: م. ن/124 - 125.

⁽⁵⁹¹⁾ الاتساق في العربية، حازم رشك/80.

⁽⁵⁹²⁾ الترابط النصي بين الشعر والنثر، د. زاهد بن مرهون الداودي، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، عمان.

2010م/114.

⁽⁵⁹³⁾ نسيج النص، الزناد/199، وينظر: نحو النص، عفيفي/127.

عبارة واحدة، ولذا عبّرت عن وحدة موضوع الرسالة، ووحدة منشئها، ودورانها في فلكٍ دلالي واحد، وقد أشرنا - قبلاً - أن الإحالة الضميرية المعنوية بالمتكلم المرسل فرضت سيطرتها على فضاء النص من بين جميع الإحالات الضميرية، إذ بلغت نسبة (509) مرّات، ضمن الأبواب العشرين، محققةً بها استمرارية النص وتلاحمه، ووحدة قائله وموضوعه. كما وتجذّ المشجّر الاشتقاقي لمادة (حب) لهُ النصيب الأوفر حضوراً في الرسالة، منضافة إليها المواد التي تنتمي وإياها إلى مجالٍ دلالي واحد، مثل مادة (عشق) ومادة (هوي) ومادة (ألف) ومادة (وجد) ومادة (ودّ) ومادة (كلف) إضافة إلى كلمة (نفس) التي بها يفسر ابن حزم حقيقة الحب، فقد أكثر (المرسل) إيراد هذه الكلمة مفردة، ومضافة، ومضافاً إليها بنسبة كبيرة جداً، مُظهرًا بها اتساق نصّه وانسجامه الدلالي، وأحادية موضوعه:

(حب ب)	(ع ش ق)	(أ ل ف)	(و ج د)	(و د د)	(ه ي)	كلف	كلمة
ومشتقاتها	ومشتقاتها	ومشتقاتها	ومشتقاتها	ومشتقاتها	ومشتقاتها	ومشتقاتها	(نفس)
260 مرة	23 مرة	11 مرة	13 مرة	28 مرة	32 مرة	مرتين	75 مرة

فمجيء مادة (حب) على هذه النسبة، يكون كافياً لأن يتوخّد لدينا موضوع الرسالة، التي هي ((رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة)) وتعاضدها في ذلك المواد المنتمية معها إلى مجال دلالي واحد، لأن استخدام هذه العناصر المرادفة للـ(حب) تعمل على إبراز المحاور الرئيسة في الرسالة، والتي توجد بوجود الكلمات الأساسية المترادفة فيما بينها أحياناً، والمكررة لفظاً ودلالة في أحيان أخرى ⁽⁵⁹⁴⁾. ما يمكن - عندئذٍ - تبنيها على أنها ((كلمات مفاتيح)) ⁽⁵⁹⁵⁾ تفسّر على أنها تعطي - فضلاً عن الدلائل النفسية للكاتب والبنية الداخلية المنعكسة عنها في النص - مظهرًا من مظاهر انسجامه الدلالي وأحادية موضوعه، وأحادية قائله ومدى تعلقه بقضية الحب ومعانيه ومحاولة معالجته.

ويمكننا بعدئذٍ أن نأتي إلى أضرب التكرار ومدى استجابة نص هذه الرسالة لها، من خلال الأمثلة المتسقة باحتوائها على هذه الوسيلة الاتساقية، فمن ذلك قول ابن حزم: ((وإني لأعلم امرأة جليلة حافظة لكتاب الله (عز وجل) ناسكة مقبلة على الخير، وقد ظفرت بكتابٍ إلى جارية كان يكلف بها ...)) ⁽⁵⁹⁶⁾.

(594) ينظر: نظرية علم النص/110.

(595) الكلمات المفاتيح، من مصطلحات الأسلوبية الإحصائية، يراد به الكلمات التي تتميز بزيادة ورودها في عملٍ معين أو لدى كاتبٍ معين إلى درجةٍ عالية عن نسبة ورودها في اللغة الاعتيادية بحيث تشكل سمة من سماته الأسلوبية الخاصة. ينظر: اتجاهات البحث الأسلوبي، د. شكري عياد، ط3، أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م/119. كذلك فصول في علم اللغة، التطبيقي (علم المصطلح وعلم الأسلوب)، د. فريد عوض حيدر، ط1، مكتبة الآداب،

القاهرة، 2008م/220.

(596) طرق الحمامة / 107.

فقد كَرَّر الكاتب لفظة (كتاب) مرتين، مع ملاحظة اختلاف المرجع الذي تعود عليه كل واحدة منهما، فلفظة (كتاب) الأولى يراد بها (القرآن الكريم) من خلال إضافتها إلى لفظ الجلالة (الله)، وكلمة (كتاب) الثانية يراد بها (الرسالة الغرامية) التي أعدها الفتى للجارية المكلف بها، فالوحدة المعجمية المكررة هي من قبيل (المشترك اللفظي) وكان ضرب التكرار بها، هو (تكرار اللفظ مع اختلاف المرجع) وقد عمل على الربط بين الجملتين؛ فلفظة (كتاب) الثانية جاءت إثر تداعي المرسل لها، ذلك أنه سمي القرآن الكريم في الجملة الأولى (كتاباً) وحين انتقل إلى الجملة الثانية قفزت إلى ذهنه تلك اللفظة، فسمى بها (الرسالة الغرامية).

ويقول في باب (الطاعة) محدثاً عن أبي دُلْفِ الوراق:

((... في المسجد الذي بشرقي مقبرة قريش بقرطبة الموازي لدار الوزير أبي عمرو أحمد بن محمد جدير - رحمه الله - في هذا المسجد كان مقدّم بن الأصفر مريضاً أيام حدائته لعشقي بعجيب فتى الوزير أبي عمرو المذكور، وكان يترك الصلاة في مسجدٍ مسرور وبها كان سكناه ويقصد في الليل والنهار إلى هذا المسجد بسبب (عجيب)، وكان يقعد وينظر منه إلى أن كان الفتى يغضب ويضجر ويقوم إليه فيوجعه ضرباً ويلطم خديه وعينيه، فَيُسَرُّ بذلك ويقول: هذا والله أقصى أمنيّتي والآن قرّرت عيني))⁽⁵⁹⁷⁾.
ففي هذه القطعة تتكرر ألفاظ (مسجد، عجيب، فتى) غير مرّة، فاسم الفتى (عجيب) وردّ مرتين، وكذلك صفته (فتى) فقد كرّرت مرتين وكان التكرار بهما داخلاً ضمن (التكرار مع وحدة المرجع).
ونجد، كذلك، تكرار لفظة (مسجد) أربع مرات، فما تشير منها إلى المسجد الذي تحصل فيه الأحداث، أي المسجد الواقع ((بشرقي مقبرة قريش بقرطبة))، فهو من قبيل (التكرار مع وحدة المرجع). أمّا حين ورود هذه اللفظة مضافة إلى لفظة (سرور)، أي المسجد الذي كان يترك مقدّم بن الأصفر الصلاة فيه، فإننا سنحصل على (تكرار اللفظ مع اختلاف المرجع) ويمكن تمثيل هذين الضربين من التكرار بالآتي:

التكرار مع وحدة المرجع	التكرار مع اختلاف المرجع
مسجد (3) مرّات عجيب (2) الفتى (2) أبي عمر (2)	مسجد مسرور / المسجد الذي تحصل فيه الأحداث

⁽⁵⁹⁷⁾ طرق الحمامة، باب الطاعة/ 95 - 96.

وقد أسهمت هذه الوحدات المكررة في تنشيط ذاكرة المتلقي على الربط بين الجمل.
ومن أضرب التكرار الواردة في النص، قوله:

((وعني أخبرك أنني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر، فما استحسنت من ذلك الوقت سوداء الشعر، ولو أنه على الشمس أو على صورة الحسن نفسه، وإنني لأجد هذا في أصل تركيب من ذلك الوقت، لا تواتيني نفسي على سواه ولا تحب غيره البتة، وهذا العارض بعينه عرض لأبي (ﷺ) وعلى ذلك جرى إلى أن وافاه أجله، وأما جماعة خلفاء بني مروان (رحمهم الله)، ولا سيما ولد الناصر منهم، فكلهم مجبولون على تفضيل الشقرة، لا يختلف في ذلك منهم مختلف، وقد رأينا من رأهم من لدن دولة الناصر إلى الآن فما منهم إلا أشقر نزاعاً إلى أمهاتهم، حتى قد صار ذلك فيهم خلقه، حاشي سليمان الظافر رحمه الله، فإني رأيت أسود اللثة واللحية، أما الناصر والحكم والمستنصر (ﷺ) فحدثني الوزير أبي (رحمه الله) وغيره أنهما كانا أشقرين أشهلين، وكذلك هشام المؤيد ومحمد المهدي وعبد الرحمن المرتضى (رحمهم الله)، فإني قد رأيتهم مراراً ودخلت عليهم فرأيتهم شقراً شهلاً، وهكذا أولادهم وإخوتهم وجميع أقاربهم، فلا أدري أذلك استحسان مرغب في جميعهم أم لرواية كانت عند أسلافهم في ذلك فجروا عليها، وهذا ظاهر في شعر أبي عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن أمير المؤمنين الناصر وهو المعروف بالطلق، وكان أشعر أهل الأندلس في زمانهم وأكثر تغزله بالشقر، وقد رأيت (وجالسته) (598).

يتمثل بنية التكرار في هذه القطعة على النحو الآتي:

التكرار التام	رحمة الله (3) مرّات، الشعر (2) مرتين، أبي (2) مرتين، الناصر (4) مرّات، من ذلك الوقت (2) مرّتين، رأيت (2) مرتين، رأينا (2) مرتين، رأيتهم (2) مرتين، رضي الله عنه (2) مرتين
التكرار الجزئي	(شقراء، الشقرة، أشقرين، شقراً، الشقر) (سوداء، أسود) (استحسنت، الحسن، استحسان) (رأينا، رأيتهم) (جرى، جروا) (شعر، أشعر) (رحمة الله، رحمهم الله)
شبه تكرر	(سوداء، شقراء) (أشقرين، أشهلين) (شقراً، شهلاً)
المترادف وشبهه	(سواه، غيره، حاشي، إلا) (جميعهم، كلهم) (أصل تركيب، مجبولون، صار فيهم خلقه)

فكانت لهذه العناصر المكررة نسبة ورود عالية في هذا المثال، فتعدد هذه الكلمات يعدّ انعكاساً لموقف (المرسل) إذ عملت على تدعيم غرضه وكشف موقفه. فالقطعة المستشهد بها تتداخل فيها المقاطع السردية والوصفية والإعلامية، وكلها تأخذ بعداً (حجاجياً) لتأكيد واقعية (من أحبّ صفة لم يستحسن بعدها غيرها ممّا يخالفها) فبينما يقوم التكرار الجزئي وشبه التكرار بتدعيم فكرة استحسان الشقرة ونبذ ما عداها، إذ يقوم التكرار التام والتكرار بالمترادف صوب تدعيم فكرة الانتماء والنصرة للخلافة المنكوبة، ذلك أن القطعة سرعان ما تأخذ سمة إعلامية لتتطوّل صوب الدعاية لمذهب (المرسل) وموقفه

(598) طرق الحماسة / 71.

السياسي، ففيها من دواعي كشف موقفه بشكل واضح، وأكثر ما يتجلى ذلك من خلال التكرار التام فجّل عناصره ينتمي إلى مصطلحات سياسية وأسماء أمراء وخلفاء، ومنها أيضاً ألفاظ التبجيل والتوقير والدعاء وهكذا عمل التكرار على اتساق هذه القطعة وانسجامها ((فإنّه إذا كان لكل نصّ محاور رئيسية فيجب أن تقوم ظاهرة التكرار بتدعيم تلك المحاور)) (599) أخذة البناء المنطقي المحكم في فضائه، ومنها أحسن (المرسل) التلخيص من غرض إلى آخر، فلو التكرار ما كان لهذا النص الاستطرادي لينسجم ويتسق. ومن أضرب التكرار الواردة في نص الطوق ما يسمى بالتكرار النحوي (التوازي) وأكثر ما يلجأ إليه (المرسل) عندما ((يريد أن يؤكد المعنى بأكثر من طريق فالتكرار [النحوي] يؤكد المعنى من ناحية ويظهر ثروة لغوية عند الكاتب، ويعمل على ترابط النص في ذهن القارئ)) (600) ومن ذلك قوله: ((فسهل ما كان وعراً، وهان ما كان عزيزاً، ولان ما كان شديداً)) (601).

فتجد الذات المرسلّة تستقصي جميع ما يحتمل غرضه من معجمه اللغوي حين يكرر المعنى نفسه من خلال ثلاث جُمَل، يمكن معاينتها عبر الآتي:

أداة الربط	فعل ماضي لازم	الفاعل	صلة الموصول
ف	سهّل	ما	كان وعراً
و	هان	ما	كان عزيزاً
و	لان	ما	كان شديداً

ولا يخفى على أحد ما يثيره التكرار هنا من توازن صوتي وانسجام وتناسب في بنية النص، كما يرفد ((النص بالتلاحم والترابط)) (602) وعلى الصعيد الدلالي فإن (المرسل) قد أدرك أن محتوى الجملة الأولى غير مقبول لدى متلقيه، ولذا لجأ إلى استخدام سلاسل جمالية متشابهة بأحداث منوعة (603). ليغيّر بها وجهة نظر متلقيه وجعله يتقبلها بهذه الوسيلة الأدبية، فالتوازي ((ليس ظاهرة جمالية فحسب، وإنما هو بنية تكتسب وظيفة بنائية تركيبية وإيقاعية ودلالية)) (604). ومن أمثلته أيضاً:

(599) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/107.

(600) رسائل الأحرار والسحاب الأحمر للرافعي، دراسة في نحو النص، نجفة عبد الوهاب/137.

(601) طوق الحمامة/89.

(602) قراءة النص الشعري الجاهلي، موسى رابعة، ط1، مؤسسة حمادة ودار الكندي، أريد، الأردن، 1998م/132.

(603) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/100.

(604) ادونيس وبنية القصيدة القصيرة، دراسة في أغاني مهيار الدمشقي، د. آمال منصور، ط1، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، 2007م/184.

((ولا يقع ذلك في مجالس الخلفاء، ولا في مقاعد الرؤساء، فيكون الصبرُ جازاً للمذلة، والضراعةُ قاندةً للاستهانة))⁽⁶⁰⁵⁾.

ويمكن توضيحه بهذا المرسوم:

ولا يقع ذلك	حرف جر	اسم مجرور	مضاف إليه			
				الخلفاء	اسم كان	متعلق بالخبر
... ولا	في	مجالس	الرؤساء	فيكون	الصبرُ	للمذلة
	في	مقاعد	الرؤساء	و ...	الضراعة	للاستهانة

وقد احتوى هذا التكرار النحوي ظواهر أخرى من قبيل شبه التكرار والترادف والسجع والجناس والحذف، لأن استخدام الموازنة مكن الكاتب من فتح أفق أكثر تنظيماً لعرض بلاغته ومهارته اللغوية للقارئ، وهو يؤكد رغبة ملحّة في إظهار نصه بشكل مترابط من جميع النواحي التركيبية والدلالية والصوتية والمعجمية وهذا التضافر يعكس لنا التوحد الذهني والاستقرائي للكاتب وقت الكتابة، كما ويعكس ثقافته التي هي جزء من ثقافة عصره، والأهم من ذلك أن هذا التضافر اللغوي والجمالي يؤدي إلى إحساس القارئ الدائم بالألفة تجاه النص والتوحد النفسي معه، وهو ممّا يؤكد على قبوله، كما يؤكد على إعلاميته⁽⁶⁰⁶⁾.

ومن أوجه التكرار الواردة في الطوق (تكرار المعنى دون اللفظ) ويأتي عبر الترادف التام وشبه الترادف، ولعلّ ما يلجئ الكاتب إلى ذلك دفع شعور المتلقي بالرتابة ومحاولة إضفاء التنوع على المحتوى، كما يسمح له بإظهار طاقته الإبداعية في رصف كلمات وجمل لها المعنى نفسه على مسافات محدّدة داخل النص الواحد⁽⁶⁰⁷⁾ وهو مع ذلك يؤكّد مراده ويزيد من تماسك نصّه.

يقول ابن حزم: ((... فلا يخالجه شك، ولا يدخله شك، ولا يربُّ البتة ولا تتماز في أن بينهما سرّاً من الحبّ دفيناً...))⁽⁶⁰⁸⁾.

تري أن أسلوب النهي يدور ويحوم حول فكرة واحدة ومعنى واحد، فتقلّص هذه الجمل الثلاث إلى جملة واحدة تقي بالغرض، لولا طاقة كاتبنا الاسترسالية وضخامة معجمه اللغوي، ما يمكن، عندئذٍ، أن نعلل - (بالأسباب الكامنة وراء استعمال ابن حزم التكرار النحوي) - لجوءه إلى استعمال الترادف وشبهه، على أنه - ولكي لا يقابل هذا المحتوى بالترهل، ولا يقابل الكاتب بعدم تمكنه من رسالته - يمكننا أن نبين ما يفترق فيه (الشك) عن (الريب) وكلاهما عن (المماراة)، فالشك هو اعتدال النقيضين عند الإنسان

⁽⁶⁰⁵⁾ طوق الحمامة/98.

⁽⁶⁰⁶⁾ ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/102.

⁽⁶⁰⁷⁾ م. ن/109.

⁽⁶⁰⁸⁾ طوق الحمامة/46.

وتساويهما في وجود الشيء وعدمه، بحيث لا يجد فيه استقراراً في الرأي ولا ثبوتاً يعتمد عليهما⁽⁶⁰⁹⁾، وهو بهذا مختلف عن (الريب) الذي لا يحصل عند الإنسان في كون الشيء، بل في حصوله⁽⁶¹⁰⁾ فضلاً عن أنه يحتوي معنى الظنّة والتهمة والإبهام⁽⁶¹¹⁾، وأنه لذلك لا يراود الإنسان إلا بفعل فاعل أي بإدخاله في صدره، وهذا ما يفتر لنا مجيء الفعل (يدخل) مؤكداً بالنون. وكلا (الشك) و(الريب) غير (المماراة) فإنها أخص منهما، من حيث أنها محاجة ومجادلة فيما فيه شك وريبة⁽⁶¹²⁾، فيكون المرسل - عند هذا - قد نجح في طرح محتواه بشكل تدريجي، محققاً الحكمة في أدائه، والتمكين من غرضه ولغته.

ومن استعمال هذا الضرب التكراري، أيضاً، قوله في الحب: ((...)) وليس بمنكر في الديانة ولا بمحذور في الشريعة...⁽⁶¹³⁾ فبين (منكر) و(محذور) فرق دقيق يمكن لحظه بملاحظة ما تفترق فيه الديانة عن الشريعة، فالدين الطريقة المخصوصة الثابتة من النبي (ﷺ) ويسمى من حيث الانقياد له ديناً ((...)) ومن حيث أنه يردها الواردون المتعششون إلى زلال نيل الكمال: شرعاً وشريعة⁽⁶¹⁴⁾، فالشرع ((ما قيص له من الدين وأمر به ليتحرّاه الإنسان اختياراً))⁽⁶¹⁵⁾ ومن هنا علّق المنكر بالديانة لأن معناه ((ضد المعروف))⁽⁶¹⁶⁾ ولم يقع عليه فعل التحري وإنما هو آت من طريق ثابتة، أما (حظر) فإن معناه المنع والحجر⁽⁶¹⁷⁾ الحاصلان إثر التحري، وهكذا يسعى الكاتب بهذه الوسيلة إلى وضوح رسالته وعدم إبهامها لقارئه مما يعطي لنصه أبعاداً إعلامية تحول بينه وبين إحساس القارئ بعدم الألفة مع النص⁽⁶¹⁸⁾. ومن يتابع هذه الوسيلة في طوق الحمامة يقف على حشود منها بحيث تتعادل حضوراً مع اضرب التكرار الأخرى إن لم نقل إنها تبرزها جميعاً.

2. المصاحبة المعجمية

تبيّن من خلال الاستقراء أن صاحب الطوق يعتمد المصاحبة المعجمية وسيلة من وسائل السبك بدرجة غير قليلة، مرتبطة بالوسائل الأخرى جنباً إلى جنب لأداء هذه الوظيفة، فلا تكاد تقف على قطعة نصية ما لم تحو نسبة بقدر احتوائها على الوسائل الباقية، التي سبق الكلام فيها، وذلك من خلال عدّة

(609) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب/269.

(610) م. ن/213.

(611) ينظر: القاموس المحيط، مادة (ريب)/92.

(612) م. ن، مادة (مزى)/1334، كذلك المفردات/469.

(613) طوق الحمامة/32.

(614) فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات، نور الدين بن نعمة الله الجزائري، حققة وشرحه د. محمد رضوان الداية، ط1، مكتبة الرشيد ناشرون، 2003م/126.

(615) المفردات/261.

(616) القاموس المحيط، مادة (نكر)/487.

(617) القاموس المحيط/377.

(618) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/111.

علاقات كالتضاد، وعلاقة الجزء بالكل، والجزء بالجزء، والصنف العام والتلازم الذكري، والتدرج التسلسلي، وقد عملت متكافئة على انسجام جمل النص وترابط أجزائه، مستغلة إحياء الكلمات ومعانيها المعجمية خدمة لهذا الترابط، فالعنصر اللغوي الواحد لا يحمل الاتساق بذاته، ما لم يتضافر والعناصر داخله، ولا يتحقق هذا التضافر إلا بوجود تلك العلاقات ⁽⁶¹⁹⁾، وهذا ما سيتضح في هذه الأمثلة.

يقول ابن حزم:

((الحب- أعزك الله- داء عياء وفيه الدواء منه على قدر المعاناة، ومقام مستلذ، وعلة مشتهية، لا يودّ سليمها البرء، ولا يتمنى عليها الأفاقة، يزين للمرء ما كان يأنف منه، ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى يحيل الطبائع المركبة والجملة المخلوقة)) ⁽⁶²⁰⁾.

تقوم هذه القطعة على حشد من المصاحبات اللغوية المرتبطة بالتكرار، بأغلب أضره، مع الإحالة الضميرية لإظهار معنى الحب على أتم وجه، ففيها أكثر من ضد ك (الداء والدواء) اللتين بينهما تضاد حاد، وقد ربطا بين الجملتين الاسميتين في مستهلها، وكلفظتي (سليمها وعليها) اللتين يجمعهما الترادف، وهما تقعان فاعلاً في الجملتين المتوازيتين، ذلك أن فاعل الجملة الثانية (عليها) كان متوقفاً مجيئاً عند قراءة الجملة الأولى المحتوية على فاعل (سليمها) يجمعه بما في الجملة الثانية علاقة ترادف، والأمر كذلك مع التضاد في الفعلين: (يسهل ويصعب) فقد خدما اتساق الجملة الموسعة التي وقعت فيها، فحالما يقرأ الفعل (يسهل) الواقعة، يكون المتلقي قد هياً خبراً لكان الواقعة صدر الصلة وهو الفعل (يصعب)، وفيها، أيضاً، عنصر يجمعه بغيره علاقة التلازم الذكري، مثل: (مستلذ وشهوة) اللتين تؤديان إلى انتظام التركيب العطف الذي وقعتا فيه.

ويقول في باب الرقيب:

((ولقد شاهدت يوماً محبين في مكان قد ظننا أنهما انفردا فيه، وتأهبنا للشكوى، فاستحلنا ما هما فيه من الخلوة، ولم يكن الموضع جميئاً، فلم يلبثا أن طلع عليهما من كانا يستنقلانه، فرأني فعدل إلي وأطال الجلوس معي، فلو رأيت الفتى المحب، وقد تمازج الأسف البادي على وجهه مع الغضب، لرأيت عجباً، وفي ذلك أقول قطعة، منها:

يطيئ جلوساً وهو أثقل جالس

ويبيدي حديثاً لسث أرضى فنونه

شمام ورضوى واللكام وينبل

ولبنان والصممان والحزن دونه ⁽⁶²¹⁾

⁽⁶¹⁹⁾ ينظر: الترابط النصي بين الشعر والنثر/126.

⁽⁶²⁰⁾ طرق الحماسة/40.

⁽⁶²¹⁾ طرق الحماسة/109، وينظر: الأبيات في ديوانه/153.

فتجد الأحداث تتوالى توالياً منطقياً (فرآني فعذل وأطال الجلوس) (فتمشينا وابتعدنا وانبسطنا إلى أن غيمت السماء وأقبل الغيث ...) وبهذا التوالي المنطقي نحصل على مصاحبات لغوية من خلال علاقة (التدرج التسلسلي) فقد أدى هذا التدرج إلى خلق وحدات لغوية داخل النص، مترابطة فيما بينها ترابطاً منطقياً قائماً على وجود أبعاد زمانية تدعم فكرة التعاقب بين الأحداث (622).

وفي القطعة كذلك مصاحبة من خلال علاقة التلازم الذكري بين ألفاظ (مكان، خلوة) و(الأسف والغضب) كذلك بين كل انتلافات البيت الثاني من النثقة المستشهد بها (شمام، رضوى، اللكام، يذبل، لبنان، الصمان) فكل عنصر من هذه العناصر ينادي على ما يليه فيكون المتلقى، إثر ذلك، متوقفاً مجبئاً، فكلها أسماء لجبال في البلاد العربية، وهذا هو الدور الترابطي الذي يقوم به التلازم الذكري.

ومن علاقاتها، أيضاً، علاقة (الجزء بالجزء) التي نقف عليها في هذه الفقرة: ((...ودليل عيان على هذا أنك تأخذ مرأتين كبيرتين فتمسك إحداها بيمينك خلف رأسك والثانية بيسارك قبالة وجهك ثم تزويها قليلاً حتى يلتقيان بالمقابلة، فإنك ترى قفاك وكل ما وراءك)) (623).
فالكلمات (يمينك، رأسك، يسارك، وجهك، قفاك) تصاحبت عبر علاقة الجزء بالجزء، جاء بها الكاتب من دون أن يأتي بما تنطوي تحته، أي (الكل) وهو هنا (الجسم) وقد أدت هذه الكلمات إلى تناسق الفقرة من خلال ربط جملها بعضها ببعض.

ومن أقواله المشتتة على المصاحبة قوله (624):

- البسيط -

عيناى فيه وجسمى مرتحل
مثل ارتقاب الغريق البرّ في لجج.
فقد اشتمل المصراع الأول على كلمتين متصاحبتين تجمعهما علاقة الجزء بالكل، وهما (جسمى=الكل) و(عيناى=الجزء) وأدنا إلى ربط الجملتين بصحبة الواو الرابطة. أمّا المصراع الثاني فإنه مشتمل على تضاد حاد بين كلمتي (البر، لجج) اللتين عملتا الاتساق على مستوى جملة واحدة في الشطر الثاني.

ومن علاقاتها، أيضاً، قوله:

((ولعهدي بفتى من سروات الرجال وعلية إخواني قد دهى بمحبة جارية...)) (625).

إذ جاءت، في هذا المثال، عناصر متصاحبة تجمعها علاقة (الصنف العام) وهي (فتى، الرجال، جارية) التي هي فروع تحت جنس (الإنسان)، والفرق، بين هذه العلاقة (الصنف العام) وبين علاقة

(622) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/113.

(623) طرق الحمامة/76.

(624) ديرانة/45، وينظر: طرق الحمامة/45.

(625) طرق الحمامة/89 - 90.

(الجزء بالكل)، واضح، فالفتى والرجال والجارية ليست جزءاً، وإنما هي أنواع تندرج تحت جنس (الإنسان) فالعلاقات بينها ليست مبنية على التجزؤ، كالتى بين اليد والجسم أو الصفحة والكتاب.

ثالثاً- الاتساق الصوتي

1. الوزن والقافية

قلنا إن اعتماد الوزن والقافية وسيلتين من وسائل السبك الصوتي، يعتمد بداهة على احتواء النص أشعاراً للكاتب أو لغيره يقوم بوظيفة حاجية بالغة الأهمية تتمثل بإقناع المتلقي بالفكرة التي يطرحها الكاتب، أول الأمر، نثراً، ثم ما يلبث يطرحها شعراً، فالمتلقي يستهويه - أول ما يستهويه - البعد الموسيقي للغة، ولا سيما، إذا كان الأداء الصوتي للنص يسير وفق نمط إيقاعي منتظم (626).

فالاتساق الحاصل، إذاً، عن طريق هذه الأشعار، آت - قبل كل شيء - من البنيات الوزنية (Metric Structures) كما يقول (فانديك) (627).

أما عن أولى هاتين الوسيلتين - الوزن - فإننا نلاحظ أن ابن حزم اتبع في بناء هذه الأشعار الأوزان العروضية المشهورة معبراً بذلك عن صفاء طبعه وإمساكه بناصية الشعر، وهنا سنطرح إحصائية بأهم الأوزان المستعملة في الأبواب العشرين المختارة من خلال هذا الجدول:

الطويل	البسيط	الخفيف	الوافر	الكامل	الهمز	المنسرح	المقارب	السريع	الوصل
30	14	3	7	3	1	3	5	6	1

إذ تكشف هذه الإحصائية عن أن البحور الشعرية المعروفة ذات الرزانة تشكل نسبة حضور عالية في النص، فالطويل مثلاً وهو سيد البحور وأكثرها دوراً في الشعر العربي (628)، وهو أيضاً أملاً البحور للغم والسمع وأعظم هيبة منها جميعاً (629)، نقول إن البحر الطويل يشكل نسبة حضور عالية في الطوق، ما يفتر لدينا قوة مهانة ابن حزم وتماهيه مع النسق الجمعي (الشفوي) المسيطر، بحيث يثبت بهذه المهانة قوة ((التزامه بالنظام الجماعي)) (630) الذي يطمح جاهداً إلى تغييره وزعزعة أسسه وأركانه عن طريق تسخير أهم وسائله المتمثلة بالشعر، بما أنه ((أكثر الأنواع الأدبية استجابة للتغيير الاجتماعي والفكري، وذلك لطبيعة العلاقة بين أشكاله وإيقاعاته والتجربة الإنسانية المعيشة)) (631).

(626) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/121.

(627) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية/122.

(628) ينظر: موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ط4، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1974م/215.

(629) دراسات في النص الشعري، عصر صدر الإسلام وبني أمية، د. عبده بدوي، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1987م/105.

(630) نازك الملائكة بين الكتابة والتأنيث القصيدة/195.

(631) جدل الحداثة في الشعر، د. سليمان الواسطي، ضمن أعمال مهرجان المريد الشعري السادس، تحت عنوان (الشعر ومتغيرات المرحلة حول الحداثة والحوار الأشكال الشعرية الجديدة)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م/44.

على أن هذه المهادنة والتماهي قد يعتريهما الوهن عند الكاتب حين يلجأ إلى اتخاذ أوزانٍ غريبة على العروض بما لا يتناسب والمزاج الثقافي الشفوي رغم صفاء طبعه وقوة قريحته، فمن ذلك نظمه على ((ما يستقبح من الوزن))⁽⁶³²⁾ كـ (المخلع البسيط)⁽⁶³³⁾ وهو وزنٌ قبيح مردود لا تقبل النفس عليه، كقبح الخلق واختلاف الأعضاء في الناس وسوء التركيب ... وأمثله في الشعر تكاد تكون كلاماً غير موزون بعلّة ولا غيرها⁽⁶³⁴⁾. فمن ذلك قوله⁽⁶³⁵⁾:
- المخلع البسيط -

مواصل لا يُغِبُّ قَصداً
صار وصدنا لفرط ما لا
أعظم بهذا الوصال غمّا
يزول كالاسم والمسمّى

وحقاً فإنّ هذا الشكل من مجزوءات البسيط الذي تسلّطت على آخره تغيرات حادة، فأصله (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن 2×) وحين حذف منه الجزء الأخير صار (مستفعلن فاعلن مستفعلن 2×) ثم لحق العروض والضرب (الخبين) و (القطع) فصارا (مُتَفَعِّلِن) = (فَعُولِن)⁽⁶³⁶⁾. ناهيك عما تعتريه من زخافات (الخبين) و (الطي) في حشوه، وهذا ما تحقّق في بيتي ابن حزم فقد لحق (الخبين) صدر البيت الأول، فحوّل (مستفعلن) إلى (مفاعلن) وكذلك في عجز البيت الثاني، كما لحق (الطي) صدر البيت الثاني، فتحوّلت (مستفعلن) إلى (مفتعلن). ثم ما لبث ابن حزم أن عبّر ثانية عن خروجه على الرتابة والشائع حين لجأ إلى (ضرائرها) وذلك في قوله: (كالاسم) فقد جمع ما لا يجتمعان (أل) التعريف والإضافة.

ومن أوجه عدم تمسكه بالرتيب الشائع نظمه على (المنسرح)⁽⁶³⁷⁾ الذي يلائم جانب انحسار الشفوي ويقرّبه من الكتابي إذ المنسرح بحرٌ من ((البحور المركبة التي قلّ استعمالها قديماً لخلو وزنه من الأثر الإيقاعي) فهو وزن رتيب أقرب إلى الاضطراب منه إلى الاتزان حتى لتجدّ في بعض شواهد ما يدلّ على نثرية مقيّنة))⁽⁶³⁸⁾ ولاسيما عند أبي محمد⁽⁶³⁹⁾:
- المنسرح -

أسيء ظنّي بكلّ مُحَقَّر
كي لا يرى أصل هجرة وقلّي
تأتي به والحقيز من حقّر
فالنار في بدء أمرها شرّز

(632) العمدة، لابن رشيق، 140/1.

(633) ينظر: طوق الحمامة/ 58 - 110، والظاهر أن يد الناسخ قد طالعت هاتين القطعتين من الشعر، ففي الثانية منها يقول ابن حزم ((وفي ذلك أقول قطعة)) ونحن نعلم أن القطعة تفوق أبياتها على الثلاثة.

(634) العمدة، 140/1.

(635) ديوانه/ 124، وينظر: طوق الحمامة/ 110.

(636) ينظر: العروض والقافية، دراسة وتطبيق وشعر الشطرين والشعر الحر، د. عبد الرضا علي، مطابع التعليم العالي بجامعة الموصل، د. ت/ 107.

(637) ينظر: طوق الحمامة/ 52 - 110 - 128.

(638) العروض والقافية، عبد الرضا علي/ 147.

(639) ديوانه/ 82، وينظر: طوق الحمامة/ 52.

وأصلُ عظم الأمور أهونها

ومن صغير النوى ترى شجر

وعلى ما يبدو أن هذه الأبيات، من الأشعار التي صنعها ابن حزم في أثناء الكتابة، ولم تكن من استرجاعاته. وإنما كتبها ليعيد طرح الفكرة شعراً بعد طرحها نثراً، ومن هنا يتعذر علينا أن نلتمس له العذر من أنه قد قالها ((على البديهة))⁽⁶⁴⁰⁾ هذا مع أن الكاتب أشد سيطرة على رسالته من الشاعر في (اختيار الألفاظ وطرق البلاغات)⁽⁶⁴¹⁾، وذلك ((لرغبة الكاتب في حلاوة الألفاظ وطيرانها وقلة الكلفة والإتيان بما يخف على النفس منها، فإن أكثر أشعارهم إنما يأتي تظرفاً لا عن رغبة ولا رهبة))⁽⁶⁴²⁾ إلا أن صاحبنا فقد سيطرته هنا لسطوة مقتضيات الكتابة والكتابية التي عطلت فيه بدهته الشفوية، فتلحظ، هنا، أن خشية وقوعه في الضرورة الشعرية القبيحة - (التي يترتب عليها عند مجيء القافية مطلقة بالألف، نصب الخبر (= شرر) وعند مجيئها مقيدة، تسكين المفعول به (= شجر) ولذا أثر أهون الضررين فاختر المقيدة) - نقول إن خشية وقوعه في تلك قد اضطرتّه إلى أن يبني (الأضرب) على (فاعِلن) التي أوقعته في ضارة أقبح من تلك ... وربما كان اختياره قافية مقيدة بمثابة إشارة تدلنا على أن الكتابة قد قيّدتَه عن تجسيد انتمائه إلى المركز (= الشفوي) ساعة الكتابة، وعندئذ، يمكن أن نلتمس لسمعه الشعرية عذراً، إذ الكتاب أو لنقل الشعراء لحظة الكتابة ((لا يحاسبون فيها محاسبة الشاعر المبرز الذي الشعرُ صناعته والمديحُ بضاعته))⁽⁶⁴³⁾.

ومهما يكن من أمر فإنّ رصدنا عيوباً من هذا القبيل في طوق الحمامة مبني - أساساً - على مقتضيات الكتابة، التي تخفّت في حضرتها مقتضيات الشفاهية، ولذا لا يمكن أن نعيّم هذه العيوب على جميع ما في نصّه من أشعار ولا يمكن القول إنّ الوهن والركاكة قد كانا غالبين على شعره بل على العكس فإنّ ابن حزم يمثل شخصيةً شعريةً مكينة ولا أدلّ على ذلك من أنّ الأفكار الفلسفية والفقهية والكلامية قد تسلّلت إلى شعره كثيراً وأضفت عليه طابعاً فكرياً أكثر منه غنائياً فأفقدته سمات الطلاوة والجزالة⁽⁶⁴⁴⁾، بحكم طبيعة هذه الأفكار التي لا تلتين بسهولة ولا تطوّع بمرونة، ومع ذلك ظلّ محافظاً على المسار الإطاري (الشكلي) للقصيدة العربية، بل امتاز بحره بصفاء الموسيقى ونقاء الوزن من العيوب الجسيمة، ومن ثمّ فإنّه جسّد الجانب الشفاهي لنصّه خير تجسيد من خلال أوزان قصائده التي لا نستبعد قيامها - أحياناً - بدورٍ وظيفي آخر - غير الاتساق - وهو الموسيقى التعبيرية الناتجة عن علاقة الوزن بالمضمون الشعري، وبمقصدية الشاعر الذي وفّق في إيجاد هذه العلاقة التي تؤدّيها، فضلاً عن

(640) الصلة لابن بشكوال/395.

(641) العمد، لابن رشيقي، 1/335.

(642) م. ن، 2/110.

(643) العمد، لابن رشيقي، 2/110.

(644) ينظر: ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي/166.

الوزن والقافية، حركة الإيقاع الداخلي التي تأتي عوناً على تجسيد الفكرة، وهذا ما نلاحظه في قوله⁽⁶⁴⁵⁾:
- البسيط-

واستلذ بلاني فـيـك يا أـمـلي

ولستُ عنك مدى الأيام أنصرفُ

إن قيل: لي تتسلى عن مودته

فما جوابي إلا اللام والألف

إذ البيتان يصاحبان خبراً عن فتى قريب من ابن حزم ((قد وُجِلَ في الحب وتورط في حباله وأضر به الوجد وأنصبه الدنف، وما كانت نفسه تطيب بالدعاء إلى الله (ﷻ) في كشف ما به ولا ينطق به لسانه، وما كان دعاؤه إلا بالوصل والتمكّن ممّن يحب على عظيم بلانه وطويل همّه))⁽⁶⁴⁶⁾ فكان من الطبيعي أن يخلق البيتان البحر الذي هما عليه، فالبحر هنا هو البحر البسيط، وهو بحر تجود فيه حالات الشجن والإنكسار..⁽⁶⁴⁷⁾ ويستطيع تجسيد البلاء والهم والوجد والدنف، ولاسيما حين يتعاقد معه حرف الروي (= الفاء) الذي يُضيف إلى الوزن القوة الإيحائية والتأثيرية لغرض إتمام مقومات التشكيل الدلالي، فالفاء صوت رخو مهموس، نسمع له عند خروجه نوعاً عالياً من الحفيف⁽⁶⁴⁸⁾، يجسد لنا هو الآخر الحالة النفسية التي يكون عليها الشاعر، كما أحدثت الضمة عليه نوعاً من التخميم والتحويل لهذا المصاب الجلل، ناهيك عن التناغم الصوتي الحاصل بتكرار الألف (9 مرّات) والهمزة (8 مرّات) والميم (4 مرّات) والسين (3 مرّات) التي أضفت جميعها، بتوزيعها المناسب ((صورة موسيقية تتلاقى فيها الأنغام وتغترف، محدثة نوعاً من الإيقاع الكلي الذي يترك في نفس المتلقي أثره))⁽⁶⁴⁹⁾ فالملحظ أن البيتين لا يحتويان صورة شعرية تثير الانتباه، فعلى الرغم من اعتماده الاستعارة في قوله (واستلذ بلاني) إلا أنها استعارة جاهزة مبتذلة استهلكتها القرائح حتى جفّ عودها، شأنها في ذلك شأن الكناية عن (لا) الجوابية بـ (اللام والألف) في عجز البيت الثاني. فشعرية هذين البيتين لم تأت من خلال هاتين الصورتين الباهتين، إذ لم تشكّلا مثيراً قوياً لتشبيط تفاعل المتلقي، ومع ذلك استعاض المرسل عن الصورة بالإيقاع التعبيري، وهذا ما يؤكد الدكتور محمد العبد حين يشير ((إلى قصائد عدّة خلت تماماً من كل أنواع الصور وجعلت من مثيرات أخرى وسائلها للتأثير، لكنّها ظلت جميعاً تحت حكم الصوت))⁽⁶⁵⁰⁾ ورحمته، فاحتفظت بشعريتها.

(645) ديوانه/ 105، وينظر: طوق الحمامة/ 41.

(646) طوق الحمامة/ 41.

(647) ينظر: دراسات في النص الشعري/ 242.

(648) ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، الناشر مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 2007م/ 47.

(649) ينظر: التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل، دار الغريب، القاهرة، 1977م/ 61.

(650) النص والخطاب والاتصال، محمد العبد/ 349.

ومهما يكن من أمر فإن ابن حزم وَّفَّق في تقديم أفكاره نثرًا، ومن ثم في محاولة طرحها ((في قالب جديد يعتمد على وجود إيقاع منتظم يسيطر به على القارئ فيدفعه إلى مواصلة فعل القراءة مادام هناك استمرارٌ لذلك الإيقاع)) (651) ومادام هذا الإيقاع (= الوزن) يناسب المزاج الثقافي الشفوي المسيطر على عقلية هذا القارئ.

أما القافية، فإنها ((شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمى شعراً عند العرب حتى يكون له وزنٌ وقافية)) (652) وإنما سميت ((القافية قافيةً لأنها تقفو إثر كل بيت، وقال قومٌ لأنها تقفو إخوتها)) (653) وهذا ما يفسّر لنا بدهأة دورها الاتساقية ((فإن من المعروف أن من صلب وظائف القافية هو التواصل والربط بين أجزاء القصيدة وجعلها كياناً قائماً على التلاحم والتعاضد بين تلك الأجزاء أو الوحدات المكونة لها)) (654) ما يستلزم ضرورةً توحيد الأبيات على إيقاع صوتي رتيب ثابت يخلق الانتظام في الملفوظات على أساس ((التطابق والمماثلة، وهو وعيٌ شفوي بامتياز)) (655) ولذا تؤدي القافية دوراً إقناعياً كبيراً في النص، إذ تعدّ ((عنصر الثبات فيه الذي يحمل دائماً أهميةً تأثيرية خاصة في المستمع، والقافية بذلك تضعُ بوجودها القارئ في حالة نفسية معنية وتجعله يدرك معاني كلماتها المتواليّة)) (656).

هذا لتأكيد دور القافية الاتساقية الناهض أساساً على الإيقاع الراسي في النص، وأما عن دورها الإضافي في هذه الوظيفة فإنه يحصل عن اشتراكها مع غيرها من العناصر في علاقة رأسية أخرى لتنتج عنها علاقات دلالية وشكلية تبرزها الفنون البديعية، وذلك مثل (لزوم ما لا يلزم)، وهو ((أن يأخذ الشاعر نفسه بالتزام حروف وحركات في القافية لا تتطلبها قواعد علم القافية وإنما يفعل ذلك زيادة في الإيقاع الموسيقي)) (657) ما يعني زيادةً في الميل نحو الشفاهية للسيطرة على القارئ وجذبه، كما ويعني وسيلة اتساقية إضافية في النص، كما في قول ابن حزم (658): - الطويل - ولا تزعمَا فـي الجِدِّ مزحاً كمولج

فسادَ علاج النفس طيِّ صلاحها

(651) نظرية علم النص، حسام فرج/122.

(652) المعدة، 151/1.

(653) م. ن، 154/1.

(654) شعرية النص عند الجواهري، الإيقاع والمضمون واللغة، د. علي عزيز صالح، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،

27/2011م.

(655) نازك الملائكة بين الكتابية وتأنيث القصيدة/208.

(656) نظرية علم النص، حسام فرج/122.

(657) فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، ط6.

(658) ديوانه/ 47، وينظر: طوق الحمامة/ 119.

ومن كان نقل الزور أمضى سلاحه

كمثل الحبازي تتقى بسلاحها

فالأحرف التي تتطلبها علم القافية هي (الف الردف، والحاء الواقعة رويًا، والهاء الواقعة وصلًا، والألف الواقعة خروجًا). على أن ابن حزم التزم حرفاً آخر قبل الردف وهي (اللام) مع أنه غير ملزم بالالتزامها، ولذا فقد ألزم نفسه ما لا يلزمه. وذلك زيادة في الإيقاع وقوة في السبك. كما نلاحظ علاقة شكلية أخرى على الخط الرأسي متمثلة بالجناس المسمى بـ (المطمع) أو (المضارع) ⁽⁶⁵⁹⁾ المبني على تجانس أشكال الحروف في الخط مع مخالفة إحداها ما يوافقها، فقد جانس ابن حزم بين اللفظتين الواقعتين قافية وهما (صلاحها) و (سلاحها)، ومن ذلك، أيضاً ⁽⁶⁶⁰⁾:
- الطويل -

ويقطع أسباب اللبابة في الهوى

ويفعل فيها فعل بعض الحوادث

كان له فـي قلبه ريبة ترى

وفي كل عين مخبر بالأحداث

فاللزم هنا (ألف التأسيس، والثاء الواقعة رويًا) على حين التزم الشاعر حرفاً غير لازمة وهي الدال الواقعة دخيلاً، مع أنها غير لازمة بخلاف حركتها التي يجب الالتزام بها، كما أنه أوجد بين اللفظتين جناساً (ناقصاً) من الضرب الذي تقدّم ⁽⁶⁶¹⁾ محاولة منه لإبراز قوافيه ((بجانب كونها معبرة عن المعنى الأساسي للإطار من خلال كلماتها المختارة اختياراً مقصوداً)) ⁽⁶⁶²⁾ وقد تأتي هذه العلاقة دلالية، وذلك كالنضاد والتلازم الذكري، وذلك نحو ⁽⁶⁶³⁾:
- الطويل -

فأصبحت فيه لا تحلين غيره

إلى مقتضى يوم القيامة والحشر

نغيشين فيه ما حييت فإن أمت

سكنت شغاف القلب في ظلم القبر

فالذي يجمع بين (الحشر) و (القبر) هو علاقة التلازم الذكري، ومنه أيضاً ⁽⁶⁶⁴⁾: - الطويل -

ورب رقيب أرقبوه فلم يزل

⁽⁶⁵⁹⁾ ينظر: جنان الجناس في علم البديع، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (764هـ)، قدم له وشرحه ووضع فهرسه د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م/54-56.

⁽⁶⁶⁰⁾ ديوانه/ 45، وينظر: طوق الحمامة/ 111.

⁽⁶⁶¹⁾ جنان الجناس/ 540.

⁽⁶⁶²⁾ نظرية علم النص، حسام فرج/ 123.

⁽⁶⁶³⁾ ديوانه/ 77، وينظر: طوق الحمامة/ 127.

⁽⁶⁶⁴⁾ ديوانه/ 156، وينظر: طوق الحمامة/ 110.

على سيدي عمداً ليعدني عنه

فما زالت الألفاظ تحكّم أمره

إلى أن غدا خوفاً له أمناً منه

فقد عقد بين اللفظتين (عنه) و(منه) علاقة دلالية تقوم على الطباق.

هذا وقد تبرز للقافية جمالية ناتجة عن دخولها في علاقات أفقية مع عناصر أخرى في البيت الواحد فتتشأ عنها تنويعات صوتية بديعة كالنصرع وهو ((ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته))⁽⁶⁶⁵⁾ وذلك كقوله⁽⁶⁶⁶⁾:
- الطويل -

أمن عالم الأملاك أنت أم انسي

أبن لي فقد أزرى بتميزي العي

حيث بنى ضرب الطويل على (مفاعيلن) وجاء بقافية (متواترة) رويها ياء مضمومة. وألحق العروض بالضرب - جوازاً - فبناها على (مفاعيلن) أيضاً مع التزام الروي نفسه، ثم عاد فبنى الأعاريض اللاحقة على (مفاعيلن)، ليحقق بذلك توافقاً نغمياً بين مصراعي المطلع عبر التصريع بالزيادة.
ومن التصريع بالنقص قوله⁽⁶⁶⁷⁾:
- السريع -

هل لقتيل الحب من وادي

أم هل لعاني الحب من فادي

فقد بنى القصيدة على السريع المقطوع، أي ما كانت عروضه صحيحة (فاعلن) وضربه مقطوعاً (فاعِلن) = (فعلُن). أما في هذا البيت - مطلع القصيدة - فإنه أتبع العروض الضرب، وذلك حين بناها على (فعلُن) ليكون توافقاً بينهما مع تشابه الروي.
ومثل هذه العلاقة القائمة على توافق الأشكال (فَنَ التقفية) والتقفية غير (التصرع) فهي ((أن يتساوى الجزءان من غير نقص ولا زيادة، فلا يتبع العروض الضرب في شيء إلا السجع))⁽⁶⁶⁸⁾، ومثالها قوله⁽⁶⁶⁹⁾:
- الوافر -

وقاسى الوجْدَ وامتنع المناما

رقيب طالما عَرَفَ الغراما

(665) العمدة، 173/1.

(666) ديوانه/ 158، وينظر: طوق الحمامة/ 39، وننوه إلى أن في صدر البيت ضرورة شعرية، إذ حق الهمزة في (انسي) القطع لا الوصل.

(667) ديوانه/ 61، وينظر: طوق الحمامة/ 133، ولعل (الياء) في (قتيل) سقطت في طوق الحمامة. والصحيح ما ثبتناه من الديوان ليستقيم الوزن.

(668) العمدة، 173/1.

(669) ديوانه/ 123، وينظر: طوق الحمامة/ 68.

فالعروض (غراما) والضرب (مناما) وكلاهما على زنة (فعولن) وبقافية واحدة (= متواترة) ورو واحد (ميم مطلقة)، وفي الأبيات التي تلي المطلع تجد أن كلاً من العروض والضرب يلزمان الحالة نفسها بخلاف حرف الروي.

فالتصرع والتقفية يقدّمان -على سبيل توضيح القافية وإبرازها عبر العقد الحاصل بينها وبين غيرها من العناصر المعجمية في البيت- أنموذجاً يتّواشج فيه أكثر من أداة وأكثر من وسيلة، كالسجع والجناس، والتضاد والتكرار بجميع أنواعه الداخلة في مبحث الاتساق المعجمي، والحال كذلك مع فنّ (ردّ العجز على الصدر) وهو ((أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته، معناه متعلقاً به، حتى إنّ الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها، إذا سمع أول البيت عرف آخره وبأنّ له القافية)) (670) وقد عُذّ هذا الفن محكاً يتفاضل فيه الشعراء، فقديماً قيل ((إنّ خير أبيات الشعراء البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته)) (671) على ما يتضح في هذا البيت (672): - الطويل -

على أنّ قتلي في هواك لاذة

فيا عجباً من هالك متلذذ

فلفظة (متلذذ) الواقعة قافية ردّ على لفظة (لاذة) الواقعة في حشو الصدر، والجامع بينهما فنّ الجناس الاشتقائي الذي يجلب إيقاعاً موسيقياً جميلاً للأذن، ويحقق التماسك بين شطري البيت على اتّمْ وجه. على أنّ هذا الفن لا يتوقّف عند الألفاظ دون الحروف، وإلا فإنّه جزء ممّا يسمى بـ (ترشيح القوافي) (673) الذي يقوم على تمهيد الشاعر لقافيته سواءً بالحروف أم بالألفاظ فمثلاً يأتي ابن حزم بحرف (طاء) داخل البيت ليمدّ لنطقها في آخره (674): - الطويل -

أعنه فقد أضحي لفرط همومه

يبكي إذا القرطاس والحبز والخطّ

فتجد أن الترشيح للقافية سواءً بالحروف أم بالألفاظ يحقّق للأبيات ترابطها، ويخلق فيها إيقاعاً أسراً يشدّ به الكاتب ذهن متلقيه الذي يأبى إلا أن يسترجع محتويات صدر البيت بعد تمام عجزه.

(670) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، د، ت/66.

(671) البيان والتبيين، 1/116.

(672) ديوانه/65، وينظر: طوق الحمامة/84.

(673) ينظر: بنية القصيدة العربية، البحري أنموذجاً/232.

(674) ديوانه/97، وينظر: طوق الحمامة/94.

وهكذا تغدو النصوص الشعرية- بفضل تمسك الشاعر بإبراز قوافيه- أكثر تماسكاً وتلاحماً حين تمتلك المزيد من أدوات الاتساق الصوتي، وهذا يرتبط بالحركة اللولبية التي يحدثها تقاطع الإيقاعين- الراسي والأفقي- اللذين تظهرهما القوافي عبر اشتراكها وعناصر أخرى في القصيدة أو المقطوعة.

هذا وإذا كان المنجز الشعري عند العرب مؤسساً على وعي شفوي خالص يُوجَّهه (التطابق والتماثل) في أوزانه وقوافيه وإذا كانت العيوب التي تعترى شيئاً منها يعدّ خرقاً لهذا النسق، ومن ثم لهذا الوعي السائد الذي يرفض من جملة ما يرفض (اختلاف القوافي)⁽⁶⁷⁵⁾ فإننا نجد صاحب الطوق مشدوداً إلى تبني هذا النسق واحتضانه، ولم يكرس نمطاً مغايراً في معالجاته الشعرية، بل تماهى مع الشائع (= المطابق) إلى درجة اضطرتّه إلى التماشي وروح العصر، على ما يبدو في شعره من تصنع واضح عبر الاستعانة بالتلاوين الصوتية النابعة من شتى الفنون البديعية التي أبرزت قوافيه وعمقت فيه السعي لطلبها وحمايتها من الهنات والعيوب (= الاختلاف) تعبيراً عن انخراطه العضوي في هذا النسق، وصار شعره الممثل الأبرز للجانب الشفوي في طوق الحمامة، والأنموذج الناصح لتمسك صاحبه- ابن حزم- بالرتابة الشكلية في أشعاره التي سلطها على قلوب العشاق والمحبين، بكونها وسيلة ناجحة للقبول والاستجابة.

واستناداً إليه، فإننا نكاد لا نعثر على عيبٍ جسيم في قوافي ابن حزم، ولا سيما في النصوص العشرين المختارة التي لم يبرز فيها من العيوب سوى ما يسمى بـ(سناد التوجيه) الذي ينكره بعض العروضيين⁽⁶⁷⁶⁾. ويجيزه آخرون على ما يتضح في قول ابن رشيق: ((ويجوز في التوجيه التغيير، فيكون سناداً عند بعض العلماء، وكان الخليل يجيزه على كره من جهة الفتحة، فأما الضمة والكسرة فهما متعاقبتان كالواو والياء في الرفع والفتحة كالألف))⁽⁶⁷⁷⁾ فيتضح أنّ سناد التوجيه عيبٌ طفيف يعتور القوافي المقيدة حين تختلف حركة ما قبل الروي (= التوجيه) بين الفتحة والضمة والكسرة⁽⁶⁷⁸⁾، ونرى أن هذه الإجازة من بعض العروضيين هي التي خوّلت ابن حزم عدم الاكتراث له، فحملته التواطؤ عليه في أكثر من مناسبة شعرية فمن ذلك⁽⁶⁷⁹⁾:

- الطويل -

أقمث إلى أن جاء في الليل راجياً

لقاءك يا سؤلي ويا غاية الأمل

فأياسني الإظلام عنك ولم أكن

لأياس يوماً إن بدا الليل يتصل

⁽⁶⁷⁵⁾ ينظر: نازك الملائكة بين الكتابية وتأنيث القصيدة/208.

⁽⁶⁷⁶⁾ ينظر: مختصر العروض والقوافي، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني(392هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه قيس العطار،

مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت/148.

⁽⁶⁷⁷⁾ العمدة، 154/1.

⁽⁶⁷⁸⁾ ينظر: العروض والقافية ... عبد الرضا علي/179.

⁽⁶⁷⁹⁾ ديوانه/ 121، وينظر: طوق الحمامة/50، وينظر: الصفحات/35 - 86 - 125.

لأنك لو رمك الزبارة لم يكن

ظلامٌ ودام النور فينا ولم يزل

فقد اختلف التوجيه (حركة الميم في البيت الأول- وحركة الصاد والزاي في البيتين الثاني والثالث) بالفتح والكسر والضم.

إن التزام ابن حزم بهندسة الوزن والقافية التقليدية وعدم اتخاذه أشكالاً شعرية أخرى كالموشح والزجل- مثلاً- يكون بمثابة شهادة انتماء للنظام الأدبي السائد، والأكثر شفوية، وعدم استطاعته الخروج عليه، على الرغم مما عرف عنه من نزق وتمردٍ على المظاهر النمطية الجامدة في المجالات الأخرى.

2. السجع والازدواج

لابد أن ننوّه - بدءاً - أن طرق الحماسة نصّ طويل يحتوي موضوعات شتى وأفكاراً متنوعة، ولذا فإن هاتين الوسيلتين لم تبرزاً بروزاً مبالغاً فيه على ما تجد عند أغلب كتاب عصره ممّن كتبوا الرسائل والمقامات. وهذا ما أكّده الدكتور (حازم عبد الله خضر) من أنّ ((احتواء الازدواج قليل في كتاب الطوق))⁽⁶⁸⁰⁾ فمن ذلك قوله:

((فكم بخيل جاد، وقطوب تطلق، وجبان تشجع، وغليظ الطبع تطرف، وجاهل تأدّب، وثقل تزين، وفقير تجمل، وذو سنّ تفتى، وناسك تفكّك، ومصون تهتك))⁽⁶⁸¹⁾.

فهذا التوازن بين الجمل والفقرات في هذه القطعة أكسبها ترابطاً صوتياً اشترك في عمله مع عناصر أخرى نحوية ومعجمية ودلالية لصنع نوع من أنواع الوحدة داخل النص⁽⁶⁸²⁾.

وهذا الصنيع يعدّ عند حازم القرطاجني معلماً دالاً ((على طرق العلم بتحسين حياة العبارات والتأثف في اختيار موادها، وإجادة وضعها ورصفها))⁽⁶⁸³⁾ وذلك بوضع ((اللفظ إزاء اللفظ الذي بين معنييهما تقارب وتناظر من جهة ما لأحدهما إلى الآخر انتساب وله به علقه، وحمله عليه في الترتيب، فإنّ هذا الوضع في تأليف الألفاظ يزيد الكلام بياناً وحسن ديباجة واستدلالاً بأوله على آخره))⁽⁶⁸⁴⁾.

وعلى هذه الشاكلة يسوق ابن حزم عباراته بإحداث توازن دقيق بين محتوياتها ليجمع، عندئذ، بين مضامينها المعنوية الدلالية، وتلاوينها الإيقاعية، باعتبارها مظهراً من مظاهر الاتساق النصي، ومن ذلك أيضاً: ((ومن الأسباب المتمنة في الحب أن يهب الله (ﷻ) للإنسان صديقاً مخلصاً لطيف القول، بسيط

(680) النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين/465.

(681) طرق الحماسة/44.

(682) نظرية علم النص، حسام فرج/113.

(683) منهاج البلغاء وسراج الأدباء/222.

(684) م. ن/224.

الطول، حسن المآخذ، دقيق المنفذ، متمكن البيان مرهف اللسان، جليل الجلم، واسع العلم، قليل المخالفة، عظيم المساعدة...))⁽⁶⁸⁵⁾.

ولعل هذه القطعة من أكثر ما في النص إظهاراً لبراعة الكاتب، ذلك أن الإتيان ((بالأسجاع مجال يتبارى فيه كل كاتب لإظهار ثراء لغته ومفرداته وتمكّنه من استقدام أي منها ووضعها في صورة جميلة تظهر معناها بالنظر إلى غيرها ممّا يماثلها شكلاً ومعنى))⁽⁶⁸⁶⁾ وبخلاف هذه القطعة الطويلة نسبياً، نعثر على هذا اللون البديعي بين فينة وأخرى متخلّلاً بين فقرات النص وقطعها، ما يدل على عدم اكتراث الكاتب بالصنعة البديعية على حساب نظراته وأفكاره.

وإذا كانت القافية - بطبيعتها النمطية - تعمل على سبك النص على المحور الرأسي، فإن السجع والازدواج يعملان بشكل لاقت على توحيد النص وترابط أجزائه على المحور الأفقي بما يقربهما من الأوزان الشعرية وقاعليتها في الاتساق، مع لحظ أن الأوزان الشعرية داخلية ضمن ما يسميها (فانديك) بالبنيات الوزنية (Metric Structures) وأن السجع والازدواج داخلان ضمن البنيات غير الوزنية (Non - Metric Structures) بتعبير (فانديك) أيضاً⁽⁶⁸⁷⁾.

إن الزخرفة اللفظية الناتجة عن هذين الفنين لهما صلة أكيدة بالبعد التداولي في النصوص، شريطة أن لا يتكلف الكاتب في طلبها إلى درجة تبدو معها ثقيلة في أذن المتلقي ومستهجنة وداعية إلى الملل الذي يحيل دون استمراره ودوامه على القراءة - وإلا فهي وسيلة طيّعة في السيطرة على ذهن قارئ النص، وفي تحقيق نصّه البعد الإعلامي بشكل واضح.

وعلى أيّ فإن السجع والازدواج قد صوّرا لنا البعد الشفاهي في طوق الحمامة، وعملاً على إظهاره، وعبراً عن انخراط كاتبه وتماهيه مع النسق النخبوي الذي يمثّله الأدباء والكتّاب في عصره وفي العصور التي سبقتّه، إذ كانت هذه الزخرفة من مقتضيات القبول والاعتراف بنصيّة النص، أو بشعريته. ومن هنا رأى أبو هلال العسكري أنّه ((لا يحسنُ منثور الكلام ولا يخلو حتى يكون مزدوجاً ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج))⁽⁶⁸⁸⁾ وعند هذا يتبين لدينا أن الدراسات المنصّبة على النصوص العربية القديمة لن تتوصّل إلى اتساقها وانسجامها ولا إلى بقية معايير النص إذا ما أهملت الجانب الصوتي فيها، إذ تشكّل الجوانب الصوتية في هذه النصوص وسيلة مهمة في تحقيق نصيّتها، بما تتساوى والوسائل الأخرى، ولا سيما عند لجوء كتّابها إلى التزييق اللفظي الناشئ عن توخيهم الصنعة وركوبهم التكلف.

⁽⁶⁸⁵⁾ طوق الحمامة/105.

⁽⁶⁸⁶⁾ نظرية علم النص، حسام فرج/114.

⁽⁶⁸⁷⁾ ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية/122.

⁽⁶⁸⁸⁾ كتاب الصناعتين/201.

3. الجناس

وهو فن بديعي لا يقل أهمية في سبك النص عن غيره مما يندرج تحت (البنيات غير الوزنية)، وهو، كذلك، ((لون آخر من ألوان الزخرفة اللفظية عني بها الكاتب الأندلسي في نصوصه النثرية))⁽⁶⁸⁹⁾ وقد برزت في طوق الحمامة صور عدة من صور الجناس غير التام، وذلك حين نلاحظ عزف صاحبه عن الجناس التام إلا في مواضع ضئيلة فيه، وإلا فإنه أحاط بهذا الفن الذي لم يكن ليتوخى في طلبه الصنعة والتكلف، وإنما كان دافعه الوقع الجمالي وطبيعة قارئه المنسجم بأفقه مع مقتضيات العصر وواقعه الأدبي فمن ذلك قوله:

((... فكل هذه الأجناس منقضية مع انقضاء عللها وزائدة بزيادتها وناقصة بنقصانها))⁽⁶⁹⁰⁾.
فقد عمل هذا الجناس (الاشتقائي) توافقاً صوتياً أفاد تقوية معنى الانقضاء والزيادة والنقص الحاصل في الحب. وتقديمه إلى المتلقي بتعبير إيقاعي ليخلق لديه إحساساً بالائتلاف مع النص، ذلك أن الجناس يظهر الكلمات المهمة ويعمل على تشخيصها ((بما يعني وضوح معانٍ معينة يرغب الكاتب في تكثيف تواجدها دلاليًا))⁽⁶⁹¹⁾ ومثل هذا قوله:
((... ألا ينفر في المحبوب وينفر به ...))⁽⁶⁹²⁾.

فقد جانس بين (ينفر) و(ينفر) جناساً (محرفاً)⁽⁶⁹³⁾ ليؤكد أن إذاعة السر سبيل إلى نفور المحبوب، وليزيد من التواشج بين الجملتين. فأدى كلامه أداءً معنوياً يعاضده في ذلك أداءً إيقاعياً، ومنه، أيضاً: ((... وأتلك لترى المرأة الصالحة المسنة المنقطعة الرجاء من الرجاء وأحب أعمالها إليها وأرجاها عندها سعيها في تزويج اليتيمة ...))⁽⁶⁹⁴⁾.

إذ جانس بين (الرجاء) و(الرجال) و(أرجاها) لينهض هذا الفن بدور وسيلة إضافية تعمل على ربط الفقرة، بما أوقعه من تلوين صوتي بارز بين ألفاظها.

كما يقوم الجناس - أيضاً - بدور اتساق في أشعاره، وعندئذ لا يسلم من التكلف والصنعة الظاهرين كما في قوله⁽⁶⁹⁵⁾:

- المنسرح -

أسى ظنني بكل محنقر تأتي به، والحقير من حقّر

(689) النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين/471.

(690) طوق الحمامة/36.

(691) نظرية علم النص/113.

(692) طوق الحمامة/87.

(693) جنان الجناس، للصنفي/42.

(694) طوق الحمامة/107.

(695) طوق الحمامة/52.

ولعل من أهم الملاحظات في طوق الحمامة تضافر الجنس والازدواج والسجع، ووسائل أخرى كذلك، في النص الواحد، على ما يتضح هنا:

((... والعين باب النفس الشارع، وهي المنقبة عن سرانها والمعبرة لضمائرها والمعربة عن بواطنها، فترى الناظر لا يطرف، ينتقل بتقل المحبوب، وينزوي بانزوائه، ويميل حيث مال كالحرياء مع الشمس...)) (696).

فلنلاحظ أن الجمل المنتهية بـ (الهاء) يجمعها (السجع المرصع) من كون ألفاظها متفقة وزناً وتقنية (697). وفي الوقت ذاته تشكل لدينا هذه الكلمات أنواعاً من الجنس فضلاً عن أن الكاتب قد أطنب في إعادة المعنى الواحد بصيغ مختلفة ما يعني أن بين محتويات هذه الجمل علاقة (شبه الترادف). كما لا يخفى ما بين ألفاظ (ينتقل - يتنقل) و(ينزوي - بانزواء) و(يميل - مال) و (ينتقل - بتقل) من جناس . وبهذا استطاع الكاتب أن يخلق لنصه أداءً صوتياً خاصاً يعوّض بقدرة الإمكان، الأداء الحركي والصوتي المصاحب في النص الشفاهي، وحملت لغته الكتابية أصداً تلك المصاحبات المسموعة والمرئية، فالنص الذي بين أيدينا ينتمي - شئنا أم أبينا - إلى بيئة شفاهية، يهيمن الصوت على أجوائها، فهي، إذًا، واقعة في منطقة بين الشفاهية والكتابية وتحمل جدلية بين منطق اللغة المسموعة ومنطق اللغة المقروءة، ولو نظرنا إلى لغة تلك النصوص سنجد أنها تحمل سمات مجتمعة للجانبين (698)، على ما سيتضح عند حديثنا عن السياق المصاحب في مبحث المقامية.

بقي أن نقول، بخصوص اتساق هذا النص، أن تدخلات الناسخ بأجراء عملية الاختصار لم تطل لغة ابن حزم، ولم تحجب عنا قصديته في أن يكون نصه نصاً متسقاً، فلغة الطوق واسلوبه - بمفرداته و ببناء عباراته، وبالروابط التي تربط بين هذه العبارات، وبكل المظاهر اللغوية التي تنسج العلاقات بين بنى النص الداخلية وتبرز وظائفها - هي لغة ابن حزم واسلوبه، و لم يجترح الناسخ إعادة صياغة النص على طريقة الملخصات. فالطوق، من هنا، يكشف عن قصد كاتبه في أن يبني نصاً يتمتع بالتماسك والاتساق.

(696) طوق الحمامة/43.

(697) ينظر: علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، ط2، مؤسسة

المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2004م/252.

(698) ينظر: الشفاهية والكتابية، والتر أوج/221، كذلك نظرية علم النص/31.

الفصل الرابع

الفصل الرابع (الانسجام)

المبحث الأول الانسجام نظرياً

أولاً – الانسجام مفهومه

ثانياً – الانسجام وسائله

1. التفريض

2. ترتيب الخطاب والعلاقة بين فصوله

3. علاقات الانسجام في إطار الوحدات النصية

4. البنية الكبرى / موضوع الخطاب

المبحث الثاني (الانسجام في طوق الحمامة)

أولاً – مبدأ التفريض (فاعلية العنوان في انسجام الطوق)

ثانياً – ترتيب الخطاب والعلاقة بين فصوله (= ابوابه)

ثالثاً – علاقات الانسجام في إطار الوحدات النصية

رابعاً – موضوع الخطاب

المبحث الأول

الانسجام نظرياً

أولاً – الانسجام مفهومه

ثانياً – الانسجام وسائله

1. التغريض

2. ترتيب الخطاب والعلاقة بين فصوله

3. علاقات الانسجام في إطار الوحدات النصية

4. البنية الكبرى / موضوع الخطاب

أولاً- الانسجام مفهومة

تبيّن لنا- ممّا سبق- أن (الاتساق) اختصّ بالاستمرارية المتحققة في بنية النص السطحية التي تعني ((الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطّها أو نراها بما هي كم متّصل على صفحة الورق))⁽⁶⁹⁹⁾. كما تبيّن أيضاً أن وحدة النص لا تقاس بظواهر سطحية بمعزل عن الظواهر الدلالية والسياقية، وإنّما تقاس بالبحث عنها في البنية الدلالية الأساس التي تكشف عنها المسائل الدلالية الكبرى للأبنية المركبة والحبك النصي (=الانسجام)⁽⁷⁰⁰⁾.

. فالانسجام- إذا- معيار يختصّ بالاستمرارية المتحققة في بنية النص العميقة، عبر العلاقات الدلالية الضمنية التي تسمح للنص بأن يفهم ويستخدم⁽⁷⁰¹⁾. وذلك باتصال المعلومات ببعضها ((في إطار نصي أو موقف اتصالي، اتصالاً لا يشعر معه المستمعون أو القراء بثغرات وانقطاعات في المعلومات))⁽⁷⁰²⁾.

فيُتضح أن هذا المعيار ينصبّ على التماسك المضموني (الدلالي) بإظهار مدى الترابط الحاصل على صعيد البنية الكلية للنص، فهو يعتمد على الظواهر اللغوية التي شكلت اتساقه وترابطه، وكذا على ظواهر أخرى غير لغوية تتمثّل بعالمه. وذلك أن النص قد يكشف عن مؤشرات الاتساق التام. إلا أنّه لا يكون منسجماً إلا بافتراض بنية عميقة له، مع لحظ أن هذا الافتراض يختلف من متلقٍ إلى آخر حسب وجهات النظر ومدى إدراكهم السياق الذي أنتج فيه⁽⁷⁰³⁾. ويرى (ج. م. ادم) أن تحقيق النصيّة يتوقف من جملة ما يتوقف عليه، على البعد الدلالي المرجعي القابل للتحليل بتباين وانسجام العالم المقدّم؛ فالمخاطبان يمتلكان قاعدة للتفاهم في وضعية التواصل التي أحدثها، فيكون الملفوظ عاكساً للعالم الذي ينتميان إليه في انسجامه الظاهر ومرجعياته، وتصنع فيه المعاني والدلالات بما تقتضيه قواعده الداخلية، فههدف الانسجام هو إيجاد إطار مشترك بين الاثنين يجعلنا حين نقراً ونفهم ملفوظاً نشعر بالوحدة وعدم التشتت، لأنّ الملفوظ منظم تنظيماً دلاليّاً ومرجعياً، وبهذا الشكل يمكن اعتبار النص مظهرّاً تحكمه مقاييس وأنظمة تحتية (=بنية عميقة) في تفاعل ثابت، يكفله الشق التداولي⁽⁷⁰⁴⁾.

وهذا عين ما ذهب إليه الدكتور حسام فرج من أن الانطلاق من المفهوم السيكلوجي للانسجام- لكونه قائماً على العلاقات المفهومية التي يستخدمها القراء والكتاب في تعاملهم مع النص- هو ما يعطي بعداً برجماتياً واضحاً للحبك.

(699) نحو: أجرومية للنص الشعري/227.

(700) ينظر: النص والخطاب والاتصال، 90 - 91.

(701) ينظر: نحو: أجرومية للنص الشعري/228. كذلك نظرية علم النص، حسام فرج/127.

(702) النص والخطاب والاتصال، 91.

(703) ينظر: لسانيات النص، ليندة قياس/138 - 139.

(704) ينظر: لسانيات النص، احمد مداس/87 - 88.

فالعوامل البرجماتية المرتبطة بتكوين النص وتلقيه- اللذين يحدّدان بقصد الكاتب ومعرفة الجمهور- كانت مجالاً لاهتمام الدراسات النصية ذات الصبغة الدلالية، فالحبك (= الانسجام) جزء من عملية فهم النص والقارئ عندما يعالج النص يبني تمثيلاً للمعلومات التي يحتويها النص في ذهنه، وهو، أيضاً، جزء أساس عند تشكيل الكاتب نصّه، فهو ينطلق في بنائه من موضوع أساس يتمّ توسعته بطرق شتى اعتماداً على المقصد والحالة، تساعد على ذلك إجراءات التعبير الموجودة في ثقافته⁽⁷⁰⁵⁾.

وجملة القول أن الانسجام ((في جوهره تنظيم مضمون النص تنظيماً دلالياً منطقياً، وتسلسل المعاني والمفاهيم والقضايا على نحو منطقي مترابط هو أس حبك (= انسجام) النص. والنص الذي يوصف بأنه لا معنى له هو النص الذي لا يستطيع مستقبلوه أن يعثروا فيه على مثل هذا التسلسل))⁽⁷⁰⁶⁾.

ثانياً- الانسجام، وسائله

يحقق النص انسجامه بوجود قارئ يفترض له بنية تحتية تمكّنه من فهمه واستيعابه، وهذه البنية في حقيقتها بنية ينعقد فيها الثبوت والإطلاق، لأنها نسبية تختلف من واحد إلى آخر، ولذا فإن الوسائل المتخذة للحكم على انسجام النص تختلف هي الأخرى تبعاً لاختلاف القراء وافتراساتهم، ما يعني- بداهة- عدم وجود اتفاق بين الباحثين على هذه الوسائل، ولعلّ الشيء الوحيد الذي وقع عليه اتفاقهم، على هذا الصعيد، هو أنّ الانسجام ((يرتبط به طرفان: الأول داخل النص (ظاهر) تحمله الأدوات الظاهرة للربط، والثاني خارج النص "برجماتي")⁽⁷⁰⁷⁾.

فالانسجام عند (فانديك) يتمثّل في الانسجام (الطولي أو المتدرج)، الذي تنتج عنه (البنية النصية الصغرى)، وفي الانسجام (الشامل أو الكلي) الذي تصدّر عنه (البنية النصية الكبرى) والمراد بالبنية النصية الصغرى، ما تعتبر عنه الجمل ومتواليات الجمل من قضايا، ويكون شروط الترابط فيها هي وجود علاقة تربط بين معاني الكلمات الواردة في الجملة، وضرورة التطابق الإحالي بين الجملتين، أي أن يكون لهما مرجع واحد تحيلان عليه، ومنها أيضاً، ضرورة تعالق الأحداث والوقائع عن طريق الارتباط السببي، والترتيب الزمني والترابط الافتراضي والتطابق بين السؤال والجواب والإضراب والمقارنة والتقابل والتخصيص. وأمّا المراد بالبنية النصية الكبرى فأنّه البنية الدلالية الأشمل، باعتبار النص كلّاً يؤدي دلالة واحدة، تحتاج ذاكرة المتلقي في استيعابها قواعد كبرى تتمثّل بقواعد الحذف، وقواعد الاختيار وقواعد التعميم والدمج والتركيب⁽⁷⁰⁸⁾.

(705) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/127.

(706) النص والسياق والاتصال، د. محمد العبد/92.

(707) نظرية علم النص، حسام فرج/127.

(708) ينظر: النص والسياق، البحث في الخطاب الدلالي والتداولي تون فانديك، ترجمة عبد القادر قنيني، ط1، منشورات أفريقيا الشرق، المغرب، 2000م/74 - 80. كذلك النص والخطاب والاتصال، محمد العبد/93.

هذا، فيما يرى (ديوبوجراند) أنَّ وسائل الالتحام (الانسجام) تشتمل على الآتي (709):

1. العناصر المنطقية ، كالسببية ، والعموم والخصوص.
2. معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.
3. السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجارب الإنسانية ويدعم الالتحام (=الانسجام) بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم.

ويتصل بهذه التحديات الغربية السابقة دراسات في التراث العربي الإسلامي وثيقة الصلة بها فقد كان الحبكة (=الانسجام) من أهم المقومات النصية التي وقفت عندها جهود اللغويين والنحويين والبلاغيين قديماً.

ولعل من أهم العلوم العربية التي عالجت- صراحة- مبحث الانسجام، ما عرف قديماً بعلم المناسبات عند أعلامنا المفسرين وعلماء القرآن الكريم، حين اجتهدوا في إيجاد العلاقات الدلالية الرابطة بين آيات القرآن الكريم وسوره، فقد تناولوا- من جملة ما تناولوه- مناسبة اسم السورة لمضمونها ومناسبة السورة لآخرها، وهذا ما يقابل لدينا (النصوص الموازية أو العتبات النصية) تقريباً، ومما تناولوه، أيضاً، مناسبة آيات السور لبعضها البعض ومناسبة سور القرآن لبعضها البعض⁽⁷¹⁰⁾، فهذه العلاقات لم تخرج عن وجود علاقات لا تختلف كثيراً عن علاقات الانسجام عند نحاة النص الغربيين، وذلك مثل علاقات تفصيل المجمل، والتلازم والمقابلة والمقارنة والبيان. وإلى غير ذلك من الإشارات المبكرة في التراث العربي إلى حقيقة الانسجام، على ما سيتضح بعد.

أما عن أهم الوسائل المتبعة، التي يفترض أن يتحقق بها الانسجام، في هذه الدراسة، فإنها على ما يأتي:

1. التغريض:

وهو أحد المبادئ المعتمدة في انسجام النص عند (يول وبراون) فمبادئ الانسجام عندهما أربعة: السياق والتأويل المحلي والتشابه والتغريض⁽⁷¹¹⁾. ((ويشير مفهوم التغريض إلى الكلمات الوظيفية الموجودة في النص والتي تحيل إلى البنية الكلية))⁽⁷¹²⁾ إذ تعد هذه الكلمات ((نقطة بداية قول ما))⁽⁷¹³⁾ - حسب يول وبراون- فالجملة الأولى من النص والفقرة الأولى منه والعنوان، كل أولئك يؤدي دوراً كبيراً في تأويل ما يليه، ما يعني أنَّ ((كل قول، كل جملة، كل فقرة، كل حلقة، وكل خطاب منظم حول عنصر

(709) ينظر: النص والخطاب والإجراء/103. كذلك نحو: النص، احمد محمد عبد الراضي/83.

(710) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، ط7، دار القلم، دمشق، 2009م/58 وما بعدها.

(711) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي/56 وما بعدها. كذلك أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش 1/158.

(712) لسانيات النص، ليندة قياس/157 (الهامش).

(713) لسانيات النص، محمد خطابي/59.

خاص يتخذُ كنقطة بداية⁽⁷¹⁴⁾). وبناءً عليه، فإننا سنتخذُ العنوانات طريقة يتمُّ بها التفريغ في الخطاب، مع علمنا أن هذا المفهوم أوسع بكثير مما اتخذناه، فالدكتور محمد خطابي يوضح أنَّ الطرق التي يتمُّ بها التفريغ متعددة، منها: تكرير اسم الشخص واستعمال ضمير محيل إليه، وتكرير جزء من اسمه، واستعمال ظرف زمانٍ يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في مدة زمنية، ومن هذه الطرق أيضاً، عنوان النص، على الرغم من أن (يول وبراون) - على خلاف كثير من الباحثين - لا يعتبران العنوان موضوعاً للخطاب وإنما يعتبرانه أحد التعبيرات الممكنة عن موضوع الخطاب، ووظيفة العنوان هي أنَّه وسيلة خاصة قوية للتفريغ⁽⁷¹⁵⁾.

إنّ تقليصنا هذا المبدأ - التفريغ - بالعنوان يحيلنا على موضوع العتبات النصية (= النصوص الموازية) (= المناص) الذي يعدّ (العنوان) من بين أهمِّ عناصره واليات⁽⁷¹⁶⁾. والعنوان هو العلامة اللغوية الفعالة التي تقدِّم الوظيفة الإفهامية الأولى في النص، لاستبطان محتوياته ومضامينه فهو ((غرة النص، وأوّل ما يستوقفنا ويمارس سلطته على المتلقي أحياناً، وأخرى تخيَّب انتظاره بغير المتوقع، كما توجهه إلى قراءة كلية للنص، تزيل غموضه وتجلي تهويماته))⁽⁷¹⁷⁾ وتأسيساً على هذا عدّ (فانديك) العنوان جزءاً من البنية الكبرى للنص، ذلك أن افتراض بنية عميقة دلالية للنص يدعم - من جملة ما يدعم - إمكانية اختصاره في ملخص أو في (عنوان)⁽⁷¹⁸⁾. وحقاً فإنّ الدراسات الأكاديمية والعلمية المعاصر تناولت العنوان تناولاً دقيقاً واستشفت منه ثلاث وظائف رئيسة :

1. الوظيفة التعيينية، فبموجب هذه الوظيفة يعيّن العنوان النص ويشخصه، فهو يستخدم ليسمي هذا الكتاب وهذا يعني تعيينه بدقة قدر الإمكان.
2. الوظيفة الوصفية، وبموجبها إما أن يصف العنوان النص من خلال أحد مميّزاته، أو أن يصف العنوان الجنس الأدبي للنص أو الاثنين معاً.
3. الوظيفة الإيحائية، فهناك عنوان له إichات تاريخية، أو إichات خاصة بالجنس الأدبي⁽⁷¹⁹⁾.

(714) م. ن/59.

(715) ينظر: م. ن/59 - 60.

(716) عتبات جيرارجنيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد، تقديم د. سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008/م/65.

(717) بنية انسجام.. وترميز دلالة، رؤية تأويلية في حكايات عن الغرف المعلقة، د. نوافل سعيد الحمداني دراسة، مجلة آفاق أدبية الصادرة عن، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ع 3-4، س1، 2011/م/134-135.

(718) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فانديك/88. وكذلك مدخل إلى علم النص، واورزيناك/65.

(719) ينظر: عتبات النص القصصي، دراسة في الوظيفة والأداء، د. عبد الله حسن جميل، دراسة ضمن (مغامرة الكتابة في مظهرات الفضاء النصي) إعداد وتقديم ومشاركة محمد صابر عبيد، عالم الكتب الحديث اريد الأردن، 2013/م/84.

أما في التراث العربي، فإن العرب، قد عرفت ضرورياً من العنونة، فقد ميّزوا بعض النصوص الشعرية حين وصفوها بـ(المعلقات)، ارتكازاً على السياق الحاف بالنص، أو حين أطلقوا على بعضها الآخر أسماء الروي كاللامية والسينية... ارتكازاً على البنية الصوتية البارزة في النص، هذا على الرغم من الهيمنة الشفاهية الطاغية، آنذاك، كما نلاحظ أن أسماء سور القرآن الكريم، وإدخالها في مباحث علم المناسبة هي من أطرف ما توصل إليه هذا العلم في ظل بزوغ الكتابية في هذا التراث⁽⁷²⁰⁾. وقد أكد برهان الدين البقاعي هذه الحقيقة حين قال: ((فاسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه))⁽⁷²¹⁾.

فهذه إشارة عريضة تؤكد وعي المفسرين - وابن حزم منهم - بالدور الفعال للعنوان، لكونه ذا وظيفة دلالية مهمة يرتبط ارتباطاً عضوياً بموضوع النص ومقصودية كاتبه.

2. ترتيب الخطاب والعلاقة بين فصوله (= أبوابه)

ويعد من أبرز مظاهر انسجام الخطاب ((ويسميه (فانديك) الترتيب العادي للوقائع في الخطاب، وذلك أن ورود الوقائع في متتالية معينة يخضع لترتيب عادي تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا بالعالم))⁽⁷²²⁾. وقد أهتم المفسرون، قديماً، بهذا المظهر ووجهوا إليه عناية كبيرة في التماس علاقات دلالية تؤكد التماسك والانسجام بين الآيات والسور في القرآن الكريم، وهذا ما يتضح في كتاب برهان الدين البقاعي الموسوم بـ(نظم الدرر في تناسق الآيات والسور) وكذلك في كتاب جلال الدين السيوطي الذي بنى عنوانه على عنوان سابقه (تناسق الدرر في تناسب السور)، ويمكن أن نتلخص لدينا مدار هذا الجهد بما أشار إليه السيوطي من ((أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له وإطناب لإيجاز))⁽⁷²³⁾. وأن الترابط المضموني الدلالي الحاصل بين تلك السور لا يخرج عن العلاقات الدلالية التي حصرها في عشر، والتي سنأتي عليها، وهي (تفصيل المجمل، التلازم والاتحاد، تشابه الأطراف، المقابلة، المقارنة، الملابس، التحقيق، بيان العلة، الإتمام أو العطف، وصف الإطار الزمني). ولعل المفسرين كانوا قد سبقوا إلى إدراك هذه العلاقات من البلاغيين والنقاد الذين تلخصت جهودهم على يد أبي الحسن حازم القرطاجي في كتابه (منهاج البلغاء).

(720) ينظر: النص والخطاب قراءة في علوم القرآن/د محمد عبد الباسط عيد و د. صلاح رزق، ط1، مكتبة الآداب،

القاهرة، 2009م/72 - 73.

(721) نظم الدرر في تناسق الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (885هـ)، مكتبة ابن تيمية

القاهرة، دت، 12/1.

(722) لسانيات النص، خطابي/38.

(723) تناسق الدرر في تناسب الصور، جلال الدين السيوطي (911هـ) دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطاء، ط1، دار

الكتب العلمية بيروت لبنان، 1986م/65.

فقد أودع فيه ((إضاءات معرفية مهمة في فهم منظوراته إلى بنية النص من جهة الحيك))⁽⁷²⁴⁾ ولا سيما حين يتكلم ((في الإبانة عما يجب في تقدير الفصول وترتيبها ووصل بعضها ببعض وتحسين هياكلها، وتعتبر به أحوال النظم في جميع ذلك من حيث يكون ملائماً للنفوس أو منافراً لها))⁽⁷²⁵⁾ معتمداً في هذا على جهود سابقيه الذين صرفوا جهوداً عظيمة في تحقيق الترابط المضموني بين أجزاء الخطاب عبر استخلاص العلاقات المنطقية التي تبني وحدتها الدلالية⁽⁷²⁶⁾. وبما أننا نتناول بالتحليل نصاً نثرياً طويلاً نسبياً، فإننا سنعتمد في إيجاد علاقات دلالية بين أبوابه في ضوء استقرار السيوطي إياها في سور القرآن الكريم، على أننا سنكتفي في المبحث التطبيقي على ما رأيناها منها مناسبة للبحث، دون أن نغفل عن جهود النقاد والبلاغيين الذين أدت أجهزتهم المفاهيمية دوراً كبيراً في تفعيل جهده قديماً، وإلا فإن أغلب هذه العلاقات إنما هي من ذخائر هذين الحقلين العلميين لولا أنه أستطاع أن ينتشلها من مجالاتها الضيقة - (وذلك حين كانت هذه العلاقات منصبة على فقرات أو مقاطع معينة من الخطاب في الدرس النقدي أو البلاغي) - ويطبقها على تمام نص القرآن الكريم، مثلما نجح سابقه - حازم القرطاجي - في إسقاطها على النص الشعري، وذلك حين رُصد ((التوالي المحكم للمفاهيم والأغراض الذي يصل الفصول بعضها ببعض في القصيدة الواحدة))⁽⁷²⁷⁾. وهذه العلاقات كما أُنقِصَ عليها السيوطي لا تخرج عن هذه العشر:

1. علاقة تفصيل المجمل

وقد سبق البلاغيون السيوطي إلى تحديد هذه العلاقة تحت مسميات مختلفة، كال تفسير، وإيضاح المبهم، وغير ذلك، فمثلاً يقول فيها ابن رشيقي تحت مصطلح التفسير ((وهو أن يستوفي الشاعرُ شرح ما ابتداء به مجملًا، وقل ما يجيء هذا إلا في أكثر من بيت واحد))⁽⁷²⁸⁾ وقد استطاع السيوطي أن يجعل من هذه العلاقة ((قاعدة الخطاب القرآني كله))⁽⁷²⁹⁾ ومن الأمثلة التي يسوقها لتأكيد هذه العلاقة بين سور القرآن. أن سورة آل عمران شرخ لإجمال ما في البقرة قبلها، وكذا أن سورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة⁽⁷³⁰⁾.

(724) النص والخطاب والاتصال، محمد العبد/133.

(725) منهاج البلغاء وسراج الأدباء/287.

(726) ينظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد/117.

(727) النص والخطاب والاتصال، محمد العبد/147 - 148.

(728) العمدة، 35/2.

(729) النص والخطاب والاتصال، محمد العبد/161.

(730) ينظر: تناسق الدرر في تناسب الصور/65 وما بعدها.

2. علاقة التلازم والاتحاد

وتقوم هذه العلاقة على مبدأ المناسبة بين سورتين من سور القرآن الكريم، وذلك إذا وردت سورتان مباركتان بينهما تلازم واتحاد، فمثال ذلك أن آخر (آل عمران) مناسب لأول البقرة، فإنها افتتحت بذكر المتقين وأنهم مفلحون، وختمت آل عمران بقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: الآية 200] (731).

3. تشابه الأطراف

وهي كذلك فن من فنون البديع وسماء قوم (التسبيغ) وهو - كما يقول ابن معصوم - أن يعيد الشاعر لفظة القافية في أول البيت الذي يليها، فتكون الأطراف متشابهة، وقد يكون بالنثر أيضاً، بأن يعيد النثر سبعة القرينة الأولية في أول القرينة التي تليها (732)، وقد وقع منه في القرآن الكريم، عند قوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ﴾ [سورة الروم: الآيات 6-7]. وقد نقلها السيوطي من المناسبة بين أجزاء الخطاب الصغرى إلى أجزائه الكبرى فهذه العلاقة عنده اشتراك أول السورة مع خاتمة ما قبلها في الموضوع، فمن ذلك أن سورة يوسف ختمت بوصف الكتاب، ووصفه بالحق، وبدأت الرعد بمثل ذلك (733).

4. علاقة المقابلة

والمقابلة في مباحث علم البديع ((إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة...)) (734) والفرق بينها وبين المطابقة شيان: الأول أن المطابقة لا تكون إلا في ضدين غالباً، والمقابلة تكون غالباً بالجمع. والثاني أن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد، والمقابلة تكون بالأضداد وبغيرها (735).

وقد جعل السيوطي من هذه العلاقة وجهاً من وجوه التناسب بين سور القرآن، فيرى - مثلاً - أن بين سورة الماعون وسورة الكوثر علاقة مقابلة، لأن الماعون وصف للمنافقين بأربعة أوصاف هي (البخل - ترك الصلاة - الرياء فيها - ومنع الزكاة). وقد جئى بمقابلات هذه الأوصاف في سورة الكوثر، فقد قابل الله تعالى البخل بقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [سورة الكوثر: الآية 1] بمعنى الخير الكثير،

(731) ينظر: م. ن/74، كذلك النص والخطاب والاتصال/161 - 162.

(732) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد صدر الدين بن معصوم المدني (1120هـ) حققه وترجم لشعرائه شاعر هادي شكر، مطبعة النعمان، كربلاء المقدسة، العراق، 45/3.

(733) ينظر: تناسق الدرر/77 - 95، كذلك النص والخطاب والاتصال/162.

(734) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري/265 - 266.

(735) ينظر: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن/167 - 168.

وقابل ترك الصلاة بقوله: (فصل) وقابل الرياء، بقوله: (لريك) أي: لرضاء لا للناس، وقابل منع الزكاة- منع الماعون- بقوله: {وأنحر} أي التصديق بلحوم الأضاحي⁽⁷³⁶⁾.

5. علاقة المقارنة

وذلك عند وجود سورتين لكلٍ منهما معنى لكن الجامع بينهما أن إحداها وضعت لمقارنة أختها بها، ((فتبدو المقارنة هنا، إذاً علاقة دلالية رابطة بين طرفين لبيان صفة أو وضع لأحدهما مقارناً بالأخرى))⁽⁷³⁷⁾ فمن ذلك ما يجمع بين سورتي (الفيل) و(اللمزة) يقول السيوطي: ((لما ذكر حال الهمزة واللمزة، الذي جمع مالا وعدده، وتعزز بماله وتقوى، عقب ذلك بذكر أصحاب الفيل، الذين كانوا أشد منهم قوة، وأكثر أموالاً وعتوا، وقد جعل كيدهم في تضليل، وأهلكهم بأصغر الطير وأضعفه، وجعلهم كعصف مأكول...))⁽⁷³⁸⁾. ولذا ((فمن كان قصارى تعززه وتقويه بالمال، وهمز الناس بلسانه، أقرب إلى الهلاك وأدنى إلى الذلة والمهانة))⁽⁷³⁹⁾.

6. علاقة الملابس

وهي على ما يتضح من اسمها علاقة قائمة على شدة التشابه بين السورتين أو أكثر، نحو ما تجد بين سورة الشمس والليل والضحى من حسن التناسق والتداخل بين مضامينها، يقول السيوطي: ((هذه الثلاثة- يقصد السور- حسنة التناسق جداً، لما في مطالعها من مناسبة لما بين الشمس والليل والضحى من ملابس، وفيها سورة الفجر، لكن فصلت بسورة البلد لنكتة أهم، كما فصل بين الانفطار والانشقاق وبين المسبحات، لأن مراعاة التناسب بالأسماء والفواتح وترتيب النزول، إنما يكون حيث لا يعارضها ما هو أقوى وأكد في المناسبة))⁽⁷⁴⁰⁾.

7. علاقة التحقيق

وذلك أن ابتداء سورة من سور القرآن متوقف على تحقيق ما في سابقتها⁽⁷⁴¹⁾. ومن أمثلتها ما لاحظته السيوطي من جامع يجمع سورتي الفجر والغاشية، يقول: ((لم يظهر لي من وجه ارتباطها (يقصد سورة الفجر) سوى أن أولها كالأقسام على صحة ما ختم به السورة التي قبلها "الغاشية")⁽⁷⁴²⁾.

8. علاقة بيان العلة

⁽⁷³⁶⁾ ينظر: تناسق الدرر/144 - 145 كذلك النص والخطاب والاتصال/163.

⁽⁷³⁷⁾ النص والخطاب والاتصال/163.

⁽⁷³⁸⁾ تناسق الدرر/143 - 144.

⁽⁷³⁹⁾ م. ن/144.

⁽⁷⁴⁰⁾ م. ن/137 - 138. وينظر: النص والخطاب والاتصال/163.

⁽⁷⁴¹⁾ ينظر: النص والخطاب والاتصال/164.

⁽⁷⁴²⁾ تناسق الدرر/136.

وهي أن تكون سورة من القرآن الكريم بمثابة العلة لما وقعت قبلها، كالتي تجمع سورة البينة بسورة القدر، إذ الأولى تنزل من الثانية منزلة السبب، ومنها أيضاً ما يجمع بين سورة الحديد وسورة الواقعة، فأول سورة الحديد يقع موقع العلة لأمر بالتسبيح في نهاية سورة الواقعة⁽⁷⁴³⁾.

9. علاقة الإتمام أو العطف

وهي كما يقول الدكتور محمد العبد: ((أن تكون السورة في ترتيبها كالنتمة لما قبلها))⁽⁷⁴⁴⁾ فمثلاً يذكر السيوطي - من جملة ما يذكر هنا- أن سورة المعارج كالنتمة لسورة الحاقة في بقية وصف يوم القيامة والنار⁽⁷⁴⁵⁾.

10. وصف الإطار الزمني

وهي أن تكون السورة اللاحقة تعييناً لزمان أحداث سابقة، كالتي بين سورتي البينة والزلزلة، فالثانية تحديد لزمان جزاء الكافرين والمؤمنين فإنه- يقول السيوطي -: ((لما ذكر في آخر (لم يكن) أن جزاء الكافرين جهنم، وجزاء المؤمنين جنات، فكأنه قيل: متى يكون ذلك؟ فقيل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [سورة الزلزلة: الآية 1] أي حين تكون زلزلة الأرض إلى آخره))⁽⁷⁴⁶⁾.

وجدير بالإشارة، هنا، أن هذه السور لا تكتفي بعلاقة دلالية واحدة في ارتباطها بغيرها من أخواتها، وإنما تلين لتحتوي أكثر من علاقة لتحقيق هذا الارتباط الدلالي. كما أن ((هناك أمراً آخر _ والكلام لمحمد العبد- ينبغي لنا أن ننوّه به، وهو أن التناسب، عند السيوطي، يتجاوز العلاقات الدلالية المذكورة آنفاً إلى كل مظاهر الاتصال الموضوعي والمضموني والمنطقي التي تجعل وضع إحدى السور بعد الأخرى أنسب من وضع غيرها موضعها))⁽⁷⁴⁷⁾.

3. علاقات الانسجام في إطار الوحدات النصية

إذا كان ترتيب الخطاب يكفل له سلامة بنيته الكبرى عن طريق العلاقات الدلالية بين فصوله وأبوابه، فإن هذه العلاقات الحاصلة بين قضايا الوحدة النصية الصغرى وجمليها، تقوم بجمع ((أطراف النص أو تربط بين متوالياته أو بعضها دون وجود وسائل شكلية تعتمد في ذلك عادة... وهي في نظرنا يقول محمد خطابي _علاقات لا يكاد يخلو منها نصّ يحقق شرطي الإخبارية والشفافية، مستهدفاً تحقيق درجة معينة من التواصل، سالكاً بذلك بناء اللاحق عن السابق، بل لا يخلو منها أي نص يعتمد الربط القوي))⁽⁷⁴⁸⁾. وإلا فإن كثيراً ما يؤدي تداخل الترتيب في خطاب ما إلى عدم انسجامه، فلكل نصّ

⁽⁷⁴³⁾ ينظر: م.ن/122.

⁽⁷⁴⁴⁾ النص والخطاب والاتصال/165.

⁽⁷⁴⁵⁾ ينظر: تناسق الدرر/128.

⁽⁷⁴⁶⁾ تناسق الدرر/142.

⁽⁷⁴⁷⁾ النص والخطاب والاتصال/166.

⁽⁷⁴⁸⁾ لسانيات النص، محمد خطابي/268.

استراتيجيات دلالية تقوم بأحكامه وضبط آليات التواصل فيه⁽⁷⁴⁹⁾. على أن هذه العلاقات كثيرة لا تنحصر في مجموعة معينة، وهي أيضاً علاقات متداخلة فيما بينها، على صعيد الحدّ والمفهوم، وكذا عند وجودها في اللوحة النصية الواحدة، ما يجعل من أمر انسجامها سهلاً، فما قيل عن (اتساق النص) من أنه ((كلما ازداد عدد الوسائل السابقة في النص، ارتفعت درجة السبك فيه ومن ثم درجة النصية))⁽⁷⁵⁰⁾. نقول: فما قيل عن اتساق النص، يقال أيضاً عن انسجامه، فكلما وجدت في النص علاقات الانسجام، ارتفعت درجة الانسجام ومن ثم درجة النصية في المدونة. وهنا سنعمد جملة علاقات دلالية في الوحدات النصية، مع بيان دور كل منها في تحقيق الانسجام، وهي كالآتي:

1. علاقة التقسيم

ويسمى بعضها بعضهم صحة التقسيم، وهي ((أن تقسيم الكلام قسمة محتوية على جميع أنواعه ولا يخرج منها جنس من أجناسه))⁽⁷⁵¹⁾ ويقول ابن رشيق: إن الناس مختلفون ((في التقسيم، فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر [وغيره كذلك] جميع أقسام ما ابتداء به...))⁽⁷⁵²⁾ ولعل المراد بالاستقصاء ((بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء))⁽⁷⁵³⁾ فيظهر أنه فن من قبيل المبالغة. وعليه فإننا سنعمد كلا الفنين (= العلاقات) في المبحث التطبيقي.

2. علاقة التعليل (السبب والنتيجة)

((وهي علاقة منطقية، تتعلّق بالترابط بين السبب والمسبّب))⁽⁷⁵⁴⁾ وذلك حين يلجأ المرسل إلى التعليل، زيادة في توضيح القضية التي يتناولها، وهي تعني، من وجهة نظر تداولية، أن ظلال العقل والتفكير لا تغيب عن الكاتب في ظل كثافة معاني مشاعر الحب والمودة، فهو يقدّمها بشكل يسهم في تقبل المتلقي لها، إذ يجد المتلقون القضية معللة أمامهم وهو أمر يحملهم على التفاعل مع الرسالة، فيقنعون بوجهة نظر المرسل أو يرفضونها⁽⁷⁵⁵⁾.

3. علاقة التذييل

والتذييل - يقول ابن معصوم المدني - ضرب من الإطناب، وهو تعقيب الجملة التامة نظماً كانت أو نثراً بجملة تشتمل على معناها لتوكيد منطوقها أو مفهومها ليظهر المعنى لمن يفهمه، ويتقرّر عند من فهمه، وهو ضريان: ضرب يخرج مخرج المثل السائر، بأن يكون مستقلاً بإفادة المراد، فيكون جائزاً استعماله

(749) ينظر: التماسك النصي بين الشعر والنثر/166.

(750) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية/123.

(751) كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري، 268.

(752) العمدة لابن رشيق ، 20/2.

(753) م. ن ، 55/2.

(754) الترابط النصي بين الشعر والنثر/175.

(755) ينظر: الترابط النصي بين الشعر والنثر 175. كذلك نظرية علم النص ، حسام فرج/143.

على الانفرد، أما الضرب الثاني؛ فإنه لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة المراد وتوقفه على ما قبله⁽⁷⁵⁶⁾.

4. علاقة الإجمال والتفصيل

وكما تقدّم، عند كلامنا في علاقات التناسب بين الأبواب، من أن الكلام في المفهوم يأتي أول الأمر، مجملاً ثم يجنح المرسل إلى تفصيله، وقد عبّر عنه البلاغيون بجملة من المصطلحات، كال تفسير والإيضاح ويسميه ابن القيم (التصريح بعد الإبهام) فيتضح أن المراد منه طرح المعنى طرحاً مبهماً، بحيث ((يطرق السمع أولاً فيذهب السامع فيه كل مذهب))⁽⁷⁵⁷⁾ ثم يلجأ المتكلم إلى تفسيره وإزالة إبهامه فيقيم علاقة بين المفسّر والمفسّر.

4. البنية الكلية/ موضوع الخطاب

اتضح قبلاً أن الانسجام كان شرطاً لا بدّ منه في الوحدات النصية الصغرى، وهنا نوضح أنه شرط كذلك في بنية النص الكبرى، ففي الأولى، أي في الوحدات الصغرى يوسم الانسجام بأنه أفقي (Lineal) على حين أنه في الثانية أي في البنية الكبرى، ينبغي أن يكون شمولياً (Global) أو رأسياً، فالبنية الكبرى ترتبط هي الأخرى بالترابط المفهومي أو الإدراكي، ولهذا عرفت بأنها التمثيل التجريدي للبنية الشاملة لمعنى النص⁽⁷⁵⁸⁾. فهي، إذاً، قضية كبرى ناجمة عن تطبيق جملة خطوات على سلسلة من الأفضية ويسمي (فانديك) هذه الخطوات بالقواعد الكبرى التي تعيد ((بناء جزء من حصيلتنا اللغوية التي نضيف بمساعدتها معاني إلى كليات دلالية أكبر، أي نجلب نظاماً إلى ما لا تكون للوهلة الأولى، إلا سلسلة طويلة ومعقدة من العلاقات، كما هي الحال بين القضايا في نص ما حين نتخذ قضايا لمثل مجرد لما نطلق عليه، عادةً، معلومة (دلالية)، فإن القواعد الكبرى تنظّم إلى حدّ ما معلومة النص المعقدة للغاية وعلى نحو معين تتضمن هذه الرؤية اختصار المعلومة، بحيث يمكننا- حتى نتحدّث عن المستوى الإدراكي- أن نعدّ القواعد الكبرى عمليات لاختصارات خاصة بالمعلومات الدلالية أيضاً))⁽⁷⁵⁹⁾ وبعبير آخر فإنّ ((لكل خطاب بيئة كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب [الصغرى] وأن القارئ يصل إلى هذه البنية

(756) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع/3 - 39 - 40.

(757) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، ابن القيم/199.

(758) ينظر: الخطاب والقارئ نظريات التقى...../177 مع ملاحظة أن المؤلف يستعمل (الانساق) مكان (الانسجام).

(759) علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات/78.

الكلية عبر عمليات متنوعة تشترك كلها في سمة الاختزال⁽⁷⁶⁰⁾. وتتلخص هذه العمليات عند (فانديك) في أربع خطوات أو قواعد، وهي⁽⁷⁶¹⁾:

1. الحذف، وتندرج تحتها قاعدة عدم إمكان حذف قضية تفترضها قضية لاحقة، وهي قاعدة تضمن الإنشاء الدلالي الجيد للبنية الكلية.

2. الاختيار، وهذه القاعدة تقوم، أيضاً، بحذف جزء من البيان، ولكن العلاقة هنا بين مجموعة القضايا تصير أكثر وضوحاً، أضف إلى ذلك أنها تكون قابلة للاسترجاع، نظراً لأنها جزء من الأطر الجامعة لها.

3. التعميم البسيط، وتعلق، أيضاً، بحذف أو دمج المعلومات، ولكن المعلومات الأساس، وترتبط بالوصول إلى العام انطلاقاً من الخاص.

4. التركيب أو التداخل (التأليف والإدماج) وفيها يتم دمج معلومات جوهرية توجد في أعلى مرتبة من الترتيب الهريراركي (الهرمي) للقضايا فيما بينها. على أن مفهوم (بنية النص الكبرى) يلتبس بمفهوم آخر، نظراً لشدة تداخلهما، وهو (موضوع الخطاب) فيرى (فانديك) أن أحد المفاهيم التي يجب أن، تجليها القواعد الأربع للوصول إلى البنية الكبرى هو (موضوع النص) أو (موضوع الخطاب) (= topic of discours)⁽⁷⁶²⁾ ويرى محمد خطابي أنه ((من خلال التحليلات التي قام بها (فانديك) لبعض الخطابات، وكذلك من خلال تحديداته (للبنية الكلية) أن هذه الأخيرة لا تختلف عن مفهوم موضوع الخطاب))⁽⁷⁶³⁾.

على حين، وفي مقابل ما يراه خطابي، يجد ((البعض الآخر اختلافاً بين المفهومين فالموضوع طريقة يستسيغها حدسنا اللغوي وتمكننا من وصف ذلك المبدأ الجامع الذي يجعل من مقطع خطابي ما حديثاً عن شيء آخر.

أما القضية الكبرى عند (فانديك) فهي قضية معقدة ناجمة منطقياً عن اجتماع مجموعة من القضايا التي تم التعبير عنها من خلال سلسلة الجمل في النص، [و] هذا الإطار من وجهة نظره ينتج قضية معقدة ناجمة منطقياً عن اجتماع مجموعة من القضايا التي تم التعبير عنها من خلال سلسلة الجمل في النص⁽⁷⁶⁴⁾ وينتهي (فانديك) إلى أن موضوع الخطاب يمثل ((الصياغة الملخصة إلى أبعد حدّ لمضمون النص))⁽⁷⁶⁵⁾.

(760) لسانيات النص، خطابي/44-45.

(761) ينظر: النص والسياق، فانديك/2000-2003. كذلك علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فانديك/81-85. كذلك لسانيات النص، خطابي/44-45. كذلك الخطاب والقارئ نظريات التلقي..../181-186. كذلك نظرية علم

النص، حسام فرج/151-152.

(762) ينظر: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات/79.

(763) لسانيات النص، خطابي/44.

(764) نظرية علم النص، حسام فرج/154.

(765) التحليل اللغوي للنص، كلاوس برينكر/84.

ويتضح أنّ (فانديك) يتوّمّل للوصول إلى موضوع الخطاب ((في إطار شكلائي صرف معتدّاً على المنطق الرمزي))⁽⁷⁶⁶⁾ وفي المقابل يرى الآخرون أنّ (موضوع الخطاب) مفهوم حسي (مجزّد) به تتجلى كلية الخطاب ووحدة⁽⁷⁶⁷⁾.

أو كما يقول (كلاوس برينكر): ((إنّ تحديد الموضوع على الأرجح تابع للقيم الكلي الذي يستخلصه القارئ المعين من النص))⁽⁷⁶⁸⁾ وعندها-يقول هاينه مان-((يمكن أن يفهم- ابتداءً بوجه عام- مفهوم موضوع النص: بأنّه الفكرة الأساسية أو الرئيسية في نصّ ما، التي تضمّ المعلومات الجوهرية المحددة لمضمون النص بأكمله وبنيتّه بشكل مركز ومجزّد))⁽⁷⁶⁹⁾.

ولهذا يعرف النص- من جهة مراعاة موضوعه- بأنّه ((كُمّ منظم من القضايا والجمل التي تترابط من خلال علاقات دلالية منطقية استناداً إلى الأساس الموضوعي للنص))⁽⁷⁷⁰⁾.

إنّ ما يحفّز تنظيم بنيات النص الصغرى هو اشتماله على ثيمة مركزية تشكّل بؤرة مسؤولة عن تنظيمه وبنائه بما ينسجم وطبيعة تلك الثيمة، أمّا المسؤول الأول عن استخلاصها واستنتاجها فهو حتماً القارئ الذي يقبل على النص، ويقوم بإظهارها بشكل حسي عن طريق تلخيص النص ((بحيث لا يبقى منه إلا المفهوم الشامل أو الكلي الذي تلتقطه ذاكرة المتلقي))⁽⁷⁷¹⁾.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الدراسة تنظر إلى المفهومين (البنية الكبرى وموضوع الخطاب) على أنهما واحد في استجلاء الموضوع المحوري لنصّ الطوق، فهي تحاول استخلاص موضوعه وتحصيله، وذلك بالتركيز على أكثر الموضوعات بروزاً وتعلقاً بذاكرة المتلقي، أي متلقي.

(766) نظرية علم النص ، حسام فرج/154.

(767) ينظر: لسانيات النص الخطابي/42.

(768) التحليل اللغوي للنص ، كلاوس برينكر/85.

(769) مخدّل إلى علم لغة النص ، هاينه مان/43.

(770) م. ن/43.

(771) الخطاب والقارئ نظريات التلقي..../190.

.

...

...

.

المبحث الثاني

(الانسجام في طوق الحمامة)

أولاً – مبدأ التغميض (فاعلية العنوان في انسجام

الطوق)

ثانياً – ترتيب الخطاب والتلاقة بين فصوله (= ابوابه)

ثالثاً – علاقات الانسجام في إطار الوحدات النصية

رابعاً – موضوع الخطاب

أولاً: مبدأ التفريض (فاعلية العنوان في انسجام طوق الحمامة)

إن وقوع العنوان - أولاً - يكسب النص ((أكثر من قيمة ويوليه أكثر من أهمية، فهو - أولاً - يعني النص، وهو بدايته ثم إنه أول ما يطالع القارئ)) (772).

ولعل استيعاب العنوان معنى النص (المتن) يقوِّض في اللغة مبدأ العلاقة الاعتبارية بين الدال والمدلول، ولكونه أول ما يطالع القارئ، يعني أنه سمسار النص الذي يقوم بدور الموجّه إلى معماره ومطبّاته. ذلك أنه ((لا يمكننا الانتقال بين فضاءاته المختلفة دون المرور من عتباته)) (773)، ولا سيما العتبة الأولى (العنوان)، لأنها كما قيل الثريا ((التي تضيء فضاء النص وتقود إلى استكشاف أغواره)) (774). نلاحظ على عنوان هذا النص أنه قائم على بيئة خبرية (طوق الحمامة في الألفة والألف) مستمدة من التراث العربي تحيل على المثل العربي المشهور. ((تقلّدها طوق الحمامة)) (775) والطوق حُلِي يجعل في العنق.

والحمامة المطوّقة ما كان في عنقها خضرة أو حمرة أو سواد، وذوات الأطواق من الحمام، عند العرب، الفواخت والقماري وساق حرّ والقطا والوراشين وأشباه ذلك، ممّا يقع على الذكر والأنثى، لأن الهاء (الناء) إنما دخلته على أنه واحد من جنس لا للتأنيث... (776). كما لا نستبعد أن تكون بنية العنوان مستمدة من قصة الحمامة التي أطلقها نوح (عليه السلام) من فلكه ليستخبر ما إذا كانت المياه تناقصت من على الأرض، وهي من أشهر القصص التوراتية في (سفر التكوين)، فبنية العنوان من هذه الجهة تحيل مباشرة على جزء من الخطاب، وذلك حين استحضر ابن حزم هذه القصة وصاغها صياغة شعرية في (باب السفير) فقال (777):

- الطويل -

تخيّرنا نوح فما خاب ظنّه

لديها وجاءت نحوه بالبشائر

سأودعها كتبي إليك فهاكها

رسائل تهدي في قوادم طائر

(772) ضحك كالكاء، د. إدريس نافوري، ط1، (سلسلة الكتب شهرية)، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986/ 111.

(773) عتبات جبرارجنيت (مقدمة سعيد بقطين) / 15.

(774) اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، حافظ إسماعيل علوي/ 100.

(775) ينظر: مجمع الأمثال 1/ 145.

(776) ينظر: لسان العرب، مادة (حجم) ومادة (طوق) 63/2 كذلك 666/5.

(777) ديوانه/ 78، وينظر: طوق الحمامة/ 82.

والذي يقوي هذه الوجهة أنَّ زينة الطوق في عنق الحمامة- كما جاء في ثمار القلوب للثعالبي- أنها خطيئة بدعاء نوح (عليه السلام) لما رجعت إليه بالبشارة⁽⁷⁷⁸⁾. بيد أن الأرجح لدينا هو إحالة العنوان على تمام الخطاب، لا على جزئه ليتطابق مع المثل العربي المشهور، الذي يضرب لما يلزم ولا يبرح ويقيم ويستديم، فقولهم (تقلدها طوق الحمامة) أو (طوق طوق الحمامة) يعني التقليد الباقي بقاء طوق الحمامة إلى يوم القيامة⁽⁷⁷⁹⁾، لا تزياله ولا تفارقه حتى يفارق طوق الحمامة⁽⁷⁸⁰⁾. ومعنى ذلك أنه لما أعطيت الحمامة (الطوق) تمييزاً لطاعتها، وتوبيخاً لصدقها ووثوق ألفتها؛ فإن تقليد العاشق (طوقاً) كالذي في عنق الحمامة، رهين بإطاعته المحبوب، والتزامه الألفه، وثباته على الوفاء، وتمسكه بالعفاف.... وتحلي العاشق بهذه القيم، هو ما يهدف إليه ابن حزم في كتابه. هذا، وإذا كان مبنى الكلام انعكاساً لمعناه، وإذا كان ((الحذف هنا في مثل هذا أبلغ من الذكر، لأن النفس تذهب فيه كل مذهب))⁽⁷⁸¹⁾ فإن بنية العنوان هنا جملة تحويلية طرأ عليها (الحذف) قصداً من الناص دفع القارئ إلى البحث عنه في مضامين كتابه. فمع أننا نستطيع إعراب عناصر هذه البنية، ابتداءً على مختلف التأويلات النحوية، كان نقول: (طوق الحمامة) خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذا) أو على أن (طوق الحمامة) مبتدأ وخبره محذوف تقديره (هذا) فيكون المشار إليه مضمون النص أو متنه. أو نقول: (طوق الحمامة في الألفه والآلاف) برمتها مبتدأ على الحكاية وخبره متن الكتاب.... إلخ. إلا أن التقدير الأرجح في نظر الباحث هو تقدير مبتدأ مما تتناص معه بنية العنوان، أي من قول العرب (تقلدها طوق الحمامة)، لأن هذا المثل بمثابة بنية عميقة لبنية العنوان (السطحية) فالتقدير إذاً: - ((تقليد العاشق طوق الحمامة في الألفه والآلاف هذا)) وعندها نحصل على فعلٍ كلامي غير مباشر، يكون فيه الفعل الإنجازي المباشر ((الإخبار بتقليد العاشق طوق الحمامة)) ويكون الفعل الانجازي غير مباشر ((الإغراء)) أي إغراء المتلقي بما في فضاء النص. وأما الفعل التأثري الذي تمارسه هذه البنية في ذهن المتلقي، فيتمثل بحث المتلقي وإغرائه في أن يكون شريكاً في عملية الاتصال، حتى إذا أدرج إلى عالم النص، تولته سبل الإقناع ولوازم الإذعان والتسليم إلى ما ينبغي أن يكون عليه الحب الصحيح المبني على الوفاء والطاعة والعفة.

أما خبر المبتدأ؛ فاسم الإشارة (هذا)، ومرجعه الإشاري (متن النص) فهو بدل منه، ولذا فقد عمل عنوان النص على انسجامه، لكونه إجمالاً، يقوم متن الكتاب بتفصيله وتوضيحه. أما عنونات الأبواب، فإن جميعها توحى بمضامين ما تحتها، ونلاحظ أن جميعها تبتدئ بلفظة (باب) وأن ما بعدها ترد على ثلاثة أنماط بنائية:

(778) ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور الثعالبي، مطبعة الظاهر، القاهرة، 1908م/367.

(779) ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور/368 - 369.

(780) ينظر: مجمع الأمثال للميداني 1/145.

(781) التكت في إعجاز القرآن، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام (ثلاث

رسائل في إعجاز القرآن) دار المعارف، بمصر، د.ت/70/71.

1. الاسم المفرد (المراسلة-السفير-الإذاعة- الطاعة- المخالفة العاذل- الرقيب الواشي- الوصل) وهذه الأسماء المفردة منها ما هو من أعراض الحب، ومنها ما هو من صفاته المحمودة أو المذمومة، ومنها ما هو في الآفات الداخلة عليه.
2. مضاف ومضاف إليه (علامات الحب- طي السر).
3. الاسم المفرد مع ما يتعدى به، (التعريض بالقول- الإشارة بالعين- المساعد من الإخوان) فتجد أن حرف الجر تقوم بتحديد مضمون الباب، وتقل من تشظي دلالاته، فمثلاً تحدد (الباء) الداخلة على (القول) و(العين) نوع (التعريض) و (الإشارة). ولو أنه أبقى عليهما مفردتين، لذهب في تأويلهما المتلقي كل مذهب. كذلك الحال مع (من) الداخلة على (الإخوان).
4. الاسم الموصول وصلته، أو الاسم المبهم وصفته (من أحب في النوم- من أحب بالوصف- من أحب من نظرة واحدة- من لا يحب إلا مع المطاوعة- من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها) نلاحظ أن هذه البنية تقع على رأس أبواب تتناول أصولاً غريبة في الحب تنسجم بالندرة والشذوذ حدّ التكذيب، وذلك مثل: (من أحب في النوم) و(من أحب بالوصف)، فهذان الأصلان ليسا معهودين في الحب. وتتناول، أيضاً، أصولاً أخرى تنسجم هي الأخرى بالندرة والغربة، إلا أن وقوعها لا يبلغ حدّ التكذيب، وإنما هو من قبيل المحتمل والممكن، على نحو: (من أحب مع المطاوعة) و(من أحب من نظرة واحدة) و(من أحب صفة لم يستحسن بعدها مما يخالفها)، مع لاحظ أن دلالة التقليل تظلّ مهيمنة على بنى هذه العنوانات.

ولعلّ توغلّ (من) في هذه الدلالة حدّ الذوبان والتماهي يدعونا إلى استحضار قول ابن السراج: ((الصلة كالصفة للنكرة، فإذا أشكل عليك شيء من ذلك فاجعل الصلة صفة))⁽⁷⁸²⁾ وعندئذ تؤلّ (من) بالنكرة، وبالتحديد بلفظة (شخص) مسبوقه بـ(رب) الدالة على القلّة، وعندئذ تكون (من)- كما يقول ابن هشام- ((نكرة موصوفة ولهذا دخلت عليها (رب)))⁽⁷⁸³⁾ وعليه فليس ببعيد أن يكون قصد الكاتب (رب من أحب...) و(رب من لا يحب...) وهذا ما لا يلبث أن يعلنه ابن حزم في مضامين الأبواب الخمسة. وعلى أيّ فإنّ لفظة (باب) التي جعلت سابقة في جميع عنوانات النص حقّ لها أن تكون مرفوعة بـ((الضمة فإنها علم الإسناد، ودليل أنّ الكلمة المرفوعة يراد أن يتحدّث عنها))⁽⁷⁸⁴⁾ فهي، إذاً،

(782) الأصول فقي النحو، لأبي بكر محمد بن السري بن السراج (316هـ)، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط3، مؤسسة

الرسالة، بيروت، 1988م، 3/ 138.

(783) مغني اللبيب، لابن هشام، 1/ 621.

(784) إحياء النحو، د. إبراهيم مصطفى، دار النهضة، القاهرة، 1959م/ 50.

مسنّد إليه، والمسنّد محذوف على تقدير (هذا) للإشارة إلى متن النص ((وفي ذلك تأكيدٌ للوشائج النازلة والصاعدة ما بين دلالة العنوان ومضمون النص))⁽⁷⁸⁵⁾.

وليس هذا فحسب، فإن لعتبات الطوق وظائف أخرى في تحقيق انسجامه وشعريته، وقفنا على أجزاء منها هنا في هذا المبحث، وعلى أجزاء أخرى منها في حديثنا عن إشكالية التجنيس في مبحث التناص، بما ينسجم منها وموضوع الدراسة.

ثانياً: ترتيب الخطاب والعلاقة بين فصوله (أبوابه)

يلجّ ابن حزم - على الرغم ممّا تتجاذبه من الانفعالات الوجدانية المتدفقة - على إخضاع محتويات كتابه إلى خطة منطقية محكمة تتمّ على عقلية ذات تفكير كلي ونزوع كتابيّ حادّ، مليئة بالإشارة والتري، تحاول إيجاد علّة لكلّ مضمون، وتسعى دائبة في طلب الانسجام العقلي في بناء الأفكار بعضها على بعض؛ بحيث تبرز للقارئ عياناً منحاها العقلي من دون أن يلجأ إلى التأويل في إيجاد الروابط والعلاقات بين أبواب الكتاب، فالرجل يحيلنا - دأباً - على منطق عقلي لاستكناه أفكاره التي لا تستقيم أحياناً كثيرة ولا تستوعب إلا إذا سرنا معها سيراً مستقيماً؛ ولذا نجد أن هذا المنطق يفرض عليه سيطرته في ترتيب خطابه، وهو يحاول أن يشدّ بها انتباهنا بين اللحظة والأخرى للمضي معه قدماً في اتجاه مستقيم ما استطاع واستطعنا، نحن أيضاً، إلى ذلك سبيلاً.

إن التزام الكاتب بهذا المنحى المنطقي في ترتيب خطابه لم يكن وليد لحظة الكتابة، كان يأتي ذلك جزافاً من فروض كتابية ومقتضياتها، وإنما كان ذلك ضارياً في جذور ثقافته وشخصيته العلمية الرصينة، فهو يتحلى بعقلية فلسفية رصينة يخبرنا بذلك كل من ترجم له أو تناول شيئاً من سيرته، كما أن له في الفلسفة والمنطق مؤلفات تبين لنا، صريحاً، ضلوعه في تبني مقولات الفلاسفة والمنطقيين. وهو كذلك مفسّر عظيم للقرآن الكريم وعالم جليل في علومه الشريفة، ما يجعل من هضمه علم المناسبات، وتمام إدراكه سبله والياته أمراً مقضياً.

فهو على ما يبدو من مؤيدي علم المناسبات في القرآن في مقابل ما ((ورد عن بعض العلماء إنكار لهذا الفن، بزعم أنّه تكلفت محض وأنّه لم ينقل شيء منه عن الصحابة والتابعين، فكيف نخوض نحن فيه ونبحثه))⁽⁷⁸⁶⁾. فقد أخذ ابن حزم بعلم المناسبات على ما يتضح في جملة من مؤلفاته، مخالفاً بذلك إمام الظاهرية الأول محمد بن داود الاصبهاني فمن جملة ما يذهب إليه ابن حزم أن أقسام القرآن من حيث البيان ثلاثة⁽⁷⁸⁷⁾:

(785) شعرية العنونة اسميك بحرأ اسمي يدي الرمل أنموذجاً، د. بشرى صالح موسى، مجلة الأقلام، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، العدد (2) آذار/نيسان، 2002م/27.

(786) علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف أعجازه، د. نور الدين عتر، ط1، دار العوثاني للدراسات

القرآنية، دمشق - سوريا، 2011م/8.

(787) ينظر: ابن حزم، لأبي زهرة/312.

1. قسم بين بذاته من غير حاجة إلى بيان آخر من داخله أو من السنة.

2. قسم مجمل بينه القرآن.

3. قسم بينته السنة.

ولعل القسم الثاني، من هذه الأقسام، من صلب موضوعات علم المناسبة، فقد ورد في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام) أنه ((قال تعالى مخبراً عن القرآن: ﴿يَتَيْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل: الآية 89]، فصَحَّ بهذه الآية أن تكون آية متلوة بياناً لأخرى، ولا معنى لإنكار هذا وقد وجد، فقد ذكر الله تعالى الطلاق مجملاً ثم فسره في سورة الطلاق))⁽⁷⁸⁸⁾ فهو، إذاً، من القائلين بوقوع الإجمال في كتاب الله وعلى دراية أكيدة بأن ((أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن))⁽⁷⁸⁹⁾ إذ يقول في كتاب المحلى: ((ولا يجوز أن يفسر كلام الله تعالى إلا بكلامه أو بكلام رسول الله ﷺ) أو بلغة العرب التي أخبر الله تعالى أنها أنزل القرآن بها...))⁽⁷⁹⁰⁾. كل ذلك لنبيّن أن ترتيب طوق الحمامة قد تشكّل من خلال خلفية نصية رصينة لدى كاتبه وإذا كان من مبادئ انسجام النص أن يؤوّل (تأويلًا محليًا) بأن لا ((ينشئ القارئ سياقاً أكبر ممّا يحتاجه النص من أجل الوصول إلى تأويل ما))⁽⁷⁹¹⁾. فإن الوقوف على دراية ابن حزم بعلم المناسبة، وعلى معرفته وتقننه بالفلسفة، ليس إلا محاولة في إيجاد سياق مناسب يخضع له ترتيب الخطاب والعلاقة الترابطية بين أجزائه.

باباً))⁽⁷⁹²⁾ موزعاً على أربعة أقسام:

1. منها في أصول الحب وهي عشرة :

أ. أول أبواب الرسالة.

ب. في علامات الحب.

ج. من أحب في النوم.

د. من أحب بالوصف

هـ. من أحب من نظرة واحدة

و. المطاوعة.

ز. التعريض بالقول.

ح. الإشارة بالعين.

ط. المراسلة.

⁽⁷⁸⁸⁾ الإحكام في أصول الأحكام 82/1.

⁽⁷⁸⁹⁾ البرهان في علوم القرآن للزركشي/344.

⁽⁷⁹⁰⁾ المحلى لابن حزم 288/8.

⁽⁷⁹¹⁾ أصول تحليل الخطاب ، محمد الشاوش ، 167/1.

⁽⁷⁹²⁾ طوق الحمامة/28 وما بعدها.

ي. السفير .

2. ((ومنها في أعراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة)) وهي اثنا عشر:

أ. الصديق المساعد(المساعد من الأخوان).

ب. الوصل.

ج. طي السر .

د. الكشف والطاعة.

هـ. الطاعة.

و. المخالفة.

ز. من أحب صفة لم يحب(لم يستحسن) بعدها غيرها ممّا يخالفها.

ح. القنوع.

ط. الوفاء.

ي. الغدر.

ك. الضنى.

ل. الموت.

3. ((ومنها في الآفات الداخلة على الحب ستة أبواب ، هي)):

أ. باب العاذل.

ب. الرقيب.

ج. الواشي.

د. الهجر.

هـ. البين.

و. السلو.

4. ((ومنها بابان- يقول الكاتب- ختمنا بهما الرسالة، وهما)):

أ. قبح المعصية.

ب. فضل التعفف.

ثم نلاحظ أنه، لكي يوجد صلة وثيقة منطقية بين هذه الأبواب يلجأ إلى مخالفة هذا النسق، فقد تعينت له طريقة أخرى في ترتيب نصه إذ يقول:((لكنّا خالفنا، في نسق بعض هذه الأبواب، هذه الرتبة المقسمة في نزج هذا الباب الذي هو أول أبواب الرسالة، فجعلناها على مبادئها إلى منتهاها واستحقاقها في التقدّم والدرجات والوجود ومن أول مراتبها إلى آخرها، وجعلنا الضد إلى جنب ضده فاختلف المساق

في أبواب يسيرة والله المستعان))⁽⁷⁹³⁾. ليكون نسق الكتاب- أخيراً- على ما هو عليه الآن من هياة متراسة منسجمة بفعل حكمة الناص واستقامة وعيه الكتابي، فقد شكّل هذا الترتيب وحدة في غاية الاستقامة بين أجزاء الكتاب ووحدة لا يمكن فصل بعض أجزائها عن بعض، فكلّ هذه الأجزاء تأخذ بعضها برقاب بعض، نزولاً عند حكمة القانون الذي يتسلّط عليها فصاحبنا أحسن الابتداء حين جعل الأبواب الأولى في كتابه خاصاً بالحديث عن أصول الحب، فقد ابتدأ القول بما هو عمدة غرضه، ودالّ على مقصده، فأول الكلام إنما يدلّ عند المجديّ على آخر الخطاب، فهو من هنا كان بارعاً في ابتدائه⁽⁷⁹⁴⁾، ولعلّ هذه البراعة تحالفه في كل غرض يتناوله في كتابه، فهو يبدأ، أول ما يبدأ، بالأسر، ثم يتدرّج الى ما هو أصعب- على ما يتضح في قوله ((وانا مبتدئ بأبعد ما يمكن أن يكون من أسبابه) يقصد الحب) ليجري الكلام على نسق أو أن يُبتدأ- أبدأ- بالسهل والأهون))⁽⁷⁹⁵⁾.

وهو كما برع في الاستهلال، فإنه كذلك برع في التخلّص. حين انتقل من أصول الحب انتقالة لطيفة إلى ما هو أقرب منها، وهو الحديث عن صفات الحب المحمود منها والمذمومة ثم عن الآفات الداخلة عليه، وعندئذ قد خرج من غرض إلى غرض آخر على سبيل التدرّج محتكماً في هذا، وفي غيره كذلك، على تراتبية منطقية بارزة. على أنه لا تنحصر لديه هذه البراعة في بنية العليا للنص، فحسب، وإنما في جميع أجزاء الخطاب والى هذا أشار في قوله: ((ولا بدّ أن أورد ما يشبه ما نحن فيه، وإن كان خارجاً عنه، وهو شيء من بيان التثقيل والنمائم فالكلام يدعو بعضه بعضاً كما شرطنا في أول الرسالة...))⁽⁷⁹⁶⁾ فهو يراعي المقام وينبّه متلقيه بين الحين والآخر- على الرغم ممّا في نصه من انعطافات طارئة وحادة أحياناً على الطريقة الجاحظية⁽⁷⁹⁷⁾- على تحقيق الترابط المحكم بين الأغراض التي يتناولها، لكيلا ((يختلّ نسق الكلام ولا يظهر التباين في أجزاء النظام؛ فان النفوس والمسامع إذا كانت متدرجة من فنّ من كلام إلى فنّ مشابه له، ومتقلبة من معنى إلى معنى مناسب له، ثم أنتقل بها من فنّ إلى فنّ مباين له من غير جامع بينهما وملاتمّ بين طرفيها، وجدت الأنفس في طباعها نفوراً من ذلك ونبت عنه، وكذلك النفوس والأسماع إذا قرعها المديح بعد النسيب دفعة من غير توطئة لذلك، فإنها تستصعبه ولا تستسهله، وتجد نبوة ما في انتقالها إليه من غير احتيال وتلفظ فيما يجمع بين حاشيتي الكلام ويصل بين طرفيه الوصل الذي يوجد للكلام به استواء والتنام))⁽⁷⁹⁸⁾. كما أنه يوفّق حين يجعل الكلام في (قبح المعاصي) و (فضل التعفّف) خاتمة كتابه، فالكتاب- أولاً وقبل أيّ شيء- ((يمثّل نظرة

⁽⁷⁹³⁾ طرق الحمامة/29

⁽⁷⁹⁴⁾ ينظر: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، لابن القيم/157. كذلك منهاج البلغاء وسراج الأدباء، للقرطاجني/206.

⁽⁷⁹⁵⁾ طرق الحمامة/55.

⁽⁷⁹⁶⁾ طرق الحمامة/115.

⁽⁷⁹⁷⁾ سننناول هذه القضية في مبحث التناص.

⁽⁷⁹⁸⁾ منهاج البلغاء وسراج الأدباء/319.

الفكر الإسلامي إلى عاطفة الحب))⁽⁷⁹⁹⁾. ولذا يقول ابن حزم عن هذين البابين: ((ليكون خاتمة إيرادنا وآخر كلامنا الحضّ على طاعة الله (جلّ وعلا) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فذلك مفترض على كلّ مؤمن))⁽⁸⁰⁰⁾. وسواءً عنده ترتيب البنية العليا لكتابه، أو باب من أبوابه، أو أجزاء يسيرة منها، فإنه يحسن الختام، إما بدعاء أو وصية أو خبر يحوي مضمون ما تناوله سابقاً أو غير ذلك، إذ الخاتمة مرتبطةً لديه، شأن الابتداء والتخلص، بمقصدية، لذا فهو يلتزم فيها ((حسن السبك وبديع المعنى؛ فإنّه آخر ما يبقى في الذهن ولأنّه ربما حفظ من دون سائر الكلام، فيتعيّن أن يجتهد في رشاقتّه وحلاوته وجزالته...))⁽⁸⁰¹⁾. وعن أهم العلاقات الدلالية الرابطة بين أبواب الكتاب، فإننا نلاحظ -بدايةً- طغيان (علاقة المقابلة) على بقية العلاقات، فكلّ باب يقع ضدّاً لأخيه، فإنّه واقع ضمن المقابلة، استناداً إلى قول الناص، من أنّه جعل لكلّ بابٍ من الأبواب المندرجة في (الآفات الداخلة على الحب) ضدّاً من الأبواب المتقدمة عليها؛ فباب العاذل ضدّ من باب المساعد من الإخوان وباب الهجر ضدّ من باب الوصل. وباب البين من باب تصاقب الديار، وباب السلو من مضمون الكتاب برمته، إذ السلو نقيض الحب، فهو ارتفاعه وعدمه⁽⁸⁰²⁾. ولتوضيح ذلك نأخذ بابي (العاذل)⁽⁸⁰³⁾ و (المساعد من الإخوان)⁽⁸⁰⁴⁾.

فالأول يركّز فيه على ضرب من الأصدقاء متسمين بالزجر وكثرة الملامة، وضربهم صفحاً عن النصح، ولطيف القول. أمّا الثاني فإنّه يتحنّث فيه عن خصائص الصديق الوفي الذي يعاضد المحبّ في نكباته، ويقف معه في شدائده، ويصون أسراراً ويؤانسه، فباب (المساعد من الإخوان) كالمقابلة لباب (العاذل).

وان كنّا لا نعدّم بينهما علاقات أخرى، كالإجمال والتفصيل والإتمام والعطف. لأن أبواب هذا الكتاب تتواشج عبر حشدٍ من العلاقات الدلالية، ولا يتوقف الرابط على علاقة واحدة في الغالب الأعم.

ومن هذه العلاقات، أيضاً، (علاقة الإتمام والعطف) ومن جملة ما تجتمع بهذه العلاقة من أبواب الرسالة، بابا (التعريض بالقول) و (الإشارة بالعين) فكلاهما يدور حول تعبير المحبّ عن حبه، فالأول منهما تعبير عن الحب بالكلام أي بالتواصل اللفظي، أمّا الثاني فإنّه يتناول التواصل الإشاري بالعين - باعتبارها ((تتوب عن الرسل ويدرك بها المراد...))⁽⁸⁰⁵⁾. ولذلك كان باب الإشارة بالعين كاللتمّة لباب

⁽⁷⁹⁹⁾ طوق الحمامة، مقدمة المحقق/15.

⁽⁸⁰⁰⁾ طوق الحمامة/31.

⁽⁸⁰¹⁾ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن/156 ويسميه ابن القيم بـ(حسن المقطع).

⁽⁸⁰²⁾ ينظر: طوق الحمامة/31.

⁽⁸⁰³⁾ ينظر: طوق الحمامة/103 وما بعدها.

⁽⁸⁰⁴⁾ ينظر: طوق الحمامة/105 وما بعدها.

⁽⁸⁰⁵⁾ طوق الحمامة/75. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الجهد الرائد عند ابن حزم يقوّض ما قاله (الن بيز) بخصوص مظاهر الاتصال غير الشفهي عملياً إذ يقول: ((أنّه ليبدو صعباً التصديق أنه طوال المليون من السنين أو أكثر من

التعريض بالقول، كما أن بين البابين علاقة أخرى تتمثل بعلاقة (التحقيق) ذلك أن الإشارة بالعين تتوقف - وينبغي ذلك - على النجاح الذي يحققه (التعريض بالقول) ولذا يقول ابن حزم: ((ثم يتلو التعريض بالقول إذا وقع القبول والموافقة الإشارة بلحظ العين))⁽⁸⁰⁶⁾. فجملة الشرط الاعتراضية هنا إنما هي من قبيل (الاحتباس)، وإلا فربما لم ينجح التعريض للمحبوب بالقول، وعندئذ لا تحقق العين نجاحاً في عملية التواصل، وإنما يكون سبيلها الإخفاق. كما يشرك ابن حزم بابي (المراسلة) و(السفير) مع البابين السابقين في علاقتي (الإتمام) و(التحقيق) - كذلك - ليشكل بها جميعاً سلسلة متكونة من أربع حلقات متلازمة فيما بينها. مراعى في ذلك الترتيبية اللازمة، في طرحها شيئاً فشيئاً، ففي مستهل باب المراسلة يقول ابن حزم: ((ثم يتلو ذلك (أي الإشارة بالعين) إذا امتزجا: المراسلة بالكتب))⁽⁸⁰⁷⁾.

ونلاحظ أنه استخدم فن الاحتباس هنا أيضاً، لينبّه المحب على ضرورة تمام الامتزاج والموافقة مع المحبوب لإرسال المراسيل. ثم يضيف بعد ذلك أربع حلقات السلسلة فيقول في باب السفير ((ويقع في الحب بعد هذا - بعد حلول الثقة وتمام الاستئناس - إرسال السفير...))⁽⁸⁰⁸⁾ مستخدماً الأسلوب البلاغي ذاته (الاحتباس). ولكن بشبه جملة هذه المرة لينسجم هذه الأبواب الأربعة ترتيباً ومناسبةً وأسلوباً. فكل ذلك ينهض بدور رابط قوي بين هذه الأبواب. ومن هذه العلاقات، كذلك (تفصيل المجل) التي يمكن لحظها عبر مجيء المعنى مجملاً في أحد الأبواب ثم يأتي مفصلاً في الباب الآتي بشيء من الشرح والإسهاب، وتعد هذه العلاقة ((الملح الرئيس من ملامح حبك النص))⁽⁸⁰⁹⁾. فمن أمثلتها أن أول أبواب الرسالة جاء إجمالاً لما سيتم تفصيله في الأبواب اللاحقة، وإلى هذا أشار ابن حزم حين قال: ((وسياتي كل ذلك ملخصاً في بابيه إن شاء الله))⁽⁸¹⁰⁾.

ونرى أيضاً أن هذا التركيب يأتي في أكثر من باب للإشارة إلى أن الآتي تفصيل لإجمال الكلام الراهن، فمن ذلك ما جاء في باب (علامات الحب): ((ويعرض للمحب الاستكانة لجفاء المحبوب عليه وسيأتي ذلك مفسراً في بابيه إن شاء الله تعالى))⁽⁸¹¹⁾ فهو، هنا، يمهد لباب الطاعة الذي يبين لنا هذه الاستكانة وذلك الجفاء من المحبوب بمزيد من الشرح والتفصيل المطنّب، ما يعني أن باب الطاعة تفصيل

تطور الإنسان، لم تدرس مظاهر الاتصال غير الشفهي عملياً على أي مقياس إلا منذ الستينات (من القرن الماضي) لفة الجسد كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم، أن بيز تعريب سمير شيخاني، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1997م/7.

(806) ينظر: طرق الحمامة/75.

(807) طرق الحمامة/79.

(808) طرق الحمامة/81.

(809) النص والخطاب والاتصال/161.

(810) طرق الحمامة/40.

(811) ينظر: طرق الحمامة/50.

لأجمال ما في (باب علامات الحب). ومن هذه الأبواب المتناسبة بوجود هذه العلاقة (باب الإذاعة) و (باب الطاعة) فالثاني تفصيل لما جاء في الأول مجملاً على ما يتضح في قوله: ((... وسيأتي ذلك مفسراً في باب الطاعة إن شاء الله تعالى))⁽⁸¹²⁾. ومنها (علاقة المقارنة)، كالتي تجمع بين أبواب (من أحب في النوم) و (من أحب بالوصف) و (من أحب من نظرة واحدة) و (من لا يحب إلا مع المطاوعة) و (من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها) فهذه الأبواب تتناول ضرباً من أصول العشق ومدى لصوقه بالقلب، فنلمح أن بينها رابطاً ينم عن قصد الكاتب في إبراز هذه الأصول في نفس القارئ عند مقارنته بين هذه الأبواب. ففي باب (من أحب في النوم)⁽⁸¹³⁾ يشير إلى الحب الذي يحدث من خلال الأحلام ويتمسك به الإنسان على الرغم من نهوضه على التوهم. وفي باب (من أحب بالوصف)⁽⁸¹⁴⁾ يشير إلى ضرب من الحب يلصق بالقلب اثر أوصاف للمحبيب تنقل إلى المحب، فيكون عن محبوبة صورة مثالية، ولذا فإن هذا الحب لا يختلف عن سابقه فكلاهما يؤدي الوهم والتخيل فيه دوراً كبيراً، وقريب من هذين البابين باب (من أحب من نظرة واحدة)⁽⁸¹⁵⁾ الذي يدور حول ضرب آخر من الحب يحصل من نظرة واحدة، وهو لذلك لا يختلف عن الضربين السابقين، في أن جميعها تنقضي بسرعة. ثم يتلو هذا الباب (من لا يحب إلا مع المطاوعة)⁽⁸¹⁶⁾ يتحدث فيه عن حب ينشأ بعد فترة طويلة من المشاهدة والمراقبة والمؤانسة، ولذا فهو يتسم بالاستمرار وينتهي بالنجاح، ثم يأتي بباب (من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها)⁽⁸¹⁷⁾ يتناول فيه ضرباً عنيداً من الحب يفرض سيطرته على العاشق الذي يحب صفة في محبوبة، تظل مسيطرة على قلبه، مقتصر على حب هذه الصفة دون غيرها، فتجد أن قراءة هذه الأبواب تبعث على إجراء المتلقي نوعاً من المقارنة بين هذه الضروب من الحب ففضلاً عن (المقارنة) نعر على علاقة دلالية أخرى تجمع بين أبواب (من أحب في النوم) و (من أحب بالوصف) و (من أحب من نظرة واحدة).

تلكم هي (علاقة الملابس) إذ ثمة مشابهة وملابسة بينها لأنها تشتمل على مضامين متشابهة، بل الأخرى على نهايات متشابهة، وهي أن ضروب الحب فيها تنتهي وتزول بسرعة ولا تتسم بالثبات، أما العلاقة الدلالية الأخرى، فنلاحظها بين بابي (من أحب من نظرة واحدة) و (من لا يحب إلا مع المطاوعة) إذ تجمعهما علاقة تضاد أو شيء من المخالفة، فالعلاقة إذًا، بين هذين البابين (علاقة المقابلة). هذا

(812) طوق الحمامة/92.

(813) طوق الحمامة/55.

(814) طوق الحمامة/57 وما بعدها.

(815) طوق الحمامة/61 وما بعدها.

(816) ينظر: طوق الحمامة/65.

(817) طوق الحمامة/69 وما بعدها.

والى غير ذلك من العلاقات الناشئة من ترابط أبواب هذا النص، أكتفينا في بيانها على هذه الأمثلة وكانت الغاية منها إثبات قيام طوق الحمامة وتوفره على الكثير من أسباب الانسجام.

ثالثاً: علاقات الانسجام في إطار الوحدات النصية

تعتمد وحدات النص وأجزاؤه على علاقات دلالية صريحة أو خفية تعمل - بمثابة الروابط الشكلية - في لَمْ شملها، وربط عناصرها ربطاً معنوياً. وقد استجاب طوق الحمامة - في إطار وحداته النصية - لهذه العلاقات الدلالية مثلما استجاب لها على صعيد بنيته العليا، ولعل أهم هذه العلاقات العاملة على ربط قضايا الوحدات النصية وجملها، هي:

1. علاقة التقسيم

يتبنى ابن حزم هذه العلاقة في ضحْ محتويات كتابه بكثرة لافتة، إلى درجة نكاد معها لا نقف على باب من أبوابه إلا وقد اعتمد (التقسيم) سبيلاً إلى تنظيم محتوياته، إن لم نقل إن أبواباً كاملة يقوم ترابطها المضموني عليها، فمن ذلك قوله: ((ويعرض للمحبين القلق عند أحد أمرين: أحدهما عند رجائه لقاء من يحب فيعرض عند ذلك حائل..... والثاني عند حادث يحدث بينهما من عتاب لا تدري حقيقته إلا بالوصف....)) (818).

وهي قطعة نصية أكبر مما ثبتناه، كانت علاقة التقسيم سبيلاً إلى ترابطها معنوياً، مما زاد من انسجامها ومقبوليتها لدى القارئ، الذي يحتاج في استيعابها إلى تجزئتها وتقسيمها. ونلاحظ - كما قلنا - أنَّ أبواباً من الكتاب تتخذ التقسيم وسيلة في ترابطها المضموني، كالذي نجده في باب (علامات الحب) (819) و (باب العاذل) (820) و (باب الواشي) (821) وغيرها. فبهذه العلاقة يستوفي الناص جميع علامات الحب، وأقسام العذال والوشاة. ويذكر بعضهم - كما لاحظنا عند ابن رشيق - علاقة الاستقصاء ضمن التقسيم، وهي على ما تبين تختلف عنها، وإن اتفقنا على استيفاء الأجزاء واستقصائها، فمن الاستقصاء قول ابن حزم: ((ولقد علمتُ فتى من بعض معارفي قد وحل في الحب وتورط في حباله وأضر به الوجد وأنصبه الدنف، وما كانت نفسه تطيب بالدعاء إلى الله (عز وجل) في كشف ما به ولا ينطق به لسانه.....)) (822).

فقد سيطرت هذه العلاقة - باعتبارها أساساً دلاليّاً - على هذه الوحدة، إذ يقدّم فيها الناص المعنى الواحد (وقوع الفتى في الحب) بعدة صيغ لغوية بغية جذب متلقيه واستيعابه هذا المضمون فعلاقة الاستقصاء من العلاقات الدلالية التي تقدّم المعنى بشكل تراكمي، وهو أمر يقصده الكاتب حيث أراد أن

(818) طوق الحمامة/49-50.

(819) طوق الحمامة/43.

(820) طوق الحمامة/103.

(821) طوق الحمامة/113.

(822) ينظر: طوق الحمامة/40.

يستقصي كل جزئيات المعنى الواحد، وهو يقرن هذه الدلالة بجانب آخر إيقاعي يتمثل هنا بالازدواج الذي يربط صوتياً بين تلك القضايا (الجمال) المرتبطة دلاليًا من خلال معنى بؤري واحد⁽⁸²³⁾. وهو معاناة هذا الفتى.

2. علاقة التعليل

وهي من العلاقات الدلالية المنطقية التي يلجأ إليها الكاتب في المقاطع الحجاجية - غالباً - ((زيادة في توضيح القضية التي يتناولها))⁽⁸²⁴⁾ ومما جاء منها في طوق الحمامة قوله: ((وأما استحسان الحسن وتمكّن الحب فطبع لا يؤمر به ولا ينهى عنه، إذ القلوب بيد مقلّبيها، ولا يلزمه غير المعرفة، والنظر في فرق ما بين الخطأ والصواب وأن يعتقد الصحيح باليقين))⁽⁸²⁵⁾.

فقد طرح المعنى أولاً (جبرية الحب) ثم دعمه بالسبب اللازم، وهو (مشيئة الله تعالى واستيلاؤه (عَلَيْهِ)) على قلوب عباده) وعندئذٍ ربطت هذه العلاقة بين المعنيين ووضّحتهما في ذهن القارئ. على أنّ هذه العلاقة قد تأتي بشكل عكسي، فتتقدّم النتيجة على السبب، وهو أمر متعلّق بالكاتب وعلاقته بمستقبل النص، إذ يحاول استمالة قارئه ويبقيه مشدوداً إليه، وكذلك ليتبيّن الأسباب التي ترتبت عنها تلك النتائج⁽⁸²⁶⁾ فمن ذلك: ((... ووقع لي ضدّ هذا مع أبي عامر محمد بن أبي عامر - رحمة الله عليه - فإنني كنت له على كراهة صحيحة، وهو لي كذلك، ولم يرني ولا رأيته، وكان أصل ذلك تنقيلاً يحمل إليه عني والي عنه، ويؤكّده انحراف بين أبوين لتنافسهما فيما كانا فيه من صحبة السلطان ووجاهة الدنيا...))⁽⁸²⁷⁾. إذ قدّم النص النتيجة (الكراهة بينه وبين صاحبه) ثم أعقبها بذكر السبب (التنقليل - وانحراف أبويهما) وذلك زيادة في التشويق، ولكي ((يقود المتلقي إلى استنتاج أن الحكم وعلته سمة واحدة، لا يمكن الفصل بينهما))⁽⁸²⁸⁾.

3. علاقة التذييل

وقد تقدّم أن قدرتها على ربط أجزاء الكلام وإقناع المتلقي يأتي من أنّها ضربت من الإطناب، ففيها تأكيد المعنى لمن لم يفهمه، وتغريبه لمن فهمه⁽⁸²⁹⁾ ومن أمثلتها قوله: ((وقرأت في بعض أخبار الأعراب أنّ نساءهم لا يقنعن ولا يصدّقن عشق عاشق لهن حتى يشتهر ويكشف حبه ويجاهر ويعلن وينوّه بذكرهن، ولا أدري ما معنى هذا، على أنّه يذكر عنهنّ العفاف، وأيّ عفاف مع امرأة أقصى منها

(823) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/180.

(824) الترابط النصي بين الشعر والنثر/175.

(825) طوق الحمامة/83.

(826) ينظر: لسانيات النص، لينده قياس/149.

(827) طوق الحمامة/58 - 59.

(828) الترابط النصي بين الشعر والنثر/178.

(829) ينظر: أنوار الربيع/39/3.

وسرورها الشهرة في هذا المعنى⁽⁸³⁰⁾. فالاستفهام الإنكاري كله تذييل يتوقف على ما قبله من الكلام ، ولم يخرج مخرج المثل، لعدم استقلاله بإفادة المراد. وهذا ما زاد في ترابط الكلام وتأكيد الناص إنكاره على النساء اشتهاهن ورغبتهن في كشف حبهن والمجاهرة به وإعلانه. ومن أمثله، أيضاً، ما يخرج مخرج المثل، قوله⁽⁸³¹⁾ :

- الكامل -

وصفوك لي حتى إذا أبصرت ما

وصفوا علمت بأنه هذيان

فالطبل جلد فارغ وطنينه

يرتاع منه ويفرق الإنسان

فالبيت الأول يدل على موقف الناص من الحب بالوصف الذي يقول عنه: إنه ((بنيان هار على غير أس))⁽⁸³²⁾. ولكي يجعل من نفس القارئ أبعد على قبول هذا الحكم أخرج كلامه مخرج المثل، وذلك ان البيت الثاني برهن على صدق محتوى البيت الأول، إذ نلمح من خلالهما تشبيهاً ضمناً، مفاده أن وصف المحبوب بما ليس فيه، ولصوق قلب المحب به وتأثير الموصوف فيه، شبهه بالطبل الذي يرتاع من طنينه الإنسان مع أنه جلد فارغ، الأمر الذي زاد من درجة الترابط بين البيتين وتأكيد معناه وتقريره في الذهن.

4. الإجمال والتفصيل

وهي من أكثر العلاقات حضوراً وفاعلية على توحيد أجزاء الخطاب، وذلك عند طرح المعنى ((في صورتين مختلفتين، إحداها مبهمة والأخرى موضحة وعلمان خير من علم واحد، ليتمكن من النفس فضل تمكّن))⁽⁸³³⁾ ومن أمثلتها:

((....ولقد جربت الذات على تصرفها وأدركت الحظوظ على اختلافها))⁽⁸³⁴⁾ فالكلام هنا مجمل نحتاج في تحديد ومعرفة نوع الذات والحظوظ التي جربها المرسل، إلى شيء من الشرح والتفصيل.

ولذا قال: ((فما للدنو من السلطان ولا المال المستفاد ولا الوجود بعد العدم، ولا الأوبة بعد طول الغيبة ولا الأمن بعد الخوف ولا التروخ على المال من الموقع في النفس ما للوصل...))⁽⁸³⁵⁾ فكل هذا تفصيل لما جاء مجملاً أول الأمر ، وفي ذلك تحقيق لترابط أجزاء الكلام. وتكميل السامع ((لذة العلم به،

⁽⁸³⁰⁾ طوق الحمامة/92.

⁽⁸³¹⁾ ديوانه/ 146، وينظر: طوق الحمامة/58.

⁽⁸³²⁾ طوق الحمامة/57.

⁽⁸³³⁾ المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، للتفتازاني/491.

⁽⁸³⁴⁾ طوق الحمامة /123.

⁽⁸³⁵⁾ طوق الحمامة/123.

أي بالمعنى، وذلك لأن الإدراك لذّة، والحرمان عنه مع الشعور بالمجهول بوجه ما ألم في الجهل به، وإذا حصل به الشعور بوجه دون وجه تشوّقت النفس إلى العلم به...)) (836).

والحق أن هذه العلاقات الدلالية كثيرة ومتشعبة، وقفنا عند أربع منها كانت أكثرها حضوراً وفاعلية في طوق الحماسة، مع أننا لا نعدم غيرها من العلاقات الدلالية، التي وقفت عندها البلاغة العربية قديماً بشيء من الاستقرار والتعمق والتفصيل.

رابعاً : موضوع الخطاب

تشتغل هذه الدراسة على نصّ طويل نسبياً ، مع أنّه - في الحقيقة - متعرض لعملية اختصار على يد الناسخ؛ إذ الأصل الصحيح لـ (طوق الحماسة) لم يصل إلينا، أو لم يعثر عليه حتى الآن. وكما اشرنا إلى ذلك من قبل أنّ ناسخاً مولعاً به وبصاحبه قد نجح في تخليصه من النتوءات والزيادات الاستطرادية - وغير الاستطرادية كذلك - وهو بهذا قد قلّص من وجود الموضوعات الجزئية والفرعية (الممكنة) التي تتحرف بالخطاب عن مساره إلى مسارات أخرى بعيدة عنه. وإذا كان موضوع الخطاب - حسب نحاة النص - وظيفة تحدّد حول أيّ حدّ قيل شيء ما، وأداة عملية لمقارنة بنية أكثر تجريداً في بنية النص الكلية التي تعجّ بموضوعات مركبة⁽⁸³⁷⁾؛ فإنّ عمل الناسخ يعدّ عوناً وتحصيلاً ناجحاً للوصول إلى الثيمة المحورية في الطوق، لأن هذا العمل تقليص وتضييق للمسافة الفاصلة التي تشكّل الاستطرادات والانحرافات الحادة (= الموضوعات الممكنة) بين الثيمة الأساس التي كان ابن حزم يثيرها في كل جزء من أجزاء النص، - مهما بلغت درجة استطراداته وانحرافات بالخطاب، - وبين إدراك المتلقي. على أن هذا لا يعني استئصال كل تلك الموضوعات الفرعية الناتجة عن الاستطرادات. وإلا ما كانت الهجنة الاجناسية والموضوعية من ابرز سماته، فقد أحسّ الناسخ وهو يختصره أن إلحاحه في الاختصار والحذف سيكون سبباً للإخلال بحصافته وانسجامه، وهو من هنا اثر السلامة وأبقى على أخبار وموضوعات ما كان لها أن تبقى في مختصره هذا، لو أنّها لانت وخضعت لنياته المؤدّجة. ولذا فإن عملية الاختصار كانت منصّبة على الانحرافات الحادة من ناحية، وعلى الموضوعات المثيرة للجدل والتي تخص شخص إمام المذهب (= قدوة الناسخ) من جهة ثانية، ولكن هل استطاع الناسخ، حقاً، استئصال كلّ الموضوعات المثيرة والواقعة في دائرة نياته؟.

إن النص الواحد مهما توافر على القصر والاختصار؛ اثر التزام كاتبه بموضوع واحد، فأنّه لا يخلو من انحرافات عن الثيمة الأساس، إذ النصوص عبارة عن موضوعات مركبة معقّدة، ومحال أن لا تخطئ سبيل الاستقامة وأحادية الموضوع بمعناها الحاد فكيف بنصّ الطوق الذي يعدّ التهجين والتركيب والتأطير الموضوعي من ابرز سماته، بحيث نجد أنّه استعصى على الخطة المتبعة في اختصاره أو من جهة

(836) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم/492.

(837) ينظر: لسانيات النص ، خطابي/275 وما بعدها.

أولى استعصى على الخطة الأيديولوجية المسلطة على تغييب وإقصاء جملة من مضامينه، ولو كان غير ما زعمنا لما أبقى الناسخ على الموضوعات الاعترافية والآراء المثيرة للجدل، والتي قد يترتب عليها مواقف مثيرة أيضاً تجاه إمام مذهبه، كالتى تبعث على تشويه صورته في المخيال العام. وعلى أيّ ففي طوق الحمامة بؤرة مركزية تشع منها كل إشعاعاته الفكرية والاجتماعية والتاريخية والسياسية والنفسية وغير ذلك، وتمثل هذه البؤرة (بالحب) إذ يؤلف الحب مع نقيضه (اللاحب) أو (السلو) ثنائية جدلية تشكل جسد النص وتشكل وجوديته بحيث تؤلف ((ثيمة النص المشتركة في كل أجزائه وملحاً مهماً للتماسك المدرك من جهة دلالة النص))⁽⁸³⁸⁾.

وإلا فإن جميع الموضوعات الفرعية، أو الممكنة، لا تلبث أن تصب أخيراً في مجرى هذه الثنائية التي ((تشكل الإطار العام للخطاب))⁽⁸³⁹⁾ خذ مثلاً حديثه عن النميمة والكذب في معرض حديثه عن (الواشي)⁽⁸⁴⁰⁾ فالكذب والنميمة أديا بالخطاب إلى أن ينزاح عن مساره، وقد يبدوان للوهلة الأولى خارجين خروجاً سافراً عنه؛ ولهذا قال الناص: ((ولا بد أن أورد ما يشبه ما نحن فيه، وإن كان خارجاً عنه...))⁽⁸⁴¹⁾ إلا أننا عند فحص المضمون نجد كلا الموضوعين (الواشي) و(الكذب والنميمة) غاية في الانسجام، حتى وإن لم يعطنا ابن حزم الإشارة إلى أنه سينحرف عن الموضوع، لأن كلاً من الواشي والكذاب والنمّام يصدر عن طبع واحد ((يدلّ على نتن الأصل ورداءة الفرع وفساد الطبع وخبث النشأة))⁽⁸⁴²⁾. ولذا فإن ثيمة (الحب) تبقى هي الفكرة المهيمنة والبارزة في طوق الحمامة، غير أنه لا يكثر من معالجة عدة موضوعات جزئية، كالتى يزدان بها، وذلك كالقضايا الاجتماعية والسياسية والدينية التي يطرحها الناص طرْحاً حجاجياً يدعم بها موضوعه الأساس (الحب). فالموضوعات الفرعية هذه -حسب برينكر- تتضمن جميعاً إلى المعلومة الأساس المختصة بها، أي إلى موضوع النص⁽⁸⁴³⁾.

هذا وإذا كان (الحب) هو الموضوع الأساس في الخطاب، أي الأكثر تجريداً من بين موضوعاته -حسب فاندنيك- فأنه موضوع إشكالي لا يلين لكل من تصدى له، وهو أيضاً موضوع إنساني بكل ما تحمل هذه الكلمة من عمق - يلتحم بالواقع أشد الالتحام، ويتطلب تناوله سبر أغوار الإنسان، والجولان في أغلب قطاعات حياته، والانغماس الشديد في همومه ومحاولة طرح كل ذلك طرْحاً علمياً يتناسب وشخصية الإمام الفقيه المحدث الأديب المتكلم، ولعلّ هذا هو السرّ في أن يأتي الخطاب مصطبغاً

(838) مدخل إلى علم لغة النص، هاينه مان/43.

(839) لسانيات الخطاب، نعمان بوقرة/171.

(840) طوق الحمامة/114 وما بعدها.

(841) طوق الحمامة/115.

(842) م/ن/115.

(843) ينظر: التحليل اللغوي للنص/89. كذلك مدخل إلى علم لغة النص، هاينه مان/45. كذلك لسانيات الخطاب،

بوقرة/294.

((بالنزعة الشمولية أو النظرة الموسوعية التي روعي فيها الأخذ من كل شيء بطرق واستحضار أوفر نصيب من تالذ المعارف ومروريات السلف))⁽⁸⁴⁴⁾. بحيث يغدو فيه التعدد الموضوعي أمراً مسوغاً، نظراً لعدم سيطرة الكاتب على الحدّ من تدفق مخزونه العلمي وإيقاف استطراداته الجميلة التي دعتّه إلى الفقر على المضامين والموضوعات التي لا تلبث جميعها أن تنتهي أخيراً إلى بؤرة واحدة تضبط إيقاع هذا الخليط، ألا وهي (الحب) ثم إن الوصول إلى موضوع الخطاب ومحاولة ذلك سبيل إلى إدراك وهضم عملية الاتصال التي تكتسب حقيقتها من ملاسبات النص، أي من الطبيعة الخاصة للمجتمع والعصر الذي كتب فيه والجوانب الثقافية المؤثرة في بنيته فهو، كذلك، يسعفنا للإجابة عن سؤال ملح مؤداه:

إذا كان للنص موضوع محدّد فما الداعي إلى تعدّد موضوعاته⁽⁸⁴⁵⁾؟

وحتماً ستقتضي الإجابة عنه الوقوف قدر الإمكان على جميع الجوانب الثقافية الأيديولوجية والاجتماعية والسياسية وغيرها التي نتج عنها الخطاب، وهذا ما نسعى إلى معرفته في الصفحات القادمة. ولكن ينبغي قبل أن ننهي هذا الفصل، أن نطرح سؤالاً: هل أحدثت عملية اختصار النص أرباكاً في ترابطه المفهومي الذي يبدو لي، و لكل من يقرأ طوق الحمامة، أن لا. والسبب في ذلك هو أنه لما كان افتراض بنية عميقة للنص حسب فاندريك يدعم، من جملة ما يدعم، اختصاره في ملخص أو في عنوان أو في غير ذلك فإن ناسخ الطوق كان ينطلق من معرفة نصية رصينة وثقافة عالية تؤهله لأن يسلط على النص خطة تجرده من كل ما يحتويه من استطرادات اجنبية عن موضوعه الأساس من جهة، ومن كل ما فيه من مضامين خارجة عن قيود ورسوم الاعراف المتبعة في ذلك المجتمع الكلاسيكي الذي لا يتقبل جهر الكاتب بخصوصياته الواقعة في مناطق المحظور من جهة أولى، وذلك كالأخبار الاعترافية التي لا تنسجم و شخصية كابن حزم. وإذا ما اتضح لدينا أن الناسخ كان مغرماً بالطوق وبصاحبه، اتضح لدينا أن الخطة المتبعة في عملية الاختصار اتاحها مذهب الناسخ، واتاحتها نصرة امام المذهب (=ابن حزم)، فأراد الناسخ أن يجرد النص من كل ما يتسبب في تشويه صورة ابن حزم في المتخيل الجمعي، ولذا نزع من الناسخ كان ظاهرياً حزماً. ونزعم كذلك وهذا هو الأهم هنا أن الناسخ قد استوعب مضامين الطوق وهضم معانيه و اغراضه، وعندئذ نجح في افتراض بنية عميقة له، وعند ذلك نجحت عملية الاختصار أي نجاح، ولا أدل على زعمنا من أنه لولا تصريحه في التذييل بأنه قام بالاختصار، لما اهتمدنا الى حقيقة أن النص مختصر.

⁽⁸⁴⁴⁾ طوق الحمامة ، تحقيق صلاح الدين القاسمي ، مقدمة المحقق/33.

⁽⁸⁴⁵⁾ ينظر: لسانيات النص، لينده قياس/153.

الفصل الخامس

(الإعلامية والمقصدية والمقبولية)

المبحث الأول (الإعلامية والمقصدية والمقبولية نظرياً)

أولاً - الإعلامية

ثانياً - المقصدية

ثالثاً - المقبولية

المبحث الثاني (الإعلامية والمقصدية والمقبولية في طوق الحمامة)

أولاً - الإعلامية

1. الإعلامية بالمفهوم الأول

2. الإعلامية بالمفهوم الثاني

3. الإعلامية بالمفهوم الثالث

ثانياً - المقصدية

1. المقصدية والاتساق والانسجام

2. المفهوم التداولي للمقصدية

3. المقاصد الظاهرة والمقاصد غير الظاهرة

ثالثاً - المقبولية

;

;

المبحث الأول

(الإعلامية والمقصدية والمقبولية نظرياً)

أولاً – الإعلامية

ثانياً – المقصدية

ثالثاً – المقبولية

إن إدراج هذه المعايير في فصل واحد يتكئ- فضلاً عن كونه من مقتضيات الخطة النهائية لموضوع الدراسة- يتكئ على الوجهة القائلة بأن المقصدية والمقبولية تتمان في آن واحد⁽⁸⁴⁶⁾. وأنهما تتصلان بمنهج النص ومتلقيه وتخضعان لتقديرهما⁽⁸⁴⁷⁾.

وعنهما تتضح السمة الإعلامية للنص⁽⁸⁴⁸⁾ مع عمق إيماننا بأن التصنيفات المطروحة في سبيل فرز هذه المعايير لا تخلو من إعمام وتضليل يصرفان النظر عن حقيقة تداخلها جميعاً في لحظتي العمل والتلقي.

أولاً- الإعلامية

عند الحديث عما يُراد بهذا المصطلح نكون في مواجهة ثلاثة مفاهيم، هي:

1. يدور المفهوم الأول حول صفة الإعلامية بمعناها العام، فأي نص يجب أن يقدم خبراً ما، بل إن الرغبة في الإخبار تمثل غرضاً أولياً لدى أي كاتب، فالنصرص، طبقاً لهذا جميعاً تشترك في هذه الوظيفة. فأي نص، أو قل أي عمل لابد، لكي يصبح نصاً، أن يقدم خبراً.
2. أما المفهوم الثاني فقد استدركه الدكتور حسام فرج على علماء لغة النص، بحكم اشتغاله على نصوص تتوافر على شيء غير قليل منه. إذ ينطلق هذا المفهوم من فكرة الدعاية (ل/ضد) شخص ما أو فكرة ما أو لمذهب بحيث تأخذ النصوص المحتوية عليها بعداً سياسياً ومنحى مذهبياً إيديولوجياً، وهو ما ينطبق، أيضاً، على النص الذي نحن بصدد دراسته.
3. ويحيل المفهوم الثالث- طبقاً لديبوجراند- على الجودة في عرض المعلومات في مواقف معينة وهذه الجودة يحددها المتلقي بمعيار عدم التوقع ويرسم الكاتب حدودها باختياراته في أثناء صياغة النص، وبالطبع يظهر هذا التحديد للإعلامية مراتب للنصوص تعكس رغبة بعض الكتاب في التمييز والابداع، كما يمنح هذه الصفة حكماً قيمياً.

إن الدراسة النصية تصرف جلّ اهتماماتها إلى الكفاءة الإعلامية لهذا المفهوم (الثالث) التي تقاس درجتها بمدى قيام عناصر النص (=معلوماته) على التوقع والاعتقاد، أي بمعرفتها وعدم معرفتها بالاستناد إلى خبرة المتلقي، فارتفاع مستوى الكفاءة الإعلامية رهّن بمدى ابتعاد الاحتمالات في ورود معطيات النص. فلئن كان استعمال نظام في صياغة نص ما يتكون من الهيئة التي تبدو عليها العناصر المستعملة في وقائع صياغته، فإن إعلامية عنصر ما تكمن في نسبة احتمال وروده في موقع معين، أي

⁽⁸⁴⁶⁾ ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/52. كذلك النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د. هناء محمود إسماعيل،

تقديم أ. د. كريم حسين ناصح الخالدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان/ 170 - 171.

⁽⁸⁴⁷⁾ ينظر: النص والخطاب والإجراء/76.

⁽⁸⁴⁸⁾ ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/52. كذلك النحو القرآني/ 171.

إمكانه وتوقعه⁽⁸⁴⁹⁾، وعليه قدم دييجراند ثلاث مراتب للكفاءة الإعلامية في النصوص طبقاً إلى هيئة (صياغة) عناصرها، وطبقاً إلى مضامينها (=محتوياتها) وهذه المراتب هي⁽⁸⁵⁰⁾:

1. كفاءة إعلامية مرتفعة الدرجة، وذلك حين يكون المضمون غير محتمل في هيئة أو صياغة غير محتملة هي الأخرى. ويشير دييجراند إلى أن هذه النصوص صعبة الصياغة، وتثير جدلاً حاداً، ومن ثم يصعب فهمها والسيطرة عليها.

2. كفاءة إعلامية متوسطة الدرجة، إذ المضمون يكون غير محتمل في صياغة محتملة. أو العكس يكون المضمون محتملاً والصياغة غير محتملة، ومثل هذه النصوص - يقول دييجراند - يتسم بالتحدي ولكنه غير مثير للجدل.

3. كفاءة إعلامية منخفضة الدرجة، فالمضمون يكون محتملاً وفي صياغة محتملة أيضاً، وعندها يكون النص غير ذي عمق، سهل الصياغة. ومن ثم يكون غير إعلامي (بمفهوم الجودة) لا بالمفهومين الأولين للإعلامية.

ثم يذهب دييجراند إلى أن النصوص الشعرية والأدبية تكشف، بطبيعتها، عن كفاءة إعلامية متوسطة الدرجة⁽⁸⁵¹⁾. ولكنه بعد صفحات من قوله هذا، يشير إلى أن الأعمال الأدبية المعاصرة تتطلب أعلى مرتبة من الكفاءة الإعلامية⁽⁸⁵²⁾. ونرى أن مذهبه لا يخلو من إغماص، فالنصوص الأدبية - سواء القديمة منها أو المعاصرة - تكشف بشكلٍ مُطرد - بحكم خصوصية صياغتها - عن كفاءة إعلامية متوسطة الدرجة، إلا أنها يمكن أن تكشف عن المرتبتين الأخريين. فالنص الأدبي يكشف عن كفاءة إعلامية عالية، حين يستهدف ذاته ويفرط في التركيز على نفسه، بحيث لا يكتفي بجعل ((رسالة لفظية أثرًا فنيًا))⁽⁸⁵³⁾ فحسب لكي ((يطبع الوظيفة الشعرية))⁽⁸⁵⁴⁾، وإنما يبالغ ويتحمس لفعل ذلك، فهو لا ينفك ((يستعين بالإيحاء ويعتمد الحذف والإيجاز... ويقتصر على الكناية دون التصريح، والاختفاء دون الاظهار))⁽⁸⁵⁵⁾. وعندها تمتد المسافة الجمالية وتتسع بين قطبي عملية التفاعل، فالنص ينزاح عن أفق انتظار متلقيه، ذلك الانزياح الذي يمنحه قوة مفاجئة المثلقي فلا يلبث أن يعبر عن وقعها بواسطة الدهشة

(849) ينظر: النص والخطاب والإجراء/249. كذلك مدخل إلى علم لغة النص، هاينه مان/81. كذلك مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة/183.

(850) ينظر: النص والخطاب والإجراء/251. كذلك نظرية علم النص، حسام فرج/67. كذلك مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة/189 وما بعدها.

(851) ينظر: النص والخطاب والإجراء/251.

(852) ينظر: م.ن/255.

(853) قضايا الشعرية، رومان جاكسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، ط1 دار توبقال للنشر، المغرب/1988/24.

(854) م.ن/31.

(855) مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي/60.

الجمالية⁽⁸⁵⁶⁾ وذلك حين يبدو العنصر الوارد ((خارج نطاق التوقع، حتى إنه لا يوجد من القرائن ما يدل عليه))⁽⁸⁵⁷⁾ وعندها يتطلب من القارئ ((تشغيل طاقته التخيلية المنتجة))⁽⁸⁵⁸⁾، لأن نصاً كهذا في حاجة إلى ((بؤرة انتباه أقوى دون شك))⁽⁸⁵⁹⁾، وبخلاف ذلك فإن درجة إعلاميته تتراجع- يقول أيزر- ((كلما كان إعادة وإنتاجاً مكروراً لخصائص جنس أدبي ما و كان ذلك سبباً في أن يفقد قيمته على المستوى الفني والتاريخي))⁽⁸⁶⁰⁾. إذ يتوقف تأويله- يقول دييجوراند- على ((مجرد اختيار بديل متاح في موقف ما... أي بديل يقدمه أي نظام ذي علاقة))⁽⁸⁶¹⁾.

كما أننا لا نعدم أن تحتوي النصوص الأدبية على الكفاءة الإعلامية المنخفضة، وذلك حين تتسم عناصرها بالتلقائية والشفافية، وحين تنقلص شعريتها وتهبط إلى حضيض الابتذال، فالنص الأدبي- وفقاً لأيزر- ((إذا نُظم عناصره بطريقة صريحة للغاية، فإن ما يتركه لنا الكاتب بوصفنا قراء، هو أننا إما نرفضه نتيجة الضجر. وإما أن نستاء من محاولة تحويلنا إلى سلبيين بكل ما للكلمة من معنى))⁽⁸⁶²⁾.

على أننا نلاحظ صريحاً في الحكم الذي اتخذه دييجوراند على النصوص المعاصرة، أنه كان اقترب من ((النص المكتوب)) عند (رولان بارت) فهذا النص ((نص مفتوح ما بعد حدائي يختلف جوهرياً عن النص الكلاسيكي...))⁽⁸⁶³⁾. كما ونلاحظ أنه في الحكم الذي اتخذه على النصوص غير المعاصرة (على ما يتضح من كلامه) كان اقترب من ((النص المقروء)) عند بارت أيضاً، فهذا النص ((يتسم بسمات النص الحدائي التي لا تختلف... عن سمات النص الكلاسيكي. كتب بقصد توصيل رسالة محددة ودقيقة ونقلها...))⁽⁸⁶⁴⁾. وعلى أي، فإن أحكام (دييجوراند) في حاجة إلى إعادة نظر، ولاسيما في ظل وجود مساع جادة ومتحمسة على إجراء معطيات (ما بعد الحدائيات) على النصوص القديمة. يقول (إمبرتو إيكو): ((للأسف فإن كلمة ما بعد الحدائيات تصدق على كل شيء وأنا أنظر إلى ما بعد الحدائيات، كما اقترحتها الأميركيون، أي باعتبارها مقولة أدبية، وليس المقولة العامة التي جاء بها (ليوطار). اعتقد أن هذه المقولة يستعملها كل حسب هواه. ويبدو من جهة ثانية أن هناك محاولة تريد أن تسجلها على ما مضى، فقبل ذلك لم تكن هذه المقولة تصدق إلا على بعض الكتاب أو الفنانين المنتمين إلى العشرين سنة الماضية،

(856) ينظر: مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي/47.

(857) ينظر: النص والخطاب والإجراء/253.

(858) مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي/60.

(859) ينظر: النص والخطاب والإجراء/253.

(860) مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي/48.

(861) النص والخطاب والإجراء/253.

(862) مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي/60.

(863) دليل الناقد الأدبي/274.

(864) م. ن/274.

إلا أنها أصبحت شيئاً فشيئاً تصدق على كتاب من بداية القرن، ثم اتسعت دائرتها أكثر فأكثر، ولا يُستبعد أن يوصف (هومبروس) بالـ(ما بعد حداشي) ((⁽⁸⁶⁵⁾.

ثانياً- المقصدية

لا يتوقف مفهوم هذا المعيار- على ما يقدمه لنا علماء النص- في حدود التشكيل البنيوي والمفهومي(=الدلالي)، وإنما ينبغي أن يراعى في مفهومه جوانب أخرى، كالجوانب التداولية والثقافية والنفسية، ومن هذا المنطلق نفهم تحت هذا المصطلح جملة من المفاهيم، وهي:

1. مفهوم نصي يتعلق باتساق النص وانسجامه، إذ يُعنى هذا المعيار- على المستوى النصي- ((بموقف منشئ النص من كونه صورة ما من صور اللغة، قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك (=الاتساق) والالتحام (=الانسجام) وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة إلى غاية بعينها))⁽⁸⁶⁶⁾. مع لاحظ أن ((منتج النص يقوم أحياناً متعمداً بإفساد التماسك المعنوي للنص بغية الوصول إلى نتيجة ما ولا يؤدي ذلك إلى فقدان النص للتقبلية))⁽⁸⁶⁷⁾.

2. مفهوم تداولي، يتيح قصور التعريف السابق الذي يحدد الاتساق والانسجام باعتبارهما هدفاً نهائياً للمقصدية⁽⁸⁶⁸⁾. ولذا أقبل ديبو جراند إلى تقديم تعريف آخر للمقصدية يشير به إلى جميع الطرق التي يتخذها المؤلف لاستغلال نصه من أجل تحقيق مقاصده⁽⁸⁶⁹⁾. وهو بهذه الطرق يستهدف استمالة المتلقين والتأثير فيهم أو يُثبت لديهم اعتقاداً أو يميلهم عنه أو يصنعه لهم صنعا⁽⁸⁷⁰⁾.

لذا يأخذ النص بعداً تداولياً، لكونه يقوم((على استغلال جميع العناصر المجاورة/ المساعدة في فهم الخطاب وتوصيله))⁽⁸⁷¹⁾. هذا ويخترق المقصدية المجال التداولي أيضاً عند تسخير((نظرية الأعمال اللغوية (=الأفعال الكلامية) بوصفها تركز على التمييز بين قول شيء ما وعمل شيء ما بواسطة اللغة))⁽⁸⁷²⁾. وذلك حين تنصرف عملية استجلاء المقاصد((إلى مسألة كيفية قيام الترابط بالفعل بين المقاصد من جهة وبين معنى المنطوقات وشكل إخراجها من جهة أخرى))⁽⁸⁷³⁾. وبعبارة أخرى: إن

(865) آليات الكتابة السردية/ من كلمة له مثبتة على الغلاف الخلفي للكتاب.

(866) النص والخطاب والإجراء/103. وينظر: مدخل إلى علم لغة النص، هاينه مان/81. كذلك مدخل إلى علم النص، إلهام أبو غزالة/12.

(867) علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، فاندريك/118.

(868) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/47.

(869) ينظر: م.ن/47. كذلك مدخل إلى علم النص، إلهام أبو غزالة/157.

(870) ينظر: من تجليات الخطاب اللاغوي، د.حمادي صمود، ط1، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس/1999/8.

(871) الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد أمين الطلبة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2008م/276.

(872) في المعنى مباحث دلالية معرفية، صابر الحباشة/148.

(873) مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة/158.

المتكلم يقول شيئاً ويريد شيئاً آخر. على أن هذه الدراسة أثرت استجلاء المقاصد المتحصلة من نظرية أفعال الكلام في الفصل الخاص بالتداولية (= المقامية أو الموقفية).

3. وتنتج عناية المفهوم الثالث إلى استجلاء المقاصد الاجتماعية والنفسية والثقافية في النص ((باعتبار أن لكل منتج خطاب غاية يسعى إلى بلوغها أو نية يريد تجسيدها))⁽⁸⁷⁴⁾. فكل نص ينطوي على قصد أو يعبر عن قصد أو تصوغه بالأحرى مقاصد متكلميه وأغراضهم))⁽⁸⁷⁵⁾. ويضع الدكتور حسام فرج لإظهار هذه المقاصد إطاراً محدداً تقسم داخله المقاصد إلى قسمين: المقاصد الاجتماعية والنفسية، والمقاصد الثقافية. ويصطلح على المقاصد الاجتماعية والنفسية مصطلح (مقاصد ظاهرة). وعلى المقاصد الثقافية (مقاصد غير ظاهرة)⁽⁸⁷⁶⁾.

ثالثاً - المقبولية

ويؤلف هذا المعيار مع (المقصدية) ثنائية، وهو من هذا المنطلق لا يتوقف مفهومه في حدود مراعاة الشكل البنوي من المتلقي أو مراعاة الترابط المفهومي الدلالي العميق. وإنما ينبغي أن يراعى في مفهومه الجانب التداولي المتمثل بضرورة ((وجود توقعات بين المتخاطبين وأصول خطابية تحكم سلوكهم واستنتاجاتهم))⁽⁸⁷⁷⁾. فضلاً عن الجوانب الثقافية والنفسية لطرفي الاتصال (المتكلم والمخاطب)، وعلى هذا يُفهم تحت المقبولية ما يأتي:

1. مفهوم نصي يتعلق بموقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي أن تكون مقبولة من حيث هو نص ذو اتساق وانسجام، وبعبارة أخرى: يتعلق هذا المعيار بموقف المتلقي لتوقع نص مترابط ومتماسك⁽⁸⁷⁸⁾، إذ ((يؤكد ديوجراندي)) على أن مفهوم القواعدية (Grammaticality) محدد جزئي للتقبلية (Acceptability) متفاعل مع غيره من العوامل المصاحبة ومن أمثلة ذلك تأثير ترتيب عرض الجمل في الأحكام التي يصدرها الناس وتزداد سرعة تقبل الجمل إذا أثارت تعبيراتها صوراً ذهنية))⁽⁸⁷⁹⁾.
2. مفهوم تداولي، إذ يشار بالمقبولية، هنا، بمعنى واسع إلى رغبة نشطة للمشاركة في الخطاب، وعندئذ يعتمد على درجة التفاعل بين مقاصد المنتجين ورغبة المتلقين في المعرفة وصياغة مفاهيم مشتركة⁽⁸⁸⁰⁾. ولكن لا بد أن يوضع في الحسبان أن ((للقبول، أيضاً، مدى من التفاضل في حالات تؤدي فيها المواقف إلى

⁽⁸⁷⁴⁾ ينظر: مدخل إلى علم النص، الصبيحي/96.

⁽⁸⁷⁵⁾ في آفاق الكلام وتكلم النص، د. عبد الواسع الحميري، ط1، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 284/2009.

⁽⁸⁷⁶⁾ ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/57.

⁽⁸⁷⁷⁾ مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي/102.

⁽⁸⁷⁸⁾ ينظر: النص والخطاب والإجراء/104. كذلك مدخل إلى علم لغة النص، هاينه مان/81.

⁽⁸⁷⁹⁾ ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/51.

⁽⁸⁸⁰⁾ ينظر: م. ن/52.

ارتباك، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج⁽⁸⁸¹⁾. ولا سيما في النصوص التي تجنح إلى التفرد والتميز ((والمرجعية عندئذ ليست إلى سبك النص أو حبكة (=انساقه وانسجامه)، ولكن إلى طبيعة المتلقي والظروف التي أنشئ فيها النص))⁽⁸⁸²⁾. فالمفهوم التداولي للتقبلية، يحيل على النشاط التعاوني بين أطراف الاتصال فالمنتج ينجز النص بمراعاة حالة متلقيه ويضطر إلى اختيار مكونات النص وتنظيمها بما يلائم استعدادات متلقيه كي يصل إلى استيعابه، بحيث لا يأتي النص متوارياً تماماً خلف العمليات البنائية والمفهومية المعقدة.

أما المتلقي فإنه يُنشطها استطاع، بعض العناصر في أنظمتها المعرفية بغية فهمه واستيعابه على أتم وجه كما أن له الحق في رفضه، إذا لم ينسجم مع تصوراته، أو كان من البساطة والسطحية حد الابتذال بحيث لا يمثل أي عنصر جذاب⁽⁸⁸³⁾. ويتصل بهذا المفهوم محوران يرتبطان به تمام الارتباط: أ. المقبولية وبناء السياق ((إن الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه))⁽⁸⁸⁴⁾. أما إذا كان المتلقي ((فاقداً لهذا الجزء من المعرفة، تعذر عليه تأويل الخطاب))⁽⁸⁸⁵⁾ إلى أن يضطر إلى إحضاره، ف((القارئ بعمله (قراءة النص وتقبله) يصنع تماسكاً من نوع مختلف لما يقرره علم القواعد))⁽⁸⁸⁶⁾.

يقول (بيري ثورندك): إن المتلقي ((عندما يستنتج فهو يقوم بذلك لعملٍ سياقٍ من أجل تفسير المعلومات الجديدة لكي يصنع التماسك والاستمرارية في النص))⁽⁸⁸⁷⁾، ولا سيما عند عدم احتواء النص ((على مقدمات سياقية تعين المتلقي على الفهم والتأويل))⁽⁸⁸⁸⁾.

على أن هذا المحور يمكن استجلاؤه ولحظة في الجزء الخاص من الدراسة بمعيار (المقامية أو الموقفية) حيث تقف الدراسة على كل عناصر السياق وأضره.

ب. المقبولية واتساع دلالات النص، إذ لا يقتصر انتاج النص على مجرد ارضاء رغبات المستقبل، دون أن يشبع الناص رغباته الخاصة التي حتماً سترتب عليها انحراف عن استعدادات هذا المتلقي، فمثلاً أن ((وضوح المضمون العامل للنص (البنية الكبرى = موضوع الخطاب) أو إبهامه مؤثر حقيقي في تقبل القارئ للنص، والأمر يعتمد على القارئ وعلى شخصيته، إذ إن هناك من القراء من يكون استيعابه

(881) النص والخطاب والإجراء/104.

(882) نظرية علم النص، حسام فرج/53.

(883) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، هاينه مان/81. كذلك الحجاج في البلاغة العربية/111.

(884) لسانيات النص، خطابي/56.

(885) أصول تحليل الخطاب، الشاوش/165.

(886) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/53.

(887) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/53-54.

(888) ينظر: م.ن/55.

للنصوص ذات الطبيعة المبهمة أقوى من استيعابه للنصوص المباشرة. وعلى العكس هناك من يفضل النصوص المباشرة. والمبدع أو المرسل أعلم بمتلقيه وعلى هذا يُشكّل نصه⁽⁸⁸⁹⁾. فالنصوص عندما تخرج عن الرسوم والقيود المتعارف عليها - بدواعي الابتكار والابداع - فإن المقبولية عندئذٍ لا تقف ((على التمثيل المعرفي لما لدى المبدع، بل إنها... تتعدى ذلك إلى إبداع جديد للنص⁽⁸⁹⁰⁾). وهذا يتوقف بطبيعة الحال على ثقافة المستقبل واتساع أفقه القرائي.

وجملة القول، فيما يخص التقبلية بشكل عام، أن المتكلم ((بحق منطوقه، بحيث يمكن للمتلقي أن يتعرف قصد المتكلم، أي أن يستخدم مجموعة الأدوات التي يمكن أن تفهم المتلقي قصده، فالمخاطب طُلبت منه المعلومة المرغوبة فيها ينسق في العادة نشاطه مع نشاط المتكلم وسوف يعطيه المعلومة بمراعاة معايير اتصالية.. ففي هذه الحال يوجد نشاط تعاوني ينشط فيه المشاركون، في الاتصال، خبراتهم الاجتماعية ويربطون بعضها ببعض، ويرجعون من خلال ذلك إلى خبراتهم التي اكتسبوها في عملية نشاطهم اللغوي وطبقوها بشكل ناجح في موقف مماثل⁽⁸⁹¹⁾.

(889) ينظر: م.ن/55.

(890) ينظر: م.ن/55.

(891) مدخل إلى علم لغة النص، هاينه مان/96-97.

المبحث الثاني

(الإعلامية والمقصدية والمقبولية في طوق الحمامة)
أولاً – الإعلامية

1. الإعلامية بالمفهوم الأول

2. الإعلامية بالمفهوم الثاني

3. الإعلامية بالمفهوم الثالث

ثانياً – المقصدية

1. المقصدية والاتساق والانسجام

2. المفهوم التداولي للمقصدية

3. المقاصد الظاهرة والمقاصد غير الظاهرة

ثالثاً – المقبولية

أولاً- الإعلامية

1. الإعلامية بالمفهوم الأول

إن ضرورة امتياز كل نص بالسمة الإعلامية بالمفهوم الأول لهذا المعيار- ينبغي أن لا تصرف الأنظار عن حاجتها إلى إظهارها وتأكيدا، مهما كان عليه هذا الامتياز وهذه السمة من بداهة. فالنصوص تختلف درجة احتوائها على الأخبار، تبعاً لكتابها ومكانتهم، وتبعاً لطبيعتها وموضوعاتها وما تتطلبه هذه الموضوعات، وما تثيره من موضوعات أخرى جانبية واستطرادات حادة تشبع رغبة الناص المغرم بالأخبار ورغبة شركائه في الاتصال بغية الاستزادة، ولاسيما حين يكون صاحب النص ذا مكانة عالية ومرتبة رفيعة وذا حظ من الشهرة، كالتي كان عليها أبو محمد بن حزم الظاهري. تؤدي شهرة الناص ومكانته البارزة دوراً كبيراً في تصاعد القيمة الإعلامية للنص ((فهناك بعض الأشخاص لهم قيمة أخبارية أكثر من غيرهم، وذلك لأنهم مشهورون بسبب المناصب التي يشغلونها أو بسبب شهرتهم الفنية أو الاجتماعية... أو الاقتصادية أو العلمية. وما ينطبق بالنسبة للأشخاص البارزين ينطبق على بعض الأمكنة والمنظمات والجماعات. وغالباً ما تكون لدى هؤلاء الأشخاص أشياء يتحدثون عنها وتحظى باهتمام الجمهور، وإذا ما تزامنت قيمة الشهرة مع قيمة الأهمية حظي الخبر بقيمة مضافة ومهمة))⁽⁸⁹²⁾.

ولعل من البداهة، بمكان، أن تتوافر شخصية ابن حزم ومكانته على كل هذه القيم، فقد ملأت شهرته الآفاق، نظراً لانسامها بالموضوعية والشمولية، ما يجعله من أبرز أعلام الأندلس والحضارة العربية الإسلامية الزاهية، فقد كان حامل فنون من حديث، وفقه، وجدل، ونسب، وما يتعلق بأذial الأدب، مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة، من المنطق والفلسفة. فهو من أكثر أهل الإسلام تصنيفاً في العلوم، ولا يُعلم لأحد ممن كان في دولة الإسلام قبله هذه النسبة في التأليف، عدا أبا جعفر محمد بن جرير الطبري (310هـ). فمبلغ تواليف ابن حزم في جميع المجالات المعرفية، نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة⁽⁸⁹³⁾ لم يصل منها إلينا إلا النزر القليل. وهو أيضاً أحد أئمة الإسلام فهو إمام الظاهرية، وكان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه يُقال لهم ((الحزمية))⁽⁸⁹⁴⁾. أما في شأن مكانته السياسية، فإنه وزير وابن وزير، قابوه كان وزيراً من وزراء المنصور بن أبي عامر (392هـ) ووزيراً لأبنة المظفر (399هـ)، وتولى هو، أيضاً، على ما ذكر مترجموه، الوزارة ثلاث مرات إلى أن نبذ هذه الطريقة، وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار⁽⁸⁹⁵⁾. فهذه اللامحات والتبذ من حياة المؤلف تسهل علينا فهم الذات الكاتبة، وما كانت عليها من مكانة سامقة تؤثر في تصاعد القيمة الإعلامية

⁽⁸⁹²⁾ الموضوعية آلية للحجاج الإعلامي، د. علي جبار الشري، مجلة ثقافتنا الصادرة عن دار العلاقات الثقافية، وزارة

الثقافة، العراق، ع (9)، آذار 2011م/167.

⁽⁸⁹³⁾ ينظر: الصلة لابن بشكو، 456/2. كذلك معجم الأدياء لياقوت 237/12.

⁽⁸⁹⁴⁾ ينظر: معجم الأدياء، 247/12.

⁽⁸⁹⁵⁾ ينظر: معجم الأدياء، 237/12. كذلك الصلة 384/2.

للنص. أمتاز ابن حزم بشخصية أدبية وعلمية قوية، تتسلط -رائقة الخطى- على النص وعلى نفسيات القراء حتى أولئك الذين يناصبونه العداء ولا يشاطرونه مواقفه، ولا يوافقونه على مذهبه، بحكم أنه (مؤلف حجة) - مؤلف معترف بقيمته، معتدّ بكلامه، يمنح النص بعداً ثقافياً سافراً، قادر على أن يوصل المتلقي إلى قنوات معينة، ويجذبه على التعامل مع نصه بجدية. وهو أيضاً يمتلك نفوذاً كبيراً، لأنه أحد الأعمدة التي تركز عليها الثقافة الأندلسية، وحالما يفوه بكلامه، فإنه ينضاف إلى النصوص المكونة لهذه الثقافة العريقة⁽⁸⁹⁶⁾. ولعل رؤية القارئ اسمه على دفة الكتاب، تشكل أول باعٍ على التأهب والاستعداد اللازم لخوض عملية الاتصال ومن ثم الخروج منها بفيض من المعلومات والحقائق في شتى الفنون والميادين المعرفية، لأنه - كما قيل عنه - ((كالبحر لا تكف غواريه ولا يروى شأريه، وكالبدر لا تُحمد دلائله))⁽⁸⁹⁷⁾ ولأنه أيضاً شجاع ومتمرد لا يبالي لما يؤول إليه مصيره، ولا للمسؤولية الجسيمة للكتابة، ولا للعواقب الوخيمة المترتبة عليها، فهو مؤمن تمام الإيمان - على ما يقول نيتشه - ((بأن البحث عن الحقيقة، هو مسألة جراءة أو عدم جراءة، بقدر ما هو مسألة معرفة أو ربما أكثر. إنه مسألة جراءة اقتحامية، بمعنى أن المفكرين الكبار هم وحدهم أولئك الذين يتجرأون على الاقتحام في اللحظة المناسبة ويكتشفون الحقيقة الصعبة في حين ينكص الآخرون على عقبيه صاغرين))⁽⁸⁹⁸⁾. كل أولئك أمده بالمضي قدماً نحو هدفه الأوحد ورغبته في أن يختلف فهو يكتب كما يريد هو، لا كما يريد الآخرون ويشبع رغباته هو أولاً قبل رغبة الآخرين، رغبة أديب يحب الفلسفة وفيلسوف يعشق الأدب وعاشق يحلل المرأة وعابد يصلي إلى الله ومصلٍ يريد السياسة، وسياسي يريد، بالممكن، أن يحقق المستحيل، رغبة محارب بغير سيف، وعالم بلا تشنج ومفكر بلا تعقيد، وكاتب بغير حماية، ومؤمن بأقصى ما سمح به عقله، وعاشق إلى آخر نبضة في قلبه، متشدد في كلماته، وكأنها نبل، دون أن يخشى أحداً في سعيه إلا ربه، عنيفاً في معاركه الكلامية والقلمية بالدرجة نفسها التي كان فيها ملتهباً في عواطفه⁽⁸⁹⁹⁾. فنحن، إذًا، أمام كاتب ذي رغبة عارمة في الإخبار، ولم تعق هذه الرغبة اعتبارات سياسية، أو أعراف اجتماعية تركه إلى عدم الإفصاح، والتعمد إلى الإخفاء إلا فيما ندر، ولعل هذا سبيل إلى أن تنقلص في نصوصه ((مساحات الفضاءات

⁽⁸⁹⁶⁾ عن مفهوم (المؤلف الحجة) ينظر: جماليات ما وراء النص، إيرن فيشون، ضمن جماليات ما وراء النص دراسات في رواية ما بعد الحداثة، ترجمة أمانى أبو رحمة، ط1، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، العراق 2010م/65، 63. كذلك الصلة ميشيل فوكو مراكز تشكيل الذات المعرفية، برنهارد تاورك، ترجمة وتقديم أسامة الشحماني، مجلة الثقافة الأجنبية الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع(1)، س(32) 2011م/5. كذلك الأدب والغربة دراسات بنوية في الأدب العربي، عبد الفتاح كليطو، ط3، دار توبقال للنشر، المغرب 2006م/19-20.

⁽⁸⁹⁷⁾ الصلة، 2/ 395.

⁽⁸⁹⁸⁾ فريدريك نيتشه، شيطان الفلسفة الأكبر، مجدي كامل، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة 2011م/23.

⁽⁸⁹⁹⁾ ينظر: متمردون لوجه الله (ابن حزم، ابن تيمية، رفاة الطهطاوي، جمال الدين الأفغاني، عبد الله نديم)، محمد عوض، ط1 دار الشروق ببيروت 19/1986 وما بعدها. كذلك ابن حزم الأندلسي عصره ومنهج التريوي/ 56-57.

البيض والمغيبة... الناجمة أساساً من مجموعة عوامل القمع والمصادرة والكبت الداخلية والخارجية الناجمة عن عوامل القهر السياسي الخارجي أو عوامل القمع الاجتماعي والسيكولوجي⁽⁹⁰⁰⁾ فلم تستلح السلطات- أياً كان نوعها- أن تشكل عثرة أو عائقاً أمام إرادته وإخضاعها لإكراهاتها. بل كان كل ذلك سبباً ومسوغاً كافياً لأن يعرضه هو ونصه إلى الأحكام الإقصائية⁽⁹⁰¹⁾. فقد حفزت آراؤه الجريئة الخارجة عن رسوم وقيود تلك السلطات- حفزت السلطة الحاكمة والمؤسسة الثقافية على استغلالها في تشييره ورميه بالانحراف والشذوذ لاستثارة شعور مريديه ومتبعيه، ومارستا عليه أشكالاً من الإقصاء ((فقد رغب عنه الفقهاء وردوا أقواله، وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه، وطفق الملوك يقصونه عن قريبهم ويسيرونه عن بلادهم إلى أن انتهبوا به منقطع أثره بترية بلده...))⁽⁹⁰²⁾. فقد أحسوا بالتأثير الذي سيمارسه النص الحزمي- نسبة إلى ابن حزم- على عواطف الناس ومشاعرهم، وبما سيحظى به من مقبولية منقطعة النظر عند الجمهور المندفع ((إلى متابعتة، والاهتمام به للوقوف على ما يقدمه من مفاجآت وعجائب، وما يجذب أنظارهم ويداعب مخيلتهم ويكون له وقع السحر في نفوسهم))⁽⁹⁰³⁾. فكان أن أوغر الفقهاء صدور الحكام، ليمارسوا عليه نوعاً من الإقصاء يعد من أشنع ما عرفته الإنسانية من مظاهر الفساد، فقد قاموا بحرق مؤلفاته علانية وتمزيقها على حين لم يزد ذلك إلا بصيرة في نشرها، وجدالاً للمعادنة فيها فقال⁽⁹⁰⁴⁾: - الطويل

إن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي
تضمّنه القرطاس، بل هو في صدري
يسير معي، حيث استقلت ركائبي
وينزل إن أنزل ويدفن في قبري

هكذا كان ابن حزم يشكل قلقاً دائماً على السلطة الحاكمة وعلى المؤسسة الثقافية، بفضل مكانته وشهرته وتأثيره المباشر على نفوس القراء، ورغبته العارمة في أن يخبر ويتوسع في دلالات نصه، ولعل كل هذه القيم تزامنت مع قيمة الأهمية التي يحظى بها (الحب)، ومن ثم انتسم نصه بقيمة إعلامية كبيرة، على الرغم من تعرضه لإجراءات الاختصار التي تستلزم عادة تغيب وإقصاء كل ما كان ابن حزم مصرّاً على إظهاره، فقد هيأت الأقدار يداً مارست على النص ضرباً جديداً من (التغيب) مدعوماً، هذه المرة، بسلطة الانتماء المذهبي والولع الشديد بإمام المذهب، فبعد أن نجا طوق حمامة من أشد الإجراءات

(900) المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، فاضل ثامر، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق 2004م/7.

(901) ينظر: إريكيولوجية الفساد والسلطة في النصوص الأدبية والمدونات العربية القديمة، د.قصي الحسين، دار ومكتبة

الهلل، بيروت 2009م/44.

(902) معجم الأدباء لياقوت 248/12.

(903) الموضوعية آلية للحجاج الإعلامي، علي جبار الشمري/167.

(904) ديوانه/75، وينظر: معجم الأدباء لياقوت 248/12.

التعسفية التي أرتكبت بحق المؤلفات، ولاسيما مؤلفات أصحاب المذاهب على امتداد التاريخ الأندلسي المتمثلة بالحرق والتزييق⁽⁹⁰⁵⁾.

وبعد ما يقارب ثلاثة قرون من كتابته⁽⁹⁰⁶⁾ أقبل على طوق الحمامة ناسخ محافظ وحريص على سلامة مذهبه، فأجرى عليه عملية الإقصاء بحجة الاختصار، على حين بقي هذا النص محافظاً على سمته الإعلامية العالية لكثرة ما أثاره من موضوعات وقضايا شيقة وساخنة، تتصل شديد الاتصال بالنفس الإنسانية ومشكلاتها وسبل علاجها، فضلاً عن القضايا السياسية والاجتماعية والتاريخية والدينية والأدبية.

2. الإعلامية المفهوم الثاني

يمتد طوق الحمامة، بسمته الإعلامية العالية، ليثير قضايا وموضوعات دعائية صريحة أحياناً، وضمنية في أحيان أخرى، نلتبس منها نزوعاً دعائياً لمذهب صاحبه ولوائه الأموي، بالتزامن مع الحراك السياسي والمذهبي والتقلبات التي شهدتها الأندلس آنذاك. فمثلاً حين يلخص ابن حزم باب (من أحب في النوم) بقوله: ((وهذا عندي من حديث النفس وأضعائها...))⁽⁹⁰⁷⁾. وباب (من أحب بالوصف) بقوله: ((ولكنه عندي بنيان هار على غير أس))⁽⁹⁰⁸⁾ وباب (من أحب من نظرة واحدة) بقوله: ((وهكذا في جميع الأشياء أسرعها نمواً أسرعها فناء وابطؤها حدوثاً وابطؤها نفاداً))⁽⁹⁰⁹⁾ - نقول حين يلخص ابن حزم هذه الأبواب بهذه الأقوال - يحيل بنا صريحاً إلى تمسكه بالظاهر، فهذه الأبواب، أو لنقل هذه الأصول في الحب، تتنافى مع حقيقة الأخذ بالظاهر والصريح، ف((الصواب لا يُعرف إلا ببرهان ولا يجوز القول إلا بما قام عليه دليل وبرهان))⁽⁹¹⁰⁾ كذلك المحبة، فإنها لا تصح ((إلا بعد التهيؤ من النفس والاستعداد له، وبعد إيصال المعرفة إليها بما يشاكلها ويوافقها... فحينئذ تتصل اتصالاً صحيحاً بلا مانع))⁽⁹¹¹⁾ على حين

⁽⁹⁰⁵⁾ إن عملية حرق الكتب وتمزيقها صارت من أكثر الأمور ألفة في التاريخ الأندلسي ابتداءً من عصر الطوائف وحتى سقوط غرناطة في ظل التقلبات السياسية والمذهبية التي مُنيت بها تلك البلاد، فقد حُرقت كتب المالكية -مثلاً- اتباعاً للظاهرية، وكتب الظاهرية اتباعاً للمالكية. كما وكانت تصاحب هذه الظاهرة المِحَن التي عانتها الشخصيات الدينية والفلسفية أمثال ابن رشد ومن قبله ابن حزم وغيرهما. ينظر: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، د. نهلة شهاب أحمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 170/2009-171. كذلك ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي، حسان محمد حسان/74.

⁽⁹⁰⁶⁾ ينظر: طوق الحمامة، ذيل الأصل/260، وينظر: طوق الحمامة، بتحقيق الظاهر أحمد مكي/6.

⁽⁹⁰⁷⁾ طوق الحمامة/56.

⁽⁹⁰⁸⁾ طوق الحمامة/57.

⁽⁹⁰⁹⁾ طوق الحمامة/63.

⁽⁹¹⁰⁾ الصادع في الرد على من قال بالقياس والرأي والتقليد والاستحسان والتعليل، تصنيف العلامة أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، قرأه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، الدار الأثرية، عمان، الأردن، 2008م/438.

⁽⁹¹¹⁾ ينظر: طوق الحمامة/67.

أنه- ابن حزم- ينافح عن الأصول القائمة على الثاني والتأكيد تماشياً مع مذهبه، ولهذا نلغيه يلخص باب (من لا يحب إلا مع المطاوعة) بقوله: ((وهذا الذي يوشك أن يدوم ويثبت ولا يحيك فيه مر الليلي))⁽⁹¹²⁾. ويلخص باب (من أحب صفة لم يستحسن بعدها...) بقوله: ((وهو أصدق المحبة حقاً))⁽⁹¹³⁾. أما ما يخص الجوانب الدعائية التي يخص بها ابن حزم خصومه، أو يخص بها أسياده الأمويين ووجوب موالاتهم والتتكر لغيرهم، فإن ابن حزم يثير من جملة ما يثير- في الطوق قضايا وموضوعات يستشف منها نزوعاً دعائياً لولائه الأموي. وبخلاف هذا يستشف من غيرها حملات دعائية تجاه خصومه وخصوم البيت الأموي، فقد كان ((مما يزيد شأنه تشييعه لأمرأ بني أمية، ماضيهم وباقيهم بالشرق والأندلس، واعتقاده لصحة إمامتهم وانحرافه عن سواهم من قریش))⁽⁹¹⁴⁾، ففي باب (من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها) وبعد أن يأتي ذكر تفضيله الشقرة وولعه بها على الطريقة الأموية وإدخاله نفسه في عدادهم، نجده يركز كثيراً على إظهار هذا الولاء بشكلٍ حضوري وغياي أيضاً، بل ويلج كثيراً على إثباته، بحيث نستطيع معه إحضار بنية الغياب في هذا العنوان، لتكون: (باب من أحب أسياده ولم يحب بعدهم غيرهم ممن يخالفهم!) وحقاً، فقد اتخذ ابن حزم هذا الباب مسرحاً ملائماً لعرض افتتانه وحبه أسياده ومشايعتهم والتشنيع على غيرهم. ففي أحد مقاطع هذا الباب يخبرنا عن حبه في صباه جارية شقراء الشعر وأنه ما أحب بعدها سوداء شعر أبداً، على أنه حين يأتي ليخبر عما وقع لأناس لا يصرح بأسمائهم، نراه يأتي بأوصاف معيبة لأحبائهم، كالوقص في الجيد والميل إلى القصر وفوة لطيف في الفم⁽⁹¹⁵⁾. فهذه الفقرة نزع أنها تقول أكثر مما يتضمنه مظهرها التركيبي، وإلا فلم جعل ابن حزم لحبيبه وصفاً حسناً وجعل لحبيبات أولئك أوصافاً قبيحة؟، على أنه يمكن فك هذا الإدغام عند استحضر الغائب في هذه الفقرة الذي يمكن تمثيله بالآتي:

غيرهم	الأمويون
1. في أجيالهم ولص (ومن معاني الوقص العيب والنقص)	1. كلاهما صفتان تدلان على العزة والسيادة
2. مائلين إلى القصر (وهي صفة تنفي عنهم العزة والسيادة والعظمة والشجاعة).	2. طوال القامة والعظمة والشجاعة.
3. في أفواههم فوة لطيف (لعله يرمز بذلك إلى التعميه أو إظهار الباطل في مظهر الحق)	3. أفواههم صغيرة (لعله يرمز بذلك إلى قول الحق)
4. سود الشعور (وهو رمز لأعداء بني أمية وهم العباسيون)	4. شقر (والشقرة، كما يرى ابن حزم لون النور والذهب والنرجس الغض والنجوم الزاهدة كذلك الأمويون).
5. يتحلى محبتهم بشتم قوم ليس منهم، ويدعي غريزة لا تقبله.	5. محبتهم أصدق المحبة، لأن من يحبهم يتحلى بشتمهم ويتخلق بخلقهم

(912) م. ن/65.

(913) م. ن/71.

(914) معجم الأدباء 250/12.

(915) ينظر: طرق الحمامة/71.

والذي يؤيد هذا الزعم القطعة الشعرية في نهاية الباب، فلئن غُيب المقصود فيما قبلها بالرمز وعدم التصريح، فإنه لا يلبث أن يصرح به في هذه القطعة التي يقول فيها⁽⁹¹⁶⁾: - الطويل -

يعيبونها عندي بـشقرة شعرها	فقلت لهم هذا الذي زانها عندي
يعيبون لون النور والتبر ضلة	لرأي جهول في الغواية ممتد
وهل عاب لون النرجس الغض عائب	ولون نجوم الزاهرات على البعد
وأبعد خلق الله من كل حكمة	مفضل جرم فاحم اللون مسود
به وصفت ألوان أهل جهنم	ولبسة بالك مشكل الأهل محتد
ومذ لاحت الرايات سوداً تيقنت	نفوس الورى أن لا سبيل إلى الرشيد

كما ونجد أن المضمون الإعلامي في هذه الأبيات مزود بالحجج المنطقية المحملة في فنون بيانية، أبرزها حسن التعليل الذي كان سائداً لدى الشعراء الأندلسيين⁽⁹¹⁷⁾، والأبيات - كما تقدم - تصرح بموقف ابن حزم من أعداء أسياده قاطبة، وإلا فإن البيت الأخير منها - الذي يمثل ضربة فرشاة أخيرة في اللوحة الإعلامية المذهبية هذه، والذي يظفر فيه ابن حزم بحسنيين: حسن الختام وحسن التعليل - نقول إن البيت الأخير يكشف عن تشنيعه على أعداء أسياده من خلال استدعائه شعار بني العباس (الرايات السود)⁽⁹¹⁸⁾ التي مذ لاحت - حسب ابن حزم طبعاً - فقدت النفوس سبيلها إلى الرشاد، وأخذت هذه النفوس ((تأبى إلا الأدنى))⁽⁹¹⁹⁾ فلا عجب، إذا فقدت النفس طريق الرشد، أن يتحلى صاحبها ((بشيم قوم أسياد)) ليس منهم، ويدعي غريزة لا تقبله، فيزعم أنه يتخير من يحب⁽⁹²⁰⁾.

3. الإعلامية المفهوم الثالث

يرتكز هذا المفهوم على الجانب الجدي في صياغة النص ودلالته وانفتاحه على التراث الثقافي ومحاورته. ومن ثم للخروج بنص مميز يكشف عن قوة الكاتب في الأداء بأبرز التقنيات اللغوية، وعن رغبته في الإبداع والتميز. ولعل هذا يفسر لنا لجوء الكاتب إلى جملة أساليب في الصياغة والبناء تجعل نصه نصاً مقبولاً من المتلقي، فهو يقدم الخبر عن طريق وسائل أكثر تعقيداً وإثارة⁽⁹²¹⁾ وفي نماذج خاصة تتسع لاحتضان عناصر الإبداع وسبل التميز. وهذا ما يمكن ملاحظته في طوق الحمامة على جملة مستويات أهمها:

(916) ديوانه/ 56-57، وينظر: طوق الحمامة/ 72.

(917) ينظر: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة/ 81.

(918) ينظر: في هذا الشأن تاريخ الدولة العباسية، د. محمد سهيل طقوش، ط5، دار النفائس، بيروت 2005م/ 20 وما بعدها.

(919) طوق الحمامة/ 71.

(920) طوق الحمامة/ 71-72.

(921) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/ 70.

1. المستوى الاتساق، فعلى صعيد الصياغة اللغوية السليمة، أظهر النص قدرة بنائية عالية، بفضل مقصدية كاتبه، وهنقه في ربط عناصره في أطر بنائية متميزة ورصينة، تكفل للمتلقي سلامة الاستيعاب وحسن التأويل، وتنفذ عنه أسباب عدم المواصله وتعيّنه ((على إكماله لرحلته بعد أن تخلّق داخله ذلك الإحساس بالتوحد مع النص والرغبة في كشف آلياته ومعانيه))⁽⁹²²⁾. فالطوق، من هنا، كان مجالاً ملائماً أظهر من خلاله ابن حزم مقدرته اللغوية وإمكانيته اللافتة في الصياغة. على ما أتضح ذلك في الفصل الخاص بالاتساق.
2. المستوى الدلالي (الانسجام)، فعلى هذا الصعيد تبين أن النص تعامل وفق خطة منهجية استقرائية تكفلت له ولقارئه الانتقالات المبررة من فكرة إلى أخرى بحيث تجنبهما التناقض والاضطراب، بفضل وجود صلة منطقية واضحة بين جميع ما يتضمنه من أفكار ومفاهيم، وإلا فإن دينامية النص يقضي - وفقاً لدومنيك منكينو - ((دراسة الطريقة التي يتحقق بها التوازن الذي يتم من خلاله تحول المعلومات الجديدة إلى معلومات مكتسبة تمثل بدورها المنطلق نحو عناصر أخرى جديدة))⁽⁹²³⁾. ومن هنا يتضح لدينا أن وسائل الاتساق ووسائل الانسجام أدت دوراً فعالاً في إشباع رغبة القاص في التمييز، ومن ثم في إبراز إعلامية نصّه في ظل وجود هذه الجودة على صعيد الصياغة اللغوية والصياغة المفهومية.
3. التناص، فمع التناص ((تحدد رغبة الكاتب في الإبداع في ضوء استفادته بالنصوص الأخرى شكلاً ومضموناً، ورؤيته الوظيفية لها، فينتج عن ذلك نصّ مقبول وناجح بما يقوم به من هدم توقع القارئ والسعي لإظهاره، وبما يقدمه من خطوات جديدة لتجديد نوع النص))⁽⁹²⁴⁾. ونرى أن التناص يشكل أكثر الوسائل البنائية والدلالية والبرجماتية صلة بكفاءة النص الإعلامية، لأن من جملة ما يثيره التناص في النصوص الأدبية هو الحسن التنافسي بين الراهن والغائب، وكأنك بالنّاص، حين يلجّ في الإفادة من الخطابات السابقة، كأنك به في مقام المباراة والنزوع إلى إظهار قدراته وإبرازها.
4. الحسن الجمالي في الطوق، بفضل توافره على جملة من عناصر الإبداع، فطوق الحمامة يعد من أهم ما ألف ابن حزم في باب الأدب، حتى أن المتأمل في المؤلفات الأدبية والتاريخية على الصعيد الأندلسي يكاد لا يجد مؤلفاً يخلو من التنويه والإشادة بقيمته الفنية العالية⁽⁹²⁵⁾، فالأشعار الغنائية والحكايات القصيرة قد أخصبته وأضفت عليه بعداً جمالياً بارزاً، نظراً لما يتضمنه في طياته من عناصر مشوقة. ولذا فقد تزامن رفع مكانة الطوق الأدبية مع ارتفاع ملحوظ في كفاءته الإعلامية التي يمكن معاينتها في نقطتين:

⁽⁹²²⁾ م. ن/71.

⁽⁹²³⁾ م. ن/74.

⁽⁹²⁴⁾ نظرية علم النص، حسام فرج/74.

⁽⁹²⁵⁾ ينظر: النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين/304 وما بعدها.

أ. يكشف الطوق عن (كفاءة إعلامية متوسطة الدرجة) بوصفه نصاً أدبياً يتضمن مجموعة من المعالجات الأدبية الشعرية والسردية على امتداد أجزائه، فلو وقفنا عند كل معالجة على حدة، لظهر لنا أن ابن حزم يلجأ إلى تأصيل طريقة هذه المعالجات على نمط الأصول الأدبية المعروفة عند العرب، والمتمثلة بجملة من القيم الجمالية والثقافية والتقاليد الأدبية الراسخة التي درج عليها الأبناء قديماً. فمن هذا الجانب لا تثير هذه المعالجات حساسية شديدة أو جدالاً حاداً في الأوساط، لأن صياغتها إنما هي من قبيل المحتمل، وقريبة من معايير التوقع الناتج عن قصر المسافة الفاصلة بينها وبين النماذج الأدبية الأخرى⁽⁹²⁶⁾. فالفارئ ينطلق في تحصيل استيعابها وتأويلها من مجموع تجاربه السابقة المبنية على (مبدأ التشابه) أي التشابه الحاصل بينها وبين تلك النماذج المتركمة في ذهنه⁽⁹²⁷⁾. وعندئذ يكشف الطوق من خلال معالجاته الجمالية للمواقف، عن كفاءة إعلامية متوسطة الدرجة، ومن ثم يتسم -أو يكاد- بسمات (النص المقروء) بتعبير (رولاند بارت).

ب. على حين أنه من خلال ما يثيره من إشكالات حادة، ولما يثيره من موضوعات مثيرة للجدل، بما لا يتناسب وشخص الإمام الفقيه. كذا لما يثيره من إشكالية كبيرة عند تحديد نوعه -فإنه يكشف عن كفاءة إعلامية عالية الدرجة ويتسم بأبرز سمات (النص المكتوب عند بارت) لكونه يدخل (في صراع ومواجهة مع حدود العرف والمقروئية وحدودهما، لأنه يتجاوز الهرمية العرفية للنوع الأدبي من جهة، وكونه يتيح تأويلاً مستمراً ومتغيراً عند كل قراءة، وتتم معاشته ومعايشة تجربته على أنه فاعلية أو حيوية ناشطة للغة من جهة أخرى. فهو عملية إنتاج وليس مادة قابلة للاستهلاك⁽⁹²⁸⁾. وليس لقراءة -أية قراءة ومهما كانت- أن تتكلم بلغة جازمة أو تشعر بأنها الأخيرة.

ثانياً- المقصدية

يمكن معاينة المقاصد في الطوق من خلال ما يأتي:

1. المقصدية والاتساق والانسجام، إن علاقة معيار (المقصدية) بمعياري (الاتساق والانسجام) تحيل إلى ((أن كل كلام هو فعل نشاط محدد مقصود))⁽⁹²⁹⁾ من جهة ترتيبه ووضعه في الصورة التي أراد ابن حزم أن يكون عليها، ذلك أن ((منتج النص يقصد، من أية تشكيلة لغوية ينتجها، أن تكون نصاً متضاماً متقارناً (= متسقاً منسجماً)⁽⁹³⁰⁾). ومن هنا، فإن الطوق يكشف باتساقه وانسجامه، عن رغبة ابن حزم في أن يكون نصه على الصورة أو الهيئة التي قصدها هو، فهذه الهيئة تشكل لدينا أحد مقاصد ابن حزم البارزة في نصه. وهذا لا يعني أننا غرضنا الطرف عن مقاصد الناسخ وأجزاءه.

⁽⁹²⁶⁾ ينظر: النص والخطاب والإجراء/253. كذلك نظرية علم النص/68.

⁽⁹²⁷⁾ ينظر: أصول تحليل الخطاب، الشاوش/169. كذلك لسانيات النص، خطابي/58.

⁽⁹²⁸⁾ ينظر: دليل الناقد الأدبي/274.

⁽⁹²⁹⁾ لسانيات الخطاب، بوقرة/61.

⁽⁹³⁰⁾ مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة/151.

2. المقصدية ومراعاة مقام الكلام، ويحيل إلى أن ابن حزم حين أنتج نصه كان يهدف إلى هذه الطريقة الجادة في عرض معلوماته، بما يتناسب وخصوصيات شركائه في الاتصال والاضواء الاجتماعية والثقافية التي تحيط به وبهم، ورغبةً منه ((إلى الإسهام في الاتصال والتفاعل الاجتماعي))⁽⁹³¹⁾ على الوجه الذي يحقق لهذا الاتصال والتفاعل النجاح المنشود، وذلك حين يتطابق الحدث مع مقاصد الأشخاص المعنيين لكون التفاعل ونجاحه لا يتوقفان ويخضعان لرغبة المتكلم فحسب بل، وايضاً، لخصوصية المتلقي ووضعه الاجتماعي والفكري⁽⁹³²⁾.

3. المقاصد الظاهرة والمقاصد غير الظاهرة، - وكما تحدّد قبلاً - أن المقاصد الظاهرة تضمّ المقاصد الاجتماعية والنفسية وأن المقاصد غير الظاهرة تخصّ المقاصد الثقافية، وكلاهما تقف وراءه رغبة النّاص ونواياه التي يمكن تلخيصها بالآتي:

أ. المقاصد الاجتماعية والنفسية، لعلّ من أبرزها تصوير الظروف الاجتماعية المنعكسة على التقلّبات السياسية التي منيت بها بلاد الأندلس، وربما وجد في ذلك ابن حزم فرصة سانحة ليتوجه بنقده اللاذع إلى الواقع المرير، ويطلّ به مظاهر الفساد والوهن التي أصابت المجتمع، ومن ثمّ طرحه العلاج اللازم لها بالطريقة التي يراها صحيحة، فالمدونة من هنا تكون بمثابة إتمام لمسيرته وتجربته الإصلاحية التي واجه في سبيلها ضروباً من العنف والاضطهاد. أما عن أبرز المقاصد النفسية في النصّ، فإنّه يتمثّل بأن ابن حزم وجد في المدونة وسيلة طيّعة ينفع بها ومن خلالها عن نفسه، ويصرف الآلام التي تعتمل في قلبه، إذ إنّها تمثّل له ذلك المتنفّس الذي يعبر به عن مشاعره وأحاسيسه الصادقة، ويدفع عنه الاحساس بالوحدة والبعد عن الديار والاغتراب، وما يترتب على كل ذلك من آثار نفسية ممّضة، يعاني منها أشدّ المعاناة في مجتمع أضحى لا يعرف الاستقرار إليه سبيلاً. ووفقاً لهذا صارت مدوّنته تتسم بالذاتية من جهة وتتسم بالاجتماعية من جهة ثانية⁽⁹³³⁾.

ب. المقاصد الثقافية، وتتجلى هذه المقاصد، بدءاً، من خلال القيمتين العلمية والفكرية اللتين أشتمل عليهما طرق الحمامة، فمن الجوانب التاريخية والحضارية والاجتماعية، تكشف المدونة عن ((الكثير من جوانب الحياة الأندلسية، وتوقفنا على أسرار حكام ورؤساء، وترفع الستائر عن بيوت وقصور، وتنبه على ما كان لصنوف من النساء من نشاط في دنيا المحبين...))⁽⁹³⁴⁾. أما من الجوانب السيكلوجية، فإنّه يعد من أمّات كتب التراث التي عالجت القضايا النفسية، ما يمكن الاستفادة منه في شتى مجالات علم النفس العام

(931) علم النصّ مدخل متداخل الاختصاصات، فاندريك/114.

(932) ينظر: م. ن/128.

(933) ينظر: نظرية علم النصّ/57-58.

(934) الألب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، د. أحمد هيك، ط7، دار المعارف بمصر 1993م/397.

ولاسيما في مجال الانفعالات⁽⁹³⁵⁾. أما عن أهم مقصد من المقاصد الثقافية التي تكشف عنها المدونة، فإنه يتمثل بتأكيد الناص انتماءه للنخبة المثقفة وهذا ما نلاحظه عبر لغته الفصيحة وأسلوبه الجزل الرصين، والتزامه وتعميق حجم تأثيره بنصوص التراث، والتزامه بالأشكال الأدبية السائدة⁽⁹³⁶⁾. بيد أن هذا المقصد تزاممه رغبة مماثلة في التمييز والابتكار ومحاولة الخروج والتحلي بشيء جديد في عالم الأدب، فقد اتخذت المدونة مجالا يظهر من خلاله الكاتب براعته الأدبية، ومحاولة إظهار نوع أدبي جديد باتخاذ هيكلا، أو بنية عليا مخالفة لما هو سائد ومتعارف عليه في الأوساط الأدبية⁽⁹³⁷⁾. وهذا ما تحقق في الطوق.

ثالثاً- المقبولية

حين يُقال أن المقصدية والمقبولية تشكّلان ثنائية، فإن معنى ذلك أنه يمكن معاينة المقبولية في النص من خلال استظهار المقصدية، ذلك أن الناص ((إنما يقصد من منطق النص إلى إحداث تأثيرات على جمهور ما من خلال التعرف على مقصده))⁽⁹³⁸⁾ وهذا ما أكدته الدراسة في الصفحات السابقة. لذا فقد أثرت تلخيص هذه المحاور بما يأتي:

1. يكشف طوق الحمامة عن دلالات محملة في أساليب بسيطة لا تستعصى على الفهم، وعن لغة قوية منسقة، إذ لا تتأفر بين ألفاظها وجملها، التي أخذت بعضها برقاب بعض، لأجل أن تدفع السامع إلى إنجاز مضامين الخطاب أو وقوف المتلقي منه موقفاً إيجابياً⁽⁹³⁹⁾.
2. يصرح ابن حزم في مقدمة نصه، وفي خاتمته، برغبة صاحبه (=المعني الأول بالرسالة على ما يدعي ابن حزم) من أنه يتوخى ما طلبه وما يسره⁽⁹⁴⁰⁾، فهو كما يبدو متلق نهم يرجو المزيد ويستعلم ابن حزم في أمور كثيرة، ومن هنا اتسع ابن حزم في دلالات النص مطمئناً إلى حتمية تقبلها من صاحبه، ومن ثم من

⁽⁹³⁵⁾ ينظر: علم النفس في التراث الإسلامي، تأليف نخبة من الأساتذة المختصين، إشراف وتقديم د. محمد عثمان نجاتي ود. عبد الحليم محمود السيد، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر 2008م 611/2.

⁽⁹³⁶⁾ ينبغي أن نميز بين (الشكل الأدبي) الذي هو بالضبط ما يميز الأدب عن غيره من وجوه الاتصال العادي، أو هو كل العناصر التقليدية للأدب من الهيئات والأنماط الوزنية وغير ذلك - وبين (الجنس) أو النوع الأدبي الذي هو تصنيف أكثر تحديداً وأكثر خارجية من الشكل (Mode) فالجناس لها بناها الشكلية الخاصة بكل واحد منها، على حين أن الأشكال تعتمد بطريقة أكثر وضوحاً، على المثال والموضوع واللمسات العابرة في النسيج، والمتمثلة بالبناء و (الموضوع الشكلاني) أو التناصب البلاغي. ينظر: حياة وموت الأشكال الأدبية، أستر فاو، ترجمة شاكر حسن راضي، مجلة الثقافة الأجنبية، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ع(2)، س(19) 1998م 4,5,6.

⁽⁹³⁷⁾ ينظر: نظرية علم النص/61-62. كذلك لسانيات النص، لندة قياس/178.

⁽⁹³⁸⁾ مغل إلى علم النص، إلهام أبو غزالة/158.

⁽⁹³⁹⁾ ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة/276.

⁽⁹⁴⁰⁾ ينظر: طوق الحمامة/27,28,257,258.

كل من يستفهم عن الحب واشكالياته وقضاياها. ثم إن تصريح ابن حزم بمراعاة رغبة متلقيه، إنما هو مقدمة سياقية تعين القراءات اللاحقة على فهم النص وتأويله. فهو، إذاً، نصّ مزوّد بسياقه.

3. يكشف الطوق عن أنه نصّ مثير للجدل، من خلال إيحاء ابن حزم متلقيه بأن لا يسيء فهمه وينكر عليه مذهبه وقناعاته⁽⁹⁴¹⁾. وتتجلى هذه الإثارة أيضاً في بنيته العليا، لا في مضمونه فحسب. فهو نص هجين لا يتوافر - على صعيد البنية العليا - على النمطية والتحديد، بل يمثل ردة فعل قوية ومبكرة على حتمية التجنيس ومبالغة التركيز عليه. وعندئذٍ، ليس هذا النص منغلقاً على طريقة معينة في الفهم والتقبل، بل منفتح على كل قراءة، وكل قراءة تمثل له إبداعاً جديداً توفره مقبولية من نوع مختلف، يتعلق برغبة القارئ المنتج في التمييز والتفرد كما هو الحال عند المبدع.

هذا، وإذا كانت الموضوعية تقتضي أن نبين المقاصد التي كانت تقف وراء اقبال الناسخ على الطوق، فإننا نرى أن مقاصد الناسخ زاحمت مقاصد ابن حزم، ونرى أن قول الناسخ: إن عملية الاختصار كانت بداعي الاختصار و عدم التطويل - نرى ذلك حجة تقف خلفها نوايا مؤدجة مؤداها تخليص الطوق، كما قلنا، من كل ما يشين بابن حزم من أخبار ومضامين لا تنسجم مع مكانته. وجعله كتاباً ينسجم مع الاستعداد الجمعي. وأما ما يخص مقبولية النص، بعد اختصاره، فإن النص حافظ على توازنه، حين تهيأ لاختصاره ناسخ فطن، ذو ثقافة نصية عالية استطاع أن يحافظ على ما ينسجم، في النص، مع الأفق العام. إلا أنه حجب أشياء كانت توسع من مسافة التوتر الجمالية، وتخيب أفق التوقع العام، وذلك لخروج الطوق عن مراسيم الخطاب العام ونمطيته.

⁽⁹⁴¹⁾ ينظر: م. ن/27، 28، 258.

الفصل السادس

المقامية أو الموقفية (= رعاية الموقف)

المبحث الأول: المقامية أو الموقفية نظرياً

أولاً – السياق، عناصره واضربه.

ثانياً – حاجية الصورة.

ثالثاً – الأفعال الكلامية .

المبحث الثاني: المقامية أو الموقفية في طوق الحماسة

أولاً – السياق، واضربه في طوق الحماسة

ثانياً – حاجية الصورة في طوق الحماسة

ثالثاً – نماذج من الأفعال الكلامية في طوق الحماسة

;

;

;

;

;

;

المبحث الأول

المقامية أو الموقفية نظرياً

أولاً – السياق، عناصره واضربه

ثانياً – حاجية الصورة

ثالثاً – الأفعال الكلامية

ينصرف تركيز هذا المعيار إلى المستوى التداولي في النص، إذ يتعلق - حسب دي بوجراند وزميله - بمناسبة النص للموقف الاتصالي الذي أنشئ من أجله - وفيه - ويشتمل على مجموع العوامل التي تجعل نصاً معيّنًا ذا ارتباط بالموقف الاتصالي، لذلك لا يوجد نصٌ بدون ارتباط بالموقف، وبعبارة أخرى لا يوجد نصٌ ولم يراع فيه موقف، لأن معناه واستعماله يتحدّدان من خلاله⁽⁹⁴²⁾. تشكّل التداولية أحد الركائز في المخطّط السيميوطيقي، الذي يرى في (النحو) دراسة لعلاقات العلامات فيما بينها في التراكيب النحوية، وفي (الدلالة) دراسة لعلاقات العلامة بالمرجع الذي تحيل عليه، وفي (التداولية) دراسة لعلاقات العلامات بمؤولّيها أو بمستعملّيها⁽⁹⁴³⁾. ومن هذا المركز ((جاءت التداولية تسعى وراء كل ما يتعلق باللغة والكلام، من متكلّم ومتلق وفعل كلامي يؤدي في سياق محدّد، فنجد أغلب ما قيل عنها يتمحور في علاقة اللغة بمستعملّيها وثقافة هؤلاء، ومدى استيعابهم اللغة ومكوناتها، وكيفية تأثير بعضهم في بعض والوسائل المتاحة في ذلك))⁽⁹⁴⁴⁾. ومن هنا سنتصّب الدراسة، في هذا الفصل، على استخبار الجواب التداولية في طوق الحمامة، بعد أن تظهر مفاهيمها واتجاهاتها، أمّا عن أهم الموضوعات التي اثرت الدراسة الوقوف عندها، فهي:

أولاً: السياق وعناصره وأضره

من المسلّمات أن الاشتغال على أي نص لا يكتمل النظر فيه ولا يستقيم ما لم يوضع في سياقه، الأمر الذي يقضي - حسب يول وبراون - ضرورة أن يأخذ محلّ الخطاب السياق بعين الاعتبار، لأنّه يؤدي دوراً فاعلاً في تحليله وتأويله، فكثيراً ما يؤدي ظهور قولٍ واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين⁽⁹⁴⁵⁾. والمقصود بالسياق كلّ ما يصاحب اللفظ، ممّا يساعد على توضيح المعنى، أو تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرة (أو تزامنه) ويتحدّد من خلالها المعنى المقصود من الملفوظ⁽⁹⁴⁶⁾، سواء كانت تلك الأجزاء عناصر لغوية أو عناصر غير لغوية، أي العالم الذي نشأ فيه اللفظ، لأن تحليله يكون رهين الإمام بهذا العالم، الذي يشتمل على ((العلم بمنشئه ومتلقيه وزمانه ومكانه ومعرفة سابقة بهذا النوع

(942) ينظر: النص والخطاب والاعراء/104، كذلك مدخل إلى علم لغة النص، هاينه مان/81.

(943) ينظر: في التداولية أشكالية بين المفهوم والترجمة والتعريب/22.

(944) سورة الانعام دراسة تداولية لافعال الكلام والاقتضاء التخاطبي/8.

(945) ينظر: لسانيات النص، خطابي/52.

(946) ينظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. محمد أبو الفرج، منشورات دار النهضة، مصر.

1966م/116. كذلك معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، د. عليّة عزت، دار المريخ للنشر، الرياض 1984م/83.

كذلك معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت

1984م/288.

من الخطاب))⁽⁹⁴⁷⁾ واستناداً على هذا الأساس، حدّد لنا (هايمس) مكونات السياق أو خصائصه، التي يمكن لحظ تأثيرها في خطابات متنوعة، مجتمعة أو متفرقة، وهي على النحو الآتي⁽⁹⁴⁸⁾:

- أ. المرسل، وهو منشئ القول متكلماً أو كاتباً.
- ب. المتلقي، وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقّى القول.
- ج. الحضور، وهم مستمعون آخرون حاضرون، عند نشأة القول، يسهم حضورهم في تخصيص الحدث الكلامي.
- د. الموضوع، وهو مدار الحدث الكلامي.
- هـ. المقام، وهو زمان حدث التواصل ومكانه، وكذلك العلاقة الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإيماءات والإشارات وتعبيرات الوجه وغير ذلك.
- و. القناة، وهي كيفية وقوع التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي، مثافهة أو كتابة أو إشارة .. إلخ.
- ز. النظام، وهو اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.
- ح. شكل الرسالة، كان يكون محادثة أو جدلاً أو موعظة أو خرافة أو رسالة غرامية.
- ط. المفتاح، ويتضمّن التقويم، أي هل كانت الرسالة جيدة حسنة أو مثيرة للعواطف.
- ي. الغرض، أي المقصود من حدث التخاطب الذي ينقلب نتيجة الحدث التواصلية. ثم يشير صاحب هذا التصنيف - (هايمس) - ((إلى أنّ بإمكان المحلّل أن يختار الخصائص الضرورية لوصف حدث تواصلية خاص، بمعنى أنّ هذه الخصائص ليست كلها ضرورية في جميع الأحداث التواصلية، ولكن بقدر ما يعرف المحلّل أكثر ما يمكن من خصائص السياق، بقدر ما يحتمل أن يكون قادراً على التنبؤ بما يحتمل أن يقال))⁽⁹⁴⁹⁾.

ولذا فإننا سنكتفي بتلك الخصائص التي تمكّننا من فهم هذا النص وتحليله، على أن تبيّن هذه العناصر (الخصائص) المختارة يؤدي بنا إلى الحديث عن أنواع السياقات التي تتضمّن تلك الخصائص، ولذا فإنّه تدرج تحت مصطلح السياق جملة من الأنواع يمكن تقليصها بما يأتي :

1. السياق اللغوي أو سياق البنية (= Co-Text)⁽⁹⁵⁰⁾

يتعلق السياق اللغوي بالإطار البنوي للنص، وما تحويه هذه البنية من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية، وهي تسبّخ في نطاق التركيب، الأمر الذي يتطلب منا العودة - للوقوف على ماهية المعطى اللغوي - إلى نظم اللغة الصوتية منها والصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية⁽⁹⁵¹⁾.

⁽⁹⁴⁷⁾ أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، 1/164.

⁽⁹⁴⁸⁾ ينظر: أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش، 1/161 وينظر: لسانيات النص، خطابي/53.

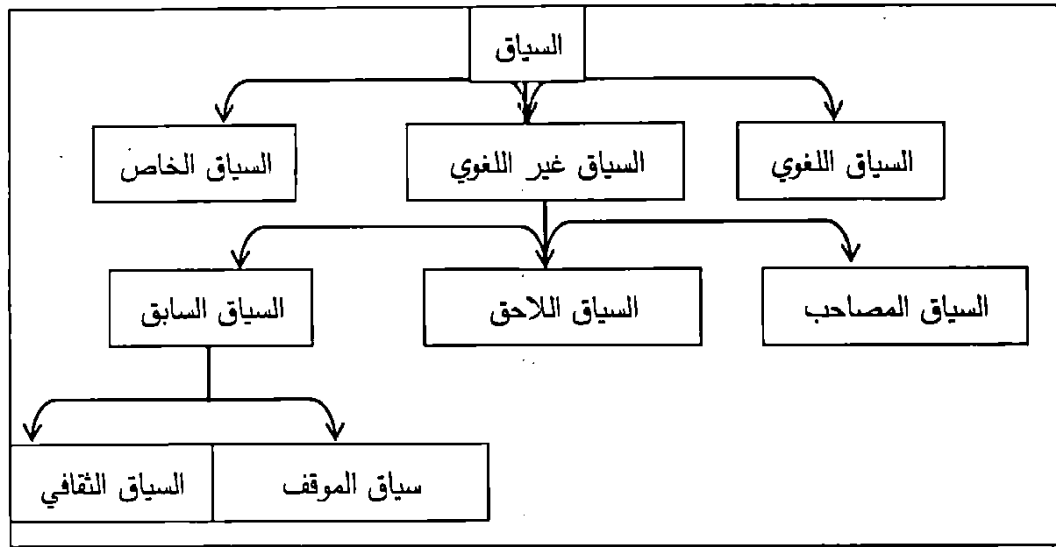
⁽⁹⁴⁹⁾ ينظر: لسانيات النص، خطابي/52.

⁽⁹⁵⁰⁾ النص والخطاب والإجراء/91.

⁽⁹⁵¹⁾ ينظر: علم اللسانيات الحديثة/542، كذلك النص والخطاب والإجراء/91.

على أن الذي يخول غرض الطرف عن هذا النوع من السياق في هذه الفقرة، هو أن الدراسة قد تناولت الشيء غير القليل من مكوناته فيما سبق وذلك في موضوع الاتساق ووسائله، وأيضاً لأن ((المعطيات والمعلومات الضرورية لتأويل الخطاب... لا توفرها الخصائص النحوية والمعجمية للصيغة اللغوية))⁽⁹⁵²⁾، فالسياق اللغوي ((يوضح كثيراً من العلاقات الدلالية [ومن بينها علاقات الاتساق و الانسجام] عندما يستخدم مقياساً لبيان الترادف أو الاشتراك أو العموم أو الخصوص أو الفروق ونحو ذلك))⁽⁹⁵³⁾.

2. السياق غير اللغوي، ويعني كل ما هو خارج الحدث الكلامي مما يحيط به، ((ابتداءً من المرسل والوسط حتى المرسل إليه، بمواصفاتهم وتفصيلاتهم المتناهية في الصغر))⁽⁹⁵⁴⁾ وقد كان البلاغيون من أكثر الاتجاهات اللغوية احتفاءً بهذا المنظور، إن لم نقل إن هذا المنظور قد سيطر على العقلية البلاغية التي انطلقت من قاعدة ((لكن مقام مقال))⁽⁹⁵⁵⁾ في أغلب توجهاتها. وينقسم هذا النوع على أقسام، منها ما يحيط بالنص قبل إتمامه، ومنها ما يحيط به بعد إتمامه، ومنها ما يصاحبه في أثناء الأداء، وفق هذه الخطاطة التي سنأتي إلى بسط القول في محتوياتها:



ولتوضيح هذه الفروع نتناول كلاً منها على حدة:

(952) أصول تحليل الخطاب، 1/ 178.

(953) اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، د. نعمان بوقرة/ 123.

(954) علم اللسانيات الحديثة، عبد القادر عبد الجليل/ 543.

(955) الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، د. ت، 3/ 36.

أ. السياق المصاحب

يتعلق هذا النوع بالنصوص الشفاهية أكثر من النصوص المكتوبة، فمحتوى هذا السياق مجموعة من الإيماءات والإشارات التي تصاحب الخطاب وقت التلفظ، وكذلك ما يحتويه من ظواهر التطرير الصوتي (Prosodies) (= النبر والنغم والتنغيم)، فلكل ذلك أهمية معتبرة وبارزة في توجيه المعنى⁽⁹⁵⁶⁾. ويرى هاليداي وحسن أن هذا المفهوم يشتمل على أشياء كثيرة لغوية، وغير لغوية، في البيئة العامة التي يظهر فيها النص، ولذا فإنه من الصعب جداً فهم آية رسالة ما لم نكن نعلم ماذا يحدث الآن (أي اللحظة الآتية في أدائها)، وما لم نكن على علم بالأداء الصوتي والمرئي المصاحب إياها، والذي يبين ما يحدث الآن بالفعل⁽⁹⁵⁷⁾. وقد اتضح لدينا - فيما تقدم - أن المدونة التي بين أيدينا - طرق الحمامة - نص مكتوب، وعلى الرغم من أن مظاهر الأداء الصوتي والمرئي، كالنبر والتنغيم وحركات الوجه والجسد تكون أوضح وأبرز في النصوص الشفاهية منها في النصوص المكتوبة، إلا أن هذا لا ينفي الخاصية الشفاهية لهذه المدونة، ولكن لابد أن نضع في الاعتبار أن في النصوص المكتوبة ((يصيخ أمر رصد هذا السياق صعباً على كل من الكاتب والقارئ))⁽⁹⁵⁸⁾ ومع ذلك يؤكد النصيون أن خلق هذا السياق وسيلة يلجأ لها القارئ لفهم النص، وذلك لميله الدائم إلى جعل النص طبيعياً وإلى العثور على معناه، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، بالنظر إلى بعث العالم الفعلي الذي نشأ فيه النص، ولذلك يلجأ إلى تعويض نموذج العالم الفعلي الذي يحاول فرضه عليه بعالم ممكن لكن غير فعلي⁽⁹⁵⁹⁾. وكذلك الحال عند الكاتب، فهو يحاول أن يقدم ((تصوراً أكثر حيوية للقارئ ليعرض له النص، كما تمثله هو أثناء كتابته، وهو في إطار آخر يبحث عن ذلك المعادل الموضوعي لعناصر السياق المصاحب اللغوية والسميولوجية، بحيث لا يفقد نصه المكتوب أي عنصر يجعله أقل أداءً من النص الشفاهي))⁽⁹⁶⁰⁾.

يقول (والتر-ج-أونج) إن ((افتقاد السياق الذي يمكن التحقق منه، هو عادة ما يجعل الكتابة نشاطاً متعباً إلى حد يفوق الإلقاء الشفاهي على جمهور حقيقي بكثير، فجمهور الكاتب هو دائماً جمهور متخيل، والكاتب مطالب بأن يهيئ دوراً للقراء الغائبين وغير المعروفين غالباً أن يقوموا به، بل إنني عندما اكتب إلى صديق حميم أجدُ لزاماً عليّ أن أخلق حالة مزاجية له، وأتوقع منه أن يلتبس هذه الحالة، وعلى القارئ كذلك أن يتخيل الكاتب))⁽⁹⁶¹⁾ ويتلبس حالته المزاجية لحظة القراءة.

(956) ينظر: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، بوقرة/120. كذلك: لسانيات النص، ليندة قياس/168.

(957) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/39.

(958) م. ن 41/.

(959) لسانيات النص، محمد خطابي/1 - 3.

(960) نظرية علم النص، حسام فرج/41.

(961) الشفاهية والكتابية/157.

ب. السياق اللاحق ((= سياق القراءة أو سياق التأويل))⁽⁹⁶²⁾.

ويعني كل ما يؤديه النص ((من تغيرات اجتماعية وأيديولوجية))⁽⁹⁶³⁾. وبما أننا بإزاء نص رسائل، فإن دراسة هذا السياق يعدُّ ((أمراً ذا فائدة إذا ما وضعنا في الاعتبار أن الرسالة تنتظر رداً عليها يكمل معها حدوداً للنص أكبر، بما يعني أن ذلك السياق جزء من النص، ومن ثم فإن السياق اللاحق لنص من نصوص الرسائل هو في الآن سياق سابق لرسالة أخرى تالية لها))⁽⁹⁶⁴⁾ إلا أن السياق اللاحق بهذا المفهوم يفرض علينا عدم اعتماده في الدراسة، لأنه يتعدَّى علينا الحصول على الرسالة التالية التي كانت رداً على طوق الحمامة، ولكن يمكن إعمام هذا السياق على كل التغيرات الاجتماعية والإيديولوجية النابعة من التصورات والرؤى الناشئة عن الآثار التي تركتها هذه المدونة على مواقف كل من اطلع عليها، لأن من الضروري، جداً، أن تعدَّ تلك الرؤى والمواقف، جميعها -سواء كانت لصالح المدونة أم عليها- موجّهات قرآنية تمكننا من إدراك كنه النص وحقيقته، وهذا ما سيتضح بعد.

ج. السياق السابق

يفهم تحت هذا السياق كل ما يتصل بالموقف الاجتماعي الذي تمخّض عنه النص، والجوانب الثقافية الإيديولوجية لأطراف الخطاب. فكل ذلك يوفّر لنا جملة من المعطيات والمعلومات الضرورية لتأويله⁽⁹⁶⁵⁾. وينقسم هذا السياق، بدوره، على قسمين رئيسين، هما : (سياق الموقف) و(السياق الثقافي).

1. سياق الموقف

ويسمى، أيضاً، ب(سياق الحال) أو (مسرح اللغة) أو (السياق العام) أو (السياق الاجتماعي)⁽⁹⁶⁶⁾، وكلّ يقال، للدلالة على ((الإطار الخارجي الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللغوي، أو الحيّز الاجتماعي الذي ينتج فيه النص))⁽⁹⁶⁷⁾. ويذكر (فيرث) أن (مالينوفسكي) هو أول من استعمل عبارة (سياق الموقف) في اللغة الانكليزية، للإشارة إلى الأحداث والمواقف التي ينتج فيها النص، فقد رأى أن معاني القولات (= الجمل النصية أو الجملة المجرى أو الجملة المستخدمة في سياق معين)، والكلمات والعبارات المكوّنة إياها هي وظائفها المختلفة في السياقات الموقفية المعنية المستخدمة ولا تكون القولة ذات معنى إلا إذا أمكن أن تستخدم في سياق فعلي معين على النحو الملائم⁽⁹⁶⁸⁾. ويتبيّن أن هذا السياق يحتضن جملة من الخصائص السياقية التي طرحها (هايمس) في تصنيفه، فالمرسل والمتلقي، وما تربطهما من

⁽⁹⁶²⁾ النص والسلطة والحقيقة، نصر حامد أبو زيد/96.

⁽⁹⁶³⁾ نظرية علم النص /42.

⁽⁹⁶⁴⁾ م. ن /42.

⁽⁹⁶⁵⁾ ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/24.

⁽⁹⁶⁶⁾ ينظر: علم اللسانيات الحديثة، عبد القادر عبد الجليل/543.

⁽⁹⁶⁷⁾ اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، بوقزة/123.

⁽⁹⁶⁸⁾ ينظر: المعنى وظلال المعنى محمد يونس علي/121.

علاقة ومناسبات، وزمان النص ومكانه والظروف السياسية والاجتماعية المرتبطة به، كل أولئك يشتمل عليه هذا السياق⁽⁹⁶⁹⁾. وعليه فإن علماء النص، في حديثهم عن سياق الموقف يتناولون- من جملة متناولاتهم- محورين أساسيين، لهما فاعلية كبرى في تحقيق النص انسجامه، وهما:

أ. مجال الخطاب

يفهم تحت هذا المصطلح- وفقاً لهاليداى- ((نوع النشاط الذي يحدث الآن، والذي تؤدي اللغة من خلاله دورها))⁽⁹⁷⁰⁾ أو هو، وفقاً لجيوفري فنج (تلك العناصر التي تكوّن أساس عملية الاتصال)⁽⁹⁷¹⁾. إن كل خطاب- لا محالة- يكتسب موضوعه من واقع المجتمع وطبيعة العصر الذي عاشه الأديب، ومما تركه ذلك المحيط الحاف به وينصه من آثار ايجابية وسلبية، جعلته يزيج الستار عن وجه واقعه الحقيقي، الذي أكسبه هذه النظرة وأمدّه بالمقدرة الكافية لتجسيد ذلك المحيط، ولذا فإنه لا يمكن إبعاد الواقع الموضوعي الملموس والموقف الشخصي للكاتب إزاء واقعه، للوصول إلى مضمون نصه واستنباطه. فمجال الخطاب، إذاً، يحيل على الأغراض والموضوعات التي تضمناها النص، والتي تكتسب ((مصادقيتها من الطبيعة الخاصة للمجتمع وذلك العصر الذي عاش فيه الكاتب))⁽⁹⁷²⁾ كما يحيل، أيضاً، على الأعراف الثقافية والنخبوية التي ترفّد المبدع بجملة من الخصائص النوعية التي لابدّ منها لكي يتوافر نصّه عليها.

ب. أدوار الخطاب

وهو ثاني المحورين، اللذين تقتضيهما دراسة سياق الموقف في النصوص، وهو يشير- حسب هاليداى- ((إلى طبيعة المشاركين في الخطاب وحالتهم والعلاقات الدائمة والمؤقتة بينهم))⁽⁹⁷³⁾. إن وجود قارئ في كلّ نصّ أو لكلّ نص، أمر مفروغ منه، فيه يصبح النص مؤثراً وذا قيمة، وبه يحمل أبعاداً اجتماعية وثقافية، وبه يحقق وظيفته، وإلا فإنه لا يكون نصّاً- فالذي يعنيه محور (أدوار الخطاب) ويؤديه من فعالية، هو بيان الأبعاد النفسية والثقافية للمخاطبين (=المشاركين)⁽⁹⁷⁴⁾ فهذه الأبعاد قد تؤثر في طبيعة أدائه وتنعكس في لغته، فمثلاً هناك لغة تعبّر عن طبيعة التعالي بين الحاكم والمحكوم وبين الشيخ والتلميذ، وهناك لغة أخرى تعكس درجة القرب بين الأصدقاء، فكل هذه العلاقات- وهي علاقات اجتماعية وثقافية- تنعكس في النص، كونها علاقات تحيط به، وتضفي عليه صبغة ثقافية واجتماعية

(969) ينظر: م. ن/ 121.

(970) نظرية علم النص، حسام فرج/ 25.

(971) ينظر: م. ن/ 25.

(972) م. ن/ 25.

(973) م. ن/ 28.

(974) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوش المصطفى، ط 1، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن.

2007م/ 79. كذلك أعضاء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف الخرماء، عالم المعرفة الكويت 1978م/ 236.

وايديولوجية⁽⁹⁷⁵⁾. ما يعني أن المتلقي يشارك (الناص) في بناء نصه، لكون هذا الثاني يضع الأول في الحسبان حين يكتب/يتكلم فيكون النص، عندئذٍ، نتيجة ((اللقاء وعين: وعي القارئ ووعي المؤلف))⁽⁹⁷⁶⁾. وسواء كان هذا القارئ (المتلقي) حقيقياً أم مفترضاً (=متخيلاً)، فكلاهما يلزم النص في هذا السياق، فكما يكشف النص عن القارئ الحقيقي، من خلال لغته المنعكسة عن طبيعة المقصود من الرسالة، فإنه كذلك يكشف عن ((وجود متلقي متخيل، وهو متلقي مثالي مطابق لفكرة منتج النص على نمط الشخص الذي سوف يهتم بقراءة نصه))⁽⁹⁷⁷⁾ وهنا- إذ تقرّر (رقية حسن) بوجود هذا القارئ- تتبعنا على وجوب التفرقة ((بين المصطلح التقني (المخاطب addressee) والكلمات الأخرى الشبيهة الدارجة ك(المستمع) listener/ hearer، فالمخاطب موجود في بناء النص كقاعدة تنظمه في البناء والمعنى، أي كيف أنّ العملية الاجتماعية (النص) هي استجابة لعلاقة المتكلم بالمخاطب، وليست تلك العلاقة موجودة بين المتكلم والمستمع، والمخاطب في نص كهذا- بكل بساطة ليس غائباً عن لحظة إنتاجه، ولكنه كائن متخيل مطابق لذلك النمط الموجود في فكر منتج⁽⁹⁷⁸⁾)).

2. السياق الثقافي

وينفرد هذا السياق ((بدور مستقل عن سياق الموقف))⁽⁹⁷⁹⁾ من خلال أنه يضم شبكة التقاليد الاجتماعية والاقتصادية والمؤسسية التي تؤثر في تشكيل الخطاب المنتج ضمنها، فكل خطاب له الضرورة سياق ثقافي يمارس تأثيره في التركيب اللغوي وأساليب التعبير الخاصة بالنص، فاللغة والأسلوب يُوظفان لخدمة أيديولوجيا النص، ومن ثمّ لمعارضة أو مساندة أيديولوجيا خارج النص⁽⁹⁸⁰⁾. وذهب (مالينوفسكي) إلى ((ضرورة إعطاء اهتمام كذلك إلى تلك الخلفية الثقافية للنص، لأن أي نوع من التفاعل اللغوي لا يمثله فقط مجموعة الرؤى أو الأصوات المحيطة بالحدث، ولكن كذلك كل التاريخ الثقافي الذي يقف وراء المشاركين في الخطاب، وكذلك الخلفية الأيديولوجية والتأسيسية التي تعطي قيمة للنص وتوثق عملية فهمه وتفسيره))⁽⁹⁸¹⁾. وتدور حول هذا السياق مجموعة من المفاهيم ذات الصلة التي

(975) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/28-29.

(976) مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، مجموعة من الكتاب، ترجمة رضوان طائفا مراجعة د. المنصف الشنوفي، سلسلة عالم

المعرفة، الكويت 1997م/135.

(977) نظرية علم النص، حسام فرج/29.

(978) م.ن/29.

(979) مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قنور/359. وانظر اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها، نعمان بوقرة/124.

(980) ينظر: النص والخطاب قراءة في علوم القرآن/85. كذلك فلسفة اللغة الدكتور محمد مهران رشوان والدكتور عصام

زكريا جميل، ط1 دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان الأردن 2012م/271.

(981) نظرية علم النص، حسام فرج/30.

تشكل مفهوم الثقافة لدى المشاركين في الخطاب مش((طبيعة لغة الخطاب-نوع الخطاب- ومعمد لكتب))⁽⁹⁸²⁾ على أنها متجا أخيراً إلى إدخال (نوع الخطاب) في مبحث للنص.

أ. نوع الخطاب

تثير، بدءاً من أولى أنشأت التراث، والمعاصرة كتبه، ميّزت بين (نوع) و(جنس) ففي زمن العرب يقول ابن منظور ((والنوع أصل من الجنس...))⁽⁹⁸³⁾ و((الجنس أصل من نوع))⁽⁹⁸⁴⁾ ويرى باحث معاصر أن هذا التمييز بين الاثنين في المعجم العربي ((ينطق من منطق الأرسطي))⁽⁹⁸⁵⁾ وحقاً فإن (أرسطو) يميز بينهما من منطق فلسفي، فعند الجنس أصل من نوع، فمثلاً ((إنسان نوع تحي إذ تحي جنس وتقول إن الأبيض نوع لون والمثلث نوع شكل))⁽⁹⁸⁶⁾، إلا أن هذه الحدود وتروم سرعان ما تتلاشى على مستوى التطبيق، دون الأكثر لما بين الاثنين من تمييز وعندئذ يستخدم الواحد مكان الآخر. وعلى أيّ فإن مصطلحي النوع والجنس يشيران إلى صنف النص ولتنتائيه الأنبي حسب طبيعته ووظيفته، حسب شروط ومتطلبات نظرية الأدب، وقتك مش الرواية والشعر وغير ذلك⁽⁹⁸⁷⁾. وهذا المصطلح مشم بالتعقيد نتيجة اختلاف مفهومه على اختلاف معارف الأفراد وثقافتهم إلى حد صار معيار المفهوم نفسه موضع شك⁽⁹⁸⁸⁾. إن ارتباط النوع الأنبي للنص بالسباق الثقافي يستأ أسساً إلى ((أن الأنواع الأنبي ترتبط في طبيعتها ووظيفتها بالتواء بحاجات يحددها وضع المجتمع التي ترتبط به))⁽⁹⁸⁹⁾ فلتنوع الأنبي إزاء علامة اجتماعية متعارف عليها بين التجمع الإنساني، إذ النص انجاز مستمر لحث اجتماعي وهو-بينا التقيم- شديد الاتصال بغرض الكاتب ومقصديته وثقافته، وكذلك بثقافة المتلقي وصوره في التأويل، فقد أقام (بول وبرلون) مبدأ التشابه- وهو أحد مبادئ الانسجام ليهما- على ما تقدم للمخاطب ومعرفته من الخطابات، واعتبرا أن لتراكم ما يحصله المستمع من الخطابات السابقة دوراً في حصول التقيم والتأويل بالنسبة إلى نص الخطاب الذي يباشره، فهو ينظر إلى الخطاب الراهن في علاقته مع خطابات سابقة تشبهه ومن هنا المنطلق يعد مبدأ التشابه أحد الاستكشافات الأساسية التي يتبناها

⁽⁹⁸²⁾ من 34 وما بعدها.

⁽⁹⁸³⁾ ابن العرب، 8/744 مادة (نوع).

⁽⁹⁸⁴⁾ من 228/2 مادة (جنس).

⁽⁹⁸⁵⁾ نظرية الأجناس الأدبية د. أحمد المساري، مجلة عالم الفكر الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، مج (40)، ع (3) يناير مارس، 2012م/209.

⁽⁹⁸⁶⁾ منطق لأرسطو، أرسطو طائيس، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ط1، دار القلم بيروت، 1980م/ج 3/1063.

⁽⁹⁸⁷⁾ ينظر: مناهب الأدب الغربي ومظاهرها في الأدب العربي، د. سالم أحمد الحمداني، مطبعة التعليم العالي في الموصل، 1989م/17.

⁽⁹⁸⁸⁾ ينظر: مناهب الأدب الغربي/17 كذلك نظرية علم النص، حسام فرج/34.

⁽⁹⁸⁹⁾ مناهب الأدب الغربي... 17.

المستمعون والمحللون في تحديد التأويلات في السياق، على أن هذا المبدأ وتجلياته ليس حكراً على السامع/المتلقي، فحسب، وإنما هو أمرٌ ضروري، مما لابدّ منه عند منثى النص كذلك، فكما لا يعقل أن يباشر مستمع نصاً، وهو خالي الذهن من كل تجربة تخاطبية، فإنه لا يعقل أن يتكلم متكلم دون أن يعتمد على سابق تجربة في الكلام، وعليه فإن الكاتب لا ينفك، وهو يكتب نصه يتحرى ويتنبأ في اتجاهين: يتنبأ بالنص من خلال إدراكه السياق الثقافي وهضمه إياه، ويتنبأ بالسياق من خلال معرفته بالنص⁽⁹⁹⁰⁾.

فقضية نوع الخطاب/النص - بما أنه يتشكل من المخزون الثقافي للناس في بناء نصّه ولقارئ في تأويله - فهي شديدة الاتصال بمعيار التناص.

ذلك أنه، إذا كانت الصلة أو القرابة بين الأنواع الأدبية قائمة على أساس العمليات الاجتماعية المشتركة بينها - فإن التناص يعدّ وجهاً من وجوه هذه الصلة الثقافية المتمثلة في التشابه الأسلوبي والبنوي بينهما، ومن هنا تبرز إلى العيان جدوى ارتباط إشكالية التجنيس أو الأنواع الأدبية - باعتباره موضوعاً تناصياً - بالسياق الثقافي، ولئن كانت (المقامية) و(الإعلامية) شديدي الارتباط بالسياق المادي الذي أنتج فيه النص، فإن (التناص) يعدّ من أشدّ معايير النص صلة بالسياق الثقافي المحيط به⁽⁹⁹¹⁾؛ ولعلّ إدخال الباحث مفهوم (نوع الخطاب) ضمن مبحث التناص ومعالجته تحت عنوان (التناص الهيكلي)، نابع من هذه الحقيقة.

ب. طبيعة لغة الخطاب

ويعتمد هذا المفهوم على جملة من مكونات السياق، لتفسير الحدث التواصل، ولاسيما منها القناة وشكل الرسالة، إذ تعنى طبيعة لغة الخطاب بوصف لغته من منطلقها الأدائي: هل هي رسمية/ غير رسمية، ديالوج/ مونولوج (= حوارية/ مناجاة) مكتوبة/ منطوقة⁽⁹⁹²⁾. فهذه الثنائيات تساعد على فهم النص وتأويله، لأنها تحقق له خصوصيته وفرادته المكتسبة من العوامل المحيطة به لحظة الاتصال، والتي تنعكس بدورها في لغته.

ج. معجم الكتاب

ولعلّ خير ما يركز عليه هذا المفهوم من مكونات السياق، هو مكون (النظام)، إذ يشير معجم الكتاب ((إلى هيمنة خواص نوعية معجمية ونحوية داخل النص، وهو نتيجة لارتباط اللغة بالاستخدام))⁽⁹⁹³⁾ إذ تتأثر لغة الكاتب بجملة مؤثرات سياقية يمكن إجمالها بالآتي:

(990) ينظر: لسانيات النص محمد خطابي/58. كذلك أصول تحليل الخطاب محمد الشاوش، 1/169. كذلك نظرية علم النص، حسام فرج/34. كذلك اشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، ط8، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2008م/19.

(991) ينظر: نحو اجرومية للنص الشعري، د. سعد مصلوح/226. كذلك مدخل إلى علم النص، الصبيحي/100.

(992) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/29.

(993) ينظر: م. ن/38.

1. أسلوب الكاتب، فلكل كاتب أسلوبه الخاص والمتفرد في خصائصه وسماته، وهو، أيضاً، جزء من بنيته الثقافية، التي لا تلبث أن تنعكس في معجمه اللغوي، وطريقة معالجاته النصية.
2. الواقع النفسي للكاتب، الذي يضطره إلى اختيار البدائل المعجمية أو الأسلوبية التي تلائم حالته تلك لحظة الكتابة، التي ربما يكون فيها الكاتب في حالة عقلية وشعورية تختلف كلياً عن حالته الاعتيادية⁽⁹⁹⁴⁾.
3. ثقافة المتلقي ومكانته؛ إذ يسعى الكاتب إلى إنجاح عملية الاتصال عبر عنايته باللغة؛ وفقاً لما يقتضيه الاستعداد العقلي والثقافي والطبقي لأطراف الاتصال، وهذا ما أشار إليه بشر بن المعتمر (210هـ) في صحيفته، حين قال: ((وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً وساقطاً سوقياً، لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً، إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعريباً، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس، كما يفهم السوقي رطانة السوقي، وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات))⁽⁹⁹⁵⁾.
4. مجال الخطاب أو السياق الحاف، الذي يمنح لغة النص روحه وحساسيته، فكل أولئك يؤثر في لغة الخطاب ويكون مسؤولاً عن هيمنة خواص نوعية في الخطاب دون الخواص الأخرى.
3. السياق الخاص

ليس الأدب تاريخاً ولا فلسفة ولا بحثاً في علم الاجتماع، فالناحية الجمالية، المترتبة على رؤية المبدع الخاصة، تعدّ من شروط (أدبية) رسالته، وهذه الجمالية هي التي تجعل من هذه الرسالة أدباً أو فناً من الفنون، على أن لا يكون هذا الجمال أو الحسن مجتلباً، بل نابعاً من صميم العمل الأدبي⁽⁹⁹⁶⁾. ومن صميم رؤية المبدع للعالم الفعلي ومحاولة طرحه طرحاً فنياً في عالم ممكن يستلهمه من رحم الثقافة والتاريخ والمجتمع الذي يسعى إلى إعادة تشكيله بفعل هذا الممكن الذي يأبى إلا أن يكون أفقاً مفتوحاً يتحرّر في كلّ مرّة من سياق إنتاجه ليندرج ضمن سياقات أخرى⁽⁹⁹⁷⁾. فالنصوص، مثلاً تفهم على أنها صياغة لغوية متماسكة نحوياً ودلالياً في مقام معيّن؛ ينبغي أن تفهم، أيضاً، على أنها ((يمكن أن تتحرف عن قواعد التماسك الخطي أو الأفقي الكلي الشامل، هذه الحقيقة يمكن أن تحدث عن قصد))⁽⁹⁹⁸⁾ أو عن غير قصد، لتغزو صياغة جمالية فنية تمارس ألاعيبها ومغازيها، في سياقات شديدة الخصوصية تتيح للمبدع الانفلات من الموضوعية التي لابدّ منها في كل خطاب ارتبط بقضايا جمعية تسطو على ظهور

⁽⁹⁹⁴⁾ ينظر: الشفاهية والكتابة/157.

⁽⁹⁹⁵⁾ البيان والتبيين/144.

⁽⁹⁹⁶⁾ ينظر: تعليم اللغة مقامياً (براغماتياً) د. منال محمد نجار (دراسة) مجلة الدراسات اللغوية بكلية الآداب والعلوم

الإنسانية جامعة تونس الأولى، مج(10)، ع(1)، محرم - ربيع الأول 1429هـ/يناير - مارس 2008م/144.

⁽⁹⁹⁷⁾ ينظر: بول ريكور الهوية والسرد، تأليف حاتم الورفلي، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009م

54 - 55.

⁽⁹⁹⁸⁾ علم لغة النص، د. سعيد بحيري/151.

الذاتية فيه، وعندها تقول النصوص وتفهم على أنها ((حالة خاصة لفعل خلاق))⁽⁹⁹⁹⁾. فالمقصود، إذاً، ((بالسياق الخاص رؤية الكاتب الخاصة لعناصر السياق المختلفة))⁽¹⁰⁰⁰⁾ وتقوم هذه الرؤية، وفقاً لديبوجراند، على مبدأ التوسط (mediation) الذي يعني ((مدى تغذية المرء بمعتقداته وأهدافه الخاصة للنموذج الذي يقيمه للموقف الاتصالي الحالي))⁽¹⁰⁰¹⁾. ولاستجلاء حقيقة هذا المبدأ، فإن ((وجود التوسط في أي نص بدرجة عالية معناه أن النص أقرب إلى الذاتية بما يحمله من رؤية خاصة لكتابه، وكلما قلت درجة التوسط اتجه النص على الموضوعية التي يكاد يختفي معها ذاتية المؤلف))⁽¹⁰⁰²⁾. إن خلق النص سياقاً خاصاً له في خطاب يتسم بالموضوعية، وبشدة ارتباطه بالقضايا الجمعية التي تسطر على بروز الذات واستبدادها، يعتمد مقصدية الكاتب وأهدافه، فهو يسعى إلى إظهار الجدة في صياغة موضوعات تجسد ذاته المتفردة القابعة في خضم الموضوع الجمعي، كما ويعتمد على مقبولية الطرف الآخر (=المتلقي) واستعداداته لقبول صياغات منحرفة عن المواقف النصية؛ فالنص الذي يحتوي ((على درجة قليلة من توسط المؤلف تكون وظيفتها السائدة هي تقديم وصف للموقف. عندئذٍ يكفي المؤلف بمجرد رصد الموقف (=Situation Monitoring)، أما إذا علت درجة توسط المؤلف عندئذٍ تضطلع تلك النصوص بتوجيه الموقف على نحو مواتٍ لأهداف منتج النص الذي يسعى إلى (صياغة خاصة للموقف Situation Management) أي تقديم الموقف برؤية خاصة))⁽¹⁰⁰³⁾ ثم ((إن الكاتب يكفي بمجرد رصد الموقف والتقليل من درجة توسطه إذا كان الهدف مجرد وصف الموقف، ولجوء المؤلف إلى رصد الموقف فقط، تحدده مجموعة من العوامل السياقية الخاصة بالمؤلف والمتلقي والظروف الاجتماعية التي تحكمها طبيعة العلاقة الاجتماعية بينهما، وينسحب كل هذا على مستوى الأداء))⁽¹⁰⁰⁴⁾.

ثانياً : حاجية الصورة

((إن الخوض في مسألة بنية الحجاج في أي خطاب حجاجي يعني، ضرورة، النظر في مختلف الحجج التي وظفها المحتج لغاية الإقناع أو الحمل على الإذعان))⁽¹⁰⁰⁵⁾. ثم ((إن رصد الأسلوب وطرق بناء الاستدلالات يمكن من الوقوف على مفاهيم مشتركة بين الحقلين الحجاجي والتداولي، وإذا ما ساد الاعتقاد بأن دراسة الحجاج في الخطاب شأن من شؤون التداولية، فسيغدو الحجاج بذلك مكوناً من

(999) مدخل إلى علم لغة النص، هاينه مان /324.

(1000) نظرية علم النص، حسام فرج/43.

(1001) م. ن/43 - 45.

(1002) م. ن/43 - 45.

(1003) نظرية علم النص، حسام فرج /43 - 45.

(1004) م. ن/44.

(1005) الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه ،اعداد الاستاذة أ.د سامية الذريدي، ط2، عالم الكتب الحديث، اريد

الأردن 2011م/181.

مكوناته))⁽¹⁰⁰⁶⁾. يعرف الحجاج بأنه ((علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة والخطاب يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنساً من التأثير))⁽¹⁰⁰⁷⁾ ويعرفه (بيريلمان) و(تيتكا) بأنه ((طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليها أو إلى زيادة درجات تلك الاستمالة))⁽¹⁰⁰⁸⁾ أما نسبة الصورة إلى الحجاج، فتعني أداء الصورة البيانية وظيفية حجاجية تنحو إلى أن تكون صوراً وظيفتها شرح الأفكار وتوضيحها أو تحسين هذه الأفكار، وتبجح نقائضها، مستخدمة في ذلك أساليب الشرح ووسائل التمثيل التي تهدف إلى الإقناع. وبما أن أغلب ما يسخره ابن حزم في أداء هذه الوظيفة الاجتماعية في صورته هو فن التشبيه فإن الدراسة ستقف على أمثلة من صورته التشبيهية من أكثر الوسائل الإقناعية أداءً وتأثيراً.

ولعل هذا يرجع إلى أن التشبيه بطبيعته الثنائية الحادة يستطيع الجمع بين الفكرة ومقابلها الشارح أو الموضح.⁽¹⁰⁰⁹⁾ وهو عين ما ذهب إليه (أوليفي روبول) من أن الاستدلال عن طريق التمثيل يعني تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد حقيقة وإثباتها عن طريق تشابه في العلاقات⁽¹⁰¹⁰⁾، بين الجانبين المقيس والمقيس عليه.

ثالثاً: الأفعال الكلامية

تُعرف أفعال الكلام بأنها ((كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثري، وفضلاً عن ذلك، يعدّ نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية (Act-Locutoirs) لتحقيق أغراض إنجازية (Actes illocutoires) كالطلب والأمر والوعد والوعيد.... الخ، وغايات تأثيرية (Actes perlocutoires) تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثرياً، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعياً أو مؤسسياً، ومن ثم إنجاز شيء ما))⁽¹⁰¹¹⁾.

والأفعال الكلامية بدورها تحيل إلى ((أن القصد في النص قد يكون صريحاً أو متضمناً، فالمقاصد الصريحة هي تلك المرتبطة بالمعاني المباشرة للكلمات والجمل، في حين أن المقاصد المتضمنة هي التي ترتبط بالمعزى من استخدام هذا الفعل أو ذاك، فكل فعل كلامي لابد أن يقوم على مفهوم (المقصدية))⁽¹⁰¹²⁾.

(1006) تداوليات الخطاب السياسي، أنور الدين اجعيط، 1 دار الكتب الحديث، اريد، الاردن 63/2012.

(1007) من تجليات الخطاب البلاغي حمادي صمود/8.

(1008) النص والخطاب والاتصال/188.

(1009) استعادة الماضي، الدكتور جابر عصفور/239.

(1010) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنية وأساليبه/252.

(1011) التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، د. مسعود

صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت/2005م/40.

(1012) ينظر: التداولية عند علماء العرب/44 كذلك نظرية علم النص، حسام فرج/48.

ويقسم أوستن - وهو صاحب النظرية - الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية كانت بمثابة إجابة عن سؤال طرحه على نفسه قائلاً (بأي معنى يمكن أن يكون قول شيء إنجازاً له تماماً؟) فاستدعى هذا السؤال أن يقسم الفعل الكلامي على النحو الآتي⁽¹⁰¹³⁾:

1. فعل القول (القول في حد ذاته) أي فعل إنتاج الأصوات، وتركيب الكلمات في بناء يلتزم بقواعد اللغة وبجمل دلالة معينة.

2. الفعل الإنجازي (القول الفاعل) (=الفعل المتضمن في القول)، أي الفعل الذي ننجزه في أثناء القول ونؤكد به بالقوة الإبلابية، ما يعني أنك حين تقول شيئاً ما تنجز عملاً، ولعل هذا الفرع هو المقصود من النظرية برمتها والفرق بينه وبين (فعل القول) هو أن الأول مجرد قول شيء أما الثاني، فيتمثل بالقيام بفعل وإنجازه عبر قول الشيء، وذلك كالسؤال وإجابة السؤال وإصدار تأكيد أو تحذير... الخ.

3. الفعل التأثيري (الناتج عن القول) (لازم فعل الكلام) (الفعل الناتج عن القول)، وهو التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثله الإقناع والتضليل والإرشاد والتثبيط. هذا، ويقسم أفعال الكلام على خمسة أقسام⁽¹⁰¹⁴⁾:

1. الأفعال الحكمية (التقريرات) (الممثلات)، وهي أفعال تمثل الواقع تمثيلاً يكون صادقاً أو كاذباً، بحيث يجعل المتكلم الكلمات تلائم العالم (عالم الاعتقاد) وهذه الأفعال تقابل بمصطلحات البلاغة العربية، (الخبر).

2. الأفعال الأمرية (الموجهات) وهي أفعال يقصد بها المتكلم حمل المخاطب على فعل شيء ما. وباستعمال الموجه يحاول المتكلم جعل العالم ملائماً للكلمات (عبر المستمع) وتندرج تحتها - بمصطلحات البلاغة العربية - جملة من أنواع الإنشاء الطلبي مثل الأمر والنهي والاستفهام.

3. الأفعال الالتزامية (الملزمات) وهي أفعال يلتزم المتكلم بواسطتها بفعل شيء في المستقبل، وباستعماله يأخذ المتكلم على عاتقه جعل العالم ملائماً للكلمات (عبر المتكلم).

4. الأفعال التعبيرية (المعبرّات) (البوحيات) هي أفعال تعبر عن حالة نفسية تعينها شروط الصدق حول واقعة ما يحددها (المحتوى القضوي)⁽¹⁰¹⁵⁾ للجملة، ويمكن لها أن تتخذ شكل جمل تعبر عن سرور، أو ألم، أو

⁽¹⁰¹³⁾ ينظر: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، د. أحمد المتوكل، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2010م/ 24. كذلك التداولية عند علماء العرب/ 41-42. كذلك الحجاج في البلاغة المعاصرة/ 183. كذلك نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلام جون لانكشو أوستن، ترجمة عبد القادر قنيني، ط2، أفريقيا الشرق الدار البيضاء - المغرب 2008م/ 123.

⁽¹⁰¹⁴⁾ ينظر: اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل/ 25. كذلك التداولية عند علماء العرب/ 82. كذلك التداولية جورج يول، ترجمة الدكتور قصي العتاي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان 2010م/ 89 وما بعدها. كذلك دائرة الأعمال اللغوية مراجعات ومقترحات/ 65-66.

⁽¹⁰¹⁵⁾ يراد بالمحتوى القضوي، مجموعة معاني المفردات التي تكون التركيب مملووظ من قبيل (هل فرزيد) يشتمل على ثلاثة مستويات: (أ) المحتوى القضوي (فرزيد) تقدمه قوة الاستفهام. (ب) القوة الانجازية الحرفية (الاستفهام). (3) القوة

فرح، أو حزن، أو عَمَّا هو محبوب أو ممقوت، وباستعمال المعبر يجعل المتكلم الكلمات ثلاث العالم (عالم الأحاسيس)، ويندرج ضمنها- بمصطلحات البلاغة العربية- مجموعة من الأفعال الإنسانية مثل المدح والذم والتمني والتعجب.

5. الأفعال الإنجازية (الإعلانات) (الإيقاعات) (الأدائيات) وهي أفعال يتحقق محتواها القضوي، إذا توفرت شروط انجازها حين التلفظ ذاته، ويتوجب على المتكلم عند أدائها تسنم دور مؤسساتي، في سياق معين، لإنجاز الإعلان بصورة صحيحة، وباستعماله يغير المتكلم العالم عبر (الكلمات).
غير أنهم يرون إمكان إيجاد طريقة مختلفة نميز، من خلالها، أنواع أفعال الكلام، مستندة إلى (البنية) و (الوظيفة)، ولعلهم بذلك يضعوننا في قلب ما نحن بصدده⁽¹⁰¹⁶⁾. فمثلاً حين ننظر في هذه الأمثلة:

أ. تضع حزام الأمان ← (خبرية).

ب. أنضع حزام الأمان ← (استفهامية).

ج. ضع حزام الأمان ← (أمرية).

نجد أن العلاقة بين بنى هذه الأمثلة ووظيفتها إنما هي علاقة مباشرة، وبخلافها حين ننظر إلى هذا المثال: (الطقس بارد اليوم). نلاحظ أن اللفظ فيه خبر ولكن عند استعماله في سياق معين- لتكوين جملة خبرية، أما عند استعماله- في سياق آخر- لإلزام المخاطب غلق النافذة، مثلاً، فإنه سيكون أمراً/طلباً، وبعبارة أخرى فإن بنية الحضور (= المقول) هو خبر أو تقرير، بيد أن المسكوت عنه أو اللامقول أو الغائب هو الطلب⁽¹⁰¹⁷⁾.

وبناءً على ذلك؛ فإنه كلما وجدت علاقة مباشرة بين البنية والوظيفة نحصل على فعل كلام مباشر، وكلما وجدت علاقة غير مباشرة بين البنية والوظيفة نحصل على فعل كلام غير مباشر⁽¹⁰¹⁸⁾، أي فعل مستتج، يمثل قصد المتكلم، وهو فعل لا يظهر في بنية الكلام السطحية، لكنه يفرض حضوره، لأنه- ببساطة- القصد الذي يدرك مقامياً، وإن لم يصرح به في المقال وقد سمي (كرايس) هذه الظاهرة (بالاستلزام الحواري) وأصبح يميز في هذه النظرية بين (القوة الإنجازية الحرفية) (= الفعل اللغوي المباشر) وبين (القوة

الإنجازية المستلزمة (الانكار) إذا استخدمت في سياق معين. ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، د. العياشي أداري، ط1 منشورات الاختلاف - الجزائر العاصمة، 2011م/97.

⁽¹⁰¹⁶⁾ ينظر: التداولية - من أوستن إلى غوفمان/68. كذلك التداولية جورج يول/91. كذلك الجسد في العقل، مارك جونس (مقال) ترجمة صابر الحباسة ضمن (لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية) ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية - سوريا 2010م/101-102. كذلك نظرية الحدث اللغوي (تحليل ونقد) د. محمد العبد، مجلة الدراسات اللغوية مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مج (2) ع (4) يناير/مارس 2001م/30-31.

⁽¹⁰¹⁷⁾ ينظر: التداولية، جورج يول/92-93. كذلك نظرية علم النص، حسام فرج/49.

⁽¹⁰¹⁸⁾ ينظر: التداولية، جورج يول/93.

الانجازية المستلزمة (= الفعل اللغوي غير المباشر)، فالأولى مدركة مقالياً، والتي يتدل عليها بصيغة الفعل أي بنيته، وأما الثانية، فهي مدركة مقامياً والتي تستلزمها الجملة في سياقات مقامية معينة، ولا قرائن بنيوية تدل عليها في صورة الجملة⁽¹⁰¹⁹⁾. هذا وقد نجح (فانديك) في تطوير تداولية أفعال الكلام عن طريق توجيهها من مجال الجملة (أو المنطوق) عند (جون أوستن) إلى طريق النص، وكان من أهم ما قام به على هذا الصعيد تحليل ما أسماه أفعال الكلام الكبرى (Merco- speech Act) أو فعل الكلام الإجمالي الذي يؤديه منطوق الخطاب الكلي، والذي تتجزأ سلسلة من أفعال الكلام المختلفة، وانتهى (فانديك) إلى أن سلسلة الأفعال الكلامية تفسر بأنها فعل كلامي واحد، إذا كانت تشير إلى مقصد إجمالي واحد⁽¹⁰²⁰⁾.

(1019) ينظر: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، العياشي أداري / 96-97.

(1020) ينظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد / 282.

المبحث الثاني

المقامية أو الموقفية في طوق الحمامة

أولاً – السياق، واضربه في طوق الحمامة

ثانياً – حاجية الصورة في طوق الحمامة

ثالثاً – نماذج من الأفعال الكلامية في طوق الحمامة

أولاً- السياق وأضرية في طوق الحمامة

أ. السياق المصاحب

تقدّم قبل صفحات أن اختصاص هذا النوع من السياق بالنصوص الشفاهية، لا ينفي ولا يلغي حضوره ووجوده- ولو اصطناعاً- في النصوص المكتوبة التي يجنح كتابها- وقراؤها كذلك- إلى بعثه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وذلك لميلهم- دأباً إلى جعل النص طبيعياً- بمحاولة ربطه بعالمه الفعلي، بحيث يعيدون للمكتوب توازنه ويضفوا عليه صبغة شفاهية تحول- قدر الإمكان- دون استعصائه على الفهم والاستيعاب، ومع أن لغة النصوص المكتوبة، هي في حقيقتها لغة صامتة لا تقوى على استيعاب كل الظواهر المصاحبة للنص الشفاهي الذي يمتاز بلغة صائتة؛ إلا أن الكاتب يسعى إلى تسهيل فهم النص بوسائل كتابية معينة، تعوض شيئاً- ولو قليلاً- من ظواهر التنغيم والنبر وحركات الوجه والجسد التي تصاحب الاتصال الحقيقي (الشفاهي). ومن بين تلك الوسائل، تقف (لغة الجسد) في صدارة ما يتوسل به الناص في عملية التعويض المتمثلة باستدعاء السياق الفعلي الذي أنشئ فيه وله النص- يقول الدكتور (مهدي أسعد عرار): إن ((بعض الظواهر التي تتجلى في جسد اللغة [ويعني بنية اللغة] تتجلى في لغة الجسد))⁽¹⁰²¹⁾. وحقاً فإن ابن حزم يفعل في نصّه هذه اللغة في الكشف عن البعد الشفاهي فيه، وهو بذلك يساعده متلقيه على افتراض عالم للنص أكثر قبولاً وأقرب للحقيقة، ولا سيما حين يظفر هذا القارئ بمقاطع وفقرات منه تحتوي على ((أوصاف من الحركات الجسدية المؤدية إلى معانٍ، وقد تكون تلك الحركة سبيلاً من سبل وصف المعنى وتشكيله))⁽¹⁰²²⁾. ومن ثم سبيلاً من سبل انسجام تلك المقاطع والفقرات المتضمنة قوله، فمن ذلك قوله: ((... فلما خان قيامها عنه بدرت إليه فقَبَلَتْهُ في فيه ثم ولت في ذلك الحين ولم تكلمه بكلمة، وهي تنهادى في مشيها...))⁽¹⁰²³⁾. وقد سبق أن تناولنا هذه الفقرة، عند حديثنا عن أدوات الربط، وقلنا بأن هذه القصة وردت في سياق العقّة والتصاوان، وهنا نؤكد ما ذهبنا إليه من أن هذه الجارية لم تتراخ- حين قَبَلَتْ حبيبها- في الانصراف، وإنما سيطرت عليها سرعة التصرف للحيلولة دون انتهاك عقّتها ونزاهتها، إذ إن لهذه المشية دلالة مخصوصة تؤيد ما قلناه، فالمشية المَهَادَة- حسب نتالي باكو- ((يكون الكعب فيها مغروزاً في الأرض والخطوة [سريعة] ثابتة والنظر مستقيماً موجهاً إلى الأمام، مصروفاً تلقاء هدف مزاد لا محيد عنه))⁽¹⁰²⁴⁾ ولعلّ الباعث على اتخاذ المَهَادَة مشيةً هو خشية وقوعها في شرك المحرّم، وقد حرص ابن حزم على نقلهما نقلاً أميناً بوسيلة أمينة هي الأخرى، ليقدم صورة للقارئ ليس أقل شأناً ولا أداءً من حقيقة وقوعها في العالم الفعلي. ومن ذلك، أيضاً، قوله: ((ولقد كنت يوماً بالمرية قاعداً في دكان إسماعيل بن يونس الطبيب الإسرائيلي، وكان بصيراً بالفراسة محسناً

(1021) مباحث لسانية في ظواهر قرآنية، د. مهدي أسعد العرار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م/171.

(1022) مباحث لسانية في ظواهر قرآنية/173.

(1023) طوق الحمامة/126.

(1024) مباحث لسانية في ظواهر قرآنية/195.

لها، وكنا في لمة، فقال له مجاهد بن الحصين القيسي: ما تقول في هذا؟ وأشار إلى رجلٍ منتبذٍ عنّا ناحية اسمه حاتم ويكنى أبا البقاء، فنظر إليه ساعة يسيرة ثم قال: هو رجلٌ عاشق، فقال له: صدقت، فمن أين قلت هذا؟ قال لبهتٍ مفرطٍ ظاهرٍ على وجهه فقطم دون سائر حركاته، فعلمتُ أنه عاشق وليس بمريب))⁽¹⁰²⁵⁾.

فصورة الحوار هنا مدعّم- فضلاً عن ذكر مكان الحادث واللغة التي حوت الكاتب- بلغة الجسد، وذلك حين يوضّح ابن حزم إبهام اسم الإشارة (هذا) بقوله (وأشار إلى رجل...). ثم عند نظرة الطبيب الإسرائيلي إلى ذلك الرجل البهت الذي لمحّه على وجهه، فكل هذه الأوصاف تتجلى فيها دلالة خاصة بمضمون الخبر بغية استيعابه وتمثله من القارئ، وهكذا رسمت لغة الجسد على امتداد أجزاء النص. ((رسماً حركياً صورياً مادته الألفاظ اللغوية المنبئة عن المعنى))⁽¹⁰²⁶⁾ والكاشفة عن الأبعاد الشفاهية التي تنهض بوصفها بديلاً عما يصاحب النص أثناء الأداء الفعلي.

ومن وسائل التعويض أيضاً (الكاليفرات) ويقصدُ بها ((الشكل الكتابي الذي يرسمه السواد على البياض بقصد من الشاعر [أو الكاتب] ليحمل في صورته الكلية المعنى الكلي للخطاب))⁽¹⁰²⁷⁾.

فالشكل الكتابي وسيلة من وسائل نقل الفعل الشفاهي إلى الفعل الكتابي، إذ يضيف على النص بعداً تعويضياً كبيراً. إنّ الناظر للمخطوطات القديمة يلحظ أنها كانت تشكّل الكلمات معاً، ولا تترك بينها من المسافات إلا أقل قدر ممكن، ممّا يؤكّد أنّ القراءة في ذلك الوقت كانت عملية استماعٍ يحركها النظر، فدائماً تشعر بأنك تستمع إلى الكلمات، فالقارئ يستمع لما يقرأ جهراً أو همساً حتى في أثناء القراءة بمفرده فيغدو الأمر نقلاً للكلمة في صورتها المسموعة إلى صورة مرئية مع المحافظة على الإطار الأدائي (الشفاهي) لتلك الكلمة⁽¹⁰²⁸⁾.

إنّ الشكل الكتابي يكون معيّنًا على استحضار السياق المصاحب، بعد أن غيّب عن ممارسة التدوين، فالكتابَةُ ((تعبير ثابت تتحوّل فيه المواقف من مشاعر وانفعالات إلى لغة شفوية ثم تتحوّل من جديد إلى لغة مكتوبة في ظلّ هذه التحولات تفقد اللغة الشفوية كثيراً من مميّزاتها التي تُيسّر التأويل، وعندها يعتمد الشاعر [أو الكاتب] إلى كتابة الحال والتعبير عنها، فيضيف علامات وإشارات لا لغوية

⁽¹⁰²⁵⁾ طوق الحمامة/67.

⁽¹⁰²⁶⁾ مباحث لسانية في ظواهر قرآنية/186.

⁽¹⁰²⁷⁾ السيمياء والتأويل دراسة إجرائية في آليات التأويل وحدود مستوياته، د أحمد مدّاس، ط1، عالم الكتب الحديث/7.

⁽¹⁰²⁸⁾ ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/32. ونذكر هنا أنّ النص الذي نعالجه هو مختصر طوق الحمامة. ولذا لا يمكننا

اعتماد مخطوطة الناسخ لاستظهار الشكل الكتابي الذي اعتمده ابن حزم في نصه.

لترجمة كل انفعالٍ مصاحب للكلمة المنطوقة عند الكتابة⁽¹⁰²⁹⁾. وبما أننا لا نعثر في المخطوطات القديمة على علامات الترفيم، كالتي في أيامنا هذه، والتي يحاول الكتاب والشعراء من خلالها تعويض انفعالاتهم ومشاعرهم لحظة التدوين وما قبل لحظة التدوين، فإننا نجد في تلك المخطوطات علامات تمييزية مكملة لا تقل شأنًا وفاعلية عن علامة الترفيم في عصرنا الراهن، فكتابة بعض المفردات والتراكيب (كالعنوانات والمفردات الأساس) باللون الأحمر، أو تكبير حجم كتابتها من دون باقي التراكيب والمفردات - إنما هو تحديد للدلالات وتعيين لقصد الكاتب، كما أن غلبة السواد على البياض، في صفحات المخطوط، تقوم أيضاً بدور محوري بوصفها علامة مميزة يعيد من خلالها الكاتب ((تركيب العالم الفعلي الذي يريد نقله للقارئ))⁽¹⁰³⁰⁾.

ناهيك عن وسائل الاتساق النحوي والصوتي، ولاسيما الصوتي-كالسجع والجناس والازدواج- التي يُوفره ميل الكاتب الشديد إلى أسلوب التوازي، فهو أسلوب يعتمد فضلاً عن أدوات البديع هذه- على كثرة العطف واقتضاء الحذف- في الغالب الأعم- فهذه الوسائل تشجّع وتحفّز على القراءة الجهرية السريعة للنص، لعلّه يعوض بها عناصر النبر والتنغيم والإشارة في العالم الفعلي للاتصال. ومما يندرج تحت هذا لجوء الكاتب إلى استعمال الصيغ الحوارية التي تكشفها الجمل الدعائية وضمير المخاطب- ولاسيما حين يأتي هذا الضمير في سلسلة من الجمل المتوازية، أو حين يضبط إيقاع قطعة نصية مسجوعة به، فكل هذه العناصر تسهم في خلق عالم متخيل يمتاز بالمقبولية ويعوض قدر الإمكان الاتصال المباشر في العالم الفعلي⁽¹⁰³¹⁾.

ثمّ إننا نتعامل مع نصّ يدّعي صاحبه أنه رسالة إخوانية على ما يتضح في صدر الكتاب، وإذا كان ذلك، فإنّ هذا النص يعدّ معادلاً موضوعياً خلقه الكاتب، ليحلّ بديلاً للحديث الشفاهي الذي يصعب على كلا طرفي الاتصال ممارسته نتيجة دواعي الترحال المستمر إثر الفتن وسقوط البلدان في الأندلس. وإذا فإنّ الكاتب يحاول- دأباً- رسم صورة اجتهدية وناجحة لحوار متخيل بينه وبين شريكه في الاتصال⁽¹⁰³²⁾.

وقد عبّر ابن حزم عن هذه الحقيقة في قوله: ((ولعمري إن الكتاب [الرسالة] للسان في بعض الاحايين، إما لحصر في الإنسان وإما لحياء وإما لهيبة نعم، حتى إنّ لوصول الكتاب إلى المحبوب وعلم المحبّ أنّه وقع بيده ورآه للذة يجدها المحبّ عجيبة تقوم مقام الرؤية، وإنّ لردّ الجواب والنظر إليه سروراً يعدل اللقاء، ولهذا ما ترى العاشق يضع الكتاب على عينيه وقلبه ويعانقه⁽¹⁰³³⁾). فما على الكاتب-

(1029) السيمياء والتأويل، أحمد مداس/8.

(1030) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، محمد بنيس/103.

(1031) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/ 41-71.

(1032) ينظر: م.ن/42.

(1033) طرق الحمامة/79.

والحال هكذا- إلا تعويض ((المعينات الثانوية على الفهم والتواصل المباشر))⁽¹⁰³⁴⁾. وذلك بأن يعدّ كتابه بمعانٍ مخصوصة، ويساند جملةً وقضاياها بمتيمات الكلام المتمثلة بالعلامات التمييزية التي تكفل له ((حفظ العلامات اللغوية للكلام الشفهي))⁽¹⁰³⁵⁾.

ب. السياق اللاحق (سياق القراءة، أو سياق التأويل)

إن تسخير هذا السياق وتفعيله، يطيحان بالنموذج التقليدي لعملية الاتصال الذي يعدّ النص وسطاً موضوعياً يحمل رسائل المؤلف إلى القارئ، وكما يرى (جادامر) أنّ علاقة (المؤلف/ النص/ القارئ) تتحل إلى فئتين هما: علاقة (المؤلف/ النص) من جهة، وعلاقة (القارئ/ النص) من جهة أولى، فعلاقة المؤلف بالنص هي عملية إبداعية تتعلق بأسلوب إبداع النص ولكن ما أن يبدع النص أو العمل، حتى تنتهي علاقته بالمؤلف وتصبح له شخصيته المستقلة⁽¹⁰³⁶⁾. أو كما يقول (رولان بارت) ((يفقد الصوت أصله ويسير المؤلف نحو موته وتبدأ الكتابة))⁽¹⁰³⁷⁾. أي فما أن ينتهي المؤلف من نصّه، حتى يأخذ دوره وسلطته بالخفوت والتضاؤل والانحسار، فيفقد سيطرته على النص، بفضل ما يتركه النص من آثار ((وتغييرات اجتماعية وأيديولوجية))⁽¹⁰³⁸⁾. تقوم دليلاً ((على نجاحه وقبول القارئ له))⁽¹⁰³⁹⁾. ومن ثمّ قيام القارئ ببناؤه بناءً جديداً ((فالمعنى النصي لا يتطابق مع قصدية المؤلف، فالقصديات السيكلوجية للمؤلف تخصّه وحده، أمّا، القصديات الذهنية، فيجب النظر إليها باعتبارها جزءاً من خبرة القارئ))⁽¹⁰⁴⁰⁾. ولعلّ أجلّ مظاهر هذا السياق وإفرازاته في رسالة طوق الحمامة إقبال أحد الناسخين المؤدلجين إلى اختصارها. ((بعد حذف أكثر إشعارها وإبقاء العيون منها، تحسناً لها، وإظهاراً لمحاسنها، وتصغيراً لحجمها، وتسهيلاً لوجدان المعاني الغريبة من لفظها))⁽¹⁰⁴¹⁾. فضلاً عن وجود هدف أيديولوجي يمكن لمحّه في طريقة الاختصار سنكتشف عنه لاحقاً عند حديثنا عن (إشكالية التجنيس) في مبحث القصاص. إنّ إقبال النقاد والمهتمين على طوق الحمامة- قديماً وحديثاً- بالمدح أحياناً والقدح أحيان أخرى، والوقوف بين هذا وذاك، لدليل على سلطته- باعتباره نصاً يستوعب ما لا حدّ له من قراءات تعدّ

(1034) مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان/329.

(1035) السيمياء والتأويل، أحمد مذاس/8.

(1036) ينظر: جادامر مفهوم الوعي الجمالي في الهرمنيوطيقا الفلسفية، الدكتور ماهر عبد المحسن حسن، دار التقوير-

سوريا 2009م/6-7.

(1037) موت المؤلف، رولان بارت، ترجمة الدكتور محمود درويش، ضمن كتاب اتجاهات في النقد الأدبي الحديث، ط1، دار

المأمون للترجمة والنشر، بغداد 2990م/386. وينظر: المفكرة النقدية، د. بشرى صالح موسى، ط1، دار الشؤون الثقافية

العامة - بغداد 2008م/149.

(1038) نظرية علم النص، حسام فرج/42.

(1039) م. ن/43.

(1040) جادامر مفهوم الوعي الجمالي/7. وينظر: إشكاليات القراءة وآليات التأويل/18 وما بعدها.

(1041) طوق الحمامة، (ذيل الأصل) من وضع الناسخ/260.

امتداداً لوجوده النافذ، فهذه القراءات، بدورها، تكون بمثابة موجّهات قرائية ومحفّزات على فهم النص وإدراك كنهه واستيعابه. ومن هنا، فإننا لن نتوانى على جعلها من بين أهم الوسائل المؤدية إلى انسجامه. فالقراءات اللاحقة لأي نصٍ مهما كانت مثقلة بالتوجهات الأيديولوجية التي تترتب على بعضها تبني موقف الرفض تجاه النص المقروء، فإنها تعدّ امتداداً واستمراراً له، لأن ((آليات [الاستبعاد] و[الإقصاء] التي يمارسها خطاب ما ضدّ خطاب آخر، تعني حضور هذا الخطاب الآخر بدرجات بنوية متفاوتة في بنية الخطاب الأول))⁽¹⁰⁴²⁾، فمثلاً حين يقول ابن قيم الجوزية عن ابن حزم في كتاب روضة المحبين: ((وأما أبو محمد علي فإنه على قدر بيبه وقسوته في التمسك بالظاهر والغائه للمعاني والمناسبات والعلل الشرعية، إنماع في باب العشق والنظر وسماع الملاهي المحرّمة...))⁽¹⁰⁴³⁾ عندها يمكننا اتخاذ هذا الكلام صوئٍ نسترشد بها للكشف عمّا في طوق الحماسة من آثار مذهبية تحكمت بآبن حزم عند بناء نصّه، وهو بهذا يعدّ امتداداً واستمراراً لكتاب طوق الحماسة، نظراً لشدة تأثيره في المواقف الأيديولوجية التي ينطلق منها ابن القيم، فالسياق اللاحق، إذاً، ((يؤكد أنّ أي نص يدخل بعد كتابته- بمفاهيمه التي يعرضها الكاتب- حيّز السياق على اتساعه، فيشكّل بوجوده نصوصاً أخرى لاحقة له تمثّل امتداداً لمقولاته))⁽¹⁰⁴⁴⁾. وهذا مثلما ينطبق على كلام ابن القيم، ومن قبله على صنيع الناسخ الذي قام باختصار النص، فإنه كذلك ينطبق على طوق الحماسة الذي هو في الأساس ردّ على رسالة بعث بها أحد أصدقاء ابن حزم إليه، وينطبق- أيضاً- على كلّ ما في الطوق من ردود ومخالفات لآراء سابقه في الحب وشؤونيه. وبذلك يتكاتف السياق السابق واللاحق عند الكشف عن استمرار النصوص وامتدادها.

ج. سياق الموقف

وهو- كما سبقت الإشارة ممّا يشتمل عليه (السياق السابق) وهنا نحاول تقليصه لمعرفة أثره في انسجام النص إلى محورين هما (مجال الخطاب) و(أدوار الخطاب).

1. مجال الخطاب

تعدّدت مجالات الخطاب في طوق الحماسة على تعدّد موضوعاته، وعلى الوفرة الوافرة لأهداف صاحبه ونياته الظاهرة والخفية، التي اقتضت التوسع وعدم الاكتفاء بالقليل، ويبدو أنّ ما ينشط حالة التعدّد والتوسع فيه، إنما هو حالة التشعب والاضطراب التي عمّت بيئة الأندلس فأفرزت نمطاً من

⁽¹⁰⁴²⁾ النص والسلطة والحقيقة، نصر حامد أبو زيد/8.

⁽¹⁰⁴³⁾ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القيم الجوزي، اعتنى به مركز المنبر للبحث العلمي، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2006م/97.

ابن الجوزي، القاهرة، 2006م/97.

⁽¹⁰⁴⁴⁾ نظرية علم النص/42.

الأسلوب تسرّب إلى جميع مرافق الحياة، فألفت بظلالها على الواقع الثقافي على اختلاف مجالاته، ولكن ينبغي أن يجعل في الحسبان أن المستوى العلمي والثقافي الذي كانت عليه الأندلس، خلال عهد الطوائف، يختلف تمام الاختلاف عن الحالة السياسية والاجتماعية بكل ما فيها من ضعف واستكانة وتفرّق وتمزّق، فقد عدّت هذه الفترة من أسوأ ما مرّ على الأندلس والأندلسيين، ومن أكثر عهود التاريخ الأندلسي تعقيداً وتشابكاً واضطراباً، ففيها انفرط عقد البلاد وتقاسمته نحو ست وعشرين دولة تتفاوت فيما بينها في الحجم والقوة والضعف، حتى كان لكلّ مدينة تقريباً حاكمها المستقل متخذاً لقب الملك أو الأمير أو الوالي أو القاضي، تبعاً لحجم المنطقة أو المدينة التي يحكمها، وعلى الرغم من أنّ هذا العهد لا يتجاوز من حيث المدى الزمني ثلاثة أرباع القرن، إلا أنه أدى إلى تحولات مستمرة في مساره التاريخي يتراوح بين النشوء والسقوط وعدم الثبات، ولم يكن هذا التمزق سياسياً فحسب، بل كان تمزقاً اجتماعياً أيضاً، بمعنى أن العناصر المختلفة التي تألف منها المجتمع الأندلسي في عهود الازدهار قد عادت إلى الانفكاك⁽¹⁰⁴⁵⁾. ومع كل هذا وأمام حالة التمزق والتفرّق هذه، سمت نهضة فوق هذه الحالة وبرزت قوية وضاءة بحيث بقيت تلك الروح العلمية ماثلة في الأوساط، وأخذت استمرارها قدماً في النماء والعطاء، ولا أدلّ عليها من أن هذه الفترة شهدت بروز علماء أفذاذ وصلوا إلى القمة، وكذا شعراء وأدباء وكتاب امتاز عدّد منهم بصفة الموسوعية، كتبوا في عدة فنون وميادين معرفية، وإنتاجهم في ذلك يمتاز بالدقة والحصافة والعمق والأصالة، على مثال ما نتلمسه في (طوق الحمامة) من عمق فكري وغناء ثقافي وحس جمالي وفني، يبعث على إلغاء توقّع وقوف الروح العلمية والثقافية في سيرها أو تعويق نموّها، بل على العكس أسهمت في بناء حضارة الأندلس الوارفة، ودلّت على علو الحركة الثقافية ووفرة إنتاجها، على الرغم من سوء الأحوال السياسية والاجتماعية، وإن تكن حالة الانزواء والتفرّد والهرب من شراسة الواقع قد أصابت البعض، فإنها لا تلبث أن تتلاشى في خضم هذا الحراك الديني والإيديولوجي المحفّز سياسياً، بل وجدنا أن هذه النفوس المنزوية تثار حين تستثار، وتعثّر في ذلك الجو على ضالّتها وتجده جواً مناسباً ومؤهلاً وباعثاً على بعث نشاطها الإصلاحي والإبداعي⁽¹⁰⁴⁶⁾، تماماً كما فعل ابن حزم حين استطاع صاحبه ونجح في استئثار جموده وبعث نشاطه، وانتشاله من مرارة ما ترتّب على حالة التفكك التي أصابت البلاد. كتب ابن حزم مدونته أيام كان منفياً عن موطنه الأصل، إثر التحولات والاضطرابات السياسية الكبيرة التي توالى على الأندلسيين في هذا العهد المضطرب، فليس من شك أن تبرز فيها أجل إفرزات المنافي، من ألم وحنين وشغف، ذلك أنّ المنفى هو النافذة التي من خلالها يستعيد المرء ماضيه، ولاسيّما

(1045) ينظر: تاريخ المسلمين في الأندلس، د. محمد سهيل طقوش، ط2، دار النفاس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

2008م/327-428. كذلك ابن حزم، عصره ومنهجه التريوي/ 48 وما بعدها.

(1046) ينظر: دولة الطوائف، محمد عبد الله عنان، دار التراث، القاهرة مصر 1969م/424 وما بعدها. كذلك التاريخ

الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، تأليف د. عبد الرحمن علي الحجي، ط2، دار القلم - دمشق - سوريا

2008م/444 وما بعدها.

تكوينه المبكر، ويحاول، وهو يطلّ منها، استحضار وقائع مضى عليها الزمن، وهو يركّب تجارب حياته البسيطة بأسلوب فيه شغف متعاطف للماضي وللطفولة وللوطن الذي أصبح ذكرى⁽¹⁰⁴⁷⁾.

وإذا كانت- في زمننا الراهن- السيرة الذاتية والسيرة الروائية والرواية التي تستفيد من التجارب الذاتية للمؤلف هي المثال الأكثر وضوحاً لأدب المنفى⁽¹⁰⁴⁸⁾، فإن ابن حزم قد كرس طوق الحماسة وقدمه بوصفه إفرزاً وتمثيلاً لهذه التجربة المرة. وحقاً فإن الفرصة كانت سانحة لأداء طوق الحماسة هذا الدور، ولاسيما وهو يتصدى لموضوع إنساني قلق وإشكالي مثل (الحب)، يقول الدكتور طه حسين: ((إنّ الحب كان خطيراً في إسبانيا المسلمة أيام ابن حزم، وليس أدلّ على ذلك من أن هذا المحدث الفقيه المتكلم الفيلسوف المنفي من أرض وطنه، قد فرغ لكتابة رسالة فيه، وهو لم يفرغ لهذه الرسالة إلا لأنّ صديقاً من أصدقائه الفقهاء المحدثين المتأدبين قد طلب إليه أن يكتب هذه الرسالة؛ فلولا أن الأمر له شيء من خطر لما طلب هذا الفقيه المحدث الأديب إلى ابن حزم أن يتفرغ له ويكتب فيه، ولما أجاب ابن حزم إلى ما طلب إليه، وهو على جناح سفر أزعج عن وطنه واستقرّ في شاطبة، لينتقل منها إلى منفى آخر، ثم نحن نقرأ كتاب ابن حزم، فنرى أن الحب قد شغل ابن حزم في حياته كلّها، كما شغله الفقه والتفسير والحديث والكلام، ونقرأ كتاب ابن حزم فنرى أنّ الحب لم يشغله وحده، ولم يشغله مع صاحبه الذي طلب إليه تأليف الكتاب وحدهما، وإنما الظاهر أنه كان يشغل الناس جميعاً في إسبانيا المسلمة لعهد ابن حزم، ولعلّه كان يشغل المثقفين والمحتازين أكثر ممّا كان يشغل غيرهم من الناس))⁽¹⁰⁴⁹⁾. فموضوع الخطاب، إذاً، قضية إشكالية شغلت الأوساط بكل جوانبها، وأن صاحب الخطاب حين صادف رغبة صديقه في أن يكتب له كتاباً في الحبّ وأسبابه وأعراضه وما يترتّب على كل ذلك تحركت في داخله، هو الآخر، رغبة عارمة ((ليأهّب للموضوع ويمتلك ناصيته، ويرع في تحريره، فالذي لا ريب فيه أن مثل هذا الاقتراح صادف لديه هوى مكيناً، فحرك فيه السواكن وبعث مطوي الشجون، وأنساه عسر أحواله فكانه طارئاً مفاجئاً أحاله في اللاوعي على الماضي العزيز، يستروح بظله الظليل، ويستمتع بذكرياته السعيدة، لعله يستعيض بها عن واقعه المرير. البائس فيتناسى تلك الانتكاسة المريعة في وضعيته الاجتماعية التي جعلته طريد الفتن الأهلية غريب الحال، بعيد الدار))⁽¹⁰⁵⁰⁾. إلا أنّه لم يقف في صفحات كتابه عند ذاته فحسب وكيف له ذلك وهو يتناول موضوعاً عالمياً؟. وإنما كان يدعم مضامينه بتجاربه الشخصية والغريبة على السواء، فكان أن أعطانا صورة طريفة عن حياة الآخرين وتجاربههم، وانغمس في الهمّ الاجتماعي وتفاعل مع التحولات السياسية الخطيرة التي أركنته إلى هذه الغربة ولذلك عكس الكتاب ((مزجاً فريداً بين فقيه يفكر بعقله ويكتب بقلبه، فقيه لا يستطيع أن يتجرّد عن مفاهيم الشريعة الإسلامية وهو يكتب عن

(1047) ينظر: السرد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت/64-65.

(1048) ينظر: م. ن/6.

(1049) الألوآن، د. طه حسين، دار المعارف بمصر، 1985م/99.

(1050) طوق الحماسة بتحقيق صلاح الدين القاسمي، مقدمة المحقق/31.

النزعة العاطفية⁽¹⁰⁵¹⁾ ولا أن يتجرّد عن واقعيه وينزوي عنه، وهو يكتب في زمن عبوس مليء بالفتن والتكالب على السلطان، بل كان بحق أداة يعبر بها المجتمع الأندلسي عن حقيقته من خلالها. ليتضح أن العالم الذي رسمه لنا ابن حزم في الطوق، ما هو إلا تجسيد للواقع الأندلسي، ووثيقة تاريخية دامغة تصوّر معاناته وآلامه واضطراباته التي ظل ابن حزم أميناً في نقلها، ولا سيما وهو يستقي رؤياه من تجاربه الخاصة وتجاربه غيره في معترك الحياة ويندمج بروحه وعقله في هذا المحيط بكل أبعاده، يجد فيه ما يجده الآخرون من مأسٍ وآلام.

2. أدوار الخطاب

قلنا إن وجود متلقي لكل نصٍّ أمرٌ مفروغ منه فكل ما نكتبه - يقول امبرتو إيكو - نقوم به لنقول شيئاً ما لشخص ما، وعندها يكون للكتابة معنى، إننا نكتب لقارئ ومن يدعي أنه يكتب لنفسه فإنه كاذب، وبشكل مفرغ، ثم إن الكاتب، إذا لم يعرف كيف يتوجّه إلى قارئ مستقبلي، هو إنسان تعيس ويائس⁽¹⁰⁵²⁾. وعليه فإن قارئاً خارجياً يشكّل حضوراً طاغياً في كتاب طوق الحمامة، ذلك هو المعني أو المقصود الأول بالرسالة، أي صديق ابن حزم الذي كلّفه أن يصنّف له الكتاب، والذي يراعي ابن حزم في نصّه وجوده، على ما يتضح في صدر الرسالة وفي باقي أجزائها، وقد أشرنا سابقاً أن صاحبه هذا مؤدب وفقه ومحدّث وأديب⁽¹⁰⁵³⁾. وهذا بدوره يساعدنا على الكشف عن طبيعة المشاركين في هذا الخطاب والتي تنعكس حتماً في أسلوبه ولغته. فلأنه صديق ودود لابن حزم، فإن الخطاب قد عكس ((درجة القرب بين الأصدقاء))⁽¹⁰⁵⁴⁾ والحفاظ على مساحة الودّ بين الاثنين، وهذا ما يتضح في قوله مثلاً: ((.... فإن كتابك وردني من مدينة (المرية) إلى مسكني بحضرة (شاطبة)، تذكر من حسن حالك ما يسرّني، وحمدت الله (ﷻ) عليه، واستدتمته لك واستدته فيك، ثم لم ألبث أن أطلع عليّ شخصك وقصدتني بنفسك، على بعد الشقة وتناثي الديار وشحط المزار، وطول المسافة وغول الطريق، وفي دون هذا ما سلّى المشتاق ونسى الذاكر، إلا من تمسّك بحبل الوفاء مثلك....))⁽¹⁰⁵⁵⁾. ثم إن هذا المتلقي أديب وفقه، ولأنه كذلك - فإن الخطاب جاء منسجماً لكفاءته ومعرفته، لأن كل كاتب لابدّ فيه من معرفة ((الاستراتيجيات التي يقوم بها القراء في تعاملهم مع النص المكتوب))⁽¹⁰⁵⁶⁾ ولهذا خاطبه ابن حزم بلغة علمية تتناسب وسعة أفقه، فهو، إذاً، راعي المقام وأحسن توقّع استجابته وجدة تقبله، وهذا ما أشار إليه الجاحظ عند حديثه عن مطابقة الكلام

(1051) الأديب الأندلسي من فتح حتى سقوط غرناطة، منجد مصطفى بهجت / 163.

(1052) ينظر: آليات الكتابة السردية، امبرتو إيكو، ترجمة سعيد بنغراد، ط1، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2009م/ 122-123.

(1053) ينظر: الألوان لطفه حسين/ 99 وقد استشهدنا بتمامه في حديثنا عن (مجال الخطاب).

(1054) نظرية علم النص، حسام فرج/ 28.

(1055) طوق الحمامة/ 25-26.

(1056) نظرية علم النص/ 29.

لمقتضى الحال، إذ ينبغي على المتكلم الحرص على أن يكون كلامه مناسباً لطبقات المخاطبين، لأن مدار البلاغة ((على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم))⁽¹⁰⁵⁷⁾. على أن الخطاب، وإن توجّه بدءاً، إلى هذا الصديق، فإنه لا يلبث أن يتوجّه إلى الآخرين ((يروم إرضاء رغبات جمهور عريض))⁽¹⁰⁵⁸⁾. يشغله (الحب) ويستعلم شؤونه وأصوله ومعانيه وصفاته وأعراضه وأسلوبه وعندئذ تتغير طبيعة لغته، لأنه سرعان ما يأخذ الخطاب بعداً تعليمياً دينياً يركن الكاتب إلى مجموعة من القيم والثوابت التي يراها صحيحة، فيحاول، قدر المستطاع، إرغام جمهوره على تبنيها على وجه الطاعة والإذعان. فورود الأفعال الكلامية من قبيل (اعلم)⁽¹⁰⁵⁹⁾، ومن قبيل (ينبغي أن.....)⁽¹⁰⁶⁰⁾ (ويجب أن.....)⁽¹⁰⁶¹⁾.

وهي أفعال توجيهية تدعم الأمر بقوة انجازية كبيرة تترك للمستمع الحكم بقوة إلزامه بالفعل من خلال الملابسات⁽¹⁰⁶²⁾، نقول: إن ورود هذه الأفعال يفسّر لنا فرض المرسل سيطرته على المرسل إليه، كما ويفسّر لنا الحرص الدائم من المرسل ((على استحضار المخاطب استحضاراً مباشراً في النص))⁽¹⁰⁶³⁾. كما يكشف لنا النص عن وجود قارئ متخيل مثالي ((يطابق لفكرة المنتج على نمط الشخص الذي سوف يهتم بقراءة النص))⁽¹⁰⁶⁴⁾. ما يعني أن ابن حزم - حسب امبرتو ايكو - كان يفكر ((في قارئ ما أثناء الكتابة، تماماً كما هو حال الرسام الذي يفكر في المشاهد أثناء رسمه اللوحة، فبعد لحظة من لطخات الفرشاة يتراجع إلى الخلف خطوتين، أو ثلاث خطوات، ليدرس الواقع، إنّه ينظر إلى اللوحة كما يجب أن ينظر إليها مشاهد ما ضمن شروط إضاءة مناسبة ويتأملها وهي معلقة على الحائط))⁽¹⁰⁶⁵⁾.

وطبقاً لهذا فإن القارئ يكون عوناً للمنتج على إنتاج نصه، ووسيلة ناجحة في تعيين وتحديد الصيغة النصية المناسبة التي لا يستعصى فهمها وإدراكها عند القارئ الخارجي ((ومن هنا يكتسب الحديث عن القارئ الضمني المتخيل في بنية النص ذاته مشروعيتها، بمعنى أنّ فعل القراءة متحقق في بنية النص، بوصفه حدثاً أو واقعة، والقارئ في هذه الحالة هو (المتكلم/المرسل) الذي يداوم القراءة في حالة

(1057) البيان والتبيين 1/93.

(1058) آليات الكتابة السردية، امبرتو ايكو/52.

(1059) ينظر: طرق الحمامة/69 - 75 - 90.

(1060) ينظر: طرق الحمامة/79 - 92.

(1061) ينظر: طرق الحمامة/79 - 83.

(1062) ينظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد/299-300.

(1063) النص والسلطة والحقيقة، نصر حامد أبو زيد/111.

(1064) آليات الكتابة السردية، امبرتو ايكو/50 - 51.

(1065) م/ن/51.

(الإبداع/الإرسال) منتقلاً من دور المرسل إلى دور المتلقي بطريقة شبه دائرية لكن هذه تظل القراءة الأولى بكل آلياتها في تحقيق (نصية النص)، وهي قراءة ليست بريئة تماماً من جانب القارئ الأول- المبدع/المرسل- لأن القارئ الخارجي مستحضر دائماً في القلب من تلك القراءة الأولى⁽¹⁰⁶⁶⁾. إن اصطباغ طوق الحمامة بالنزعة التعليمية والدينية بحكم منزلة صاحبه الفقيه والأديب والكلامي....الخ، لتتسبب لحضور هذا القارئ المثالي في بنيتها، ذلك ((أن حضور القارئ المتخيل يكون حضوراً أشد بروزاً في النصوص المتوجهة صوب القارئ أساساً، وفي الصدارة من تلك النصوص الدينية، لأنه يغلب عليها... طابع التعليم والتوجيه. فالنصوص الدينية من هذه الزاوية رسائل موجهة تتدخل طبيعة المخاطب في تحديد آلياتها من جهة، وتتطلب، من جهة أخرى، فعالية المتلقي المخاطب الخاصة والمكتفة في فهم الرسالة واستيعابها، بل وتتطلب، إضافة إلى ذلك، تحقيق المطلوب على وجه الطاعة والإذعان⁽¹⁰⁶⁷⁾). إن نجاح عملية الاتصال مبني على وجود قدرة لدى المرسل على التحري والاستسناخ لأهداف الآخرين انطلاقاً مما يقولونه، وبالمثل مبني على تحلي (المرسل إليه) بالقدرة على توقع استجابات المستقبلين، لأن هذا هو السبيل الانجح لتحقيق النص مقبوليته⁽¹⁰⁶⁸⁾. فحين يقول ابن حزم: ((هنا - أعزك الله - انتهى ما تذكرته إيجاباً لك، وتقنناً [أي تحزناً وتوخياً] لمسرتك، ووقفاً عند أمرك...))⁽¹⁰⁶⁹⁾ أو حين يقول: ((وسأورد في رسالتي هذه إشعاراً قللتها فيما شاهدته، فلا تنكر أنت- ومن رآها- علي أني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه...))⁽¹⁰⁷⁰⁾ أو حين يقول: ((وأنا أعلم أنه سينكر بعض المتعصبين علي تأليفي لمثل هذا ويقول: إنه خالف طريقة وتجاوى عن وجهته وما أحل لأحد أن يظن في غير ما قصدته...))⁽¹⁰⁷¹⁾ حينئذ ينبغي أن يفهم هذا الكلام من زاوية تسلط القارئ على إنتاج النص، كما ينبغي أن يفهم، أيضاً، أن القارئ الذي تصوّره ابن حزم ليس له حظوظ كبيرة في أن يتجسّد في جمهور عريض، لأنه ببساطة كان يبحث عن قارئ مختلف يسقطه على نصّ مختلف هو الآخر، ولم تستوفقه كثيراً رغبة الجمهور، وإنما كان ينبغي أن يكشف لقارئه ما يجب عليه أن يرغب فيه حتى وإن كان الجمهور لا يعرف ذلك⁽¹⁰⁷²⁾. ومن هنا فإنه لم يبال أكان ما تناوله موافقاً للرغبة الجمعية أم مخالفاً وخارجاً عنها، وإنما أثر الاستقلالية- كدأبه- عن كل ما هو نمطي ((واتخذ الصراحة والوضوح منهجاً في إبداء رأيه))⁽¹⁰⁷³⁾

(1066) النص والسلطة والحقيقة، نصر حامد أبو زيد/110.

(1067) النص والسلطة والحقيقة، نصر حامد أبو زيد/111.

(1068) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/54.

(1069) طوق الحمامة/257.

(1070) طوق الحمامة/28.

(1071) طوق الحمامة/258.

(1072) ينظر: آليات الكتابة السردية/52 - 53.

(1073) طوق الحمامة، بتحقيق صلاح الدين القاسمي، مقدمة المحقق/24.

مقتصرًا على ما يراه صحيحاً- في نظره هو- لطالما أنه ليس ((من السينات والفواش التي يتوقع عليها العذاب وعلى كل حال فليس من الكبائر التي ورد النص فيها))⁽¹⁰⁷⁴⁾ فحسبه رضا الله ورسوله. ولهذا يقول⁽¹⁰⁷⁵⁾:

فلست أبالي في الهوى قول لائم - الطويل-

سواء لعمري جاهز أو مخافت
فالذي يبينه لنا (أدوار الخطاب) ويؤكدُه ((أنَّ القارئ مشارك في عملية الإبداع، كما يؤكد أن القصيدة والمقبولية تتمان في آن واحد))⁽¹⁰⁷⁶⁾ فالنص، من جهة، يكشف لنا عن وجود متلقي خارجي متأهب لاستقباله بمقبولية يُتيحها مجموع مزاياه الاتساقية والانسجامية والإعلامية والموقفية، ومن جهة أخرى يكشف لنا عن وجود متلقي مثالي في ذهن المبدع أثناء عملية الخلق يملي عليه سبل الوصول إلى أهدافه ومراميهِ، ذلك أننا ((إذا سلمنا بأن عملية الخلق تتضمن في واحدة من أهم مراحلها عملية نقدية من الداخل))⁽¹⁰⁷⁷⁾ فإن ذلك عائد حتماً إلى تأثير هذا المتلقي المثالي المشارك في الإبداع.

ج. السياق الثقافي

بعد أن أرجأنا الكلام عن مفهوم (نوع الخطاب) إلى حيث يأتي الكلام عليه في مبحث التناس، سنتوقف هنا على مفهومي (طبيعة لغة الخطاب) و(معجم الكاتب).

أ. طبيعة لغة الخطاب

نبدأ هنا بأول ثنائية من بين تلك الثنائيات التي تتميز بها لغة الخطاب من منطلقها الأدائي، وهي ثنائية (رسمية/غير رسمية) لنقول مباشرة أن طوق الحمامة تحركت فيه اللغة تحركاً نشيطاً حرّاً، إذ توافرت لغتها على درجة كبيرة من الحرية لفك إسار القيود الرسمية عليها. وإذا كانت طرائق المخاطبة تختلف ((في درجة رسميتها، أي في حجم المسافة الاجتماعية بين طرفي عملية المخاطبة))⁽¹⁰⁷⁸⁾ فإن ابن حزم تجاوز تلك القيود وحافظ على مسافة الود ومشاعر الحب والصداقة بينه وبين صديقه⁽¹⁰⁷⁹⁾ فهو لا ينفك

⁽¹⁰⁷⁴⁾ طرق الحمامة /258.

⁽¹⁰⁷⁵⁾ ديوانه/ 43، وينظر: طرق الحمامة /84.

⁽¹⁰⁷⁶⁾ نظرية علم النص، حسام فرج/52.

⁽¹⁰⁷⁷⁾ الشاعر ناقدًا، خيرى منصور، مجلة الأعلام الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، ع(12) س(14) أيلول 1979م

103/

⁽¹⁰⁷⁸⁾ معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السميوطيقا)، تأليف دانيال تشاندلر، ترجمة وتقديم د. شاكِر عبد

الحميد، مراجعة د. نهاد صليحة، تصدير د. فوزي فهمي، ط1، أكاديمية الفنون وحدة الإصدارات (دراسات نقدية)

مصر، 2000م/71.

⁽¹⁰⁷⁹⁾ ينظر: طرق الحمامة/ 26 - 27 - 28.

يختار ((الأساليب (Modes) الحميمية الشخصية في المخاطبة))⁽¹⁰⁸⁰⁾ وهذا عائد إلى طبيعة النص غير الرسمية وطبيعة المشاركين فيه، ولعل الميزة الرسمية الوحيدة فيه حين يأتي الخطاب إلى ذكر الخلفاء الأمويين وأمرائهم⁽¹⁰⁸¹⁾، فعندها نستشف من الخطاب نوعاً من الامتثالية ولوناً من الرسمية في تلك الجزئيات البسيطة من النص، التي تذكرنا ببنية الرسائل الديوانية، إذ يُعدّ الولاء والدعاء للخلفاء والتأديب في التعبير باختيار الناص البدائل الأسلوبية المناسبة، جزءاً مهماً في بنية تلك المكاتبات الرسمية⁽¹⁰⁸²⁾. ومن دلائل عدم رسمية الخطاب، أيضاً، أنه يأبى إلا أن يتقلّت من إसार النمطية ويشيح بوجهه عن سبل الامتثال بالقيود الشكلية في بنيته الكلية - كما سيتضح بعد في موضوع التناص - بحيث لا تتوفّر هذه البنية على أوجه تشابه يمكن الركون إليها لإثبات نمطيته، وذلك حين تقارن ببنيات نصوص أخرى اتخذت قوالب معينة وانحسرت مضامينها بموضوعات تفرضها عليها طبيعتها الرسمية والنمطية. أما ثنائية (المنطوق/المكتوب) فقد وقفنا على شيء يسير منها عند استجلائنا الخواص الشفاهية والكتابية في النص في موضوع الاتساق الصوتي والسياق المصاحب.

فبكل ذلك تؤكد الدراسة على استشراف السمات الشفاهية في هذه المدونة، وذلك بالاستناد إلى أنّ الأصل الشفاهي في اللغة سمة لاصقة بها، ولن تقوى الكتابية على زحزحتها مهما بلغت من الشيع وأوتيت من قوة، وعليه فإن النصوص الكتابية - ولا سيما القديمة - تظل مشدودة إلى موطن لغتها الأصل وطبيعتها التقريرية الأولى، وتظلّ حاملة خصائص النوعين: الكتابية والشفاهية⁽¹⁰⁸³⁾. وهذا بدوره ما انسحب وانطبق تمام الانطباق على الطوق. كما قد سجّلت ثنائية (الديالوج/المونولوج) (= الحوار مع الذات/الحوار مع الآخر) أيضاً حضورها وفرضت وجودها الفعال في النص. فالطوق مثلما عبّر عن حواريته مع جميع الأطراف المشاركة في الخطاب: (صديق ابن حزم وجمهورية وكل من يستعلم عن شؤون الحب) فضلاً عن تقانة الحوار الدائرة بين الشخصيات القصصية في مقاطع النص السردية، فإنه احتوى أيضاً في أجزاء يسيرة منه حواراً تديره ذات واحدة، وذلك مثل⁽¹⁰⁸⁴⁾:

- الطويل -

يلوم رجالاً فيك لم يعرفوا الهوى

وسيانٌ عندي فيك لاجٍ وساكنٌ

⁽¹⁰⁸⁰⁾ معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات/71.

⁽¹⁰⁸¹⁾ ينظر: طوق الحمامة/33 - 70 - 71.

⁽¹⁰⁸²⁾ ينظر: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، أنيس المقدسي/219 كذلك النثر الأندلسي في عصر الطوائف

والمرابطين، حازم عبد الله خضر/209.

⁽¹⁰⁸³⁾ ينظر: الشفاهية والكتابية/43 - 44.

⁽¹⁰⁸⁴⁾ ديوانه/42، وينظر: طوق الحمامة/84.

فقد اعتمد تقانة الحوار الداخلي التي ((لا توجب وجود محاور ثانٍ؛ لأنه وبكل بساطة حوار دائري))⁽¹⁰⁸⁵⁾ عقده ابن حزم مع ذاته، قبل أن ينتقل في الأبيات التالية إلى اتخاذ تقانة الحوار الخارجي بينه وبين اللاتمين. فنلاحظ أنه استعمل ((ضميري المخاطب والمتكلم المفردين المحيلين إلى ذات واحدة))⁽¹⁰⁸⁶⁾ ولعل هذا الاستعمال هو نقطة الافتراق والتمايز بين الحوار الداخلي والحوار الخارجي. ومن أمثلته أيضاً⁽¹⁰⁸⁷⁾:

- البسيط -

ياليت شعري من كانت وكيف سرت

أطلعة الشمس كانت أم هي القمر

أظنّ العفـل أبداه تدبره

أو صورة الروح أبدتها لي الفكر

بيد أن مفهوم (الحوار مع الذات) يأخذ في الدراسات الثقافية والأدبية، مساراً موسعاً يدل به على ما يفوق المفهوم السردى المقنن، إذ ينصرف إلى المعالجات الذاتية الخاصة بالمبدع في صياغة المواقف والمضامين انعكاساً ((عن حالة شعورية خاصة))⁽¹⁰⁸⁸⁾ تتيج له أن يهيئ لنفسه سياقاً ينقّس فيه عن مكنونه الذاتي. وعليه فإن حضور الذات الفردية وبروزها الشاخص، بكل تناقضاتها الداخلية وبحسراتها ومسراتها، ورهافة حسها بالواقع وحرارته، قد أدى إلى وجود الحوار الذاتي على مساحات نصية واسعة تلوذ بها الذات المبدعة حين يشتد إحساسها بحالة التمزق التي منيت بها بلاد الأندلس، وعندئذ تأتي صياغة المواقف في قوالب غنائية منعكسة عن الواقع الأندلسي المليء بالاضطرابات السياسية والاجتماعية المؤلمة ((ولا مناص من أن تترك كل هذه الأحداث والاضطرابات السياسية والاجتماعية آثارها البليغة، ومظاهرها الأليمة في نفسية ابن حزم الشاب اليافع الطموح المرفه الحس الجاد الطبع السريع الانفعال، فاصطدم فكره الغض وقلبه المطمئن، وروحه الوديع بويلات الحروب ودنّيات الأخلاق الرذيلة))⁽¹⁰⁸⁹⁾ ومن ثم ظهرت آثارها في طوق الحمامة، ولاسيما في معالجاته الشعرية المطروحة في سياقات خاصة تتيحها محاولات فرض الذات وتفخيمها بحيث تأتي هذه المعالجات مثلاً ((للعناية

(1085) أساطير العراق القديم البابلية والسومرية (دراسة في تشكيلها السردى)، د. سوسن البياتي، ط1، دار الحوار، اللاذقية - سوريا، 2010م/203.

(1086) معجم السرديات/432.

(1087) ديوانه/ 71، وينظر: طوق الحمامة/56.

(1088) نظرية علم النص، حسام فرج/33، وينظر في هذا الشأن: الاشتراكية والأدب، لويس عوض، ط1، منشورات دار

الأداب، بيروت، 1963م/192 - 193.

(1089) طوق الحمامة بتحقيق صلاح الدين القاسمي، مقدمة المحقق/16-17.

بالجمال الشكلي الذي لا يتضمن حقيقة تعليمية أو غاية أخلاقية⁽¹⁰⁹⁰⁾، وإنما ((يقوم على أساس من الفكر الجمالي الحر.... ذلك الجمال الذي يكون في الشكل ولا يستهدف غاية سوى المتعة الجمالية))⁽¹⁰⁹¹⁾ وربما كان الهدف من وراء هذا النزوع الجمالي وسيلة تشغل ابن حزم عن مرارة واقعه، وتنشله من مآسي المنفى وآلامه التي كان يقاسي آثارها على مضض، وعلى أيّ فقد حقق الحوار الذاتي- بكلا مفهوميه- وجوده في قلب هذه المدونة الحوارية، بل الطافحة بالحوار، وبالمعنى الواسع للحوار⁽¹⁰⁹²⁾. الذي يحيل على الحوار مع الآخر، وحوار الأنواع الأدبية وحوار الثقافات، وأدناه حوار طرفي الاتصال (المرسل/ المرسل إليه) أو حوار الشخصيات القصصية فيما بينها.

ب. معجم الكاتب وأسلوبه

تقرب لغة ابن حزم في الطوق- وفي جميع مؤلفاته- من لغة التخاطب، وكأنك به ماثلاً أمامك ويلقيه على أسماعك، فقد غلبت على لغته السهولة والشفافية على الرغم من أنه يشتغل على أفكار فلسفية وعقلية- في الغالب الأعم- لا تلين بسهولة إلا أنه بأسلوبه السهل الممتنع وثقافته المنهجية استطاع أن يوفق في إيصالها إلى من يشاركه الخطاب، بحيث يفهمها كل من يقرأ النص أو يسمعه، دون أن يحتاج إلى شرح أو تعليق أو تتبّع معنى لفظة من الألفاظ، فهذا الطابع من السهولة والوضوح. أنسم طوق الحمامة⁽¹⁰⁹³⁾ وانقاد لمقتضيات الواقع الثقافي والاجتماعي، فقد تأثر ابن حزم تأثراً واضحاً بعصره والمذاهب الأدبية والفنية السائدة فيه، إذ نألفه لم يمل إلى التعقيد والتصنع، ولعل هذه سمة النثر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف ((فإن حياتهم التي كانت تقوم على الفتن من جهة وعلى الحروب مع المسيحيين من جهة أخرى لم تتح لهم الفرصة للتأني والتمهل؛ فلم يطبع أدبهم بطابع التعقيد وإن كان ذلك يظهر فيه من حين إلى آخر))⁽¹⁰⁹⁴⁾ وقد ضمن ابن حزم نصه الكلام عن هذه الحقيقة القائمة على انعكاس الواقع الخارجي سلباً على الأدب، إذ يقول: ((... وإن حفظ شيء، وبقاء رسم وتذكر فانت لمثل خاطري، لعجب على ما مضى ودهمني، فأنت تعلم أن ذهني متقلب وبالي مهضّر بما نحن فيه من نبوّ الديار...))⁽¹⁰⁹⁵⁾ لولا أن ذلك لم يثنه عن الجدة والحصافة في عرض المفاهيم في النص وبنائه بناءً متسقاً، وأنى يكون ذلك، وهو على هذه السعة من العلم وهذه الدرجة من الثقافة؛ مع إيماننا بأن هذا الواقع قد شكّل عائناً

(1090) الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، د. عز الدين إسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق

1986م/396.

(1091) م. ن/397.

(1092) ينظر: الاشتراكية والأدب، لويس عوض/ 193.

(1093) ينظر: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، محمد مصطفى بهجت/ 166. كذلك النثر الأندلسي في

عصر الطوائف والمرابطين، حازم عبد الله/ 450.

(1094) الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، ط6، دار المعارف بمصر، د. ت/326.

(1095) طوق الحمامة/ 259.

كبيراً أمام أفكار ومضامين ما كان لها أن تغيب عن النص، لو توافرت بينة ابن حزم على المزيد من الاستقرار وسبل الاطمئنان التي انعدمت أو كادت في الواقع الأنلسي الفارض حضوره في طوق الحمامة، والمتحكم في ملامحه البنائية، ولاسيما الملمح اللغوي والأسلوبي، فقد توارد في النص فيض من الألفاظ ذات الأبعاد العاطفية والشعورية المؤلمة تعانقت مع ألفاظ وعبارات ثيمة (الحب) المشحونة هي الأخرى بدواعي الألم والوجع والحسرة، ومن ثم تفاعلت مع إفراسات مجال الخطاب المتمثل ((بشكل أساس بإظهار المودة والشكوى من بعد الصديق أو العتاب البسيط أو المدح والشكر))⁽¹⁰⁹⁶⁾ وهذا ما نتلمسه ونراه عياناً عند قراءة مقدمة النص. أو غيرها من أجزائه ومقاطع وفقراته، مما تعج بألفاظ الحب والمودة والصدقة من جهة، وبألفاظ الألم والشكوى والتلهف والاشتياق من جهة أخرى، والنص بكل هذا يوحي بمدى تواشع غنائيته والتحامها بالهم الجماعي، وبمدى توافر صاحبه على الحس (الالتزامي) وبحماسة شديدة. كما وقد أفصحت لغة الخطاب وأسلوبه عن حالة المتلقي المعرفية والثقافية، وكذلك الطبقية، ومن ثم عن طبيعة العلاقة بين طرفي الاتصال، فالمصطلحات الفقهاءية⁽¹⁰⁹⁷⁾ والنحوية⁽¹⁰⁹⁸⁾ والفلسفية⁽¹⁰⁹⁹⁾ والكلامية⁽¹¹⁰⁰⁾ وكذلك موضوعاتها في الخطاب تبين لنا أن من يتحدث إليه ابن حزم مجيش بثقافة علمية- إن لم تكن موسوعية- هائلة، ولهذا وقع إختياره على هذه البدائل (الاصطلاحية والعلمية) المألوفة والمتوقعة لدى شريكه في الاتصال، وهذا مبنئ على أنه استطلع طاقة متلقيه الاستيعابية وراعى معرفته الخفية ومعتقداته وتطلعاته، مطمئناً إلى أنه سيكون لما يكتبه معنى، وفقاً لخبرة هذا القارئ بمضامين هذه البدائل⁽¹¹⁰¹⁾. وإلا فإن تسلل لغة العلوم إلى دائرة الموضوعات العاطفية والوجدانية (وهي السمة الغالبة على الخطاب) سيكون سبباً إلى إعاقة الوصول إلى الهدف المشترك بين الطرفين، بل ربما أدى إلى الإخفاق في ظل وجود طرف ذي حظ ضئيل من الثقافة فـ ((قبيح بالمتكلم أن يفتر إلى ألفاظ المتكلمين في خطبة أو رسالة أو في مخاطبة (العوام) والتجار أو في مخاطبة أهله وعبدته وأمتيه، أو في حديثه، إذا تحدث، أو خبره إذا أخبر....))⁽¹¹⁰²⁾ فمما لا بد منه في كل مقام اتصالي ((أن تكون إسهامات المشتركين مترابطة وتبادلية الاعتماد))⁽¹¹⁰³⁾. أما طبيعة العلاقة بين المشاركين، فإن سبيلنا إلى معرفته أن نقف في

(1096) نظرية علم النص/ 50.

(1097) طوق الحمامة/ 79-85.

(1098) طوق الحمامة/ 43-130.

(1099) طوق الحمامة/ 56-86.

(1100) طوق الحمامة/ 40-124.

(1101) التداولية، تأليف جورج يول، 128.

(1102) الحيوان للجاحظ، 3/368.

(1103) التداولية، جورج يول/ 150.

الطرق على مثالين من الأفعال الكلامية، كي تعطينا أوصافاً أكثر تحديداً عن حقيقة هذه العلاقة وطبيعتها. يقول ابن حزم:

1. ((فلا تتكر أنت- ومن رآها- عليّ أني سألك مسلك حاكمي الحديث عن نفسه))⁽¹¹⁰⁴⁾.
2. ((خافض الفرصة واعلم أنّها كمضي البرق تمضي القرص))⁽¹¹⁰⁵⁾.

تندرج هذه الأفعال ضمن (الموجهات = directives) التي يستعملها المتكلم لجعل شخصاً آخر يقوم بشيء ما وهي تعبير عما يريد المتكلم، وما يحاوله من جعل العالم ملائماً للكلمات عبر المستمع⁽¹¹⁰⁶⁾. وهي أيضاً أفعال مباشرة (Direct Speech Act) أي أن العلاقة فيها بين البنية والوظيفة علاقة مباشرة تعني الإلزام⁽¹¹⁰⁷⁾ فالمخاطب المعني في المثال رقم (1) هو صديق ابن حزم الذي يلزمه ألا يسيء فهمه أو ينكر عليه معالجاته الشعرية المثيرة للجدل في الوسط الاجتماعي والثقافي. ثم يجري فعل التوجيه على كلّ من اطلع على الخطاب، ولذا فقد اقتضى العطف على الضمير المستتر توكيده بالضمير المتصل (أنت). ولكن هل يعني أن ابن حزم ساوٍ بين مرتبة صديقه هذا وبين مرتبة جمهور القراء، أو أنه تقصّد ذلك إظهاراً لعلو مرتبته ومكانته هو، إذ إن الفعل اللغوي المباشر يدلّ على أنّ المتحدث يشغل مكانة ومرتبة أعلى مما عليه المخاطب⁽¹¹⁰⁸⁾؟، إن قراءة سريعة في القطعة النصية التي تحمل هذا الفعل التوجيهي تكشف لنا خلوها من النغمة الاستعلائية في أسلوبها، وإنما تكشف عن ميول جامحة، وعن حميمية طافحة تجاه هذا الصديق، وإلا فإنّ هذا التعالي ومحاولة فرض الذات وتضخيمها لمرسار على القارئ المستعلم، بحكم طبيعة العلاقة بين العالم والمستعلم؛ فإنه محال أن يسري على صديقه الذي تربطه به علاقة غليظة ملؤها الشوق والمودة والإخاء، فالفعل اللغوي المباشر إنما هو من لوازم هذه العلاقة وعمقها وحميميتها المتغلغلة في الخطاب والمنعكسة على لغته وأسلوبه، وما يقتضيان من رفع التكاليف وتلاشي الاعتبارات الرسمية في عملية التفاعل، بخلاف ما نتلمسه في المثال (2) من نغمة استعلائية يتيحها فرض الذات الناصحة والمرشدة وتعاليتها؛ طبقاً لطبيعة العلاقة التي تجمع الناصح بالمنصوح والمرشد بالمسترشد والعالم بالمتعلم أو المستعلم، ولا سيما حين يكون العالم ممن يشار إليه بالبنان، بفضل شهرته وثقافته التي يقيم لهما المجتمع مكانة سامقة واحتراماً كبيراً يليق بفرادة شخصه ومزاياه. وفي ضوء ما تقدم نلتزم أن طبيعة العلاقة بين ابن حزم وصاحبه لم تكن صداقة مبنية على مقتضيات الأعراف الاجتماعية السائدة التي توجب التهذيب والتلطّف في الأداء، فلغة الخطاب- كما يقول

⁽¹¹⁰⁴⁾ طوق الحمامة/28.

⁽¹¹⁰⁵⁾ ديوانه/ 94، وينظر: طوق الحمامة/98.

⁽¹¹⁰⁶⁾ ينظر: التداولية، جورج يول/90.

⁽¹¹⁰⁷⁾ ينظر: م. ن/92.

⁽¹¹⁰⁸⁾ ينظر: م. ن/97.

(جورج يول): ((افتترضت بطبيعة الحال أن الصداقة الحميمية كانت حقيقية وليست عرفية))⁽¹¹⁰⁹⁾. وبالمقابل افتترضت لغة الخطاب وبعثت على وجود نبرة استعلائية بين الحين والآخر تفرزها الأعراف الثقافية السائدة التي ترتقي بالعلماء إلى مصاف الأبروين، أو ما يفوق ذلك، ما يقضي أن تكون عملية التفاعل بينهما- مهما كانت قناة الاتصال- مبنية على أساس علو مكانة العالم في مقابل دنو مكانة المتعلم، فذلك أدنى ضرورات الوفاء لحق الشيخ أو العالم أو المؤدب في أبوته الدينية، أو ما يسمى عند بعضهم بالرضاع الأدبي الذي يوجب حرمة وتوقيره وإجلاله⁽¹¹¹⁰⁾. هذا، ولئن كانت ضروب اللغة المختلفة التي يستخدمها الخطاب- وبالتحديد الشعائرية والرسمية وغير الرسمية والعرضية والحميمية- بوصفها وسائل تشخيصية لوسم العلاقات الاجتماعية وأيضاً لوسم العلاقات الثقافية- فإن لغة الطوق وأسلوبه أدّى إلى تشخيص طبيعة العلاقة بين (المرسل) وبين المعني الأول بالخطاب أي صديق ابن حزم، وكذلك بين (المرسل) وبين (الجمهور المفترض)⁽¹¹¹¹⁾. الذي يخاطبه ويسعى إلى إقناعه، ولكن ينبغي أن ندخل في الحساب أن أسلوب اللغة الرفيع في الطوق من جهة، والسهل الممتنع من جهة أخرى، هو دون أدنى شك من مستوى الطبقات الاجتماعية الوسطى فما فوق، أي لابد لقارئ الطوق من نصيب في الثقافة، وإن كنا لا نعدم الصياغات البسطة جداً بين الحين والآخر، ولا سيما في مواطن النصيح والإرشاد. ولعل ذلك سبيل إلى انسجامه ومواءمته مع طاقة الشباب والمراهقين الاستيعابية، هذا فيما يتعلّق بالمفردات والبنى القواعدية أما عمّا تتضمنه هذه البنى من أفكار مثيرة للجدل الحاد في ذلك المجتمع الكلاسيكي؛ فإنها متوجهة إلى قارئ مختلف أو أن ابن حزم يسعى إلى أن يجعله كذلك- وليست متوجهة إلى قارئ مؤتلف، لا يقيم وزناً لغير ما ينسجم مع التزاماته مهما كان نوعه وطبيعته.

3. السياق الخاص

تقتضي طبيعة بعض الأجزاء النصية في طوق الحمامة- بحكم معالجتها موضوعات واقعية أو علمية- أن ينفّذ ابن حزم إلى طرح المفاهيم طرحاً تقريرياً شفافاً ينطوي بشكل صريح على خفوت السياق الخاص، ومن ثمّ انعدام درجة التوسط فيها، مثال ذلك: ((وكثيراً ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة، وهو ينقسم قسمين فالقسم الواحد مخالف للذي قبل هذا، وهو أن يعشق المرء صورة لا يعلم من هي ولا يدري لها اسماً ولا مستقراً وقد عرض هذا لغير واحد))⁽¹¹¹²⁾.

(1109) التداولية: جورج يول/159.

(1110) ينظر: شرح حلية طالب العلم، العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، خرج أحاديثه محمد عبد الحميد عبد الستار، ط1، دار ابن حزم، القاهرة، 2009م/35.

(1111) ينظر: دور السياق في الترجمة، تأليف يوجين نايدا، ترجمة محي الدين حميدي، ط1، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2009م/72.

(1112) طوق الحمامة/61.

إذ تتسم هذه القطعة - ومثيلاتها - باقتصارها على رصد الموقف، وهذا يرتبط بطبيعة الموضوع الذي يتطلب طرحه المزيد من التقريرية من جهة، وبرغبة الكاتب في إعادة توضيح الموقف للطرف الآخر بأشد الوسائل سهولة من جهة أخرى، فهذه القطعة، إذاً، ينعدم فيها السياق الخاص، ومن ثمّ اظهر هبوطاً وتراجعاً ملحوظاً في درجة توسط المؤلف في صياغتها المبيّنة على الطرح التقريري الذي يبيّن لنا لجوء الكاتب إلى الوصف الشفاف والتقسيم المنطقي، فجاءت خالية من الأساليب الفنية والجمالية ووسائلها المتاحة في السياقات الخاصة. بخلاف ما نجد في قوله في الباب ذاته: ((فر الله لقد لازمت باب العطارين والريض من ذلك الوقت إلى الآن فما وقعت لها على خبر ولا أدري أسماء لحستها أم أرض بلعتها، وإن في قلبي منها لأحرّ من الجمر...))⁽¹¹¹³⁾. يقع هذا المقطع ضمن قصة يوسف بن هارون الرمادي والجارية التي علقها، فنجد أنّ قوله (فما وقعت لها على خبر) يفي بالغرض ويرصد الموقف تمام الوفاء، لولا أن الناص أثر أن يصوغ الموقف صياغة خاصة تبعث على تضخيم حالة الفقد، ومن ثمّ تضخيم الحالة التي أحسها بطل القصة (الرمادي)، الأمر الذي ألجأه إلى تسخير قدرته وإبراز ذاته على التعبير الفني الجمالي عبر الاستعارة المكنية التي تفهم من مضمونها كناية عن صفة (الفقدان)، يدعمها في ذلك بفنّ السجع، وذلك في قوله (أسماء لحستها أم أرض بلعتها) وأيضاً عبر الكناية عن صفة (اللهفة والمعاناة التي اعترت بطل القصة إثر افتقاده المحبوب) حين قال (في قلبي منها لأحرّ من الجمر) فالصياغة الخاصة، هنا، تنهض على تضخيم الفكرة وتعميقها وتثبيتها في عقل القارئ، فهي من هنا أخذت مساراً ذاتياً من جهة ومساراً غيرياً من جهة ثانية، فقد اصطبغت صياغته الذاتية بصبغة حاجية غايتها التثبيت والتأثير، ما أدى إلى انخفاض ملحوظ في درجة توسط الكاتب، وحقاً فإن التدخل الذاتي في هذه الصياغة تعدّ غاية في التواضع إذا ما قيس بدرجة التوسط في بعض المقطعات والأبيات الشعرية التي وجدّ فيها الكاتب مكاناً ناجحاً لإظهار ذاته، وإشباع رغبته في الصوغ الفني الجمالي، بما يكشف عن مدى براعته في الابتكار والتوليد، حتى وإن كانت صياغته لا تكشف عن أي إحساس عاطفي إزاء الموضوع المصاغ، ولا عن أي غاية سوى إشباع الرغبة بالجمال الشكلي عبر المعالجة البارة التي توفر للنص تصاعداً ملحوظاً في درجة (توسط المؤلف) تماماً كما نجد في هذه الأبيات⁽¹¹¹⁴⁾:

- الطويل -

خلوت بــــــــــــها والراحُ ثالثةٌ لنا

وجنح ظلام الليل مــــذ مــــذ ما انبلج

فتاةٌ عدمت العيش إلا بقربها

فهل في ابتغاء العيش ويحك من حرج

⁽¹¹¹³⁾ طرق الحمامة / 62.

⁽¹¹¹⁴⁾ ديوانه / 46، وينظر: طرق الحمامة / 49.

كانني وهي والكأس والخمر والدجا ثرى وحيا والـدُر والتبر والسنج

فالآليات جاءت في سياق انحراف الخطاب عن موضوعه، وكان بالناس هنا في مقام المباراة مع الشعراء، فقد هيا لنفسه سياقاً خاصاً أتاح له إظهار براعته فيما هو ((مستغرب في الشعر))⁽¹¹¹⁵⁾ إذ وقع له ((تشبيه خمسة أشياء في بيت واحد))⁽¹¹¹⁶⁾ وهو أقصى ما يقدر عليه الشعراء في صياغة التشبيه الملفوف ((إذ لا يحتمل العروض ولا بنية الأسماء أكثر من ذلك))⁽¹¹¹⁷⁾ فهذه الصياغة تتوقر على قدر كبير من التوسط، وذلك حين تهيأ للناس هذا السياق المنحرف عن موضوع الخطاب والمجرد من أي إحساس فعلي بالمضمون، وإنما وجد فيه مسرحاً يكشف فيه عن مقدرته ورغبته في الإبداع بتميزه من الشعراء، على أن إلحاح الناس على الصياغة الذاتية بما لا يحتمل وروده وتوقعه عند المتلقي على صعيدي (الهيئة) و(المضمون) سيؤدي إلى ارتفاع كفاءة نصه الإعلامية تماماً كما يبدو ذلك في الإشكالية التي يحدثها طوق الحمامة، عند محاولة الكشف عن جنسه وانتمائه الأدبي.

ثانياً- حاجبية الصورة في الطوق الحمامة (مهيمنة التشبيه أنموذجاً)

إن من أبرز مظاهر الكفاءة الحاجبية منهج الناس في بناء خطبه القولية، فهو إذا ما أحس بأن مخاطبه يسلم سلفاً بفكرة أو بعنصر معين يدعم تحقيق ما يرمي إليه، فإن عليه إبراز هذا العنصر وتدعيمه في النص، لأن هذا المكون أو هذا العنصر داخل في آليات العرض الحاجبية ويلعب دوراً لاقتنا في تحقيق أهدافه وذلك مثل المكونات البلاغية والأسلوبية⁽¹¹¹⁸⁾.

يؤدي التشبيه دوراً كبيراً في آليات العرض الحاجبية في طوق الحمامة، ولعل ابن حزم أدرك أن استخدام أسلوب التشبيه، استخداماً حاجبياً برهانياً يمنح المخاطب متعة كبيرة تسليماً بالفرضيات المقدمة، وذلك عندما يكشف دقة وجه الشبه وطرافة الاستدلال بالتمثيل⁽¹¹¹⁹⁾.

يميل ابن حزم بأسلوبه في صياغة صورة التشبيه ((إلى استخدام المفاهيم في أطر موقفية وإجرائية تعتمد على مرجعية ذات درجة ضئيلة من التجريد، على أنها تظل قريبة من عالم الحياة الإنسانية المعيشة))⁽¹¹²⁰⁾ بحيث ((تعكس دائرة معارف المجتمع وتصوراته وقيمه))⁽¹¹²¹⁾ وهذا يظهر لدينا نيته أو قصده في إبعال معانيه إلى المتلقي بأسهل الطرق وأيسرها؛ على الرغم من خوضه وحماسته لمعالجة موضوعات فلسفية- أحياناً كثيرة- غارقة في التجريد ومتأببة عن الاستيعاب، إذا ما طرحت من دون دعم

(1115) طوق الحمامة/48.

(1116) طوق الحمامة/49.

(1117) طوق الحمامة/49.

(1118) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة/114-115.

(1119) ينظر: الحجاج (التصورات والتقنيات)، د. مؤيد آل صوييت مجلة الاقلام، س(46)، ع(1) شباط/آذار 2011م/79.

(1120) الشفاهية والكتابية/94.

(1121) النص والخطاب والاتصال/366.

شعري، أو بالوسائل اللغوية أو بالوسائل الأسلوبية التي تُفَعِّل وتنشط آلة الاستيعاب لدى القارئ، وتزيد من درجة الألفة بينه وبين النص، فهو لا ينفك يلجأ إلى أداء موضوعاته الحكيمة أو الوعظية بلغة سلسة وبصورة بيانية ملتقطة من أكثر الأشياء حسية وبعداً عن التجريد، بحيث ((يجعلها وثيقة الصلة بالحياة الإنسانية، ويمكنها من استيعاب العالم الموضوعي غير المألوف ضمن العلاقات الإنسانية المألوفة والمباشرة))⁽¹¹²²⁾ فكان أن هيمنت الصورة البيانية من خلال التشبيه-الاسيما التشبيه الضمني والتشبيه التمثيلي- في أدائه المفاهيم القائمة على التجريد، وذلك بقصد منه في إنجاح عملية الاتصال حتى وإن كلفه ذلك إضعاف القيمة الشعرية في صورته.

فالرغبة في الإقناع هي الهم الأول والأوحد لديه، وإلا فإنه لم يكن يكثرث ((بما ينظم من الشعر بحيث يأتي به دون روية وأناة وكان شاعريته كانت تزري بعلمه، لذلك جاء الشعر عنده ثانوياً)) أما ما يكثرث به في المقام الأول كسب مقبولية شريكه في الاتصال واختيار الوسائل المناسبة، لتحقيق هذا الهدف، لأن ((إنتاج النص هو نشاط قصدي دائماً ينجزه متكلم ما وفق الشروط التي ينتج في ضوءها نص ما، ويحاول أن يفهم السامع من خلال المنطوق اللغوي))⁽¹¹²³⁾، يقول ابن حزم⁽¹¹²⁴⁾:
- الطويل -

ولا تسع في الأمر الجسيم تهزاء

ولا تسع جهراً في اليسير تريدة

وقابل أفانين الزمان متى يرد

عليك، فإن الدهر جمٌّ وروده

فأشكالها من حسن سعيك يكفيك (م)

اليسير بغير والشريد شريده

ألم تبصر المصباح أول وقده

وأشعاله بالنفخ يطفأ وقوده

إن يتضرم لفحة ولهيبه

فنفخك يذكيه وتبدو مدوده

فالغرض من هذه الأبيات هو النصيح والإرشاد إلى أن يشمر الإنسان عن ساعد جد، ويتأهب للسعي إلى الأمور العظام، التي لا تدرك بسهولة، وتدعو في مقابل ذلك إلى الالتزام بالصمت عند سعيه إلى هدفه، مهما كان هذا الهدف من اليسر، فالأبيات من هنا أقرب ما تكون إلى النظم التعليمي، وقليل

⁽¹¹²²⁾ الشفاهية والكتابية/86.

⁽¹¹²³⁾ مدخل إلى علم لغة النص، هاينه مان/98.

⁽¹¹²⁴⁾ ديوانه/64، وينظر: طوق الحمامة/90.

الحظ من الجمال الفني والصياغة الجادة⁽¹¹²⁵⁾ على الرغم من قيامها على صورة بيانية تضبط انسجامها، فالتشبيه الضمني الملمح منها اقتضى أن يكون المشبه به (=البيتين الأخيرين) برهاناً على إمكان ما اسند إليه المشبه (=الأبيات الثلاثة الأولى)⁽¹¹²⁶⁾. ويلمح بوجه الشبه بينهما، فالوحدة النصية هنا قائمة على المقابلة بين مضمون الأبيات الأولى ومضمون البيتين الأخيرين، عبر دقة القياس المنطقي بالتمثيل، فالصورة هنا تقوم على قياس الأمور التجريدية المعنوية بأشياء حسية، إذ المقيس (=البيتان الأخيران) يستمد ألفاظه من واقع الحياة وسطحها، بحيث ((تعكس مثل هذه الصورة التشبيهية التي يجمعها بالقارئ خبرات مشتركة ومعانٍ مشتركة- تفكيراً شفافياً بالغ الرهافة وتأملياً على نحو ما يعرف عن التفكير الشفاهي بعامة))⁽¹¹²⁷⁾ وعندئذ حافظ على نجاح عملية الاتصال، ولم يبال بقيمة الصورة الشعرية التي خفتت طبقاً للمعادلة القائلة: إن القيمة الشعرية للصورة ترتفع كلما ضعف إدراك التشبيه في اللوحة المرسومة بالكلمات، وعلى العكس فإن هذه القيمة تنخفض كلما قوي إدراك التشبيه⁽¹¹²⁸⁾. وهذا ما ينطبق على قوله في هذه الأبيات- مع لحظ أن التشبيه فيها تمثيلي⁽¹¹²⁹⁾.

- السريع-

إذا مزجت الحق بالباطل

جوزت ما شئت على الغافل

وفيها فرق صحيح له

علامة تبدو إلى العاقل

كالتبر إن تمزج به فضة

جازت على كل فتى جاهل

وإن تصادف صائغاً ماهراً

مَيَّز بين المحض والحائل

فحاجية الصورة تتحرك هنا- وكذلك في الأبيات السابقة- على محورين: المحور الصوتي الذي يقيمه تواجد وسائل اتساقية إضافية تتمثل بالتوافقات الصوتية. وعلى المحور الفني واللغوي الذي يستمد وجوده وفعاليته من واقع الحياة، فقد أثر الناص اختيار البدائل النحوية والمعجمية (=الجمال والألفاظ) المألوفة عند كل الطبقات على اختلاف حظوظها من الثقافة ((وهذا ما يؤكد على أن الفهم

(1125) ينظر: في أدب العصور المتأخرة، د. ناظم رشيد، مطبعة التعليم العالي جامعة الموصل، 1985م/37.

(1126) ينظر: جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي/274.

(1127) النص والخطاب والاتصال، محمد العبد/368.

(1128) ينظر: شعرية النص عند الجواهري/260.

(1129) ديوانه/120، وينظر: طوق الحمامة/129.

الحقيقي للكلمات مستمد من الخبرة الفعلية، والمعرفة بمظاهر الواقع الذي ينتمي إليه⁽¹¹³⁰⁾ كل أطراف العملية الاتصالية. ويقول ابن حزم، أيضاً⁽¹¹³¹⁾:
- السريع -

صبان هيمانان في واحد
كالكلب في الأري لا يعتلف
كلاهما عن خدنه منحرف
ولا يخلي العير أن يعتلف

فقد وظّف في أداء هذه الصورة التمثيلية مثلاً شعبياً مشهوراً عند الأندلسيين والمغاربة عموماً⁽¹¹³²⁾ والمثل - كما يخبرنا أصحاب (نظرية الحجاج) - ((الغاية من اعتماده حجاجاً هو التأسيس للقاعدة والبرهنة لصحتها))⁽¹¹³³⁾ والمثل، أيضاً، يعكس قيم المجتمع الثقافية الحاضرة، وينعزم فيه التجريد والتعمق - (وإلا فمع هذا البيت) - ليتطابق مع ما قرره (والتر أونج): من أن الثقافات الشفاهية أو التي تنزع لكي تكون كذلك، تميل إلى استعمال المفاهيم في أطر موقفية وإجرائية تعتمد على مرجعية ذات درجة ضئيلة من التجريد، بمعنى أنها تظل قريبة من عالم الحياة الإنسانية وشديدة الارتباط بدلالات الثقافة الشعبية وخبراتها اليومية البسيطة والمباشرة⁽¹¹³⁴⁾.

ثم إن اتسام الصورة عند ابن حزم، على هذا النحو، بالحجاج وجعلها من خاصيتي الدعاية والإقناع موضع الصدارة من اهتماماتها، يؤدي حتماً إلى أن يتحول شعره، وكذلك نثره، إلى فضاء جدالي أو خطبة سجالية أو درس تعليمي وعندئذ ينقلب على صفاته التعبيرية أو الوجدانية الذاتية فضلاً عن صفاته الحسية، وينحو إلى أن يكون ذا وظيفة جماعية تقوم على الشرح، وبسط الأفكار وتوضيحها، وعندئذ تصبح الصورة ووسائلها الجمالية ثانوية القيمة إزاء الفكرة التي يريد ابن حزم إقناع متلقيه بها؛ لأن الفكرة هي الأساس، أما الصورة والوسائل الفنية الجمالية، فهي مجرد وسيلة ثانوية⁽¹¹³⁵⁾. فالصورة، لكي تكون ذات بعد إقناعي كبير، فإنه يجب على الناص ألا يعتمد إيصال مغزاه على الأسلوب المجرد بل عليه، بدل ذلك، الاعتماد على الصورة الحسية التي تأتي من تحول المعاني إلى هيئات وأشكال تنتقل بالحواس⁽¹¹³⁶⁾. وفي هذه الحال - يقول (مايير) ((يعطيها دوراً كبيراً في جذب السامع وتحريك خياله حتى يستوعب الأفكار

(1130) نظرية علم النص/40.

(1131) ديوانه/ 107، وينظر: طوق الحمامة/112. سنتناول هذين البيتين في فقرة التناص مع المثل.

(1132) ينظر: طوق الحمامة/ 112 (الهامش) من وضع المحقق.

(1133) نظرية الحجاج، د. نعمان بوقرة، مجلة الموقف الأدبي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، س(35)، ع

(407) آذار 2005م/94.

(1134) ينظر: الشفاهية والكتابية/94. كذلك النص والخطاب والاتصال/397.

(1135) ينظر: استعادة الماضي/227.

(1136) ينظر: الصورة في النقد الأوربي (محاولة تطبيقها على شعرنا القديم، د. عبد القادر الرباعي، مجلة عالم المعرفة،

س(7)، ع(204)، فبراير 1979م/43.

والصورة المقدمة إليه⁽¹¹³⁷⁾. وبناءً على ما تقدّم، فإنه إذا كان من معاني المقصدية الإشارة إلى جميع الطرق التي يتخذها المؤلف لاستغلال نصّه من أجل تحقيق مقاصده⁽¹¹³⁸⁾. فإن مجيء الصورة البلاغية، عند ابن حزم بهذه الطريقة السلسلة، يكشف لنا عن قصده من هذه الطريقة التي يتوسّل بها بغية تحقيق مقاصد أخرى أجل منها، فالنصوص- كما يذهب إلى ذلك (هاينه مان)- هي ((تتابعات من المنطوقات ينتجها متحدث، أو عدّة متحدثين أيضاً، في موقف حدّثي معيّن (بقصد) محدّد لكي يحدث بذلك حالة يرغب فيها المنتج أو المنتجون، وينطلق بذلك المنتج من أن المتلقي يمكنه أن يتعرّف إلى قصد المنتج عن طريق المنطوق، وكذلك بالاعتماد على عوامل موقفية وسياقية مصاحبة للنص))⁽¹¹³⁹⁾.

ثالثاً- نماذج من الأفعال الكلامية في طوق الحمامة

يقول ابن حزم: ((أما نفس المحبّ فما في الميل به فضلٌ يصرفه من أسباب دينه وديناه))⁽¹¹⁴⁰⁾. يأتي هذا الكلام في سياق إنكاره وتكذيبه من يدّعي أن القلب يتسع لاثنتين، لكون نفس المحبّ ليس في ميلها إلى ذلك فضلٌ ولا فخر، وإنما ذلك يصرفه عن أسباب دينه وديناه. ثم يأتي بعد هذا الكلام بجملة استفهامية خرجت لمعنى التعجب المشوب بالإنكار، على جهة المجاز المرسل⁽¹¹⁴¹⁾، هي قوله ((فكيف بالاشتغال بحبّ ثانٍ))⁽¹¹⁴²⁾- ففعل القول، هنا، هو المحتوى السطحي والدلالي لهذا التركيب (=الصوت والصرف والنحو- والدلالة).

- ومحتواه القضوي هو (الاشتغال بحبّ ثانٍ) تقدّمه لنا قوة الاستفهام.
- والفعل الإنجازي المباشر هو الاستفهام حرفياً.
- والفعل الانجازي غير المباشر هو التعجب المشوب بالإنكار لأن السياق الذي استعمل فيه الاستفهام يفصح لنا عن قصد ابن حزم المتمثّل بهذا الفعل.
- أما البعد الحجاجي، فيتمثّل (بالفعل التأثري) الذي يحيل بدوره على محاولة المتكلم دفع المتلقي وإبعاده عن إيجاد حبّ ثانٍ، لأن ذلك سبيل إلى خروجه عن جادة الصواب والرشد. ويقول ابن حزم: ((... ولا أدري ما معنى هذا، على أنّه يذكر عنهنّ العفاف، وأيّ عفافٍ مع امرأةٍ أقصى منهاها وسرورها الشهرة في هذا المعنى))⁽¹¹⁴³⁾. تحتوي هذه الفقرة على ثلاثة أفعال لغوية سنقف عند كل منها على حدة، ولكن قبل ذلك

⁽¹¹³⁷⁾ الحجاج في البلاغة المعاصرة/136. ولكن ينبغي التذكير بأن من أهم الصور البلاغية لدى (مايبر) المجاز.

⁽¹¹³⁸⁾ ينظر: نظرية علم النص /47.

⁽¹¹³⁹⁾ مدخل إلى علم لغة النص ، هاينه مان/102.

⁽¹¹⁴⁰⁾ طوق الحمامة/67.

⁽¹¹⁴¹⁾ ينظر: نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية، د. خديجة محمد الصافي، ط1، دار السلام للطباعة والنشر

والتوزيع، القاهرة- مصر، 2008م/129.

⁽¹¹⁴²⁾ طوق الحمامة/67.

⁽¹¹⁴³⁾ طوق الحمامة/92.

نشير إلى أنها واقعة ضمن ما ينكره ابن حزم من (أسباب الكشف والإذاعة) في الحب وهذا (السبب) بالتحديد- في رأي ابن حزم- وجهٌ مردول وفعلٌ ساقط، والكلام هنا حول نساء الأعراب اللاتي لا يصدقن العاشق حبة إياهن، إلا إذا قام بتشهيرهن، فيقول ابن حزم:

1. (ولا أدري ما معنى هذا)، فالاستفهام هنا- وفي كل استفهام يخرج لغرض آخر- هو من قبيل ما كان يسميه البيانيون قديماً بـ(تجاهل العارف)⁽¹¹⁴⁴⁾.

فابن حزم هنا- وبتعبير البيانين أيضاً- عارفت بالمسؤول عنه ولكنّه يتصنع جهله فيسأل عنه لأنه يروم غرضاً آخر. وإلا فإن الاستفهام هنا هو من قبيل الأمور الحاصلة في نفس المتكلم قبل كلامه، وبالتالي فإنها تكون من قبيل السبب الدافع (المقصد) الذي يمثل قسماً من المعطيات التي يبني عليها المتكلم خطته في الخطاب⁽¹¹⁴⁵⁾. ففوة الفعل الإنجازية المباشرة هي (الاستفهام) وقوة الفعل الانجازية غير المباشرة هي الأخبار (أدري معنى ذلك). لكن ابن حزم أثر أن لا يصرح به إلا بعد أن يشرك متلقيه (تقديراً) كي يسوق على لسانه فعلاً لغوياً آخر يدعم به مذهبه الذي سيفصح عنه لاحقاً، وهو بهذا يؤكد لنا ((أن عملية الإبداع وما يصاحبها من قصد تتم في إطار تخطيط تفاعلي يحاول المرسل فيه أن يجعل من الآخرين (المتلقين) عوناً له على تحقيق هدفه))⁽¹¹⁴⁶⁾. ولذا أجاب هذا المتلقي المقدر _ بأسلوب يستشف منه التهكم:

2. (على أنه يذكر منهنّ العفاف)

فالفعل الكلامي هنا غير مباشر، أيضاً، وقوته الانجازية المباشرة (الإخبار) وغير المباشرة (التعجب) المشوب بالتهكم، ثم يأتي مجدداً دور ابن حزم ليصرّح، هذه المرة، بما تجاهله أول الأمر:

3. (وأي عفاف مع امرأة أقصى منها وسرورها الشهرة في هذا المعنى)، فالفعل الانجازي المباشر هو (الاستفهام) والفعل اللغوي غير المباشر هو (التعجب المشوب بالاستبعاد) أي أن ابن حزم يستبعد منهنّ العفاف، أما الفعل التأثري المستشف من مجموع هذه الأفعال، التي حتماً ستنشئ آثارها في المتلقي، هو بطلان عفافهن، ومن ثم إقناعه وجعله منقاداً لوجهة نظره هذه، وحمله على تبنيها. ومن ناحية أخرى تمثل هذه الفقرة مظهراً من مظاهر (التعدد الصوتي) في طوق الحمامة فابن حزم يلجأ إلى افتراض محاور له- أو كما يقول الدكتور صلاح فضل- يقوم بـ((تمثيل موقف على لسان شخص آخر يعبر عنه))⁽¹¹⁴⁷⁾ لأن هذا الشخص (الذي يرمز به إلى المتلقي المشارك) ((موجود في وعي المبدع بالدرجة الأولى حيث يرتبط بخطوط الحركة الدلالية في النص... وهكذا نرصد دائماً حركة جدلية بين الطرفين(المبدع والمتلقي) تلك

⁽¹¹⁴⁴⁾ ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأغارب، 101/1. كذلك معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، ط4، دار المنارة

للنشر والتوزيع، جدة- السعودية، 1997م/288.

⁽¹¹⁴⁵⁾ ينظر: أصول تحليل الخطاب 793/2.

⁽¹¹⁴⁶⁾ نظرية علم النص/52.

⁽¹¹⁴⁷⁾ شفرات النص دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد د. صلاح فضل، ط1، دار الآداب 1999م/117.

الحركة هي التي تفسّر لنا التدخّل التقديري للمتلقّي بشكل مستمر⁽¹¹⁴⁸⁾. هذا ويلحظ في الطوق أنه يستعمل في مقاطعه الحجاجية أسلوب الاستفهام الخارج لأغراض أخرى، كالتعجب المشوب بالإنكار التوبيخي أو المشوب بالاستبعاد بصورة لافتة، ولعلّ السبب في ذلك أن الأساليب غير المباشرة تكون في مقام كهذا ذات وقع أكبر في المخاطب بغية التأثير فيه ليتبنّى وجهة نظره. وتذهب الدكتورة خديجة أحمد الصافي إلى أن الاستفهام والتعجب إذا تضامّا صار الكلام خبيراً، وليس هذا الخبر ضدّ الإنشاء، وإنما هو من الإعلام والإنباء، فلا هو استفهام ولا هو تعجب، لذا يمكن وصفه بالأخبار التعجبي⁽¹¹⁴⁹⁾ وبناءً عليه فإننا نكون -إزاء فعل كلامي تتجاذبه قوتان، أما في المثالين السالفين، فإننا نقف إزاء فعلين تتجاذب كلاهما ثلاث قوى: (الإخبار والتعجب والإنكار أو الاستبعاد) فيها جميعاً يشدّ الناص ذهن مخاطبه من أكثر من جهة ويرغمه أخيراً على أن يتوصّل إلى مقصوده، أو مذهبه المتمثّل بإنكار واستبعاد ما يخالفه، ومن ثم يجدّ المخاطب أن لا مطمع ((أن يكون غيره أدلّ عليه))⁽¹¹⁵⁰⁾.

أما في ما يخصّ فعل الكلام الإجمالي - بتعبير فاندنيك - فلنا أن نخترل، هذا الحوار الذي دار بين ابن حزم وبين أبي السري عمّار بن زياد بالآتي:

1. أبو السري/لي أعجوبة ما سمعت قط.....

2. ابن حزم/وما ذاك.....

3. أبو السري/رأيت في نومي الليلة.....

4. ابن حزم/من الخطأ العظيم أن تشغل نفسك.....

5. ابن حزم أيضاً/هل تعلم من هي.

6. أبو السري/لا والله.

7. ابن حزم/إنك لقليل الرأي مصاب البصيرة....

وسنقف على كل فعلٍ في هذه المحاورة على حدة ومن ثمّ نبين الفعل الإجمالي التي انتهت إليها

جميعاً:

1. فعل مباشر (التعجب) وهو هنا فعل أدائي صريح مباشر⁽¹¹⁵¹⁾.

⁽¹¹⁴⁸⁾ نظرية علم النص، حسام فرج/52، نقلًا عن (قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني) د. محمد عبد المطلب/

129-128.

⁽¹¹⁴⁹⁾ نسخ الوظائف النحوية/126.

⁽¹¹⁵⁰⁾ م. ن/127.

⁽¹¹⁵¹⁾ المقصود بالفعل الأدائي الصريح (المباشر) - كما سبق الإشارة - هو المشتغل على لفظ يؤدي الفعل المعني بصورة

مباشرة صريحة فلفظ (أعجوبة) الواقعة مبتدأ في قول أبي السري تصريح بكون الجملة مسوقة للتعجب غير القياسي.

ويترجمه الدكتور صابر الحباشة بالانثانيات الصريحة. ينظر: المدخل إلى علم اللغة، كارل ديتر بونتج، ترجمة وتعليق

الدكتور سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 2010م/347. كذلك الصيغة والقوة

2. فعل مباشر (الاستفهام) الحقيقي.
3. فعل غير مباشر، قوته الانجازية المباشرة (الإخبار) وقوته الانجازية غير مباشرة (التعجب)⁽¹¹⁵²⁾.
4. فعل لغوي غير مباشر قوته الانجازية المباشرة (الإخبار) وقوته الانجازية غير المباشرة العذل والتوبيخ (=الإنكار).
5. فعل مباشر (الاستفهام) الحقيقي.
6. فعل مباشر (إخبار) مؤكد بالقسم.
7. فعل مباشر خبر مؤكد بوسيلتين من وسائل التوكيد فالمخاطب كان منكراً، ولأنه ((إذا كان المقام مقام تردّد أو إنكار ناسبة كلام مؤكد))⁽¹¹⁵³⁾.

فالمحادثة قد احتوت على جملة من الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، ولكن الفعل الإجمالي المستخلص منها هو (الإنكار). من جانب ابن حزم، و (التعجب) من جانب أبي السري، وبما أن المحادثة واقعة ضمن الكلام في أصل من أصول الحب التي ينكرها ابن حزم (من أحب في النوم) فإن الغلبة ستكون للإنكار لا محالة، ولعلنا قد تعمّدنا الوقوف عند الأفعال الدالة في هذه الأصول من الحب على الإنكار ليستدلّ بها على جانب من جانبي الخطاب وهو (اللاحب) الذي ينكره ابن حزم وينكر صفاته ومعانيه وأسبابه وما يقع فيه وله على سبيل الزيف أو الشهوة، بحيث يمكن مع هذه الحال القول بأن طوق الحماسة عبارة عن فعلين كلاميين كبيرين أحدهما الحث أو الإقرار والثاني النهي أو الإنكار. وهكذا تكشف لنا نظرية الأفعال الكلامية عن كيفية تفاعل البنى والمكونات اللغوية مع عوامل سياقية لغرض تفسير اللفظ ومساعدة المتلقي على ردم الهوة التي تحصل أحياناً بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الذي يقصده المتكلم، ومن هذا المنطلق رأى (غرايس) أن ما يميز التفسير التداولي هو طبيعته الاستدلالية، بحيث ينبري (السامع/ القارئ) بالتوصل إلى الاستدلال عن المعنى الذي يقصده المتكلم اعتماداً على أمرين، الأول ما قاله المتكلم، والثاني الافتراضات المسبقة أو السياقية والمبادئ التواصلية العامة التي يحرص المتكلم عادة على إتباعها في أثناء المحادثة، وبهذا يصل (السامع/ القارئ) إلى (تضمينات) ما قاله المتكلم/ الناص، أي الأشياء المغيبة من الملاقيظ⁽¹¹⁵⁴⁾.

اللاقولية جون لاينز (مقال) ضمن لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، ترجمة صابر الحباشة /202. كذلك النص والخطاب والاتصال، محمد العبد/286.

⁽¹¹⁵²⁾ أن حكاية الأحلام والرؤى - ولا سيما الغربية منها - يمكن لحظ التعجب منها في العالم الحقيقي من خلال الظواهر المصاحبة للكلام كالنغمة وحركة الوجه وغير ذلك، وقد أحسن المحقق حين وضع علامة التعجب عقب حكاية أبي السري كما أن التعجب فيها يمكن لحظه - سلفاً - عبر لفظ (الأعجوبة).

⁽¹¹⁵³⁾ الاستدلال البلاغي، د. شكري المبخوت، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان 2010م/20.

⁽¹¹⁵⁴⁾ ينظر: التداولية، جورج يول (مقدمة المترجم)/13.

الفصل السابع

(التناص)

المبحث الأول (التناص نظرياً)

أولاً – مفهوم التناص

ثانياً – أشكال التناص

المبحث الثاني (التناص وأشكاله في طوق الحمامة)

1. التناص الشكلي (الهيكلي)

2. التناص النحوي

3. التناص الداخلي (السيرى)

4. التناص الدينى

5. التناص الأدبى

6. المرجعيات الفلسفية

المبحث الأول

(التناص نظرياً)

أولاً – مفهوم التناص
ثانياً – أشكال التناص

أولاً - مفهوم التناص

والتناص - كما سبقت الإشارة - معيارٌ من معايير النصية، ووجهٌ من وجوه الانفتاح الدلالي للنص، ووجوده في العمل يعني، بدءاً، أنه لقي ترحيباً منها، ومن ثم أسقطت عنه آفة الانغلاق، وتعيّن أنه ((ليس تشكلاً مغلقاً أو نهائياً ولكنه يحمل آثار نصوص سابقة، إنه يحمل رماداً ثقافياً))⁽¹¹⁵⁵⁾، فاحتواء النص عليه، إذاً، ضروري وأمرٌ لا بد منه فالنص، تقول (كرستيفا)، ((ترحالاً للنصوص، وتداخل نصي، ففي فضاء نصي معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى))⁽¹¹⁵⁶⁾ فهي تنكر وجود نصي يترفع على هذا التداخل ويستقل بنفسه، ما حدا بها إلى القول: ((كل نص هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى))⁽¹¹⁵⁷⁾ وبهذا جعلت من التناص ((نقطة تحوّل من البنيوية إلى ما بعد البنيوية))⁽¹¹⁵⁸⁾ لأن هذا التصوّر النصي قد فكّك الحدود البنيوية الصارمة المتمزجة التي طوّقت النص داخلها، فخرج به إلى التفاعل والحياة عبر قيامه على حشد من العلاقات بالعالم وبالنصوص الأخرى.

ثانياً - أشكال التناص

أما أشكال التناص؛ فإن جميعها لا تعدو أن تندرج تحت قسمين هما التناص المباشر والتناص غير المباشر، فالبحث في التناص لا يعني سوى ((معرفة كل ما يجعل [النص] في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص))⁽¹¹⁵⁹⁾ ولتوضيح هذين المفهومين لابد من الوقوف عندهما، بإيجاز، قبل الانتقال إلى عرض أشكال التناص⁽¹¹⁶⁰⁾:

1. التناص المباشر، ويسمى بمسميات متنوعة منها (التناص الواعي، أو التناص الشعوري أو تناص التجلي)، وهو عملية واعية تقوم بامتصاص وتحويل نصوص متداخلة، ويحوي توظيف النص المرجعي ذاته دون موارد أو تمويه أو تحريف أو استخدام معاكس له.

⁽¹¹⁵⁵⁾ المرايا المحدّبة من البنيوية إلى التفكيك، عبد العزيز حمودة، ط1، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998م/362.

⁽¹¹⁵⁶⁾ علم النص، جوليا كرسيفا، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب 1997م/21.

⁽¹¹⁵⁷⁾ النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزّام، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م/28.

⁽¹¹⁵⁸⁾ عصر البنيوية من لفي شتراوس إلى فوكو، أدب كروزويل، ترجمة جابر عصفور، دار آفاق عربية، بغداد، 1985م ضمن (تعريف بالمصطلحات الأساسية) للمترجم/277.

⁽¹¹⁵⁹⁾ مدخل إلى جامع النص مع مقدمة خص بها المؤلف الترجمة العربية، جبرار جنيث، ترجمة عبد الرحمن أيوب، ط2، دار توبقال، المغرب، 1986م/90.

⁽¹¹⁶⁰⁾ التناص في شعر أبي العلاء المعري، د. إبراهيم مصطفى الدهون، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن 2011م/29.

2. التناص غير المباشر، ويسمى أيضاً، بـ(تناص الخفاء، أو تناص اللاوعي، أو التناص اللاشعوري) وهو التناص الذي لا يكشف عن النص الغائب مباشرة، بل يرمي له أو يرمز إليه، وهذا النوع يستنتج استنتاجاً، أو يستنبط استنباطاً، أو يستوحي استيحاءً.

على أن أكثر ما عليه مدار النقد في الدرس المعاصر هو القسم الثاني، نظراً لشدة خفائه، وضربه عمقاً في جسد النصوص الراهنة، ما يحتاج، بغية اكتشافه، إلى تفكير وحفر وبصيرة وتبصر وخبرة عميقة بالنصوص الأدبية، ومن هنا انصرفت الجهود القرائية نحو الكشف عن النصوص الغائبة في طيات النصوص الحاضرة التي لم تُشر أدنى إشارة إلى ما تضمنته⁽¹¹⁶¹⁾.

وهنا سنقترح أشكالاً للتناص، للاشتغال على نص الطوق، وفق ما يتقاطع به مع نصوص أخرى ظاهرة أو خفية، وأبرز هذه الأشكال هي: (التناص الشكلي، التناص النحوي، التناص الديني، والتناص السيري، التناص الأدبي، المرجعيات الفلسفية).

أولاً: التناص الشكلي (الهيكل)

لا يخرج هذا النمط عن إشكالية (الأجناس الأدبية) والتصنيفات المقترحة من لدن المعنيين بالأدب في معرفة أنواع النصوص حسب المهيمنات البارزة فيه. وتبرز لدينا هذه الإشكالية، عند تعامل نص (الطوق) مع نصوص مركزية في الثقافة العربية الإسلامية بشتى أشكالها ((مستفيداً بذلك من البنى العليا للأنواع الأخرى، وهذا هو المفهوم الهيكلية للتناص))⁽¹¹⁶²⁾.

إن اعتماد الكاتب على المرجعيات الشكلية، ومحاورة نصه الأجناس الأدبية الأخرى ((يطيح بمقولة استقلالية الجنس الأدبي))⁽¹¹⁶³⁾ ويتجاوزها لكي يخلق ((منها لغته الخاصة التي تقوم على التعدد اللغوي))⁽¹¹⁶⁴⁾ وعندها يتهيأ للنص متطلبات انفتاحه وسبل نجاحه حين ((ينتهج لنفسه طريقة جديدة لتنظيم المعلومات داخل نفس النوع، خالفاً بذلك بنيةً علياً جديدة مختلفة عن النمطية))⁽¹¹⁶⁵⁾ والمألوف، ويخرج عن حدود التقعيد والشفافية.

ذلك أن الثابت في الوعي الأدبي العام احتواء كل نصٍ على خصائص نوعية تفرد عن غيره من النصوص، فبهذه الخصائص ((يتعارف الناس على بنية علياً نمطية لكل نوع (gender) ولكل نوع فرعي

(1161) ينظر: النص الغائب في (أولاد حارتنا) لنجيب محفوظ، دراسة في تفاعل النصوص، د. وليد محمود خالص، ط1،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2009م/ 48 - 49.

(1162) نظرية علم النص، حسام فرج/ 199.

(1163) التناص دراسة في الخطاب النقدي العربي، د. سعد إبراهيم عبد المجيد، عني بنشره وتصحيحه، د. شجاع مسلم العائني،

دار الفراهيدي للنشر، بغداد، 2010م/ 275.

(1164) شعرية النص الروائي (قراءة تناصية في كتاب التجليات) بشير القمري، ط1، شركة الببائر للنشر والتوزيع، الرباط،

1991م/ 82.

(1165) نظرية علم النص، حسام فرج/ 199.

وتصبح بمثابة ماثور أدبي يتوازي مع ذاكرة الكاتب والقراء، ويتبلور في الأعراف النوعية والأنماط بما فيها من خواص أسلوبية شائعة وصور ثابتة⁽¹¹⁶⁶⁾ وبذا يكون النص على غاية من التقريرية والشفافية، وتتوافق قواعده النوعية مع أفق توقعات المتلقي، لأن المسافة الجمالية بين قطبي عملية التواصل منعدمة، فالنص لا يؤدي -والحال هكذا- عملاً مراوفاً في توجيه ذهن المتلقي باتجاه المفاجأة وتخيب أفق توقعه ومن ثم تنعدم فيه (جمالية التلقي) على ما يرى ذلك (ياوس)، من أنه ((كلما كان النص إنتاجاً مكرراً لخصائص جنس أدبي ما، كان ذلك سبباً في أن يفقد قيمته على المستوى الفني والتاريخي))⁽¹¹⁶⁷⁾.

ثانياً: التناص النحوي

يرى الدكتور (أحمد عفيفي) أن كل أشكال التناص السابقة تندرج بعمق شديد داخل الدراسة النقدية والأدبية والأسلوبية، وهي وإن كانت كلها تخدم (نحو النص) وتتعلق به بشكل أو بآخر، إلا أن ما يخدمه، بشكل كبير، هو ذلك التناص الذي يحمل خصوصية التطبيق، وينصب على النص الراهن دون النصوص الغائبة⁽¹¹⁶⁸⁾. وهذا ما يتضح في التعريف الذي ساقه الدكتور تمام حسان للتناص من أنه ((علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها ببعض، كما تقوم بين النص والنص، كعلاقة السؤال بالجواب، وعلاقة التلخيص بالنص الملخص، وعلاقة المسودة بالتبويض، وعلاقة المتن بالشرح، وعلاقة الغامض بما يوضحه، وعلاقة المحتمل بما يحدده معناه))⁽¹¹⁶⁹⁾.

هذا ويورد الدكتور عفيفي على ذلك أمثلة من القرآن الكريم يظهر من خلالها فاعلية هذا النمط في تقليل احتمالية المعنى، ومحاولة القطع به، فمن ذلك قوله تعالى ﴿وَإِنِّي لَفَتَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَك عَنْ قَوْمِكَ بِمُؤْمِنٍ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ [سورة طه: الآيات 82-84] فقولته تعالى (وَمَا أَعْجَلَك) يحتمل أن يكون تعجباً، وأن يكون استفهاماً. و(نحو الجملة) يبيح المعنيين إلا أن (نحو النص) يقلل من الاحتمالية، وعلى هذا يسعنا التناص بتحديد المعنى القائم وما يترتب عليه من إعراب محدد، فلو أننا قرأنا بقية الآية في جواب موسى، لظهر أنها توضح سبب الاعجال وإلى من؟ فمعنى الآية، من خلال السياق، هو الاستفهام لا التعجب، فمحال أن يكون للتعجب جواب، وهذا ما أكدته المفسرون الذين تتبعوا سياق الآية من أنه سؤال سواة كان للإنكار أو كان سؤالاً حقيقياً⁽¹¹⁷⁰⁾.

⁽¹¹⁶⁶⁾ نظرية علم النص، حسام فرج/ 199.

⁽¹¹⁶⁷⁾ مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي/ 48.

⁽¹¹⁶⁸⁾ ينظر: نحو النص عفيفي/ 83.

⁽¹¹⁶⁹⁾ م. ن/ 83.

⁽¹¹⁷⁰⁾ ينظر: م. ن/ 84.

والذي نراه أن هذه العلاقات بين أجزاء النص الواحد، التي تكلم عنها الأستاذان الفاضلان يمكن رصدتها ضمن مبحثي الاتساق والانسجام، فأغلب العلاقات بين أجزاء النص داخلية في هذا المفهوم، وأن جزءاً، غير يسير منها، لا يمكن دفع الاحتمال عنها إلا بالرجوع والبحث عنها في جزء آخر من أجزاء النص، وذلك مثل تعدد مرجعية الضمير الذي لا يمكن القطع بواحد منها، في أحايين كثيرة - لولا الرجوع إلى ما قبله وما بعده من أجزاء ذلك النص. والحال، كذلك، في علاقات الانسجام التي لا تعدو أن تكون العلاقات عينها التي تكلم عنها الدكتور حسان فكلها مشدودة إلى تلك العبارة الماثورة في تراثنا والتي تقول: (القرآن يفسر بعضها بعضاً).

وإن كان ولا بد من الوقوف على بعض تجليات هذا النمط التناسي في طوق الحمامة - نظراً لدخوله ضمن المبحث النظري - فإننا لا نعدم من حاجة النص إلى هذه التقنية، ولذا سنأتي عليها في المبحث التطبيقي.

ثالثاً - التناس (الداخلي) (1171) (السيري) (1172) (الذاتي) (1173) (التناس مع المصادر اللازمة) (1174)

وذلك ((عندما تدخل نصوص الكاتب الواحد في تفاعل مع بعضها ويتجلى ذلك لغوياً وأسلوبياً ونوعياً...)) (1175) ولعل السبب في ذلك وعي الأديب بوحدة منجزه الكتابي ومشروعه الثقافي، ثم محاولته ترغيب الجمهور في آثاره.

أما عن سبب إدراج مصطلح (التناس السيري) في عنوان الفقرة مع أن جميع هذه المصطلحات توحد قبلتها باتجاه آثار الأديب الواحد؛ فذلك لأن (طوق الحمامة) تضمن جانباً كبيراً من سيرة كاتبه الاجتماعية والسياسية والأدبية، الأمر الذي حدا بمجموعة من النقاد إلى أن يتبنوه سيرة ذاتية لصاحبه أو شيئاً قريباً من السيرة - كما سيتوضح ذلك عما قليل - فقد كان لابن حزم مشروع ثقافي واضح الملامح يوازي، ويساوق لأجله، بين كل ما ينتج شعراً ونثراً باختلاف أغراضهما وموضوعاتهما، ولذلك فرضت طبيعة الدراسة تبني هذا الشكل من التناس، والاعتماد - ضمناً - على الوجهة التي ترى في هذا النص سيرة ذاتية، على ما كتبه الأديب سابقاً وبين ما كتبه في اللحظة الراهنة، أي ثمة وجود مشترك بين لحظتين زمنيتين

(1171) ينظر: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناس، محمد مفتاح، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، 1992م/ 124 - 125.

(1172) ينظر: البنية الروائية في نصوص إلياس فركوح تعدد الدلالات وتكامل البيئات، د. محمد صابر عبيد، د. سوسن البياتي، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع - الأردن، 2011م/ 179.

(1173) ينظر: انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين/ 100.

(1174) ينظر: نظرية علم النص، حسام فرج/ 233.

(1175) انفتاح النص الروائي/ 100.

الأولى سابقة والأخرى لاحقة، وبخلاف هذا نجد أن الأديب - أحيان كثيرة - يعتمد نتاجاته السابقة دون أدنى إشارة منه إلى صنيعه⁽¹¹⁷⁶⁾. وهذا ما يزيد أمر اكتشافه صعوبة.

رابعاً - التناص الديني

ويعني استحضار الكاتب بعض القصص، أو الإشارات الدينية، وتوظيفها في سياقات نصه لتعميق رؤية معاصرة يراها في الموضوع الذي يطرحه أو القضية التي يعالجها⁽¹¹⁷⁷⁾.

وبعد الموروث الديني من أجل مظاهر الثراء الثقافي لدى ابن حزم، ورافداً مهماً من روافد تجربته، ومصدراً غنياً من مصادر نصه الذي منح ثراءً وخصوصيةً بانفتاحه الواسع على جميع مضامين وأشكال المرجعية الدينية. وهنا سنقوم بدراسة التناص الديني في الطوق من خلال أنه يأخذ فيه أشكالاً ثلاثة، وهي:

1. التناص مع القرآن الكريم.
2. التناص مع الحديث النبوي الشريف.
3. التناص مع التوراة.

خامساً - التناص الأدبي

ويعني ((تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة وحديثة، شعراً ونثراً مع النص الأصلي، بحيث تكون منسجمة ومنسقة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يقدمها أو يعلنها المؤلف أو الحالة التي يجسدها وما يتحدث عنها))⁽¹¹⁷⁸⁾.

أما الطرق التي يأتي عليها هذا النمط، فإن الذي عليه الباحثون هو تقسيمه على قسمين، هما⁽¹¹⁷⁹⁾ :

1. التناص مع الشعر.
2. التناص مع الأمثال.

سادساً - المرجعيات الفلسفية والكلامية

ويفهم تحت هذا النمط احتواء النص على آراء وخطرات فلسفية وكلامية، من خلال تأثر الكاتب بأفكار وطروحات السابقين عليه، باعتماده على معرفة دقيقة بهذين الحقلين المعرفيين، ولعل ما اكتسبه ابن حزم من ثقافة موسوعية عميقة في شتى الحقول العلمية، قد مكّنه من امتلاك ناصيتي الفلسفة وعلم الكلام، اللذين أمّدها بمقدرة فائقة على التعبير في أدق المعاني الإنسانية.

(1176) ينظر: البنية الروائية في نصوص إلياس فركوح/ 179 وما بعدها.

(1177) ينظر: التناص نظرياً وتطبيقاً، مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية للتناص في رواية (رويا) لهاشم غرابية (أحمد

الزعيبي)، ط1، مكتبة الكتاني، أريد - الأردن، 1993م/ 106.

(1178) م. ن/ 43.

(1179) ينظر: التناص في شعر أبي العلاء/ 33.

إنَّ نظرة خاطفة في كتاب الطوق ترينا مدى اعتماد صاحبه على نتاج الفكر الفلسفي عند العرب، وعند غيرها من الأمم إلى درجة نستطيع القول معها إنَّ الثقافة الفلسفية والكلامية لابن حزم، بانفتاحه على المنجم الفلسفي، تعدّ مادة أساس في بناء نصه واغناثه فكرياً وثقافياً.

المبحث الثاني

(التناص وأشكاله في طوق الحمامة)

1. التناص الشكلي (الهيكلي)

2. التناص النحوي

3. التناص الداخلي (السيرى)

4. التناص الدينى

5. التناص الأدبى

6. المرجعيات الفلسفية

أولاً - التناص الشكلي (الهيكلي)

اتضح قبلاً أن هذا النمط التناصي لا يخرج عن موضوع إشكالي تضاربت حوله الآراء والرؤى والتصورات، ذلكم هو إشكالية التجنيس، مع إيماننا بأن هذه الإشكالية لم تكن على هذه السعة من العمق في الأدب العربي القديم، الأمر الذي أدى بالدكتور عبد السلام المسدي إلى قوله: ((إن تصوّر العرب للأدب لم ينبني على مقولة الأجناس أصلاً وإنما قام على تصنيف ثنائي مرتبط بنوعية الصوغ الفني، حيث أقام العرب أدبهم على المنظوم والمنثور فقط))⁽¹¹⁸⁰⁾. على أن القراءة الدقيقة - يقول الدكتور فاضل التميمي⁽¹¹⁸¹⁾ - لهذه القضية تحيل على شيء مغاير، فالخطاب النقدي العربي قد استوففته هذه الإشكالية وأرغمته على تسجيل إشارات مبكرة على يد الجاحظ (255هـ) وابن وهب الكاتب (335هـ) اللذين ((اجتهدا في تحديد طبيعتها فسجلاً - مبكراً إشارات دالة على مسألة ستظهر أهميتها فيما بعد ... فبعد قرن أو يزيد على محاولة الجاحظ وأكثر من نصف قرن على محاولة (ابن وهب الكاتب) انبثقت عند أبي هلال العسكري المسألة نفسها بلامح نقدية واضحة في كتابه الشهير: كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر))⁽¹¹⁸²⁾.

وحقاً فمن يطلع على الصناعتين لأبي هلال يلاحظ أنه قد تناول القضية بشكل مغاير عما أثبتته الدكتور المسدي، وذلك حين قال: ((أجناس الكلام المنظوم ثلاثة: الرسائل والخطب والشعر وجميعها تحتاج إلى حسن تأليف وجودة ترتيب))⁽¹¹⁸³⁾ ولكن يبقى التأكيد على عدم بلوغ هذه القضية درجة التعقيد بما يتوافق مع إشكالية التجنيس الراهنة في الأدب المعاصر بكلّ تشعباتها ومماحكاتهما، وما يترتب على ذلك من فيض في الرؤى والتصورات التي لا حدّ لها، إلا أن غياب هذه الإشكالية، بهذه الدرجة من التعقيد، عن الوعي النقدي العربي، لا يعني أنها لم تجد سبيلاً إلى نفوس الأدباء ونتاجاتهم، وذلك بسعي النماذج الأصلية للأدب ((إلى كسر الأطر وخرق المتعارف، باعتباره ظاهرة إنسانية ككلّ الظواهر))⁽¹¹⁸⁴⁾ الكونية الساعية إلى التغيير، والبحث والتقصي عن الأجناس الأدبية قد أعقب وجود الأدب ((لأنها ببساطة فكرة نقدية قامت على تأمل شكل الأدب، ولأن الأدب بنية تتضمّن تعقيداً مركّباً متنوع البناءات والرؤى،

(1180) النقد والحداثة، د. عبد السلام المسدي/108.

(1181) ينظر: فكرة الأجناس الأدبية ومرجعياتها عند أبي هلال العسكري، د. الفاضل عبود التميمي (دراسة) في مجلة المورد، وهي مجلة تراثية فصلية محكمة، صادرة عن وزارة الثقافة - دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، المجلد (38) العدد (2) لسنة 2011 م/84.

(1182) م. ن/86.

(1183) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري/129.

(1184) إشكالية تصنيف الأجناس الأدبية في النقد الأدبي، فتحية عبد الله، مجلة عالم الفكر، الصادرة من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد (1) المجلد (33) يوليو 2004 م/175.

وليس أرضية ميسورة تتطوي على عملٍ ساذج ومحدود⁽¹¹⁸⁵⁾ فمن هذا المنطلق يبدو أن النص الذي نحن بآزاء مقارنته - طوق الحمامة - كان على صلة أكيدة بهذا المنحنى الأدبي الهارب عن التحديد والسكون، فهذا هو ديدن الأنطلسيين، وأهم ما يميّز أدبهم في هذه الحضارة الوارفة ظلالها، يقول ابن حزم في مقدمة كتابه ((... وما مذهبي أن أنضي مطية سواي، ولا أتخلّى بحلى مستعار))⁽¹¹⁸⁶⁾ وهذا ما يبدو عبر انفتاح الطوق على كل الأجناس والأطر الشائعة والمسيطرّة آنذاك، لخلق نموذج جديد يأبى التصنيف والتحديد، فمرة هو كتاب في صفة الحب، ومرة هو رسالة بعث بها الكاتب إلى صديق، ومرة هو سيرة ذاتية للمؤلف تضمّ بين جنباتها كل ما هو اعترافي وغير مرغوب فيه، ناهيك عما يحتويه الكتاب من أشعار لكاتبه تعدّ من عيون الشعر العربي في الأنطلس وعما يحتويه، أيضاً من سرد تاريخي، ومن تراجم لاعلام الأنطلس على طريقة مؤرخي العرب وأهل التراجم، وإلى غير ذلك من أشكال وأصناف أدبية وغير أدبية، وبكل ذلك تبرز للطوق خصوصية لا تظهر في غيره من نصوص الرسائل الأدبية وكتب الحب، وكتب أخبار النساء ومتميمي العرب وعشاقها.

ولذا فإن الهجنة الأجناسية هي أجل ما يميّز به الطوق من غيره، بسعي مؤلفه وجنوحه إلى المخالفة والجدة ليخرج بنصٍ مختلف، ناهض على التماهي في مرواغة متلقيه، وجنوحه إلى إيهامه، وتخيب ألقه، في أكثر من مناسبة، وبأكثر من طريقة، سواء ذلك في البنية الخارجية للنص أو في التصريحات الاستيهامية التي تدرج المتلقي إلى فخّ المفاجأة، وهذا ما يبدو عند حديثنا عن البنية الخارجية اللانمطية لهذا النص، والتي تتكون من هذه الأجزاء:

1. العنوان

ولعلّ عتبة العنوان هي أول مظاهر اللبس الحاصل عند تلقي النص، فالعنوان ليس مشفوعاً بأي مؤشر جنسي يخبر بانتماء النص إلى جنس معيّن، فالذي ينظر فيه يحسب أنه ليس إلا كتاباً يعالج فيه مؤلفه ظاهرة الحب ولوازم الألفة والآلاف ومتطلبات ذلك، على طريقة من سبقه في هذا المضمار وينفي عنه المراسلة إن لم نقل إنه يستكثر عليه النسبة إلى الأدب الرسائلي، نظراً لعدم وجود أية إشارة صريحة حول العنوان، ونظراً لضخامة الكتاب التي تزيد من ثقة المتلقي للمضي قدماً بتوقعه الذي أخذ يتأكد.

2. الاستهلال (فاتحة الكتاب)

والاستهلال غير المقّمة، فهو ذلك ((الفضاء بدنياً كان أو ختمياً، الذي يمكن اتخاذه عنواناً تجنيسياً يحدّد به جنس الكتاب))⁽¹¹⁸⁷⁾ لولا أننا نعدم هذه الإمكانية في غالب نصوص ومؤلفات الحضارة العربية الإسلامية، التي تتخذ (الحمدلة) لازمة تستفتح بها كل الخطابات، ونذر أن تشتمل على محدّدات الجنس

⁽¹¹⁸⁵⁾ فكرة الأجناس الأدبية ومرجعيتها عند أبي هلال العسكري/84 - 85.

⁽¹¹⁸⁶⁾ طوق الحمامة، مقدمة الرسالة/28.

⁽¹¹⁸⁷⁾ عقبات جبرار جنبيت من النص إلى المناص، عبد الحق بالمعبد، تقديم د. سعيد يقطين، ط1، منشورات الاختلاف.

الجزائر العاصمة، 2008 م/112 - 113.

الأدبي، فالاستهلال في الطوق إنما هو وجه من أوجه التعالق بينه وبين غيره من النصوص، وهو لذلك يقوِّي توقع القارئ من أن النص ليس إلا ما ذهب إليه أولاً.

3. المقدمة (التوطئة)

وهي عتبة تلي الاستفتاح- الاستهلال- تحاول أن تكشف عن مقصديات المؤلف ونيّاته، ومراجعة الفكرية، التي تمثل إشارات وموجهات أساسية تقود المتلقي إلى فهم المؤلف وامتته⁽¹¹⁸⁸⁾.

يولج المؤلف متلقيه في المقدمة التي لا تزيد إلا إغراء والتباساً، فأول ما يصادفه دعاء يتعالق فيه النص مع غيره من النصوص الإسلامية، التي يشمل مؤلفوها بالدعاء (مرسلاً إليه) غير محدّد؛ يستمر هذا الدعاء على مدى خمس جمل موسعة بالإدماج والعطف، وهي جمل منمّقة بجرسها وانتظام فواصلها صيغت صياغةً نمطية لا تختلف عما هو مألوف، ولذا فإنها تعزّز ثقة المتلقي بتوقعه الذي سيخيّب عما قليل. وهو يواجه هذه الجملة الاستثنائية: ((فإن كتابك وردني))⁽¹¹⁸⁹⁾، التي أحدثت في نفسه وقعاً فجائياً ((لا يلبث أن يعبر عن وقعها بواسطة الدهشة الجمالية، وهو الحدث الذي يغيب حينما يكون المتلقي مستوعباً لمكونات العمل الفني، مدركاً لخصائصه وآثاره مما يرتدّ بالفعالية المنتظرة إلى أن تتدنّى إلى درجة الصفر))⁽¹¹⁹⁰⁾، إذ تشكّل هذه الجملة أول تصريح مفاجئ في النص، لدفع متلقيه إلى تبني وجهة أخرى في استكناه جنس النص، بعد أن خاب أول توقعاته، فيمضي ابن حزم، هنا، إلى تعزيز هذا التصريح بإظهار مشاعر الودّ الذي يكتنه للمرسل إليه هذا، ووصف الرسالة التي بعث بها إليه، مظهراً إعجابه بها لكونها تتزاح عن النمطية التي تمسّك بها في رسائله السابقة، إذ يقول: ((وكانت معانيك في كتابك زائدة على ما عهدته من كتبك))⁽¹¹⁹¹⁾.

وفي هذا الكلام نلمح إشارة ضمنية إلى أن الكاتب (ابن حزم) سيزيدُ هو الآخر في معاني كتابه بأشياء لم يعدها (المرسل إليه).

هذا ثم يأتي إلى سبب التأليف، وهو أنه نزل عند رغبة صديقه هذا الذي لم يصرح باسمه، إذ اقترح عليه أن يصنّف له ((رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة))⁽¹¹⁹²⁾ شريطة أن يكون ((لا متريداً ولا متقبّلاً))⁽¹¹⁹³⁾ وذلك بأن يورد من الأخبار ما يتذكره على

⁽¹¹⁸⁸⁾ ينظر: شعيرة عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفراق، محمد الهادي المطوي، عالم الفكر، مج28، ع1،

1999م/455.

⁽¹¹⁸⁹⁾ طوق الحمامة/25.

⁽¹¹⁹⁰⁾ مفاهيم هيكلية في نظرية القراءة/47.

⁽¹¹⁹¹⁾ طوق الحمامة/26.

⁽¹¹⁹²⁾ طوق الحمامة/27.

⁽¹¹⁹³⁾ طوق الحمامة/27.

وجهه وبحسب وقوعه، حيث انتهى حفظه وسعة باعه فيما يذكر، فلا بد منه من ذكر ما شاهده عياناً وما حدثه به الثقات من أهل زمانه (1194).

ثم يمضي ليخبر عن محتويات الرسالة والمنهج الذي يتبعه؛ إذ ((رسم ابن حزم لكتابه خطه محكمة منسقة، بتحديد دأرة بحثه والتزامه طريقة استقرائية تتألف منها المادة الأصلية لجميع آرائه وأحكامه)) (1195).

على أن الباحثين يختلفون حول مدى وجود (مرسل إليه) حقيقي. فيطرح الدكتور عبد الرحمن المصطاوي - في هذا الشأن - سؤالاً دائرياً مؤداه: ((فهل هذا واقع فعلاً أم إن هذا تعلق للإفصاح ووسيلة لبيان عما تعتلج به نفسه؟ لسنا ندري حقيقة ذلك)) (1196) على حين يذهب آخر إلى أن الخطاب، هنا، ليس موجهاً إلى شخص بعينه، وإنما إلى كل من استعلم شؤون الحب والألفة، وكذلك يتوجه به إلى المسرفين فيه والخارجين عن أصوله الذين لا يعرفون معناه الصحيح العفيف. وهذا ما ترمز إليه الجملة الاعتراضية (أعزك الله) والتقدير المحذوف لباقي المخاطبين الافتراضيين هو الجملة المعطوفة على الجملة الاعتراضية، أي (وأعزكم الله) والتقدير، عندئذ، (الحب - أعزك الله وأعزكم - أوله هزل وآخره جد ...) (1197).

ورداً على هذه الوجهة رأى الباحث محمد فليح حسن رأياً حقيقياً، وهو أن ما ذهب إليه الدكتور عبد الحليم ((من تقدير (وأعزكم) في الجملة الاعتراضية يفتقد إلى الدقة، لأن المخاطب معروف ومحدد سلفاً ولا يقبل هذا التقدير، وإن كان المؤلف يهدف إلى مخاطبة الآخرين. وكان بإمكان الناقد الاستدلال على خطاب الجماعة ليس من جهة الخطاب، وإنما من جهة قصدية المؤلف الذي ألف كتابه، لكي يقرأ من الجماعة، وليس من شخص واحد، هو المعني بالخطاب في النص)) (1198).

وأرى أن وجود متلقي أول معني بالرسالة أمر مفروغ منه - أضعف الإيمان لكيلا يترتب على خلافه ما نحن في غنى عنه - إلا أن ابن حزم قد وجد في رغبة هذا المعني - صديقه - وتعطشه للمزيد، فرصة سانحة للإفصاح عما يتأجج به قلبه وما تعتلج به نفسه في شأن الحب وما يتصل به من رؤى وأخبار وحكايات وأشعار وذكريات شخصية، فجاء بمضامين وموضوعات لم تكن في حسابان كلا طرفي الحوار.

(1194) ينظر: طوق الحمامة/ 27 - 28.

(1195) طوق الحمامة في الألفة والألاف، ابن حزم الأندلسي، حققه وقم له صلاح الدين القاسمي، (مقدمة المحقق)/ 34.

(1196) طوق الحمامة (مقدمة المحقق)/ 15.

(1197) ينظر: مكاشفة سيميائية دلالية لقصص الحب في رسالة طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي (ت 456هـ) د. كبوط عبد الحليم. ضمن أعمال الملتقى الوطني الخامس في جامعة محمد خضير (السيمياء والنص الأدبي)، منشورات الجامعة، بسكرة، الجزائر، 2008 م/ 656 - 657.

(1198) الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي، أطروحة قدمها الباحث محمد فليح حسن إلى مجلس كلية التربية في جامعة القانسية، 2011 هـ/ 201.

لا ابن حزم ولا صديقه، بل تجاوز حاجة هذا الأخير ورغبته، فأخذت الرسالة، عندئذ، طابعاً شمولياً يكون المعني بها ليس واحداً بعينه بل كل من وقعت عيناه عليها، وهي لذلك تحولت من حوار بين طرفي الاتصال إلى حوارٍ للأنواع الأدبية التي اجتمعت كلها في ملتقى طوق الحمامة، لتناقش قضية الألفة والألاف. إن مجيء هذا النص على هذا الاضطراب الأجناسي ربما ينبهنا - نحن - على أن نفس المحب وقلبه يسيران على هذا النحو من الاضطراب والقلق وعدم الاستقرار، ولا سيما نفس صاحب الطوق وقلبه المثقلين بالهموم، المضطربين بلظى الحب من زمن آخر لا يزال ينشر ظلاله على الحاضر، زمن يعانق الفكر والإحساس، ويأبى إلا الدوام والخلود، أو ربما ينبهنا هذا الاضطراب الأجناسي بمسار أبي محمد الفكري والسياسي والديني، الذي حير به الجميع، فالرجل من كثرة انتقالاته وتناقضاته وتقلباته قد ضيع البوصلة وشغل متابعيه الذين لم يجدوا أي تماسك في مساره، شخص معقد موشوري، فيه من العمق الفلسفي حد الغرابة، ومن التزمّت المذهبي حد المغالاة، ومن التأجج العاطفي حد الميوعة (1199).

نقول: ربما تفسر لنا هذه التقلبات في مساره، والتشعب في حياته الشخصية والفكرية تحرك ابن حزم - في بناء الطوق - عبر جهاز لغوي مغاير لما هو مألوف عن المنجز الكتابي السابق (في الحب)، فلم يكن - أسيراً لشكل جامد، ولم يأت عمله اجتراراً أو تكراراً لأعمال سابقة أو لأشكال جامدة.

وهنا سنحاول الوقوف عند أوجه الخروج عن النمطية المتمثلة في إفادة صاحب الطوق من الهياكل والأشكال الأدبية الشائعة في التراث الأدبي، فمن ذلك:

1. الإفادة من بنية السيرة الذاتية

وهي من أبرز أوجه الانفتاح والخروج عن المألوف في هذا النص ((والسيرة الذاتية ظاهرة عرفت في شعوب العالم منذ القدم في صورها النثرية الثلاث (اليوميّات) و(المذكرات) و(الاعترافات) وهي كيان أدبي متمرد، بل دائم التمرد على الأشكال والقواعد الأدبية وهي صعبة المراس وغير منطقية، وفي أبسط تعريف للسيرة إنها حكاية شخص ما)) (1200) بيد ((أن الدراسات والبحوث المعمّقة في تاريخ الحضارة العربية، كادت تتفق استنتاجاتها على أن شخصية الكاتب في المؤلفات العربية القديمة، قدر لها أن تحتجب كلياً)) (1201) عن الأنظار، ولا سيما، فيما يخصّ الجوانب الشخصية التي يثير البوح بها شبهةً وارتياباً في صاحبها، بخلاف الجوانب المشرقة النيرة من حياة الكتاب الذين يعرضون سيرهم (1202)، لأنّ أدب

(1199) يمكن الوقوف على ما كان يعرف في ابن حزم من ازدواجية، بمراجعة :

- ابن حزم، للكتور أبو زهرة/ 154 وما بعدها.

- ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي، حسان محمد حسان/ 57 وما بعدها.

(1200) النقد النسائي للأدب القصصي في مصر، د. زينب العسال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م/ 186.

(1201) طوق الحمامة، بتحقيق صلاح الدين القاسمي، مقدمة المحقق/ 33. وينظر: موسوعة السرد العربي، د. عبد الله

إبراهيم، 1/ 233-246-247.

(1202) ينظر: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، يحيى عبد الدايم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1975م/ 6-7.

الاعتراف كان ولا يزال ((محمل شبهة وموضوع ارتياب، لأن الجمع بين لم يتمدح في قبول لهاتف الأدبية والواقعية، فيرى في جراءة الكاتب على كشف الممتور سلوكاً غير مقبول وإفراطاً في فضح لمجهول. فالاعتراف محاط بكثير من ضروب الحذر في مجتمعات تقليدية تتخيل أنها بلا أخطاء))⁽¹²⁰³⁾، وبالسيف، المجتمع الإنساني وموقفه من ابن حزم بمتابعة سقطاته واقتناص زلاته التي يطار بها كل مطار عند انظر بها.

فقد احتوى الطوق على شيء ليس بالقليل من خصوصيات كاتبه الواقعة في قلب كتاباته = (المحرمات). فعلى امتداد نصه يطالعنا الكاتب بين الغيبة والأخرى بالحديث عن نفسه، وهو يخترق حنونه الممنوع بشكل سافر لا نظير له، ربما لا ينسجم مع شخصية دينية، لها مثلاً من وقار وحضرة عند مرتبه، وحتى عند مناويله ومخالفه، حتى أغرى بذلك جملة من الباحثين⁽¹²⁰⁴⁾ لينظروا إلى نصه على أنه ((سيرة ذاتية لابن حزم، ألم فيها بحياته العاطفية هو والحياة العاطفية لطائفة من أصدقائه، وأغلاء متن شغلوا المناصب الرفيعة))⁽¹²⁰⁵⁾.

على حين تتف طائفة أخرى من الباحثين خلاف هذا الرأي، فمنهم من يرى ((أن من حزم قد استخدم الاستشهادات الذاتية والأدبية للبرهان على صحة نظرياته))⁽¹²⁰⁶⁾ ومنهم من يرى أن من تدعي حقائق الأمور أن ندعي أن ابن حزم يعد ((من كتاب السيرة الذاتية، وإنما هو حاول خرق مرسة عصره، وتجاوز قيود العرف المتبع، فتكلم عن بعض ذكرياته في ميدان الحب والعشق بصراحة وحرية ويعتبر صليحة هذا حدثاً غير عادي وطريقة مبتدعة في معالجة الكتابة الأدبية))⁽¹²⁰⁷⁾.

ولا ندرى كيف استقام للدكتور القاسمي هذا الرأي، فبينما هو يرى في اعتبار نزوق سيرة ذاتية ضرراً من (تحافي الحقائق)، فإذا به يتحدث عن ركائز وشروط السيرة الذاتية، فأخترق نزع مرسة عصره وتجاذبه قيود العرف المتبع من خلال حديثه عن ذكرياته في ميدان الحب، ولعنه صموده هذا ضد غير هادئ، ومطوية مبدعة، كل أولئك رمز من أهم المشجعات التي دفعت الباحثين إلى منحه مكانة سيرة

(1203) السيرة والاعتراف والهدية، د. عبد الله إبراهيم/5.

(1204) محمد زهير، إلهام ذلك الرأي الدكتور دودا، بديرة الذي جازم، ملوك المجلد لمر، كور، سيرة الذاتية.

المطار، المجلد الأدبي، د. دودا، بديرة، دار المارة، القاهرة، مصر، 1996/44.

وداهم أيضاً د. طه الحامدي، في كتابه ابن حزم سيرة أدبية/15 - 16.

(1205) د. الماهر، د. دودا، ملوك المجلد، د. دودا، بديرة، دار المارة، القاهرة، مصر، 1996/44.

المطار، المجلد الأدبي، (الماهر، دودا) ملوك المجلد، 44/4.

(1206) ملوك المجلد، د. دودا، بديرة، دار المارة، القاهرة، مصر، 1996/44.

(1207) المجلد الأدبي، المجلد الأدبي، (د. دودا، بديرة، دار المارة، القاهرة، مصر، 1996/44).

(1208) ملوك المجلد، المجلد الأدبي، د. دودا، بديرة، دار المارة، القاهرة، مصر، 1996/44.

(1209) ملوك المجلد، المجلد الأدبي، د. دودا، بديرة، دار المارة، القاهرة، مصر، 1996/44.

ذاتية، فالذي نراه أن ما يغتفر لمن ذهب إلى أنه سيرة ذاتية، إن لم يكن ذلك حقيقة، هو أن السيرة الذاتية ((قد تتخذ عدة أنماط تعبيرية كالرواية (والقصة) والدراما (والكتابة الفكرية) و(الإخبارية) والسينارستية))⁽¹²⁰⁸⁾ وقل لها أن تأتي في زمننا الراهن بكل فتوحاته واكتشافاته، خالصة كاملة، فكيف بزمّن ابن حزم الذي لم يألف الناس فيه ((ذلك، أو بالأحرى لم تكن نفوسهم مستأنسة ومتفتحة، بحيث تقبل من فقيه مثله أن يدع صرامة الجدّ، ويخالف معايير المروءة وأصول العرف، فيسّفـ[حسب رأيهم]ـ إلى درك السوقية، ويهوي في حضيض نزق الغلمنة ونوازع البطالة))⁽¹²⁰⁹⁾ كما أن الزمن الذي كتب فيه النصـ الطوقـ واقع ضمن فترات الاضطراب السياسي والتطاحن المذهبي في الأندلس، وهذا يعدّ من مشجعات اتخاذ النص سيرة ذاتية، لأن ((انتشار كتابة المذكرات واليوميات والسير الذاتية يتزايد في فترات الاضطراب السياسي مع وجود تمفصلات تاريخية حادة، تحدث نوعاً من الجدل السياسي يعبر عنه أصحاب المصالح والمصالح المضادة في شكل سير ومذكرات))⁽¹²¹⁰⁾، ومع أن ثيمة (الحب) هي المهيمنة في هذا النص، إلا أن النص برمته يعالج موضوعات عديدة ازدان بها، تتعلق جلّها بطبيعة تلك الفترة وملامحها، بحيث يمكن عدّها شهادة دامغة على عصر الكاتب ونفسيته، لأنهاـ وببساطةـ تعطي صورة صادقة ودافئة عن مجتمعه وموقفه منه، ((وهذه هي التفاصيل التي حدّدت الإطار الخارجي والمباشر لكيفية تأليف الكتاب بوصفه معادلاً لتأكل ذاتي متواصل))⁽¹²¹¹⁾ عند الكاتب.

ثم إننا نجد توفر النص على أغلب الركائز والشروط التي لابدّ من أن يعتمدها النص، لكي يعدّ سيرة ذاتية، تلك الركائز، كما يعدّها (فيليب لوجون)، هي⁽¹²¹²⁾ :

1. أن يكون شكل الكلام قصة نثرية.
2. الموضوع المطروق الحياة الفردية وتاريخ الشخصية.
3. اعتماد القصّ الارتدادي.
4. التطابق بين ثلاث أنوات (المؤلف والراوي والشخصية).
5. الميثاق السير ذاتي.

⁽¹²⁰⁸⁾ أدب السيرة الذاتية، إعادة التعريف في الذهنية العربية، د. نبيل سليم علي (مقال) بمجلة العربية، مجلة الثقافة العربية، وهي مجلة شهرية تصدر في المملكة العربية السعودية، العدد (408) ديسمبر 2011 م/33.

والأقواس من وضع الباحث، وسبب وضعها أن ما بينها هي أنماط تعبيرية احتوى عليها نص طوق الحمامة.

⁽¹²⁰⁹⁾ طوق الحمامة بتحقيق، صلاح الدين القاسمي، مقدمة المحقق/34.

⁽¹²¹⁰⁾ النقد النسائي للأدب القصصي في مصر/187.

⁽¹²¹¹⁾ السرد والاعتراف والهوية/29.

⁽¹²¹²⁾ السيرة الذاتية، فيليب لوجان، ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994م/22 - 24 - 39 - 40 -

41، وينظر: معجم السرديات/260 وما بعدها.

إلا أنّ هذه الشروط المطروحة عند (لوجون) لم تتجّ ممّا وجهت إليها من انتقادات والدعوة إلى إعادة النظر فيها، فقد لاحظ (جورج ماي) أنّ ما يترتب على شروط وركائز (لوجون) هو ((أن السير الذاتية الشعرية من قبيل التمهيد الشهير لـ (ورود سورث) Wordsworth ليست سيرة ذاتية، ما يعني أنّ (لوجون) لم يبق المجال مفتوحاً لكتابة السيرة شعراً. كما أنّه قصّر (الميثاق السير الذاتي) على تصريح الكاتب، ولذا اقترح (ماي) استبدال ذلك التحديد والشروط الصارمة بمفهوم (النزعة والإغراء) (1213).

وتبعاً لذلك تبين لجورج ماي أنّ أهم النزعات التي تميّز السيرة الذاتية هي (1214) :

1. أنّ السيرة الذاتية تنزع إلى أن تكون نثرية، ويكون بذلك قد أبقى الباب مفتوحاً لكتابة السيرة الذاتية شعراً.
2. تنزع إلى الحديث عن فترة طويلة من حياة الفرد.
3. ينزع أصحابها إلى أن يكونوا كتاباً بلغوا سنّ النضج أو حتى عتبة الشيخوخة.
4. تنزع السيرة إلى الصدق، وذلك بالتزام صاحبها بالحقائق والنزاهة.

أمّا فيما يتعلق باعتماد القصّ على الارتداد والاسترجاع، فإنّه وجّه من أوجه الصرامة المنهجية لتمييز السيرة الذاتية، لأن ارتباط ((التذكّر بذات المؤلف في الحاضر، يجعل الوقائع نفسها وصورة الذات الماضية غير مستقلة عن زمن الحاضر وما أنّ يشرع الكاتب في تدوين ذكرياته حتى تخضع تلك الذكريات لأحكام الكتابة، فتتلوّن بروي الذات في لحظة التدوين وتتشكّل بحسب ما يطرأ على ذهن المؤلف من أفكار وانطباعات وهو ينشئ نصّه)) (1215) ثم إنّ السياق الاجتماعي للحاضر – يقول (بيير نورا) ((يجعل من الماضي مليناً بالدلالات والعبر وقابلاً للاسترداد، وبذلك يصبح التاريخ هو الماضي المتذكّر ومستودعاً لأسرار الماضي، بل الحاضر كذلك)) (1216).

إنّ ممّا لا نحتاج معه إلى التقصي الممض والدليل المربك أنّ ثمة تطابقاً تاماً بين أشياء كثيرة من محتويات طوق الحمامة، وبين الشروط والركائز المطروحة للسير الذاتية، فالكاتب بين الحين والآخر يتحدث عن ماضيه، نثراً وشعراً، باسترداد الذكريات الشخصية المحفّزة من سياق الحاضر، وبشكل اعترافي غاية في الصراحة وبشجاعة، قلّ شبيهها، فكيف بأبي محمّد وهو أحد أئمة الأندلس وعلمائها ومحدثيها وفقهائها وأدبائها؟ كما ونلاحظ أنّه يشفع كل ذلك بميثاق سيرتي غليظ، كقولهِ في المقدّمة: ((والذي

(1213) ينظر: السيرة الذاتية، جورج ماي، تعريب محمد القاضي وعبد الله صولة، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، تونس، 1992 م/220 – 221. وينظر: معجم السرديات/261.

(1214) ينظر: السيرة الذاتية، جورج ماي/115 – 220 – 221. كذلك ينظر: معجم السرديات/261 – 262. كذلك السرد في الشعر العربي الحديث في شعرية القصيدة السردية، فتحي النصري ط، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2006 م/284.

(1215) معجم السرديات/262.

(1216) تمثيل الماضي بين الذاكرة والتاريخ والتخيّل، د. عبد الستار جبر، (مقال) بمجلة الأقلام العراقية، الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، العدد (4) تشرين الأول/تشرين الثاني/كانون الأول، 2011 م/48.

كلّفتني لابدّ فيه من ذكر ما شاهدتهُ حضرتي، وأدركتهُ عنايتي وحدثني به الثقات من أهل زمانه⁽¹²¹⁷⁾ أو قوله: ((وكفاني أني ذاكر لك ما عرض لي ممّا يشاكل ما نحوت نحوه وناسبه إلي))⁽¹²¹⁸⁾ أو أنه في مستهل ما يحكيه عن حياته يأتي بعبارات وألفاظ من قبيل (وعني أحدثك) و(وقع لي مثل ذلك ولقد أذكرني هذا ...) وإلى غير ذلك من التصريحات التي تتركز لدينا المواثيق السيرية التي تؤكد (تماهي الأنوات)⁽¹²¹⁹⁾ وهنا، إذ جاء الكلام على ذكر الميثاق السيري، تعترضنا مسألة غاية في الأهمية، وهي عدم تصريح ابن حزم بأسماء شخصياته في الغالب، فهل يعني ذلك التطابق والتلاحم بينه وبين شخصياته؟

((إذ إنّ النقاد يؤكدون على أنّ مجهولية الاسم ما هي إلا إشارة إلى القناع الذي يتخفى وراءه المؤلف))⁽¹²²⁰⁾ وإذا كان ذلك، فليس ببعيد أن يكون صاحبنا قد جاء بفقرة ((فاغفر لي الكناية عن الأسماء ...)) ليغطي بها على جملة من خصوصياته، التي لم يقو - رغم شجاعته - التصريح والاعتراف بها، وليس ببعيد أيضاً أن يكون الناسخ قد استبدل ألفاظ العموم بالمواثيق السير ذاتية التي سبقت الإشارة إليها. وللبرهنة على ذلك نتوسّل بالتناص النحوي لاستجلاء ما سكت عنه في النص، يقول ابن حزم ((وإني لأعلم من كان أحسن الناس ظناً وأوسعهم نفساً وأكثرهم صبراً وأشدّهم احتمالاً وأرجحهم صدراً ثم لا يحتمل ممّن يحبّ شيئاً ولا يقع له معه أيسر مخالفة حتى يبدي من التعدّد فنوناً ومن سوء الظنّ وجوهاً ...))⁽¹²²¹⁾ ولكن ما المانع من أن يكون هذا المكّنّى عنه، أو عنهم، ب (من) الموصولة، هو ابن حزم نفسه، أو أن يكون من جملة من يسيئون الظنّ بأحبّابهم، لما هم عليه من حساسية وندرجسية شديدتين، أليس هو من تربى في حجور النساء ونشأ بين أيديهنّ، ولم ينس شيئاً ممّا رآه منهنّ؟ ثمّ يصرح بأنّ أشياء كثيرة من خصائص الأنوثة قد تسلّلت إلى شخصيته، فطبع عليها⁽¹²²²⁾ وأهم هذه الأشياء - يقول ابن حزم - ((غيرةٌ شديدة طبعَتْ عليها وسوء الظنّ في جهتهنّ فطرت به ...))⁽¹²²³⁾ ثمّ أليس هو

(1217) طوق الحمامة/27 - 28.

(1218) م. ن/28.

(1219) ينظر: السيرة الذاتية وتشكلاتها في ((رماد الدرويش)) لحسب الشيخ جعفر، د. فاضل عبود التميمي، مجلة الألفلام،

الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العدد (1) كانون الثاني/شباط 2012 م/90.

(1220) البنية الروائية في نصوص إلياس فركوح/165.

(1221) طوق الحمامة/52.

(1222) يصطلح علماء النفس على الجزء اللاشعوري من شخصية الذكر المتكون من صفات الأنوثة (الأنثى Anima) وهي

كما يرى (يونغ) أمرٌ سيقود المرء إلى أن يبدو حساساً حنوناً مداعباً.

ينظر: المعجم الموسوعي في علم النفس، نوربير سيلامي بمشاركة مئة وثلاثين اختصاصياً، ترجمة وجيه أسعد،

منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، 2001 م/377/1.

(1223) طوق الحمامة/108.

من يقول بعد هذا الاعتراف مباشرة: ((وسياتي ذلك مفترأ في أبوابه إن شاء الله تعالى))⁽¹²²⁴⁾ ولنا أن نتساءل، إذاً، عما سياتي إلى تفسيره ابن حزم، في أبواب كتابه، من هذا الجانب الخاص من حياته، أليس الناسخ (الحزمي) قد استقل على إمام مذهبه أن يكون مفسر يسيء الظن، لكون سوء الظن صفة مذمومة في الإسلام فاضطره إلى تغييب هذا الجانب الاعترافي من النص؟

ومن هنا يرى الباحث أن إقبال الناسخ على الرسالة بُغية اختصارها كان توجهاً إيديولوجياً، ونرجح أنه كان ظاهرياً وعلى مذهب ابن حزم، والذي يؤكد زعمنا أنه عمد إلى حذف أخبار اعترافية برمتها، ولم يبق لها أثرٌ في النص، لاشتمالها على الممنوع، وما ينبغي أن يكون مسكوتاً عنه، لكون هذه الخصوصيات ((تخدش الصورة الرمزية له في المخيال العام))⁽¹²²⁵⁾ فمما طالته يد الناسخ من هذه الأخبار ما جاء في كتاب (نفح الطيب) للمقري: ((قال ابن حزم في (طوق الحمامة) إنه مر يوماً هو وأبو عمر بن عبد البر صاحب (الاستيعاب) بسكة الحطابين بمدينة أشبيلية، فلقيا شاباً حسن الوجه فقال أبو عمر: هذه صورة حسنة؛ فقال له أبو محمد: لم تَرَ إلا الوجه، فلعل ما سترته الثياب ليس كذلك، ثم أنشد أبو محمد أبياتاً من الشعر آخرها: - الطويل-

ألم تر أنني ظاهري وأنتي على ما أرى حتى يقوم دليل))⁽¹²²⁶⁾

ولا حاجة لأن نقول أن هذا الخبر مخترق منطقة الممنوع، ولذا قام الناسخ بوضع الغطاء عليه، وربما على أغلب المواد التي هي من هذا القبيل في الطوق، وعياً منه بأن الجمهور يضغط التاريخ الشخصي للكاتب في لحظة واحدة وهي لحظة معرفته خلال القراءة، فيما الكاتب صيرورة من التحولات التي لا تنتهي، ولا يعاب عليه نكرانه له. ولذا أثر الناسخ اختصار هذه المدونة، لتظهر منسجمة مع استعدادات الوعي الجمعي وضيق أفقه الذي يقلص قامته معرفية كأبي محمد بكتاب ضمّنه جملة من أسرار، بعد أن وجد هذا الأخير (رحمة الله) الصعوبة في السيطرة عليها، بسبب تحولات الوعي الخاص به، على اعتبار أن حالة الاعتراف هي جزء من عملية التحول التي تتبرم منها الثقافة العربية - وما تزال - كونها عصية على فهمها العام⁽¹²²⁷⁾.

2. الانفتاح على بنية الشعر

إن ((تضمين النثر شواهد من الشعر كان من التقاليد التي درج عليها المتقدمون))⁽¹²²⁸⁾ فهذه الظاهرة، حلية فنية التزمها الكتاب على اختلاف الموضوعات النثرية وفنونها، ثم أخذت تظهر في النثر

⁽¹²²⁴⁾ طوق الحمامة/108.

⁽¹²²⁵⁾ السرد والاعتراف والهوية/7.

⁽¹²²⁶⁾ نفح الطيب للمقري 82/2، وينظر: طوق الحمامة، بتحقيق د. الطاهر مكي، مقدمة المحقق/6.

⁽¹²²⁷⁾ ينظر: السرد والاعتراف والهوية/6 - 7.

⁽¹²²⁸⁾ النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د. زكي مبارك، ضبط وتقديم عثمان غزال، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010

الأندلسي ظهوراً سافراً، محاولةً من أدبائها إظهار ما لديهم من براعة فنية وألمعية أدبية، وهذا ما أشار إليه الدكتور حازم عبد الله خضر بقوله: ((إنّ مما يلفتُ النظر في النثر الأندلسي في هذه الفترة تطعيمية بالأبيات والقصائد الشعرية، إذ حرص الأدباء الأندلسيون على أن تتضمن رسائلهم النثرية أبياتاً من الشعر، وقد كانت هذه الظاهرة من أدلة عزمهم على إظهار فنونهم وتفوقهم على نظرائهم في المشرق)) (1229).

وقد سخر ابن حزم هذه البنية في بناء نصه، إذ صاغ الكثير من موضوعاته شعراً، وربما كانت أشعاره تفوق في الأصل، أي قبل عملية الاختصار، ما فيه من المنثور، بحيث - وهو على هذه الهيئة من الاختصار - اعتبر النقاد نصّه استعراضاً من ابن حزم لمهارته الفنية ولقدرته على صوغ الشعر العاطفي المعبر عن أحواله المختلفة⁽¹²³⁰⁾ إلا أن ما يعيننا هنا، هو أن وجود الشعر بهذه الكثرة في طوق الحمامة لصاحبه ((شكل من أشكال التناص))⁽¹²³¹⁾ وإحدى البنيات الفرعية المهمة التي ساعدت على تجاوزه الهرمية المتعارف عليها في الجنس الأدبي.

3. الانفتاح على الطريقة الجاحظية ((لعبة الاستطراد أو طرد المتن)) (1232)

بدأت الطريقة الجاحظية اجتياح الأندلس منذ القرن الثالث للهجرة، ثم ما لبث أن اشتدّ هذا الاجتياح بعد ذلك، فقد تعلّق الأدباء بهذه الطريقة، وحرصوا على تمثّل خصائصها وميزاتها⁽¹²³³⁾. وهكذا نجدها وجهاً مهماً من أوجه الخروج عن البنية النمطية للأنواع الأدبية في الطوق، وتتمثّل الطريقة الجاحظية بالاستطراد، ((إذ يلحظ كل من يقرأ الجاحظ حالاً من التشعب في التأليف، فهو دائماً ينتقل من باب إلى باب، ومن خبر إلى خبر، ومن شعر إلى فلسفة، ومن جدّ إلى هزل في تشعب هائل ... وقد كان الجاحظ يتخذ منهجاً في تأليفه))⁽¹²³⁴⁾ غير أننا لا نظفر في الطوق بالشيء الكثير من هذه الظاهرة، التي يبدو أن أبا محمد يتحمّس لها؛ نظراً لسعة باعه في الثقافة وتشعب مساراته الفكرية. ولعلّ السبب في ندرة الاستطراد في النص، خضوعه إلى التصفية من الرتوش والزيادات الناتجة عن موضوعه الأساس، فلكون الناسخ قد حذف أكثر أشعاره يستدعي أنّه حذف المناسبات التي قيلت فيها هذه الأشعار والقصص والأخبار المتصلة بها، ونرى أن تلك الأشعار كانت وسيلة خدومة - (لطالما كان إظهار البراعة إحدى الغايات منها) - للاستطراد والانعطاف عن مألوف الخطاب وكسر أطره وثوابته، ولذا نجد أبا محمد لا يتمالك رغبته في الانتقال من موضوع إلى آخر، حين يأتينا بعبارات من قبيل: ((والشيء قد يذكر لما

(1229) النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين/369.

(1230) ينظر: الألوان، طه حسين/117.

(1231) نظرية علم النص، حسام فرج/210.

(1232) النقد الثقافي، عبد الله الغدامي/240.

(1233) ينظر: النثر الأندلسي، حزم عبد الله خضر/77.

(1234) الفن ومذاهبه، شوقي ضيف/166.

يوجبة)) (1235) أو ((الكلام يدعو بعضه بعضاً)) (1236) وغير ذلك، إيداناً بأننا سننحرف معه عن المسار المستقيم للخطاب، سعيًا محمومًا منه وراء قرائحه، ونحو أفكار ومفاهيم جديدة- من خلالها- يلغي ((رسمية المتن وجديته)) (1237). وذلك حين يأخذ المتن مساراً مغايراً باتجاه قضية، أو موضوع أبعد ما يكون عن توقّع متلقيه النسقي، وكأنك بأبي محمد يعي تماماً بأن الأفكار المغايرة، المتمثلة بإحلال ما هو من سقط المتاع، وما هو أجنبي عن طبيعة الخطاب في المتن، تخبّ أفق التوقعات المرتقبة التي تفترض أن الأفكار في النص جارية مجرى مستقيماً. ثم إن ارتحال ((الخطاب بعيداً عن المتن هو ابتعاد ذهني وثقافي يفضي حقيقةً إلى إلغاء الأصلي والسخرية منه ويؤدي إلى إحلال قيم ثقافية بديلة ومنافسة)) (1238) وهو، أيضاً، سعي من الناص- سواء كان بوع أو غيره- إلى الجذّة والطرافة بالخروج عن القارّ والمألوف. ونرى- جزاء ذلك- أن إقبال الناسخ على اختصاره وحذف كل ما ترتّب على هذه اللعبة الجاحظية، وإبقائه على ما يسير به، من أوجه الالتزام بالمنطقية ومحاولة فرضها، والتمسك بالمتن وعدم الاحتفاء بالهامشي في عقلية ذلك الزمن، التي لم يرق لها الاستطراد الحاد، والخروج عن المألوف (رسمية الخطاب)، بل ترى في ذلك أمراً من قبيل إلزام الكاتب نفسه ما ليس يلزمه، وذلك ما يوقع النص لا محالة- حسب رأيها- في شرك التشطي والركاكة.

على حين تبقى هذه النظرة قاصرة من وجهة نظر الموسوعيين، الذين يرون في تناوب البنيات والأشكال والأنواع كسراً لجدران النمطية الفنية ورتابتها، وطريقة مثلى يتخذونها ليساوا بين ملامح الأدب الرسمي (الآداب والسير وتاريخ الملوك) وبين ملامح الأدب الهامشي (قصص العشق- الحكايات عن المجهولين، بينهم أتقياء وضعفاء وسقطاء) (1239). ليعيش في نصوصهم الهامشي والرسمي جنباً إلى جنب، والأنماط الشريفة مع الأنماط الوضيعة، ليخلقوا صراعاً تتلوه الثقافة بحضور أنساقها المتضاربة: المتن منها والهامش (1240). وهذا ما حصل في الطوق.

(1235) طوق الحمامة/48.

(1236) طوق الحمامة/115.

(1237) النقد الثقافي/241.

(1238) النقد الثقافي/240.

(1239) ينظر: الأسد والفواص تحاور الأنماط أم تحاور الأجناس، د. صابر الحباشة، مجلة المورد الصادرة عن دار الشؤون

الثقافية العامة، بغداد، المجلد (38) العدد (2) 2011 م/70.

(1240) ينظر: النقد الثقافي/241 - 242.

4. الانفتاح على بنية القص

إن انفتاح طوق الحمامة على هذه البنية بشكل كبير قد شجّع بعض الباحثين على إدراجه في (فن الرسائل القصصية) أي تلك الرسائل التي تعتمد القص في فحواها، أو يكون للقص النصيب الأوفر في محتواها (1241).

يتألف القص ((في الطوق من الأخبار والحكايات، وقد كان طغيان الأخبار القصصية على الحكايات في الطوق أهم عناصر ضعف القص فيه، فقد كُنا_والكلام للدكتور الشناوي_ نتمنى أن يكثر ابن حزم من الحكايات القصصية بدلاً من تلك الأخبار التي تكاد تخلو من القص)) (1242) وعلى أي فإن أحداث القص عند ابن حزم كلها واقعية، ولم يحفل نصّه بالمتخيل، إذ لا يتكئ صاحبه إلا على- كما يقول هو- ((شاهدته حضرتي وأدركته عنايتي وحذثني به الثقات من أهل زمانه)) (1243) فهو يأتي بها من حياته الخاصة، ومن تجارب الآخرين، ولا يخرج الغرض من توظيفها عن خدمة أغراضه، إذ إن وجودها ((كان دليل إثبات واقعياً، ووسيلة إقناع لهذا الغرض)) (1244) من هنا فإن للقص وظيفة لا تختلف عما يقوم به الشعر في النص من دور تداولي، يتمثل بإقناع المتلقي، وتثبيت مراد المرسل، وهذا هو السبب في ((أننا لا يمكن أن نفصل الحكايات والأخبار القصصية عن الأبواب التي جاءت بها؛ لأن القص في الطوق يأتي دائماً، شاهداً على الكلام النظري الذي يتحدث به ابن حزم عن الحب)) (1245) وعندئذ فإنها تمثل عنصراً جوهرياً في تشكيله ومصدراً من مصادر غنائه وانفتاحه وإثرائه.

ونرى أنه لو طرحنا الأخبار جانباً، وانطلقنا من فهم حدائث القص في الطوق، لظهر أنها ترجع إلى القصة القصيرة، نعم قد لا تكون بنية القص فيه ذات قيمة فنية عالية بمعايير السردية الحديثة، إلا أنها تبقى شهادة دامغة على صدقه الفني- بمعايير عصر ابن حزم طبعاً- وصدق الواقعي، لأنها تعطي صورة صادقة ودافئة عن مجتمعه ونفسية هذا المجتمع واستعداداته. ومع هذا لا نغني أننا أمام قاص لم يتمكن من أدواته، ولم يوفر لذلك ((تقنيات القص، من شخصيات وحبكة ووصف وحوادث ومقدمة ونهاية)) (1246) خذ مثلاً الحكاية التي يقصّها عن الشاعر يوسف بن هارون الرمادي (403 هـ) في باب (من أحب من نظرة واحدة) (1247)، التي تدور أحداثها- كما يصف لنا ابن حزم- عند اجتياز بطلها-

(1241) ينظر: التراث القصصي في الأدب العربي، مقاربة سسيو سردية، محمد رجب النجار، ط1، منشورات ذات السلاسل،

الكويت، 1995م/9.

(1242) فن القص في النثر الأندلسي/276.

(1243) طوق الحمامة/28.

(1244) نظرية علم النص، حسام فرج/213.

(1245) فن القص في النثر الأندلسي/276.

(1246) م. ن/297.

(1247) ينظر: طوق الحمامة/61 - 62.

الرمادي- عند باب العطارين بقرطبة، وهو موضع تجتمع فيه النساء، ومن ثم ملاحظته جارية تشاركه بطولة الأحداث، عبر انصرافه عن طريق جامع قرطبة إلى (الفنطرة) ومن ثم إلى الموضع المعروف بالريض، وانتهائهما عند مقبرة الريض حيث رياض الأمويين المبنية على قبورهم. وهنا ((تأخذ الأحداث منعطفاً جديداً))⁽¹²⁴⁸⁾ حين تلتفت الجارية إليه ((منفرداً عن الناس لا همة له غيرها، فانصرفت إليه))⁽¹²⁴⁹⁾ تستخبره عن سبب ملاحظته إياها.

وهنا نلاحظ أن (المقبرة) وهي في الواقع مكان (غير أليف) تتحول إلى ملاذ آمن و(مكان أليف) يجد العاشق فيه الراحة والطمأنينة، ليأمن الوشاة والرقباء، فضلاً عما أضفاه ابن حزم- بانجذابه الأموي- على المكان من متطلبات الألفة من خلال ألفاظ (رياض- رحمهم الله- النهر). وعبر هذا الوصف المكاني الدقيق وألفته يتوسل ابن حزم، في إبراز أحداث القصة ورسم الشخصيتين بتقنية (الحوار الخارجي) الذي يدور بين الاثنين، وكما هو معلوم أن الحوار ((صفة من الصفات العقلية التي لا تنفصل عن الشخصية بوجه من الوجوه، ولهذا كانت من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات، بواسطته تتصل شخصيات القصة بعضها ببعض البعض الآخر))⁽¹²⁵⁰⁾ وحقاً فإن هذا الحوار ساعد على تمثيل الحركة القصصية تمثيلاً، وكأننا دون مبالغة أمام مشهد مسرحي خليق بأن يأخذ طريقة إلى خشبة المسرح. كما أنه أجاد في أن يمثل من خلاله نفسية المتحاورين⁽¹²⁵¹⁾. على أن حبكة الأحداث تفقد قوتها بعد هذا الحوار الجاد، وذلك حين وجدت الأحداث لنفسها حلاً ساذجاً، فقد أبقى ابن حزم أمر لقاء المحبين معلقاً بأمل اللقاء الذي ضربت به الجارية عند قولها: ((في مثل تلك الساعة من كل جمعة))⁽¹²⁵²⁾ وهذا ما لم يتحقق، وذلك حين يتحول السرد من الدرجة الأولى (=السرد المباشر) إلى السرد من الدرجة الثانية⁽¹²⁵³⁾، لتحدث الشخصية عن خاتمة القصة، فيقول الرمادي: ((فو الله لقد لازمت باب العطارين والريض، من ذلك الوقت إلى الآن، فما وقعت لها على خبر، ولا أدري أسماء لحستها أم أرض بلعتها، وإن في قلبي منها لأحر من الجمر))⁽¹²⁵⁴⁾.

⁽¹²⁴⁸⁾ فن القص في النثر الأندلسي/277.

⁽¹²⁴⁹⁾ طوق الحمامة/61 - 62.

⁽¹²⁵⁰⁾ فن القصة، محمد يوسف نجم، ط5، دار الثقافة، بيروت، 1966 م/117.

⁽¹²⁵¹⁾ ينظر: فن القص في النثر الأندلسي/277.

⁽¹²⁵²⁾ طوق الحمامة/62.

⁽¹²⁵³⁾ السرد من الدرجة الأولى (= السرد الأولي - السرد المباشر) وذلك حين يكون الراوي هنا خارج الحكاية وليس حاضراً

فيها، فابن حزم هنا ليس إحدى شخصيات الحكاية. أما السرد الثانوي (=داخل حكاية) فإنه تولي شخصية من

الشخصيات عملية السرد فيسمى السارد، عندئذ (السارد الثانوي) ويكون سرده ثانوياً/ينظر: مدخل إلى نظرية القصة

تحليلاً وتطبيقاً، سعيد مرزوقي وجميل شاكر، الدار التونسية للنشر، مشروع النشر المشترك، بغداد، 1986 م/100.

⁽¹²⁵⁴⁾ فن القصة/77 - 78.

ولكن أهذه هي نهاية القصة؟ إن كان ذلك، فما الذي ألجأ ابن حزم إلى قوله: ((ثم وقع بعد ذلك على خبرها بعد رحيله في سببها إلى سرقسطة في قصة...))⁽¹²⁵⁵⁾ أخائته الكلمات أم أثر المناسبة بين مجرى الأحداث والباب الذي يتحدث فيه عن الحب؟

إنّ ممّا يدعو إلى الأسف أن القصص الواردة في الطوق قد طالتها يدُ الناسخ، فلم تتج، هي الأخرى منها، وهذا ما كان غائباً عن الدكتور (علي الشناوي) حين تعرض لتحليل هذه الحكاية، فوجدها في كتاب (بغية الملتصق)⁽¹²⁵⁶⁾ للضبي جاءت كاملة مع أنّ الضبي يوردها على لسان ابن حزم، ويجعل لها نهاية، فأخذ يسأل: ((لماذا لم يأت ابن حزم بالقصة كاملة، كما وردت عند الضبي في البغية وإن اختلفت صيغة الرواية هناك؟))⁽¹²⁵⁷⁾ ثمّ يجيب نفسه بأن ((ذلك يفسّر لنا عدم رغبته [ابن حزم] في الإكثار من القص الطويل الذي تتوفّر فيه العناصر القصصية، واكتفائه بإيراد الأخبار التي تحمل إشارات قصصية فقط))⁽¹²⁵⁸⁾ وهذا يعني أنّه لم يطلّع على ما ذيل به الناسخ مختصره، أو ربّما اطلع عليه فاستوقعه (حذف الأشعار)، فاستبعد أن يكون قد شمل هذا الحذف القصص وأموراً أخرى، ونحن هنا نؤكد أن حذف الأشعار قد اضطره إلى حذف ما يتصل بها من حكايات وأخبار وغير ذلك، إن لم نقل أن حذف الأخبار والقصص - ولاسيما الاعترافية - قد اضطره إلى حذف أشعاره !!.

5. الانفتاح على بنيتي السرد التاريخي والتراجم

آثرنا، هنا، دمج هاتين البنيتين اللتين ينفّح لهما أبواب الطوق، بشكل لاقت، على مصاريعها، ليقدم لنا هذه المرّة تفاصيل تاريخية عظيمة القيمة عن الأندلس وأحداثها وأعلامها. منطلقاً، بذلك، من الثقافة التاريخية الرصينة لصاحبه الذي كان منجماً من مناجم المعرفة بكلّ فروعها وحقولها، ولاسيما ((موفور حظّه في المعرفة بالسير والأخبار))⁽¹²⁵⁹⁾ نعم فقد كان ابن حزم ((مؤرخاً ومفكراً ذا دور كبير في مجال التاريخ))⁽¹²⁶⁰⁾، فالذي يطلّع على (جوامع السيرة) و(جمهرة أنساب العرب) ورسائله الموسومة بـ (نقط العروس في تواريخ الخلفاء) ستتضح لديه هذه العبقرية الفذة في مجال التأليف التاريخي ونقده وتدقيقه.

⁽¹²⁵⁵⁾ فن القص في النثر الأندلسي/276.

⁽¹²⁵⁶⁾ ينظر: بغية الملتصق/493 - 494 ترجمة رقم (1452).

⁽¹²⁵⁷⁾ فن القص في النثر الأندلسي/279.

⁽¹²⁵⁸⁾ م. ن/279.

⁽¹²⁵⁹⁾ الصلة، لابن بشكوال 416/2.

⁽¹²⁶⁰⁾ ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، د. عبد الحليم عويس، ط2، مكتبة الزهراء للإعلام

العربي، القاهرة، 1988 م/7.

فالمراد بالسرد التاريخي- وفق ما اتضح سلفاً- تبني الناص طريقة المؤرخين في طرح المعلومات التي ((تعكس الصراعات والخصومات والاختلافات السياسية والدينية والطائفية المذهبية))⁽¹²⁶¹⁾ والسرد التاريخي هو في الأساس جزء من أصل كبير هو (الشعرية) بوصفه الدراسة الجادة والجهود الأدبي الذي من خلالهما نفهم التاريخ، الذي يعبر عنه مؤرخ ذو موهبة في التعبير المتطور، ولذا عدّ التاريخ الوصف الأدبي لأي نشاط إنساني ثابت، سواء أقام به الأفراد أم الجماعات، فهو في مكوناته الرئيسة يتكون من (زاو) و(مروي له) يفصل بينهما (النص/التاريخ)⁽¹²⁶²⁾.

أما الترجمة، فإنها شديدة الاتصال ببنية السرد التاريخي، بل تعدّ من جزئياتها، وتعرف بأنها نصّ قصير، قد يتضمّن إشارات إلى مراحل من حياة الشخص المعني، وقد تحتوي في الغالب مجموعة من تراجم آخر⁽¹²⁶³⁾. إن نظرة سريعة في الطوق تدلّك على أنه أفاد من بنية التراجم، وذلك حين يعرض تعريفاً موجزاً، بل أحياناً، مسهباً للشخصيات القصصية وغير القصصية. وتمثيلاً لذلك ما جاء في أول أبواب الرسالة من قوله ((وقد أحبّ من الخلفاء المهديين (...)) إلى قوله ((... ويحي ذكره سواه))⁽¹²⁶⁴⁾ (1265).

فتجدد كيف أن المناسبة اضطرتّه لأن يخلص من الحب إلى التاريخ، حين يقدّم لنا معلومات قيّمة عن حياة الأمراء والولاة والوزراء في قصورهم، إلا أنّ ولاءه الأموي أجمعه عن أن يزيد في دقائق هذه الأمور حين قال: ((ولولا أنّ حقوقهم على المسلمين واجبة، وإنما يجب أن نذكر من أخبارهم ما فيه الحزم وإحياء الدين...))⁽¹²⁶⁶⁾ ثمّ كيف أنّه حين عرج إلى ملك مصر، وقرّ لمنقوله مكوّنات يحدّد من أهم مكوّنات المرويّات الإخبارية، ذلكم هو (الإسناد) الذي هو مصدر الخبر المروي، والذي يربط الحديث بالتاريخ والواقع

(1261) السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات، د. إبراهيم صحراوي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008 م/137.

(1262) ينظر: في هذا الشأن :

- السردية العربية، د. عبد الله إبراهيم، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1992 م/16.
- السردية التاريخية من العنوان إلى المتن كتاب مروج الذهب أنموذج د. قيس كاظم الجنابي، مجلة المورد، الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، المجلد (37)، العدد (1)، 2010 م/164.

(1263) ينظر: معجم السرديات/257.

(1264) طوق الحمامة/32.

(1265) م. ن/34.

(1266) طوق الحمامة/33.

ويشدّه إليهما، كما يوقّر للمروري خلفية من الصدق والأصالة على الأقل فيما يتعلّق بالسارد الأخير (1267) (= ابن حزم).

وهذا ينطبق كذلك على ما جاء في (باب من أحب صفة لم يتحسن بعدها غيرها ممّا يخالفها) (1268) حين يتحدث عن كلفه تجارية شقراء وعن كون غرامه بالشقراوات صار شيئاً من أصل تركيبه، فقد أحسن التخلص هنا في الانتقال إلى البيت الأموي ثانية، الذي جُبِلَ على تفضيل الشقرة، حتى صارت الشقرة فيهم خلقة، مستنداً في ذلك إلى معاشريه ومعاصريه أغلبهم، وإلا استند في توثيق منقوله على من رآهم، فهذه المعلومات لها شأنها عند من يريد الخوض في تاريخ الأمويين، في الأندلس. ونجد - كذلك أنه حين انتقل إلى تجليات غرام الشقراوات في الشعر الأندلسي، عمد إلى أكثر الشعراء تغزلاً بهنّ، وأثبت له ترجمة قصيرة يذكر فيه اسمة ولقبه ونسبه على طريقة أهل التراجم، وربما استشهد بشيء من أشعاره، فكانت هذه الأشعار من المواد التي طالتها يد الناسخ.

ومن ذلك، أيضاً، أنّه ربّما أعقب سرد قصة من قصصه بترجمة بطلها أو شخصية من شخصياتها مع إيراد مجموعة إشارات إلى هذه الشخصية، وجملة من الحوادث المتصلة بها، وذلك كالذي ورد في باب (الطاعة) (1269) في خبر سعيد بن منذر البلوطي، وبذا يكون السرد التاريخي في الطوق من جملة الوسائل التي أسهمت في كسر الطبيعة النمطية الرتيبة للأنواع الأدبية.

6. الانفتاح على أدب المناظرات

تعدّ المناظرات من أهمّ الفنون النثرية وكانت تشغل الناس على اختلاف طبقاتهم، وهي في بنيتها عبارة عن حوار يدور بين اثنين يجمعهما مجلس فيتباريان قوة في الجدل والإقناع ومحاولة كل منهما إفحام الآخر، وهذا يستدعي قدرة بارعة في الجدل، وفي تأليف الحجج والأدلة (1270).

ونعثر في طوق الحمامة على مادة ضئيلة من هذا الفن وظّفها الناص في مدونته، خدمة لمعانيه ونظراته في الحب والهوى، وأيضاً إظهاراً لعبقريته في هذا المضمار فقد أثر عنه أنّه ((كان يصكّ معارضيه صكّ الجندل، وينشقهم أنشاق الخردل، فينفر منه القلوب، ويوقع بها الندوب)) (1271). هذا، وفضلاً عما تسرب إلى شعره وشاعريته من أساليب كلامية وفلسفية ومنطقية من اللجوء إلى القياس المنطقي

(1267) ينظر: الخبر في الأدب العربي، محمد القاضي، دراسة في السردية العربية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998 م/277.

(1268) ينظر: طوق الحمامة/70 - 71.

(1269) ينظر: طوق الحمامة/97.

(1270) ينظر: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ط6، دار المعارف بمصر، 1977 م/457 وما بعدها.

(1271) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسم الشنتريني، تحقيق عبد الحميد العبادي، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939 م، القسم الأول، 1/141.

والسعي وراء الحجاج والإقناع، حتى انتزع عنه سمات الطلوة والجزالة والتلفائية، نظراً لمبالغته في طلب هذه الأساليب. ونرى أن النزوع إلى أساليب الجدل والإقناع والقياس، والركون إلى فن المناظرة في الطوق لم يكن صادراً من ابن حزم من تأثره بالمرجعية العربية التي شكّلها المتكلمون العرب، بل رفته في ذلك المرجعية اليونانية كذلك، ويكفي أن نشير إلى ما ((كان في التراث الفلسفي اليوناني من جدال وحوار، ولاسيما في المسائل الفلسفية الخالصة، ومعروف أن أفلاطون كان يدير كثيراً من رسائله على الحوار والجدل بين نفر من الفلاسفة، على نحو ما هو معروف في رسالته أو كتابه الذي سماه (المأدبة) وفيه جلب سقراط وبعض المتفلسفة ليتحاورا في رسالته في عاطفة الحب))⁽¹²⁷²⁾ إلا أن هذا لا ينتهي أن الشرة الأولى التي ألهمت فكره وفجرت فيه طاقات المعارضة والمناظرة كانت صادرة من زناد عربي، فقد شهدت قصور الأمويين والعامريين، التي ترقى فيها ابن حزم، ضرورياً من هذه المساجلات والمحاويرات في حضرة الملوك والوزراء والأعيان، فتركت فيه تلك القابلية التي انماز بها في الرد على الخصوم والمعارضين والمحاويرين، حتى أصبح محترفاً فيه، بل من أبرز علماء المغرب قاطبة في هذا الفن⁽¹²⁷³⁾. والمناظرة في أساسها فن شفاهي، بحيث تقتضي حضور طرفي المباراة، إلا أنها سرعان ما غزت الحيز الكتابي وأخذت طريقها إلى التدوين، فحفظتها لنا أمات الكتب العربية، بيد أن دخولها حيز التدوين لم يفقدها مظاهر الأداء الشفاهي على ما سيتضح في هذه المناظرة التي آثرنا نقلها برمتها:

((ولقد سألني يوماً أبو عبد الله محمد بن كليب من أهل القيروان أيام كوني بالمدينة، وكان طويل اللسان جداً مثقفاً للسؤال في كل فن، فقال لي، وقد جرى بعض ذكر الحب ومعانيه: إذا كره من أحب لقائي وتجنب قربي فما أصنع؟ قلت: أرى أن تسعى في إدخال الروح على نفسك بلفائه، وإن كره، فقال: لكنني لا أرى ذلك، بل أوتّر هواه على هواي، ومراده على مرادي، وأصبر ولو كان في ذلك الحنف، فقلت له: إني إنما أحببته لنفسي، ولأننا أذاها بصورته، فأننا اتبع قياسي وأقود أصلي، وأقود طريقي في الرغبة في سرورها، فقال لي: هذا ظلم في القياس، أشد من الموت ما تُمنّي له الموت وأعز من النفس ما بذلت له النفس، فقلت له: إن بذلت نفسك لم يكن اختياراً بل كان اضطراراً، ولو أمكنك ألا تبدلها، لما بذلتها وتركك لقاء اختياراً منك أنت فيه ملوم، لإضرارك بنفسك وإدخالك الحيف عليها، فقال لي: أنت رجل جدلي ولا جدل في الحب يلتفت إليه. فقلت له: إذا كان صاحبه مؤمناً، فقال: وأي آفة أعظم من الحب؟!))⁽¹²⁷⁴⁾. إذ تصوّر لنا هذه اللوحة انقياد العاشق لطاعة من يحب، ولو كان ذلك كرهاً، لغلبة سلطان الهوى عليه، رغم توفر هذا العاشق على كل مقتضيات الاتزان والرزانة ومتطلباتها. بيد أن ابن حزم، لدواعي التوثيق والإقناع، يترجمة محاوره ترجمة مقتضية، يكشف لنا فيها عن طبيعة هذه الشخصية، حين أسبغ

⁽¹²⁷²⁾ تاريخ الادب العربي/463.

⁽¹²⁷³⁾ ينظر: ابن حزم صورة أندلسية، طه الحاجري/53؛ كذلك النثر الأندلسي، حازم عبد الله خضر/266.

⁽¹²⁷⁴⁾ طوق الحمامة/98 - 99.

عليها الصفات المثلى التي لابدّ منها في شخصية كل محاور خائضٍ في شؤون العقل والمنطق، فمحاوره (طويل اللسان جداً ومثقف للسؤال في كل فن)، فنلاحظ- على غير ما نتوقع- أن الضربة الأخيرة بفرشاة الإفحام، في هذه اللوحة النصية، كانت لهذا المناظر، وليست لابن حزم المحترف في هذا المضمار وبشهادة عصره. فما العلة في هذا ؟

يمثل ابن حزم هنا الجانب العقلي في الإنسان، الذي ينازعه الجانب الوجداني الأعمى فيه، الذي يتمثل في هذا المحاور المؤوف بداء الحب، فالجدال، إذاً، دائر بين العقل والقلب، ولما كان للمحب حكم على النفوس ماضٍ، وسلطان قاضٍ، وأمر لا يخالف، وحّد لا يعصى، وملك لا يتعدى وطاعة لا تصرف، ونفاذ لا يرد⁽¹²⁷⁵⁾ - فإنه لا محالة من أن يتقلب القلب الأعمى على العقل الوقاد، فمهما كان صاحبه ((شرس الخلق، صعب الشكيمة، جموح القيادة، ماضي العزيمة، حمي الألف، أبي الخسف، فما هو إلا أن يتنسم نسيم الحب، ويتورط غمره، ويعوم في بحرهِ، فتعود الشراسة لياناً، والصعوبة سهلة، والمضاء كلاله، والحمية استسلاماً))⁽¹²⁷⁶⁾. واللوحة كما تبدو في نظر- عبد الرحمن المصطاوي- ((صورة مانعة إذ تحولت القضايا العاطفية إلى قضايا جدلية))⁽¹²⁷⁷⁾. وقد صاغها ابن حزم صياغة جمالية تبرز لنا حقيقة دورانها مشافهة بينه وبين مناظره، فقد اتخما بضروب الفنون الصوتية الناهضة على التكرار، كالسجع باتزان الفواصل، والتجنيس والتكرار المحض، وشبه التكرار، وإلى غير ذلك من الوسائل الأدائية الصوتية، التي تكون لنا البعد الشفاهي في النص، وحق لها عندئذ أن تتخذ أنموذجاً للوحات النصية التي نالت اتساقها بالعناصر الصوتية، وأثبتت حضورها في ملتقى حوار الأجناس بأبهى صورة.

7. الانفتاح على بنية كتب التراث التي تناولت موضوع الحب

لم يكن الموضوع الذي خاض ابن حزم غمار البحث فيه حديث النشأة، فقد سبق إلى ذلك بسيل من الدراسات⁽¹²⁷⁸⁾ التي تناولت الموضوع نفسه بدقة، إلا أن ما يتميز به ابن حزم، فضلاً عن واقعيته

⁽¹²⁷⁵⁾ ينظر: طوق الحمامة، باب من أحب صفة 69/...

⁽¹²⁷⁶⁾ طوق الحمامة/93.

⁽¹²⁷⁷⁾ طوق الحمامة/98 (الهامش).

⁽¹²⁷⁸⁾ من هذه الدراسات:

- الجاحظ في رسالتي (النساء) و(القيان) ضمن رسائل الجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون، مكتبة خانجي، القاهرة، 1979 م.

- الزهرة، لمحمد بن داود الأصبهاني (296 هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، 1985 م.

- كتاب الموشى، محمد بن أحمد الوشاء (325 هـ).

- اعتلال القلوب في أخبار العشاق والمحبين، لأبي بكر محمد الخرائطي (327 هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001 م.

- المصون في سِرّ الهوى المكتون، لأبي إسحاق إبراهيم الحصري الفيرواني (413 هـ)، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، دار العرب، القاهرة، 1989 م.

وصراحتِه المتناهيَتين، صوته المميّز في مسارِه الإنساني العام، وهو يتناول موضوعاً إشكالياً، ومسارُه الأدبي الخاص، محققاً بذلك (الوعي الأصيل) بتعبير (جورج لوكاش) حين بدأ ينظر إلى الآخر من خلال ذاته، دون أن يبقى متمحوراً حول هذه الذات بل انطلق من استيعائه نفسه وعالمه. إذ كان نصّه، بحق، مجلّى أدبياً لمسألة - (وعي الذات والعالم) ⁽¹²⁷⁹⁾ فالنص طافحٌ بإنسانية عميقة بكلّ جوانبها ((فقد درس ابن حزم الحب، وتتبع أطواره، وبحث أدقّ قضاياهِ بوضوح وصراحة، فكان الدارس الواقعي في كل خطاه، يصدر في نظراتِه عن تجربة عميقة ذات أبعاد إنسانية واسعة، وعن إدراك ذكي لطبائع البشر وسير الحياة، فجاءت نتائجه صادقة براءة متوهجة، وهذه المزايا جعلت الكتاب يقف الآن في مستوى أرقى الدراسات في الحب)) ⁽¹²⁸⁰⁾ على الصعيد العالمي. نلاحظ أن ابن حزم، على الرغم من تصريحه بأنّه لا ينتضي مطية سواه، ولا يتحلى بحلى مستعار، ((لم يستطع أن يتحاشى ذلك تماماً)) ⁽¹²⁸¹⁾ إذ نلمح صراحة وضمناً إفادته من هذه المؤلفات على صعيد بنيتي النص الكلية (الخارجية) والداخلية، فعلى صعيد البنية الأولى - وهو ما نقصده هنا - نرى أنّ تقسيمه أبواب الكتاب وترتيبها، تشبه إلى حدّ ما تبويب تلك المؤلفات السابقة المتوزعة بنيتها بشكل نمطي - على عنوان واستهلال ومقدمة ومن ثمّ الأبواب والفصول، ومن ينظر في كتابي (الزهرة) - الجزء الأول منه - لابن داود، و(اعتلال القلوب) للخرائطي يلمح - لا محالة - توافقاً ضمناً بينهما وبين الطوق، كما يلمح - أيضاً - سلوك سبيلهم في بعض الأحيان من خلال طريقة عرض القصص والمأثورات والآراء الشخصية المبنية على تجارب الآخرين في خدمة الأغراض التي يتناولونها، لولا أن صاحبنا مال بوجهه، بشكل لافت، عن تجارب غيره، ولجأ إلى خصوصياته وعندياته، كما انصرف عن أخبار الأعراب والمتقدمين الذين - وكما يرى - سبيلهم غير سبيله، إذ كثرت الأخبار عنهم... ⁽¹²⁸²⁾ هذا، فضلاً عن أنّه رَسَمَ لكتابه ((خطة محكمة منسقة بتحديد دائرة بحثه، والتزامه طريقة استقرائية تتألف منها المادة الأصلية لجميع آرائه وأحكامه)) ⁽¹²⁸³⁾.

فابن حزم بكلّ ما تقدّم استطاع - أن يدشن قضية تتعلّق بجوهر الكتابة الإنسانية الإبداعية التي تزيح الحدود بين الأجناس الأدبية وغير الأدبية، جاعلاً امكانية الاختلاط بينها متحققة في ظلّ (الكتابية) و(النص المفتوح) الذي يحتضن أكثر من شكل وأكثر من خطاب، الأمر الذي حال دون أن يتموضع ضمن حدود معروفة تسهل تصنيفه، وتخضعه لشروط الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه، كونه، حسب بارت - قوة متحولة تتجاوز جميع الأجناس والمراتب المتعارف عليها، لتصبح واقعاً نقيضاً يقاوم الحدود وقواعد

⁽¹²⁷⁹⁾ ينظر: السرد والاعتراف والهوية، عبد الله إبراهيم/6.

⁽¹²⁸⁰⁾ اعتلال القلوب، للخرائطي، مقدمة المحقق/19.

⁽¹²⁸¹⁾ طرق الحمامة كتاب عالمي في الحب/99.

⁽¹²⁸²⁾ ينظر: طرق الحمامة/28.

⁽¹²⁸³⁾ طرق الحمامة بتحقيق صلاح الدين القاسمي، مقدمة المحقق/34.

المنقول والمفهوم (1224) كما استطاع أن يخلق نصاً ينتمي إلى أكثر من ميثاق إرائي، نصاً مدعوماً بقدره فائقة على تكسير التسلسل النمطي الذي مكثنا - نحن - من خلاله معاينة كون الكاتب قد اذم بناءً جديداً يستلزم دلالة مفتوحة عبر اشتغاله على مواد كثيرة وخطابات متنوعة بشكل مختلف عما اعتادت عليه النصوص الأخرى من التزام تسلسلي وتمسك نمطي، لذا فقد استطاع هذا النص أن يخلخل الصورة المكونة لدينا عن البناء النصي الذي يحمل الدلالة التعيينية للمعنى بل أخذ يمارس لعبه بتقصصه أكثر من شكل وأكثر من جنس عبر ترويب خطابات متنوعة وأساليب ولغات غير متجانسة (1225) التي تتناثر أشلاءً وشظايا في فضاء هذا النص الهجين.

ثانياً - التناص النحوي

ينصب هذا النمط على النص الواحد، بتعلق أجزائه ومكوناته لا على ما بينه وبين غيره من النصوص من تفاعلات ظاهرة أو خفية، وهنا نسترشد بقاعدة (الكلام يفتر بعضه بعضاً) في الوقوف على متعلقات نص الطوق، وفاعليتها في التعيين والتقليل من الاحتمالية الحاصلة في جزء من أجزائه، ومكتفي هنا بمثالين نستجلي فيهما قنرة التناص النحوي على التعيين الدلالي. يقول ابن حزم: ((فالظاهر أن النص الحسنة تولع بكل شيء حسن وتميل إلى التصاویر المقننة، فهي إذا رأت بعضها تثبتت فيه، فإن ميّزت وراءها شيئاً من أشكالها اتصلت وصحت المحبة الحقيقية، وإن لم تميّز وراءها شيئاً من أشكالها لم يتجاوز حبها الصورة وذلك هو الشهوة)) (1286).

إذ يستولي ضمير المؤنث على هذه اللوحة، مشكلاً أنشط وسائل اتساقها، غير أننا نقع في دائرة الاحتمال حين نعثر على عنصرين اشاريين يرخيان بعود (هاء) التأنيث عليهما، وهما لفظ (النفس) ولفظ (التصاویر)، فما السبيل، إذاً، لمعرفة على أيهما يعود هذا العنصر الإحالي؟ الذي يسعنا لفك هذا الإدغام بتحديد كل ضمير ومرجعه قول ابن حزم، قبل هذه الفقرة: ((... إنما هو الاتصال والانفصال والشكل دأباً يستدعي شكلاً...)) (1287) فهذا الكلام يرشدنا لفرز الضمائر العائدة على (النفس) وعزلها عن الضمائر العائدة على (التصاویر)، وذلك حين تتناص لفظة (أشكالها) مع لفظة (الشكل) في النص الأول، وعندئذ يحسم الأمر بعودة الضميرين المتصلين بلفظتي (بعضها - وراءها) إلى (التصاویر) وعودة الضميرين المتصلين بلفظتي (أشكالها - حبها) إلى (النفس) وفق الترسمة الآتية :

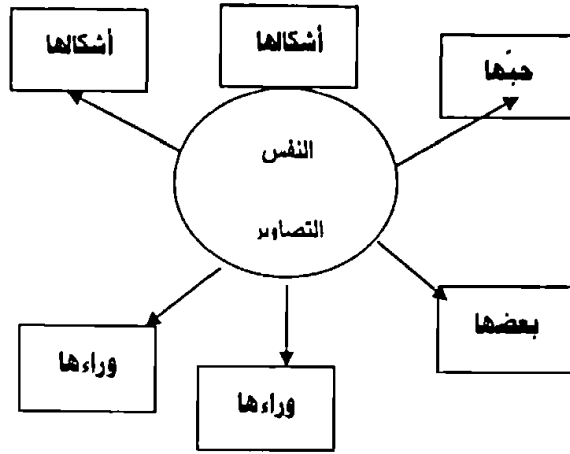
(1284) ينظر: تقابلات النص وبلاغة الخطاب/136.

كذلك بلاغة الخطاب وعلم النص/271.

(1285) ينظر: انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين/ 103 وما بعدها.

(1286) طرق الحمامة/38.

(1287) طرق الحمامة/37.



وهكذا حَقَّق التناص النحوي ترابط هاتين الفقرتين من الكلام، لنزول الأولى منها منزلة المفسِّر من الثانية، ولاتحادهما في موضوع واحد، ومن ثمَّ - وهو الأهم - قطع احتمالية عود (الهاء) في لفظي (بعضهما) و(وراءها) إلى النفس.

ومن ذلك أيضاً قوله: ((الحب أعزك الله داء عياء وفيه الدواء، ومقام مستند، وعلةٌ مشتبهة، لا يودُ سليمها البرء، ولا يتمنى عليها الإفاقة ...))⁽¹²⁸⁸⁾.

فتلاحظ على لفظتي (سليمها) و(عليها) اللتين يشدان أزر جملتيهما على الترابط، من الوهلة الأولى، أنَّ بينهما تضاداً متدرجاً، إلا أن السياق الخطي والمقامي يدلّنا على أن بين اللفظتين علاقة ترادف، لأن (السليم) وصف يقع على العليل من جهة التناول⁽¹²⁸⁹⁾. هذا من جانب. ومن جانب آخر نرى أن المقام هو الذي أكسب هذه اللفظة معنىً يضاد دلالتها المعجمية. وهذا من جملة ما يتوصّل إليه عبر التناص النحوي. ((ومعنى ذلك أن للمفردات سلوكين سلوكاً حال الأفراد يتسم بالتعدد، وسلوكاً حال السياق يتسم بالتحديد، وهذا أمر طبيعي لأن السياق يحدد كل الاحتمالات))⁽¹²⁹⁰⁾ أو كما يقول العلامة (تمام حسان): إن ((المبنى الواحد متعدد، ومحتمل كل معنى، ممّا نسب إليه وهو خارج السياق، أما إذا تحقق المبنى بعلامة في سياق، فإن العلامة لا تفيد إلا معنى واحداً تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية))⁽¹²⁹¹⁾.

ثالثاً - التناص الذاتي (= السيري)

((إنَّ منجز المبدع لا يتجزأ ولا ينفصل عن بعضه، ولا مقر من دراسته، أو قراءته على اعتباره نتاج حياة واحدة عاشها إنسان ذو وعي ثقافي))⁽¹²⁹²⁾ فالذي يوحد بين جميع كتاباته ((هو المؤلف نفسه، لغته

⁽¹²⁸⁸⁾ طرق الحمامة/40.

⁽¹²⁸⁹⁾ ينظر: من قضايا اللغة والنحو، د. أحمد مختار عمر، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1974 م/45.

⁽¹²⁹⁰⁾ النحو والسياق الصوتي، د. أحمد كشك، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006 م/47.

⁽¹²⁹¹⁾ اللغة العربية معناها ومبناها/165.

⁽¹²⁹²⁾ حوار مع الروائي والقصص أحمد خلف، حاوره علاء المبرجي، جريدة المدى، ع2560، س10 الأربعاء 8 آب،

ورؤياه وجوهه وتفكيره، وكذلك مرجعياته الثقافية والسياسية والاجتماعية، ولا مفر من العثر على روح الكاتب في الصفحات التي يكتبها⁽¹²⁹³⁾ لتتوحد، لدينا، تجربته، ويتسق مشروعها الثقافي، رغم كثرة منجزه واختلاف انتقاداته ومغازبه في كل الحقول العلمية.

ولعل أول أوجه التقاطع السيري وأبرزها ما نرصده في طوق الحمامة من أشعار مشفوعة بميثاق سيري يصرخ فيه الكاتب أنه قالها في مناسبة ماضية، على نحو ما نجد في (باب علامات الحب) حين يقول: ((وفي المذهب الذي عليه الناس أقول من قصيدة قلتها قبل بلوغ الحلم أولها :
دليل الأسى ناز على القلب تلفح
- الطويل -

ودمع على الخدين يحمي ويسفح

إذا كتم المشغوف سرّ ضلوعه

فإن دموع العين تبدي وتفضح

إذا ما جفون العين سالت شؤونها

ففي القلب داء للغرام مبرح⁽¹²⁹⁴⁾

فكلامه السابق على هذه الأبيات ميثاق سيري يرشدنا إلى ما كتبه سابقاً ثم اضطرته المناسبة إلى أن يزجه في نصه الراهن، وكأنك به يحيلك على مظانه الذي لا يعدو أن يكون ديوانه الذي حوى شعره أو مدونة من مدونات.

ومنه، أيضاً، قوله لمن بعث إليه الرسالة - صديقه - : ((... وفي ذلك أقول مخاطباً لعبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أمير المؤمنين الناصر - رحمه الله - في كلمة طويلة وكان لي صديقاً⁽¹²⁹⁵⁾). فهذا أيضاً تصريح منه على أنه يسترجع منجزه السابق ويوظفه في نصه، ولولا أن الأيام حرمتا ديوانه الشعري الذي افتقدناه⁽¹²⁹⁶⁾، فلم ننعم بعد بمحتوياته الثرة، لتوصلنا من خلاله إلى حشود من هذه التقاطعات التي نحن بصدد الكلام عنها، غير أننا نجد أنفسنا، في الطوق، إزاء نصوص مندمجة في ثناياه، مما تناولها الكاتب في آثاره الأخرى، من غير أن يثبت تصريحاً (ميثاقاً) يحيلنا على مظانه، ما يتطلب الأمر، والحال هكذا، أن نتطلع على جميع آثاره بغية الوصول إليها والوقوف عندها، فمن ذلك قوله عن الصديق: ((ومن الأسباب المتمناة في الحب أن يهب الله (عز وجل) للإنسان صديقاً مخلصاً)) يكون ((محتوم المساعدة)) ((مكتوم السر، كثير البر، صحيح الأمانة، مأمون الخيانة كريم النفس)) ويكون أيضاً: ((صادق اللهجة، حفيف المهجة، عفيف الطباع، رحب الذراع، واسع الصدر، متخلفاً بالصبر يألف

(1293) م. ن/17.

(1294) طوق الحمامة/52، وينظر: الأبيات في ديوانه/47.

(1295) م. ن/26.

(1296) ينظر في هذا الشأن: الألب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة/160.

الإمحاء. ولا يعرف الأعراض بتسريح إلا في بلاطه، وبشاركة خلوة وقعره ويفاوضه في مكتوماته (...)) (1297).

فقد تناول ابن حزم هنا الموضوع في (رسالة مداواة النفوس) أيضاً من أن الصديق الحق هو ((الذي يسره ما سره صديقه ويسوء ما أساء صديقه)) (1298) وكذا فإن ((الصديق الحق من يؤثر صديقه على نفسه)) (1299).

ثم لاحظ أن نظرية (التكبر) التي سنتناولها في نمط المرجعيات الفلسفية، قد شككت حضوراً في أكثر من أثر له ضمن منجزه الكتابي فقد تناولها في رسالة (مداواة النفوس)، فيقول ((إنما تأنس النفس بالنفس فأما الجسد فمستقل مبرم به ودليل ذلك استعجال المرء بنفس حبيب، إذا فارقته نفسه، وأغى لذهاب النفس، وإن كانت جثة حاضرة بين يديه)) (1300). ويقول في رسالة (معرفة النفس): ((أطلت الفكر في نفسي بعد تيقني أنها المعبرة للجسد الحساسة النحية العاقلة المتميزة بالعالمية، وأن الجسد موث لا حياة له (...)) (1301).

فترى كيف أن هذه النصوص وقعت وقعة رصينة في إثبات وحدة المنجز، واستقامة الرؤية والتجربة، عبر تسرب النص الثاني الغائب في جسد النص الراهن (طوق الحمامة) فكلها تركت فكرة واحدة لولا أنه يتناولها بما يتناسب مع المقام الراهن.

بقي هنا أن نؤثر الاحتياط لما ذهب إليه إحسان عباس من أن رسالتي (مداواة النفوس) و (معرفة النفس) جاءتا تاليتين لطوق الحمامة، وذلك لما فيهما من الاتزان والخبرة ونفس الشيخوخة (1302).

والذي نراه أن الرزانة والاتزان والخبرة ونفس الشيخوخة، كل تلك لا نعلمها في طوق الحمامة، وإن أظهر ابن حزم - أحياناً - شرخة شبابية تغرينا على استبعاد أن يكون قد كتبه في الطور الأخير من حياته، ولكن طالما لم ينهض إلينا دليل ملموس وطالما اشتملت الرسائل الثلاث على نظرة استرجاعية للماضي، فإننا، من هنا، لا نستبعد أن تكون هاتان الرسالتان قد سبقتا الطوق، وسواء كان ذلك أو هذا، فإن الدكتور إحسان عباس يرى أن الرسائل الثلاث تغلب عليها ((ذاتية في طابعها العام وتتصل بشخص

(1297) طوق الحمامة/105.

(1298) رسالة مداواة النفس، ضمن رسائله، 1/348.

(1299) م. ن، 1/350.

(1300) م. ن، 1/351.

(1301) رسالة في معرفة النفس، ضمن رسائله، 1/443.

(1302) ينظر: رسائل ابن حزم، مقدمة المحقق، 1/15.

ابن حزم وتلقي أضواء على نفسيته وتأملاته⁽¹³⁰³⁾ وهذا ما خول الباحث إبراز بعض ما فيها من تعالقات بغية إثبات هذا النمط التناسي المنصب على منجز ابن حزم.

رابعاً - التناس الديني

يمثل التراث الديني، بكل مناحيه، المرجعية الثقافية الأولى في التعبير الأدبي لدى ابن حزم. فقد أتاح من معينه الطافح أرقى الصور والنماذج التعبيرية التفكيرية ووظفها في نصه ضمن نمط الصياغة الشعرية والنثرية على السواء، فالتراث الديني ((هو المنجم الغائب الذي ينتشر في فضاء تلك النصوص، مقترباً منها أنا ومنفصلاً عنها أنا، ويغذيها ويمدّها بأسباب الحياة))⁽¹³⁰⁴⁾.

ويأتي القرآن الكريم المرجع الديني والأدبي الأسمى من بين كل المرجعيات، فقد حقق هذا الكتاب المبارك، بألفاظه ومعانيه دوراً بارزاً في ثقافة ابن حزم وموسوعيته، ومن ثم في إثراء طوقه الذي يسير فيه التعالق مع القرآن الكريم في مسارين: أولهما التناس المباشر، حيث يستعمل التعبير القرآني بعينه ضمن سياق معين يدعم به غرضه، باعتباره قالباً جاهزاً يثري به بناء النص وباعتباره سلطة عليا يحتاج به و عند ذاك يكون حجاجاً بالسلطة⁽¹³⁰⁵⁾. وثانيهما يعتمد مضمون التعبير القرآني عبر الصيغة الشعرية الخاصة بابن حزم. فنلاحظ في المسار الأول أنه يأتي بالمتناس، وهو آية من القرآن الكريم ومجموعة آيات ويعمل على إشراكها في النص إشراكاً صريحاً على نحو ما تجد في أواخر (باب الواشي)⁽¹³⁰⁶⁾ من استشهادات قرآنية صريحة يأتي بها لتأكيد زعمه وغرضه. وأما على صعيد المسار الثاني، فإننا نلمح انفتاح نصه على الدلالة القرآنية عبر الصياغة الأدبية الخاصة به، وهو بذلك يعبر عن مدى تأثره بهذا الكتاب العزيز بترديده ألفاظه ومعانيه، ووقوعه تحت سطوة سحره وبلاغته، وهذا ما يتضح في هذه الأمثلة :

يقول في باب الإذاعة: ((ولم يحصل ذلك إلا عن كشف الغطاء ... ولو طوى مكنون سرّه وأخفى بليات ضميره لاستدام لباس العافية))⁽¹³⁰⁷⁾.

فقله (كشف الغطاء) يتناس مع قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [سورة ق: الآية 22]، وقوله (لاستدام لباس العافية) يتناس مع قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامَنَةً مُّطْمَئِنَّةً بِأَيْدِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِسَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا

⁽¹³⁰³⁾ رسائل ابن حزم، مقدمة المحقق، 15/1.

⁽¹³⁰⁴⁾ النص الغائب في أولاد حارثنا/75.

⁽¹³⁰⁵⁾ عن مفهوم الحجاج بالسلطة ينظر: دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، د. سامية

الدريدي الحسني، ط1، دار الكتب الحديث، إريد - الأردن، 2009م/ 152 - 153.

⁽¹³⁰⁶⁾ ينظر: طرق الحمامة/116 وما بعدها.

⁽¹³⁰⁷⁾ طرق الحمامة/91.

يَصْنَعُونَ ﴿ [سورة النحل: الآية 112]. ومنه أيضاً: ((عصمنا الله وإياك من الجيرة ولا حملنا مالا طافة لنا به))⁽¹³⁰⁸⁾ إذ يتعلق قوله هذا مع قوله تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا أَوْرَثَنَا وَلَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا مَسْرًا كَمَا حَسَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا لَا تُخَلِّفْنَا مَا لَنَا مَلَأَةً لَنَا بِهِ. وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: الآية 286].

وأيضاً قوله: (... وهذا كله قد وقع لغير ما واحد، ولكنه عندي بنيان هار على غير أسن)⁽¹³⁰⁹⁾. إذ يتناص مع قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَّخِذَهُ يَدًا وَجَعَلَ نَارَ جَهَنَّمَ دُخَانًا لِلْأَعْيُنِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة التوبة: الآية 109].

إن الاستحضار القرآني يؤلف قوة إيحائية كبيرة تساند النص، وتضفي عليه قيمة أسلوبية يشعر بها المتلقي عندما تفاجئته تلك الألفاظ والتعبير التي اختارها بطريقة شعورية أو غير شعورية، فضلاً أنه يعكس ثقافة الناص، وأنه وسيلة تواصل مثلى بينه وبين متلقيه من جانب، وبينه وبين نصوص سبقت من جانب آخر⁽¹³¹⁰⁾.

وعن استحضاره الحديث النبوي الشريف، فإنه لا يختلف في هذا عما ألفناه من انفتاحه على النص القرآني، فتارة يأتي بالحديث صريحاً كاملاً، على ما يتضح في أغلب أبوابه، وتارة يأتي بمضمونه ويدعم به صياغاته الشعرية، بحيث يجري عليه التحويل، ليكسب ملفوظه آفاقاً دلالية ومعنوية جديدة، وجديرة بأن تستوعب على نحو قوله: ((فإن ظفرت به يداك، فشدّهما عليه شدّ الظنين وامسك عليهما امساك البخيل))⁽¹³¹¹⁾.

إذ يتعلق هذا القول، ضمناً مع قوله (ﷺ): ((تتكح المرأة لأربع: لِمَالِها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك))⁽¹³¹²⁾.

فقد نجح في تحويل لفظي (الظفر - ويذاك) من موضوع (النكاح) إلى الموضوع الذي يرمي إليه وهو (كيفية اختيار الصديق) فكلا اللفظين ورد في الحديث الشريف في مقام يستشف منه الحث والتأكيد

⁽¹³⁰⁸⁾ طرق الحمامة/25.

⁽¹³⁰⁹⁾ طرق الحمامة/57.

⁽¹³¹⁰⁾ ينظر: فصول في علم اللغة التطبيقية، فريد عوض حيدر/273.

⁽¹³¹¹⁾ طرق الحمامة/105 - 106. كما ويتناص هذا الكلام مع قول المتنبي: - الطويل -

بليت بلى الاطلاع إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

. ينظر: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، للعلامة اللغوي الشاعر المشهور الشيخ ناصيف اليازجي، دار

صادر، بيروت، د. ت، 6/2.

⁽¹³¹²⁾ صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري (هـ)، تحقيق مصطفى الذيب البقا، دار

ابن كثير، بيروت، 407هـ-1987م، 1958/5، رقم الحديث (4802) كتاب النكاح، باب الاكفاء في الدين.

على اختيار الزوجة الصالحة، إلا أن ابن حزم وظفهما توظيفاً ينسجم مع المقام، فكُون بهما فكرة رصينة ذات جمالية لا تخفى.

كما يتضح أن ابن حزم لم يكتفِ بالمرجعية الدينية الإسلامية في بناء ثقافته وموسوعيته، فبنظرة سريعة في الطوق يكتشف لدينا انفتاحه على معطيات الحضارة الدينية الإنسانية، وهضمه إياها واستيعابه، فمن أوجه هذه الحقيقة اعتماده (التوراة) مرجعاً من مرجعياته الثقافية، وذلك حين يستدعي ويستحضر ما يحتويه هذا الكتاب المقدس على قصص وأخبار ومضامين عن حياة الأنبياء والصالحين، فمن ذلك تصرفه بقصة يحكيها عن (التوراة) بشأن نبي الله يعقوب (عليه السلام) وهو يشير إلى مظانه:

((وقرأت في السفر الأول من التوراة أن النبي يعقوب (عليه السلام) أيام رعيه غنماً لابن خاله مهراً لابنته، شارطه على المشاركة في أنسالها، فكل بهيم ليعقوب، وكل أغر لأبان، فكان يعقوب (عليه السلام) يعمد إلى قضبان الشجر يسلخ نصفاً ويترك نصفاً آخر بحاله، ثم يلقي الجميع في الماء الذي ترده الغنم، ويتعمد إرسال الطروقة في ذلك الوقت، فلا تلد إلا نصفين، نصفاً بهماً ونصفاً غراً)) (1313).

فالسفر الأول الذي يعنيه ابن حزم هو سفر (التكوين) الواقع صدرأ من بين أسفار موسى الخمسة، إذ يحتوي هذا السفر القصة بغير ما رواها ابن حزم الذي يبدو وكأنه قد تصرف فيها، كما لا نستبعد أن يكون الناسخ قد اختصرها بإخفاق، ذلك أن العجب الحاصل من توصيل الصور بين أجزاء النفوس النائية - وهو هنا السبب في سوق ابن حزم هذه القصة - يمكن الوقوف عليه في مستهل هذه القصة من أنه ((كان لـ (لأبان) -وهو خال يعقوب- ابنتان، اسم الكبرى (ليئة) واسم الصغرى (راحيل) وكانت ليئة ضعيفة البصر، وأمّا راحيل، فكانت جميلة الصورة، وحسنة المنظر فأحب يعقوب راحيل)) (1314).

فهذا الكلام غير موجود في الطوق، نظراً لما طالت هذه القصة من إجراءات الاختصار، وإلا فإن ابن حزم على ما يبدو تجاوز الغرض من روايته، بل أودع أغلب هذه القصة في نصه. ومن ذلك أيضاً توظيفه قصة الحمامة التي بعث بها نوح (عليه السلام) ليستخبر ما إذا كانت المياه قد تناقصت من الأرض، وهي قصة نجدها في سفر التكوين، أيضاً، ولكن هذه المرة من دون إشارة صريحة من ابن حزم إلى هذه الإفادة، فالقصة في التوراة هي: ((ثم أطلق نوح حمامة من الفلك، ليرى إن كانت المياه قد تقلصت عن وجه الأرض، ولكن الحمامة لم تجد موضعاً تستقر عليه رجلاً، فرجعت إليه في الفلك، لأن المياه ظلت تغمر سطح الأرض، فمد يده وأخذها، وأدخلها عنده إلى الفلك، وانتظر سبعة أيام أخرى، ثم عاد فأطلقها من الفلك، فرجعت إليه عند المساء تحمل في منقارها ورقة زيتون خضراء، فأدرك نوح أن المياه قد تناقصت عن الأرض...)) (1315).

(1313) طوق الحمامة/38.

(1314) الكتاب المقدس (العهد القديم) التعريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية، شركة ماستر ميديا، القاهرة،

2002 م، سفر التكوين، الاصحاح (29)، الآيات (16 - 19).

(1315) سفر التكوين، الاصحاح (8)، الآيات (7 - 11).

وقد صاغ ابن حزم هذه القصة صياغة شعرية جميلة مجزياً فيها التغيير اللازم والتحويل الجمالي (1316):

- الطويل -

لديها وجاءت نحوه بالبشائر تخيرها نوح فما خاب ظنُّه

رسائل تهدي في قوادم طائر ساودعها كتبني إليك فهاكها

خامساً - التناص الأدبي

ويعدّ هذا الشكل من أبرز أشكال التناص ومن أكثرها حضوراً في هذه المدونة الإبداعية، فهو مفتاح مهم وبارز ((في الكشف عن شعرية النص، وتجلية مكوناته الداخلية)) (1317) فضلاً عن كونه دليلاً على ثقافة الأديب وعمق ملكته الأدبية، فمن تجليات هذه المرجعية في الطوق - على الصعيد الشعري، قوله (1318):

- المخلع البسيط -

قد حلّ جيش الغرام سمعي وهو على مقلتي يبدو

- البسيط -

فهنا يتناص مع بشار بن برد في قوله الشهير (1319):

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً

وكلا البيتين واقع ((في استحسان النغمة دون وقوع العين على العيان منه)) (1320) إلا أن ابن حزم يتعمق في تقنية (تزامن الحواس)، فتجدّه يتلاعب بالحواس ليصبح المدرك الحسي بحاسة (الأذن) في طوع يد الشاعر الذي ينقله عبر حاسة (البصر)، وهذا ما قام به ابن حزم في سياق شعري يصف فيه كيف أنّ جمال الصوت وانسنة وتطريبه سمعه، قد ولّد لديه الشعور العالي بجمال المرأى.

- الطويل -

ومنه، أيضاً، قوله (1321):

رسولك سيفٌ في يمينك فاستجد حساماً ولا تضرب به قبل صقله

- الطويل -

إذ يتناص هنا مع المتنبي في قوله (1322):

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة فلا تستعذّن الحسام اليمانيا

ولا تستطيلن الرماح لغارة ولا تستجذّن العتاق المذاكيا

(1316) ديوانه/ 78، وينظر: طوق الحمامة/ 82.

(1317) التناص في شعر أبي العلاء/ 33.

(1318) ديوانه/ 53، وينظر: طوق الحمامة/ 58.

(1319) ديوان بشار بن برد، تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950م،

135/2.

(1320) طوق الحمامة/ 58.

(1321) ديوانه/ 122، وينظر: طوق الحمامة/ 81.

(1322) العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب، 295/2.

ومنه، أيضاً، تنافسه مع قطعة شعرية يستشهد بها أغلب من ألف في الحب، وهي قطعة مجهولة القائل تقول⁽¹³²³⁾:-

وددت بأنّ الحبّ يجمع كلّهُ
فلا ينقضي ما في فؤادي من الهوى
ويعذب فـي قلبي وينفلق الصدرُ
ومن فرحي بالحبّ أو ينقضي العمرُ
الطويل

وودتُ بأنّ القلبَ شقّ بمديّةٍ
فأصبحت فيه لا تحلّين غيره
وأدخلت فيه ثم أطبق في صدري
إلى مقتضى يوم القيامة والحشرِ
سكنت شغاف القلب في ظلم القبرِ
تعيشين فيه ما حييتُ فإن أمت

فالتنافس هنا ينهض على أساس التجلي أكثر من الخفاء، من خلال استغلال الطاقة الشعرية للمتنافس، على أن هذا لا ينتفي تخصيب الناص ملفوظة بمعنى مغاير للغائب، بحثاً عن الجدة والتفوق. فالتمثال بينهما يظلّ مكشوفاً، إلا أن الأخير يقوم بالتحوير اللازم في بنية النص الأول تحويراً نحويّاً ودلاليّاً يعزّز القوة التعبيرية والتفوق الجمالي في النصّ الراهن. أمّا الشقّ الثاني من طريقتي هذا النمط التنافسي- التنافس مع المثل- فإنّه كذلك يشهد حضوراً لافتاً في الطوق والمثل ((خلاصة تجربة ونقل خبرة، وهو جملة موجزة بليغة تلخّص حادثة أو واقعة، فتكون دليلاً لها ومخبراً عنها وموحية بها))⁽¹³²⁵⁾ فالأمثال السائرة كانت باعثاً من بواعث الدلالات الموحية التي رفدت النص، وشكلت وسيلة أخرى من وسائل ثرائه، على أن التعلّق الحاصل بين الطوق وهذه الأمثال لا تخرج عن مساري المباشر وغير المباشر، فمن الأولى، قوله: ((حال الجريض دون القريض))⁽¹³²⁶⁾ وهو مثلٌ يضربُ لمن يعتريه أمرٌ جليل فيشغله عن غيره⁽¹³²⁷⁾. وقد أوضح ابن حزم هذا المعنى في سياق توظيفه هذا المثل، وهو أن الواشي محالٌ أن يكون وأشيّاً، لأن ((شغله بما هو مانع له...))⁽¹³²⁸⁾. أمّا على المسار الثاني، فإن ابن حزم لا يتوقّف عند الأمثال العربية فحسب، وإنما يتجاوز بنظريته وسعة ثقافته التراث العربي إلى التراث الإنساني الحيّ لدى الشعوب والأمم الأخرى، وذلك حين يأتي بأمثال شعبية يصوغها صياغة مناسبة في المقام الذي يوضع فيه المثل، فمن ذلك⁽¹³²⁹⁾ _السريع-

صبيان هيمانان في واحدٍ
كلاهما عن خدنه منحرف

⁽¹³²³⁾ اعتلال القلوب للخرائطي/336.

⁽¹³²⁴⁾ ديوانه/ 77، وينظر: طوق الحمامة/127.

⁽¹³²⁵⁾ السرد العربي القديم، إبراهيم صحراوي/62.

⁽¹³²⁶⁾ طوق الحمامة/113.

⁽¹³²⁷⁾ ينظر: جمهرة الأمثال، تأليف الشيخ أبي هلال العسكري، ط2، دار الجيل، بيروت، 1998م، 1/ 359.

⁽¹³²⁸⁾ طوق الحمامة /112.

⁽¹³²⁹⁾ ديوانه/ 107، وينظر: طوق الحمامة.

ولا يخلّي العير أن يعتلف

كالكلب في الآري لا يعتلف

فالبيت الثاني صياغة للمثل المشهور عند الأندلسيين والمغاربة عموماً، وهو شائع اليوم في الاسبانية، وأصله ((كلب الجنان لا يأكل، ولا يترك سيده يأكل))⁽¹³³⁰⁾. وقد استطاع ابن حزم تطويع مضمون المثل لينسجم مع البيئة العربية ومجتمعها، وذلك حين صاغه بهذه الصياغة. ومن ذلك أيضاً⁽¹³³¹⁾:

وما بسوى أخبارنا ينتفس

عجبت لوأش ظلّ يكشف أمرنا

أنا آكل الرمان والؤلؤ تضرس

وماذا عليه من عنائي ولوعتي

فالشطر الثاني صياغة أخرى للعبارة المشهورة، أو المثل المشهور، الذي حرّمه (التوراة)، فقد ورد في سفر (حزقيال): أن الله قد أوحى له ((بكلمته قائلاً: ما بالكم تضربون هذا المثل بشأن أرض إسرائيل قائلين: أكل الآباء الحصرم، فضرست أسنان الأبناء، حيّ أنا - يقول الرب - إنكم حتماً لن تضربوا هذا المثل في إسرائيل بعد اليوم))⁽¹³³²⁾. فنلاحظ أن استحضر ابن حزم هذا المثل يعكس لنا أمرين: أولهما ما أشار إليه المحقق من أنه ((يعكس لنا ثقافة ابن حزم الواسعة))⁽¹³³³⁾ وثانيهما، هو أننا نستشف منه ميلاً إلى مخالفة التوراة واليهود، فالمثل محرّم تداوله بين بني إسرائيل، وإلا فإنه كما يقول إحسان عباس: ((جعل وكده منذ البدء إثبات التحريف والتناقض والتبديل على التوراة، ولذلك درسها دراسة متأنية))⁽¹³³⁴⁾، ولذا فهو يعكس لنا موقفه من التوراة.

سادساً - المرجعيات الفلسفية

وهي كذلك نمطٌ يشكّل حضوراً لافتاً في الطوق، ما استدعت جملة من الباحثين الوقوف عند شيء منها⁽¹³³⁵⁾، فقد تسرّبت إلى النصّ حشود من المقولات الفلسفية والكلامية، مثل (حقيقة النفس)، و(نظرية الكمون)، و(نظرية الطفرة) وشيء غير قليل من مباحث الأخلاق، وإلى غير ذلك من المقولات والموضوعات الفلسفية التي ينعم بها هذا النص، نظراً لسعة أفق كاتبه وأخذه من كلّ علمٍ بطرف كما قيل قديماً. وهذا يشير إلى الحسّ الثقافي الخصب لدى ابن حزم عبر الحوار البناء مع الإرث الفلسفي الذي خلّفته

⁽¹³³⁰⁾ طوق الحمامة/ 107، الهامش من وضع المحقق.

⁽¹³³¹⁾ ديوانه/ 91، وينظر: طوق الحمامة/ 115.

⁽¹³³²⁾ سفر حزقيال، الاصحاح (18)، الآيات (2 - 4)/ 1616.

⁽¹³³³⁾ طوق الحمامة/ 91، الهامش من وضع المحقق.

⁽¹³³⁴⁾ رسالة في الرد على ابن النفري، مقدمة المحقق/ 17.

⁽¹³³⁵⁾ ينظر: مثلاً: تاريخ الفلسفة الإسلامية، للمستشرق هنري كوريان، ترجمة نصير مروّة وحسن قببسي، راجعه وقّم له

الإمام موسى الصدر، والأمير عارف ثامر، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 2004 م/ 348 وما بعدها.

- كذلك الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام، د. ناجي التكريتي، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1982 م/ 385 وما بعدها.

الحضارات الإنسانية، ولاسيما العربية الإسلامية واليونانية، اللتين فرضتا سيطرتهما على العقلية العالمية على امتداد الزمن. غير أن سيطرة هذين الموجهين على عقلية ابن حزم لم تجعل منه أن يتخذ موقف المتلقي السلبي بما يوحى بالأخذ دون عطاء، وإنما العكس من ذلك، إذ تجده يأخذ ويرد، ويعيد النظر فيما أخذه، بحيث يطرحه طرحاً جديداً يتناسب ورؤيته، وينسجم وعصره. وذلك بتغيير موقفه من كونه متلقياً، إلى منتج أفكار ومرسل مقولات، فهو يتلقى ويصدر الأحكام على ما تلقاه برزانة علمية قل أن نعهدها عند غيره، وإلا فلننظر معاً في أول أبواب الرسالة - مثلاً - وهو يتعرض لإشكالية (ماهية الحب) لنجد كيف يعرض الآراء والتصورات، ثم لا يلبث أن يمزج بينها وبين معطيات ثقافية، كأن ((يعتمد في أصل التعريف على الفلسفة ثم يركبها بنصوص من القرآن الكريم)) (1336) والسنة النبوية، بما يتوافق مع دينه، ومن ثم مع استقامة نظريته المثترنة النابعة من التآلف بين دينه ودنياه، أو ربما انصرف عنها وأتى بشيء من بنات أفكاره ومخصلات عقله، رغم احتوائه على رماد نص آخر، وهذا هو حقيقة الحوار بين النصوص ((فهو أعلى مرحلة ... إذ لا مجال لتقديس كل النصوص الغائبة مع الحوار، فالشاعر أو الكاتب لا يتأمل هذا النص بل يغيره، يغير في القديم أسسه اللاهوتية، ويعزّي في الحديث قناعاته التبريرية والمثالية)) (1337) فيبدو عندئذ وكأنه بريء من الاعتماد على هذا القديم، وعلى هذا حفل طوق الحمامة ((بجوانب ونماذج تجمع بين الطرافة، والجدة فتعكس شخصيته ومجتمعه)) (1338).

وهنا سنأتي بجملة من أقوال ابن حزم ونضعها في مقابل أقوال مجموعة من فلاسفة اليونان والعرب، ليوضح مدى إفادة هذا النص من تلك الأقوال وكيفية تدويرها في محتوياته.

يقول ابن حزم ((... ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر، ومحبة العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس، فكل هذه الأجناس منقضية مع انقضاء عللها وزائدة بزيادتها وناقصة بنقصانها، متأكدة بدنوفا فائرة ببعدها، حاشى محبة العشق الصحيح الممكن، فهي التي لا فناء لها إلا الموت)) (1339).

(1336) ابن حزم، محمد أبو زهرة/171.

(1337) والحوار هو شكل من أشكال التناص، أو قل آلية من آلياته التي يلخصها (محمد بنيس) بثلاث:

1. الاجترار، وهو التعامل مع الغائب بوعي سكوني، بحيث ينتهي إلى تمجيد بعض مضامينه ومظاهره الشكلية الخارجية.

2. الامتناس، ويعني عدم تمجيد النص الغائب، ولا التعرض له بالنقد، بل الاكتفاء بصوغه وفق متطلبات تاريخية لم يكن يعيشها في المرحلة التي كتب فيها، فهو، إذاً، أعلى درجة من الاجترار.

3. الحوار، ومعناه ما ثبتاه في المتن وهو أجل مراحل قراءة النص الغائب.

- ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، محمد بنيس/203.

(1338) طوق الحمامة، بتحقيق المحامي فاروق سعد، مقدمة المحقق/35.

(1339) طوق الحمامة/36.

ويقول أفلاطون في المأدبة: ((... ولاشك في خسة ودناءة الحب الذي ينسب إلى أفروديت العامية... وهو الحب الذي يعمر قلوب السفلة والعامية، ومن سماته أنه يتجه إلى النساء والغلمان، إنه يتجه إلى الجسد لا الروح فهو حب حسي لا روحي، ونجده أيضاً يؤثر أن يكون محبوبه أضعف عقلاً، لأنه يسعى إلى إشباع شهواته البهيمية ولا يعنيه كيف يشبعها)) (1340).

إن نظرة سريعة في هذين النصين - دون الحاجة إلى الحفر العميق فيهما - تدلنا على تسلط أفلاطون على عقلية ابن حزم، تسلطاً إيجابياً يحيلنا على المناخ الثقافي العام لابن حزم وامتلائه المعرفي، واستجابته لتلك المؤثرات الفلسفية، فأغلب التحليلات التي يعطيها ابن حزم بشأن الحب وصدقته وتصديقه، يذكرنا بشكل أو بآخر بمحاورات أفلاطون (1341). فكلاهما يضيفي على الحب صبغة روحية، ويلزمان المحب التمسك بها، وهذا يعدّ أساساً من أسس ما يدعى بالتصوف الأفلاطوني الذي يكمن في إرجاع أفلاطون شفافية الحب إلى مصدر سرمدى، مما يجعل النفس تتحول لديه من حب لموضوع محسوس متدرجة، حتى تصل إلى حب مطلق (1342).

ويقول ابن حزم: ((وقد علمنا أن سرّ التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال، والشكل دأباً يستدعي شكله، والمثل إلى مثله ساكن، والمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد، والتنافر في الأضداد والموافقة في الأنداء...)) (1343).

فهذا الكلام يتناص مع نصّ مؤسس لإنبازوقلس (ت 430 ق. م) الذي يغيّر به نشأة الكون من خلال مبدأ الحركة والتغيير في المادة، وذلك بالاتصال والانفصال (=المحبة والكراهية) ((فمبدأ المحبة (الاتصال) هو الذي يجمع بين الأشياء، بينما مبدأ الكراهية هو الذي يفرق بينهما)) (1344) فيقول: ((إن كل تغيير يتم، إما بطريقة انضمام العناصر، أو بطريقة افتراقهما، ويكون ذلك بفعل قوتين كبيرتين،

(1340) المأدبة، أفلاطون، تعريب وليم الميري، ط1، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1954 م/181. و(أفروديت) هي آلهة الحب عند اليونان، على أن هناك آلهتين تحملان هذا الاسم وهما (أفروديت السماوية) بنت أوراس (= السماء) لا أم لها، وتُنسب إليها الحب الطاهر المتعالي على الحس والجسد، وهناك (أفروديت الصغرى) بنت (ديون) من (زيوس) وهي أفروديت العامية التي إليها ينسب الحب الشهواني.

- ينظر: (أفلاطون والمرأة)، د. عبد الفتاح، ط1، دار التنوير، لبنان، 2009 م/153.

(1341) ينظر: تاريخ الفلسفة الإسلامية، هنري كوريان/350.

(1342) ينظر: فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية، مصطفى حسن النشار، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2088 م/156.

(1343) طرق الحمامة.

(1344) ربيع الفكر اليوناني، عبد الرحمن بدوي، ط3، مكتبة النهضة المصرية، 1958 م/146.

قوة تجمع العناصر إذا ما تفرقت وهي الصداقة وأخرى تفرق بينهما، حينما تجمع وهي الكراهية⁽¹³⁴⁵⁾ إذ تضم المحبة⁽¹³⁴⁶⁾ ((الذرات المتشابهة عند التفريق والكراهية تفصل بينهما))⁽¹³⁴⁶⁾.

فقد نجح ابن حزم في سحب هذا النص من حقول (الطبيعيات) إلى موضوع (ميتافيزيقي) يعالج فيه علة اتصال النفوس وانفصالها، ثم ما يلبث أن يؤكد بقول النبي (ﷺ): ((الأرواح جند مجتدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف))⁽¹³⁴⁷⁾ ليساوق بين ما يطرحه بتأثير يوناني وبين الطرح الإسلامي لقضية الحب، فيخرج بنظرة مستقيمة مدعومة بالتثبيت والتأكيد.

كما وتشهد نظرية الكمون حضوراً في هذا النص، ومؤدى هذه النظرية هو أن كل موجود يحتوي في ذاته عناصر زواله، فالأجسام والأشياء على اختلافها - حساً وعقلاً ومادة ومعنى - مجبرة ومكرهة على غير طبعها بأن يجتمع فيها ما يضادها، فعود الحطب مثلاً مكون من النار والماء والتراب والهواء، وكلها فاعلة على تضاد بعضها البعض، وهي في حقيقتها مسألة فلسفية ترد إلى انكساجوراس (428 ق.م) و(الرواقيين)⁽¹³⁴⁸⁾.

وقد وظفها ابن حزم غير مرة في نصه، فيقول: ((وكان النار في الحجر لا تبرز على قوة النار في الاتصال والاستدعاء لأجزائها حيث كانت، إلا بعد القدح ومجاورة الجرمين بضغطهما واصطكاكهما، وإلا فهي كامنة في حجرها لا تبدو ولا تظهر))⁽¹³⁴⁹⁾.

وحقاً فالاحتراق - كما يرى المتكلمون - ((إنما يحدث نتيجة اتصال نار خارجية بنار داخلية قوت الأولى الثانية وأعانتها على أن تظهر على ضدّها من الماء وأن تخرج طالبةً تلادها))⁽¹³⁵⁰⁾ وكذلك نفس المحب دائبة في البحث عمّن كان يشركها ((في المجاورة، طالبة له قاصدة إليه باحثة عنه مشتبهة لملاقاته))⁽¹³⁵¹⁾.

⁽¹³⁴⁵⁾ تاريخ الفلسفة (الفلسفة اليونانية) إميل برهيه، ترجمة جورج طرابيشي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1982 م/89.

⁽¹³⁴⁶⁾ تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1985 م/47.

⁽¹³⁴⁷⁾ صحيح مسلم، للإمام أبي حسين محمد بن الحجاج القشيري النيسابوري (261 هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار التراث العربي، بيروت، د. ت، 4/231، رقم الحديث (2638) باب (الأرواح جند مجتدة).

⁽¹³⁴⁸⁾ ينظر: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط د. أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2009 م/201. كذلك: في علم الكلام دراسة فلسفية لأراء الفرق الإسلامية في أصول الدين (المعتزلة)، د. صبحي محمود صبحي، ط4، مؤسسة الثقافة الجامعية، مصر، 1982/244 - 245.

⁽¹³⁴⁹⁾ طوق الحمامة/37.

⁽¹³⁵⁰⁾ في علم الكلام، دراسة فلسفية .../245.

⁽¹³⁵¹⁾ طوق الحمامة/36.

ومن ذلك، أيضاً، استدعاؤه مذهب (أرسطو طاليس) في (الفضيلة) وهي عند أرسطو ((وسط بين رذيلتين هما الإفراط والتفريط وإن الحياة الفاضلة بالاعتدال فلا تطير إلى الزيادة والنقصان)) (1352) وحقاً فإن الأشياء - يقول ابن حزم - ((إذا أفرطت في غايات تضادها، ووقفت في انتهاء حدود اختلافها تشابهت، قدرة من الله (ﷻ) تضلّ فيها الأوهام، فهذا الثلج إذا أدمن حبسه في اليد فعل فعل النار، ونجد الفرخ إذا أفرط قتل، والغم إذا أفرط قتل، والضحك إذا كثر واشتد أسأل الدمع من العينين)) (1353) ولكن هل ثمة علاقة تجمع هذا بالحب؟ نعم وهي أنك تجد ((المحبين إذا تكافيا في المحبة وتأكدت بينهما تأكيداً شديداً كثر تهاجرهما بغير معنى؛ وتضادهما في القول تعمداً، وخروج بعضهما على بعض في كل يسير من الأمور، وتتبع كل منها لفظة تقع من صاحبه، وتأولها على غير معناها، كل هذه تجربة ليبدو ما يعتقده كل واحد منهما في صاحبه)) (1354).

أما المصادر الفلسفية العربية، فهي كذلك قد أسبغت على الطوق ضرورياً من الأصالة والتأكيد في ما تناوله ابن حزم، فأول ما نلتزمه من النصوص الغائبة العربية، قول ابن حزم: ((والحب - أعزك الله - داء عياء، وفيه الدواء على قدر المعاناة)) (1355)، فهذا استحضار مباشر لقول الجاحظ في حدّ العشق من أنه: ((داء لا يملك دفعه كما لا يستطيع دفع عوارض الأدواء إلا بالحمية)) (1356) لولا أنه عند ابن حزم ((مقام مستلذ، وعلة مشتبهة، لا يودّ سليمها البرء، ولا يتمنى عليها الإفاقة، يزين للمرء ما كان يأنف منه ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى يحيل الطبائع المركبة والجبلة المخلوقة)) (1357) فهذه اللذات والاشتهاء لا وجود لهما عند الجاحظ الذي يرى فيه ((داء يصيب الروح، ويشتمل على الجسم بالمحاور، كما ينال الروح الضعف من البطش والوهن في المرء ينهكه)) (1358).

ويقول ابن حزم: ((فقد علمنا أن النفس في هذا العالم الأدنى قد غمرتها الحجب ولحقها الأغراض، وأحاطت بها الطبائع الأرضية الكونية، فسترت كثيراً من صفاتها وإن كانت لم تحلّ لكن حالت دونة فلا يرجى الاتصال على الحقيقة إلا بعد التهيؤ من النفس والاستعداد له، وبعد إيصال المعرفة إليها بما يشاكلها ويوافقها ومقابلة الطبائع التي خفيت ممّا يشابهها من طبائع المحبوب، حينئذ، يتصل اتصالاً صحيحاً بلا مانع)) (1359).

(1352) الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية، ناجي التكريتي/86.

(1353) طوق الحمامة، باب علامات الحب/46.

(1354) طوق الحمامة/45-46.

(1355) طوق الحمامة/40.

(1356) كتاب (القيان) للجاحظ ضمن رسائله بتحقيق عبد السلام هارون، 166/2.

(1357) طوق الحمامة/40.

(1358) كتاب القيان، 166/2.

(1359) طوق الحمامة/67.

إن قيام الطبائع الأرضية بستر الحقائق السامية عن إدراك الإنسان، فكرة سقراطية بحتة أطلقت عليها (نظرية التذكّر) التي يعبر عنها أفلاطون بقوله: ((إنّ النفس تأتي إلى العالم الحسي نقيّة طاهرة، ولكنها تشقى بالجسم لأنه مصدر الشرور والرزائل، ولهذا يجب على الإنسان أن يكون سلوكه فاضلاً لكي تصلح النفس، وعلى الإنسان أن يتشبه بالله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً))⁽¹³⁶⁰⁾، ومن ثم انتقلت إلى متكلمي وفلاسفة العرب، فإبراهيم بن سيار النظام يعرف الإنسان، بأنّه ((الروح ولكنها مداخل للبدن مشابكة له، وإنّ كلّ هذا في كلّ هذا وإن البدن آفة عليه وحبس وضغط له))⁽¹³⁶¹⁾، ويرى (الفارابي) أنّ تلبسنا بالمادة (= الطبائع الأرضية) هو ((السبب في أن صارت جواهرنا جوهراً يبعد عن الجوهر الأول إقبال نزوله إلى الأرض)؛ إذ كلّما قربت جواهرنا منه كان تصورنا له أتم وأيقن وأصدق، وذلك أنّه كلما كنّا أقرب إلى مفارقة المادة كان تصورنا له أتم))⁽¹³⁶²⁾، ولما كان الحبّ الصحيح استحساناً روحانياً وامتزاجاً إنسانياً، فإنّ ((نفس المحبّ متخلصة عالمة بمكان ما كان يشركها في المجاورة، طالبة له قاصدة إليه مشتهية لملاقاته، جاذبة له، لو أمكنها كالمغناطيس والحديد))⁽¹³⁶³⁾.

فلتحظ هنا كيف أن المتناص يخرق الطوق بخفاء نظراً لعدم وجود أدنى إشارة من (الناص) إلى هذا الامتزاج، ومع ذلك فإنّ تركيزه عليه بإشارته وتوظيفه في أكثر من مكان في النص يوحي لنا بهذا التداخل الذي يحرك فينا متابعة جذور هذا الغائب، ومن ثمّ لنكشف كيف استطاع ابن حزم أن ينأى بنفسه عنه.

وتقف رسالة ابن سينا التي كتبها (في العشق) من أبرز النصوص التي سبقت الطوق في معالجة إشكالية الحب، والتي أفاد منها ابن حزم في معالجاته بشكل لافت، فكلتا المدونتين أعدتا استجابة لصديق يسأل الكاتب ليكشف له شيئاً من أمر الحب، فيقدم (ابن سينا) رسالته إلى صديقه الفقيه المصري بغية إيضاح القول في العشق⁽¹³⁶⁴⁾. وكذلك ابن حزم يكتب رسالته استجابة لصديق عزيز له من (مريّة) كلّفه أن يصنّف له رسالة في صفة الحبّ ومعانيه وأسبابه وأعراضه ...⁽¹³⁶⁵⁾، إلا أن الجنوح الفلسفي عند الأول يطغى على الجوانب الأخرى في المادة التي تناولها، بخلاف ابن حزم الذي التزم الوضوح

⁽¹³⁶⁰⁾ الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية/44. وبالأحرى هي فكرة لها جذور أورفية فيثاغورية، ينظر: فجر الفلسفة اليونانية/77_78.

⁽¹³⁶¹⁾ مقالات الإسلاميين، علي أبو الحسن الأشعري (324هـ)، عني بتصحيحه هـ - ريتز، مطبعة الدولة، استانبول، 1929 م/331/2.

⁽¹³⁶²⁾ آراء أهل المدينة الفاضلة، محمد أبو نصر الفارابي، ط1، مطبعة النيل، مصر، د. ت/14.

⁽¹³⁶³⁾ طوق الحمامة/36.

⁽¹³⁶⁴⁾ ينظر: رسالة في العشق، للشيخ الرئيس الحسن بن علي ابن سينا (370 هـ) ضمن رسائله في أسرار الحكمة

المشرقية، اعتنى بتصحيحه ميكائيل بن يحيى المهري، مطبعة بريل، ليدن، 1889م، 1/3.

⁽¹³⁶⁵⁾ طوق الحمامة/26.

والصراحة في تناول مادته وطرحها طرحاً جديداً، ولعل أهم القضايا التي جمعت الاثنين في طريقة معالجتهما هذا الموضوع، هو ظاهرة التناقض فيه، فهو حبٌ حسي وروحي في آن واحد، فعلى الرغم من إصرارهما على الجانب الروحي المتجرد من عالم الحس، إلا أن الواقع قد اضطرهما إلى أن يستسيغا بعض المظاهر الجسدية التي لا بد منها عند العاشق، مهما سلمت طويته وتزهت رغبته وسمت به روحه، فابن حزم يرى أن من علامات الحب وشواهد الظاهرة لكل ذي بصر ((التمعن لمس اليد عند المحادثة، ولمس ما أمكن من الأعضاء الظاهرة وشرب فضلة ما أبقي المحبوب في الإناء))⁽¹³⁶⁶⁾، كما نجد أنه يستسيغ القبلية والعناق على أن لا يتعديان إلى أمور شهوانية تخرجهما من العفة والتصاون، فمن ذلك إخباره عن جارية متلهفة إلى محبوبها الذي لم يظن بحبها رغم كل محاولاتها التي انتهت دون نجاحها في تحريكه ((إلى أن عيل صبرها وضاق صدرها ولم تمسك نفسها في قعدة كانت لها معه في بعض الليالي منفردين، ولقد كان - يعلم الله - عفيفاً متصاوناً بعيداً عن المعاصي، فلما حان قيامها عنه بدرت إليه فقبلته في فمه، ثم ولت في ذلك الحين ولم تكلِّمه بكلمة))⁽¹³⁶⁷⁾.

فيبدو أن النموذج الذي اقتناه ابن حزم في طرح هذه المسألة التي تنهض على ضرورة التمسك بالحدود التي يلتزم بها العاشق الحقيقي والتي تنهأ عن تجاوز التعبير الروحي بواسطة الحس، هو ما ورد في الفصل الخامس من رسالة ابن سينا الذي يقول: ((وأما المعانقة والتقبيل، فإن كان الغرض منهما هو التقارب والاتحاد - وذلك لأن النفس تود أن تتال معشوقها بحسها اللامي كنيلا لها بحسها البصري - فليسا منكبين في ذاتهما، ولكن استتباعهما أموراً شهوانية فاحشة توجب التوقي منهما إلا إذا تيقنت من متوليها خمود الشهوة والبراءة من التهمة... لا الهَمَّ بالفحش والفساد، فمن عشق هذا الضرب من العشق فهو فتى ظريف وهذا العشق تظرف ومروءة))⁽¹³⁶⁸⁾.

وبهذا يمكننا القول إن طوق الحماسة لم يكن ليمتلك أباً واحداً، أو أن يتعلق بسلالته وانتمائيه إلى مؤلف واحد أو جنس أدبي واحد، وإنما هو نتاج جذور كثيرة، وثقافات متنوعة وسلسلة من النتاجات السالفة التي استدعاها صاحب الطوق، ليشكل بها نسيج نصه، بعد أن قام بتحويلها وتغييرها وتذويبها، لينتهي أخيراً إلى مدونة فسيفسائية تعلن ثورتها على أحادية الدلالة والانغلاق القرائي.

⁽¹³⁶⁶⁾ طوق الحماسة/45.

⁽¹³⁶⁷⁾ طوق الحماسة/126.

⁽¹³⁶⁸⁾ رسالة في العشق، ابن سينا، 16/3.

الخاتمة

وبعد، فهذه خاتمة نستخلص فيها أهم النتائج التي أفرزتها هذه الدراسة، على أن طبيعة الموضوع اقتضت إدراج هذه النتائج تحت قسمين: النتائج العامة التي تختص الجانب النظري، والنتائج الخاصة التي تختص الجانب التطبيقي.

أولاً- النتائج العامة:

اتضح أن لمادة النص، في المعجم العربي، مرونة وقابلية كبيرة على استيعاب ما ينال عليه مصطلح (النص) بمفهومه الراهن، لولا أن تراثنا العربي غلب مصطلحات من قبيل (الكلام) و(النظم) و(الشعر) وغيرها للدلالة على ما ينال عليه النص.

اتضح أن هذا الحقل اللساني (لسانيات النص) مفتقر إلى الاستقرار والثبوت، إذ ما يزال ذا حظوظ كبيرة لأن يُعد بالمزيد. الأمر الذي حال دون انغلاقه، فحقّ لذلك أن يوصف بأنه حقلٌ (عبر تخصصي) أو أنه (بحرٌ هجين) أو أنه علم (متداخل الاختصاصات).

اتضح أنه مهما اختلفت الأجهزة المفاهيمية، ومهما اختلفت التصورات في شأن مفاهيم (علم النص) و(لسانيات النص) و(نحو النص) و(تحليل الخطاب) و(لسانيات الخطاب)... الخ، فإن جميعها توحّد قبلتها صوب هدف واحد في التحليل والقراءة، وهو تجاوز حدود الجملة إلى فضاءٍ أرحب متمثّل بالنص.

اتضح أنه وإن سلمنا بوجود فارقٍ أو فوارق، اعتبارية بين (النص) و(الخطاب)، فإنه لا يلبث أن يتخذ المفهومان، إلا على مستوى التنظير، فعلى مستوى التحليل والإجراء.

اتضح أن للنصوص العربية القديمة ميزة لا تتوافر عليها غيرها من النصوص، ولاسيما المعاصرة منها. وتتمثل هذه الميزة بتضافر أدوات الاتساق والانسجام. وحقاً فإن لوحة نصية واحدة في النص العربي القديم، تتسلح بحشد من تلك الأدوات على إكسابها التلاحم البنوي والمفهومي، دون الحاجة الملحة إلى التأويل والتقويل والتقدير وملء الفراغات عند التحليل.

وكذا، فإن النصوص العربية القديمة تتميز بتوافرها اللافت على وسيلة اتساقٍ إضافية تتمثل بأدوات الاتساق الصوتي، إثر التزام كتابها بطلب فنون البديع، التي كان وجودها في تلك النصوص شرطاً من شروط نصيتها. ولذا فهي تقوم بدورٍ اتساقٍ لافت، لكونها وسيلة إضافية تعمل على ترابط النص وشد أزره، ومن ثم لا يمكن صرف النظر عنها.

ثانياً- النتائج الخاصة:

اشتغلت هذه القراءة على نصٍ مختصر، ومع ذلك أبقى النص على توازنه، واستأهل قول القائل فيه: إنه نص، فالناسخ كان لعلناً، وذا كفاءة نصية عالية توفرها له خلفية معرفية كبيرة، فقد اتبع في عملية الاختصار طريقة منهجية مقلدة تكفل للمدونة السلامة والاستقامة، بحيث مكنته من استئصال الرضوض واللثوات المتحصلة من استطرادات الناص، ورغبته الاسترسالية العالية، وحسنه الموسوعي المُلح، دون أن يترك هذا الناسخ أثراً بارزة نتيجة الحذف والاسقاط، ولولا تصريحه في (ذيل الأصل) بأنه قام بعملية

الاختصار، لشق على القارئ-أي قارئ- أن يتبين ذلك. وهذا يعني لدينا أن الناسخ قد نجح في افتراض (بنية عميقة) لطوق الحمامة، ذلك أن افتراض بنية عميقة للنص يدعم امكانية اختصاره في ملخص أو في عنوان أو في غيرهما. كما وترجح لدينا أنه باقباله على اختصار الرسالة، كان يتحرك في ظل سلطة تتيحها المذهبية ونصرة إمام المذهب. ومن هنا جاء زعمنا أنه كان ظاهرياً حزمياً.

❁ كشف النص عن معياري الاتساق والانسجام بسهولة ويسر، لكونه- وببساطة- نصاً عربياً قديماً توافرت فيه كل أدوات هذين المعيارين، فكانت لها فاعلية كبيرة في ترابطه على صعيد النحو والصوت والدلالة والتداول.

❁ كشف النص عن كفاءة إعلامية عالية، بالمفاهيم الثلاثة لهذا المصطلح: فعلى الصعيد الأول كشف عن رغبة الناص العارمة في الاخبار المثيرة، فضلاً عن كونه ذا شهرة كبيرة وشخصية موسوعية قوية. وعلى الصعيد الثاني كشف عن رغبة الناص في أن يكون نصه متسقاً ومنسجماً. وأما على الصعيد الثالث، فلما عليه النص من قيم دعائية وإشهارية عالية للمذهب الذي ينتمي إليه ابن حزم، ولما يتضمنه النص من إشارات دعائية صريحة وضمنية لقناعات الناص وتشجيعه على من يخالفه وينكر عليه قناعاته.

❁ كشف النص عن كفاءة اتصالية عالية، يضع في الحسبان مراعاة مقام الكلام، وقدرة متلقيه الاستيعابية والعلمية والنفسية، فابن حزم يراعي السياق الحاف ويراعي رغبة مشاركه في الخطاب. ولذا فقد كشف نصه عن معايير المقصدية والمقبولية والمقامية.

❁ كشف النص عن أنه نص واقع بين الكتابية والشفاهية. نعم فهو نص كتابي، إلا أنه ظل مشدوداً إلى التقاليد الشفاهية وسماتها.

❁ اتضح أن الطوق نص مفتوح، يؤكد انفتاحه على أكثر من صعيد. فهو مفتوح، لأنه رد على رسالة صديق، وأيضاً لأنه نص طويل نسبياً على الرغم من تعرضه للاختصار، وأيضاً لأنه -وهذا هو الأهم- نص حوارى بكل ما للكلمة من معنى. فهو يحاور نصوص التراث العالمي، ويكشف عن تعدد صوتي، ويستجيب لما لا حد لها من قراءات، وليس لإحداها- أيأ كانت- أن تتكلم بلغة الجزم.

ثبت بمجموعة مصطلحات وردت في الدراسة

1. الابستمولوجيا Epistmology

ويعني نظرية المعرفة، أيّة معرفة، بما فيها أصولها التطبيقية والمنهجية، وتحديد الخلفيات النظرية كشرط الامكانية المعرفية ومبادئ التوجيه. كما ويعني نظرية الانتاج النوعي (خصوصية المفاهيم) للتطورات العلمية وتهتم بتشكيل نظريات كل علم على حدة.

- ينظر درس الابستمولوجيا أو نظرية معرفة، عبد السلام بن عبد العالي وسالم يفوت، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986م/7.
- كذلك معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة (عربي-فرنسي) وملحق (فرنسي-عربي) تأليف د. سمير سعيد حجازي، مراجعة المادة الفرنسية جالورجيورد أنينو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005م/276.
- كذلك معجم المصطلحات الأدبية، د. سعيد علوش/27.

2. الآخر Other

أي شخص مميّز عن الذات، ووجود هذا الآخر أمر ضروري لتعريف ما هو عادي، وتحديد موقع المرء من العالم، ولذا حظي هذا المفهوم ببالغ الأهمية لتحديد معالم الذات (الأنأ).

- ينظر دراسات ما بعد الكولنيالية (المفاهيم الرئيسية) مجموعة مؤلفين، ترجمة مجموعة من المختصين 262-263/

3. الأداء الكلامي Performance

يمتيز شومسكي بين المعرفة باللغة الذي يسمى (الكفاية اللغوية competence) من جهة وبين استعمال اللغة الذي نحن بصدد الحديث عنه (الأداء الكلامي)، الذي يشير بدوره إلى استعمال المتكلم/المستمع المثالي اللغة ضمن سياق معين، وفي الأداء الكلامي يعود هذا المتكلم/المستمع، بصورة طبيعية، إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية كلما استعمل اللغة في مختلف ظروف التكلم.

- ينظر الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية /33

4. الأدبية (الإنشائية) litterarite

مجموعة القوانين والخصائص التي تجعل من نص ما نصاً أدبياً وتحوّل الكلام من حدوده العادية إلى جماليات لغوية، ولذا فإن أصحاب هذا المصطلح ركزوا في دراساتهم على أدبية النصوص أو انشائيتها، دون النظر الى علاقاتها بما هو خارجي عنها، ومصطلح الأدبية مقتبس من الشكلايين الروس، ومن أبرزهم (جاكسون) وقد مهدت هذه المصطلحات وأمثالها لسلطة النص عند البنيوية، (قارن هذين المصطلحين بالشعرية).

- قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر/130.

5. الاستعداد Aptitude

يعرف الاستعداد بأنه ((قدرة طبيعية على اكتساب أنماط عامة من السلوك في مضار المعرفة أو المهارة)) أو بأنه ((مجموعة من الخصائص تعتبر افصاحات لقابلية الشخص لاكتساب معرفة معينة أو مهارة أو نمط من الاستجابات)).

- معجم المصطلحات الحديثة، د. سمير سعيد حجازي/143-144.

6. إستراتيجية Strategy

مصطلح ذو مرجعية عسكرية، وتعني فن قيادة القوات، ثم اتسع مدلولها في العلوم الإنسانية، وأصبحت تعني الخطة الشاملة في ميدان ما أو مجموعة خطط أو طرق توضع لتحقيق هدف معين على المدى البعيد، أو هي مجموعة الآليات أو الطرائف التي تنتجها الجماعة أو المجتمع من أجل إشباع حاجتها الثقافية، ولعل هذه الدلالات تتسحب على ما يراد بإستراتيجية الكاتب أو الإستراتيجية النصية.

- ينظر تمثيل الماضي بين الذاكرة والتاريخ والتخيل، مجلة الأقلام، ع(4)، س(46)، تشرين الأول/ تشرين الثاني/ كانون الأول، 2011م/الهامش رقم (4)/56.

7. إشكالية Problematic

يعرفها د. عبد السلام المسدي بأنها ((طبيعة المواضيع ذات الأحكام والقضايا التي يحمل صدقها، ولكن يمسك الباسط لها عن إقرارها انطلاقاً... أو تطارح قضية حملية واختصاصات متغايرة، ولذلك قال بعضهم مشكالية أو مسألية)) ويرى د. محمد عابد الجابري أن((الإشكالية هي النظرية التي لم تتوافر إمكانية صياغتها، فهي توترنوزع نحو النظرية أي نحو الاستقرار الفكري)).

- الأسلوب والأسلوبية، د. عبد السلام المسدي، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، د. ت/173.

- إشكاليات الفكر العربي المعاصر، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994م/15.

8. الاعباطية (اعتباطية العلامة) Arbitraire signe

يجعل(فردنان دي سوسير) العلاقة بين الدال والمدلول اعباطية أي تلقائية، فكلمة(شجرة)، مثلاً، لا ترتبط بأية علاقة مع هذا(الموجود المادي)للشجرة بدليل اختلاف اللغات على تسمية هذا الموجود المادي، كذلك الحال على سعيد التواصل غير اللساني فعلمة(صليب الصيدليات الأخضر) لا تربطه أية علاقة بمدلولها الصحي.

- ينظر مفاتيح الأسنية، جورج موان، ترجمة الطيب بكوش، منشورات الجديد، تونس، 1981م/39 وما بعدها.

- كذلك معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش/146.

9. أفق التوقعات

يحدد هذا المفهوم بوصفه منظومة من المعايير والمرجعيات لجمهور قارئ في لحظة معينة يتم انطلاقاً منها قراءة عمل وتقويمه جمالياً، إذ تزداد احتمالات القبول كلما تطابق الأفقان (أفق توقع

الجمهور مع أفق التوقع الذي يقدمه العمل) على حين تزداد احتمالات الرفض والاستنكار في حال الاختلافات الواضحة بين الأفقيين.

- ينظر في نظرية التلقي، جان ستاروبنسكي، وايف شفريل، ودانييل هنري باجو، ترجمة غسان السيد، ط1، دار الغد، دمشق، سوريا، 2000م/95.

- كذلك الأدب العام المقارن، دانييل هنري باجو، ترجمة غسان السيد، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997م/77.

10. الالتزام commitment

أن يتمتع الأديب بإحساس ملح وطاق بالمسؤولية الاجتماعية والأخلاقية الملقاة على عاتقه، بوصفه ذاتاً مشاركة، غير انعزالية، فالالتزام هو التمسك بالتجارب الإنسانية فيما يتصل بالتطلعات التي تحتضن مشاعر أكبر عدد من بني الإنسان دون الانكماش في تجارب فردية تلتصق بالأنأ.

- ينظر المذاهب النقدية، دراسة وتطبيق د. عمر محمد الطالب، دار الكتب للطباعة والنشر الموصل، العراق، 1993م/174.

11. الأنأ Ego

((الجزء الشعوري الواعي، أو الجانب المادي المعقول في شخصية الفرد، والذي نعرف عنه الكثير عادة، وتنشأ (الأنأ) من الدوافع الفطرية وتتفصل عنها نتيجة الخبرة والتدريب والتعلم)).

- معجم المصطلحات الحديثة/132.

12. انساق الثقافة

هي تلك التصورات والأبعاد والخلفيات الثقافية المضمرة، التي تعمل بوصفها آليات ضبط وتحكم بالسلوك العلمي واللفظي لتنظيم العمليات الاجتماعية، حيث إن هناك أصل ذهني يعمل باعتباره أنموذجاً يقاس عليه، ويجري الالتزام به والاحتكام إليه، بحكم أنه دليل وموجه اجتماعي وسلوكي.

- ي النقد الثقافي، عبد الله الغدامي/85.

- كذلك معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش/211.

13. الانعكاس (نظرية) Reflet

يستدعي هذا المصطلح إحدى طروحات النقد الماركسي التقليدي، التي ربطت الآداب والفنون وكل أشكال المعرفة بالواقع الموضوعي، ولذا فقد ركزت على فكرة الحتمية التاريخية والاجتماعية عوضاً عن فكرة الإلهام الذاتي للكاتب، يقول (بليخانوف): إن الأدب والفن مرآة للحياة الاجتماعية، إذ تتحول العلاقة الاجتماعية، مع تحول الأنواق الجمالية للناس، وكذا إنتاج الفنانين.

- ينظر مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع قاموس المصطلحات الأدبية، د. سمير حجازي، دار التوفيق، سوريا، دمشق، 2004م/100.
- كذلك معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة/152.
14. الأيدولوجيا Ideology
- هي مجموعة من المعتقدات والمواقف التي يتبنّاها المرء، والتي تنعكس بدورها على أفكاره، على أساس أن كل تفكير، أو كل النشاطات العقلانية، لها حافزها الإيديولوجي.
- ينظر معجم المصطلحات السياسية، موريس كرائسوتون، ط3، دار النهار للنشر (ش م ل)، بيروت، لبنان، 2005م/33-34.
15. البنية Structure
- يتحدد معنى البنية، أولاً وقبل كل شيء، بأنها ليست بشيء غير منتظم، إذ تحليل على معنى (المجموع) أو (الكل) المؤلف من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداها، ويتحدد من خلال علاقته بما عداها.
- ينظر مشكلة البنية، د. إبراهيم زكريا، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت/32.
- كذلك معجم المصطلحات الحديثة/153.
- كذلك معجم اللسانيات، بإشراف جورج موانان/104.
16. البنية السطحية Surface Structure
- وتعرف، أيضاً، بالبنية الظاهرة، وتتمثل هذه البنية في التتابع الكلامي، أو ترتيب الوحدات الصوتية الذي يرد إلى شكل الكلام الفعلي الفيزيائي، وإلى شكلية المقصود والمدرّك، وتتحدّد هذه البنية بالتفسير الصوتي، ومع تقادم الزمن أدخل شومسكي-في تحديدها-المكون الدلالي، وترتبط (البنية السطحية) بقاعدة (الأداء الكلامي) وتعدّ انعكاساً للبنية الأولى (العميقة).
- ينظر الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1982م/163-164.
- كذلك التراكيب التوليدية التحويلية في شعر الراعي النميري، إسماعيل حميد حمد أمين، دار الراية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2009م/30.
- القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، د. حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د. ت/95.
- نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، مازن الوعر، ط2، دار طلاس، سوريا، دمشق، 1992م/54.
17. البنية العميقة (Deep Structure)
- لئن ارتبطت (البنية السطحية) بقاعدة (الأداء الكلامي)، فإن هذه البنية- التي تعد من أبرز مقومات ثورة شومسكي اللغوية على التجريبيين والسلوكيين، ترتبط (بالكفاءة اللغوية) للمتكلم/المستمع، إذ

تمثل ((الأساس الذهني المجرد لمعنى معين يوجد في الذهن، ويرتبط بتركيب جملي أصولي، يكون هذه التركيب رمزاً لذلك المعنى وتجسيدا له، وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة، ولتحديد معناها الدلالي)) ويرى شومسكي أن هذه البنية وإن لم تكن ظاهرة في الكلام/الأداء، فهي إلى حد ما أساس لفهمه، ولإعطائه التفسير الدلالي.

- ينظر القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي/94.
- كذلك التراكيب التوليدية التحويلية/30.
- كذلك الأسنوية التوليدية والتحويلية، ميشال زكريا/163-164.

18. البنيوية Structuralisme

اتجاه لساني يعالج العمل أو اللغة، باعتبارهما نسقاً عضوياً منظماً من مجموعة من العلاقات ينظر إليها في ذاتها ولذاتها، أو نسقاً لا يعرف سوى نظامه الخاص، ويستبعد كل بعد تاريخي، أو تصوري للظواهر اللغوية، على أساس أنها انساق أو نظم تؤدي وظيفتها، باعتبارها بنيات ذات طبيعة رمزية لا تنطوي على أي بعد خارجي.

- ينظر معجم المصطلحات الحديثة/156
- كذلك معجم اللسانيات، بإشراف جورج مونان/106-107.

19. التأويلية (الهرمينوطيقا) Hermeneutics

يشير هذا المصطلح، عادة، إلى عملية تفسير النصوص، أي إلى نظام الممارسات التفسيرية الضمنية أو المضمرة، وتتصف هذه الممارسات بالانفتاح والاتساع النسبيين، وينشط غالباً على مستوى اللاشعور، وذلك في مقابل الشفرات الأكثر وضوحاً وتحديداً من الناحية الشكلية.

- ينظر معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات/79.

20. التعدد الصوتي Polyvalency

مصطلح متعدد الدلالة، من جملة ما يشير إليه، عند (باختين)، مثلاً، الطريقة التي ينأى بها المؤلف عن التوحد مع الشخصية الأدبية، وهو يرى أن الروائي عليه أن يفهم الشخصية الأدبية في عمله من الداخل، ولكن يجب عليه، أيضاً، أن يتصورها بوصفها (آخر) منفصلة عن الكاتب بغيريتها المتميزة، وهذا يؤدي إلى التشجيع على القيام بقراءات متعددة للنص، بدلاً من العمل على تأسيس قراءة تفضيلية محددة أو ضيقة له.

- ينظر دراسات ما بعد الكولنيالية/59.
- كذلك معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات/153.

21. التفرد

التفرد هو التميز بالذات والصفات، أو بما تنهض فيها من إمكانات الاختلاف والتميز عن غيرها.

- ينظر في آفاق الكلام وتكلم النص/158 الهامش.

22. التفكيكية (Deconstruction)

ليست التفكيكية-على ما يذهب مؤسسها وموطد دعائمها جاك دريدا-منهجاً ولا نظرية أدبية، ولكنها إستراتيجية في القراءة تطرح الأسئلة على العمل الأدبي من داخله لتفكيكه وهدمه وإعادة بنائه على صورة أخرى. فالقراءة-يرى دريدا-ينبغي أن تكون مزدوجة، بحيث يقرأ النص، أولاً، قراءة تقليدية لإثبات معانيه الصريحة السطحية، ثم يُقرأ قراءة ثانية معاكسة، تقوض النتائج التي انتهت إليها القراءة الأولى، ولعل الهدف من كل ذلك الكشف عما ينطوي عليه النص من معانٍ تتناقض مع ما صرح به، وإيجاد شرح (فراغ) بين ما يصرح به النص، وبين ما يخفيه أو سكت عنه.

- ينظر قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، دراسة، د. خليل الموسى، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م/132.

23. التلقي (نظرية) Reception Theory

ظهرت هذه النظرية في ألمانيا أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن الماضي، باستفادة أعلامها من نصوص رولان بارت، وذلك حين أعلن (هانز روبرت ياوس) ولادة هذه النظرية في مقال له تحت عنوان (التغيير في نموذج الثقافة الأدبية 1969م) تابعه في ذلك-مع شيء من الاختلافات (وولفجانج آيرز) وسواه، وأهم ما ركز عليه هؤلاء النسبية التاريخية والثقافية للقيمة، ودعوا إلى نسبية المعنى وجمالية التلقي وأفق الانتظار والفراغات (المساحات البيض في النص) وغير ذلك. وتعد هذه النظرية جزءاً من نظرية الاتصال، وتنتمي إلى (ما بعد البنيوية) ولذا كان التوجه إلى القراءة والاهتمام المطلق بالمتلقي أهم ما تركز عليه.

- ينظر موسوعة السرد العربي، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د. ت 14/1.

- كذلك قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر/142-143.

24. تمثّل العالم (رؤية العالم) Representation

نزوع الإنسان للحصول على تمثّل منسجم ومنظم لهذا العالم، أو محاولة منه لايجاد تصور ومحاولة لفهم العالم وتفسيره، حتى يصبح معقولاً، ويقدر العقل على استيعابه، فرؤية العالم وتمثّله هي عقلنته. وهذه الرؤى والتمثّلات هي (الدين والفلسفة والفن)، فمثلاً إن العمل الفني ليس إلا إبداعاً إنسانياً يمثل أداة الإنسان لفهم العالم ورؤية الواقع، لأن كل عملية خلق، وكل فعل بشري إنما ينطوي على عملية إضفاء للمعنى على ما كان في الأصل خلواً من كل معنى.

- ينظر رؤى العالم، المقدس كمحدد لتابعية الرؤية الدينية للعالم (سلطة المقدس)، د. حسن حنفي مجلة عالم الفكر، مج(4)، ع (3) يناير/مارس 2012/7.

- كذلك حاجة الإنسان إلى تمثيل للعالم، د. عبد الرحمن التليلي، مجلة عالم الفكر، العدد المشار إليه /58.

كان أول من أشار إلى مفهومه الأمريكي (بلومفيلد) الذي يعني بها المنهج الذي يصرف عنايته على توزيع الوحدات اللسانية في أماكن محددة لها، بعد الانتهاء من دراسة هذه الوحدات ووصفها، ويركز التحليل التوزيعي على وصف عناصر اللغة بواسطة قابليتها لأن ترتبط مع غيرها، للوصول إلى تعريف أو وصف شامل لحالة اللغة بطريق التزامن. هذا وقد استبعد (بلومفيلد) في عمله كل ما يرتبط بدراسة المعنى، واحلّ مكانه التركيز على الأشكال. معتبراً الدراسة الوصفية توجب الاختصار على تحليل الأشكال دون إقحام مبحث المعنى في مجالاتها.

- ينظر المدخل إلى علم الألسنية الحديث، د. جرجس ميشال الجرجس، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، د. ت/32.

26. الثقافة (Culture)

تعرف الثقافة - حسب إدوارد تايلر - بأنها الكل المركب الذي يتكون من المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات، وغيرها من المقدرات والأعراف التي يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في جماعة، ويعرفها (كلايد كلاكهون) بأنها ((جميع مخططات الضمنية والصريحة والعقلية واللاعقلية، وهي توجد في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة)).

- ينظر معجم علم الاجتماع، د. عدنان أبو مصلح، ط2، دار أسامة والمشرف الثقافي-عمان-الأردن 2006م/158 وما بعدها.

27. ثنائية الملفوظ والتلفظ

يعدّ ما يصطلح عليه (الملفوظ) مرادفاً للمكتوب على حين يكون (التلفظ) فعل إنتاج كلامي آني. وبعبارة أخرى مادامت عملية التخاطب قائمة بالحديث منوط بالتلفظ، فإن انتهت، فالحديث ينصرف إلى الملفوظ.

- ينظر لسانيات النص، مداس/19.

28. الجملة Clause/ Sentence

لا بد من المجيء إلى مسألة- قبل التعريف بالجملة- وهي أنه ليس للجملة تعريف متفق عليه عند العرب والغربيين- نحويين ولسانيين- فما زالت هناك معايير مختلفة لجملة الجملة، دون الاعتراف، صراحة، بأنها تعريفات نهائية، فقديماً- عند النحويين العرب- اختلف في شأنها، فمنهم من ساوى بينها وبين الكلام، ومنهم من رأى أنهما مختلفان، فإن شرط الكلام الإفادة، وشرط الجملة الإسناد، سواء أفادت أم لم

تقد. على أن الجملة - من بين حشود من التعريفات والتصورات والرؤى المتبانية- هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، وليس لازماً أن يحتوي على العناصر المطلوبة كلها، فقد تخلو من المسند إليه لفظاً والمسند لوضوحه وسهولة تقديره.

- ينظر الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، محمد إبراهيم عبادة، ط1، منشأة المعارف- الإسكندرية-مصر، 1984م/209.

- كذلك النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند/83

- كذلك الجملة العربية، تأليفها وأقسامها، الدكتور فاضل السامرائي، منشورات المجمع العلمي العراقي، د.ت/4.

- كذلك في النحو العربي نقد وتوجيه، الدكتور مهدي امخزومي، ط2، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، 1986/31.

29. الجملة البسيطة Simple/ Sentence

تلك الجملة التي تتضمن علاقة إسناد واحدة سواء اشتملت على متعلقات بعنصري الإسناد أو أحدهما أو لم تشتمل. على أنه ينبغي التفريق بين (الجملة البسيطة) و(الجملة الصغرى) عند ابن هشام فالأولى تركيب مستقل بنفسه، ولا يدخل ضمن تركيب أكبر منه، في حين أن الجملة الصغرى تركيب تابع لتركيب أكبر هو الجملة الأساسية.

أما ما ذهب إليه الدكتور المخزومي في كتابه (في النحو العربي قواعد وتطبيق)، وما ذهب إليه الدكتور مازن الوعر من أن كلا الجملتين شيء واحد، فإنه بحاجة إلى نظر.

- ينظر الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية الدكتور مصطفى حميدة، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر (لو نجمان) 1997م/146.

- كذلك في النحو العربي، قواعد وتطبيق، مهدي المخزومي، ط2 دار الرائد العربي، بيروت 1986م/226.

- نحو نظرية لسانية عربية، مازن الوعر/34.

30. الجملة التحويلية (المشتقة) (Derived sentence)

وهي تركيب يحوي اشتقاقه (تحويله)، على الأقل، قاعدة تحويلية جوازية واحدة، إذا ما طرأ عليها عنصر من عناصر (خصائص) التحويل، مثل الزيادة (=التركيب بالعطف أو الإدماج)، والحذف (=غير تام)، والنفي، والبناء للمجهول، والطلب، ويزيد بعضهم (التنغيم). مع ملاحظة أن شومسكي يعتبر التنغيم والنبر من الإنجاز (الأداء) وليس من (القدرة) فالجملة المشتقة هي التي تشتق من الجملة الأساس (النواة) بخصيصة (قاعدة) من خصائص التحويل.

- ينظر في التحليل اللغوي منهج وصفي، خليل عمايرة/87

- كذلك الجملة الفرعية في اللغة العربية /34-35.

31. الجملة التوليدية (الأساسية) (Kernel sentence)

وتسمى أيضاً، بالجملة النواة، وهي الحد الأدنى من الكلمات، التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه، وتتصف هذه الجملة، أو (التركيب) بأنها بسيطة، تامة، مثبتة، مبنية للمعلوم، خبرية (غير طلبية)، فكل تركيب يتصف بهذه الخصائص، إنما هو تركيب أساس ويسميه شومسكي الجملة النواة.

- ينظر شومسكي، تأليف جون لاينز، ترجمة محمد زياد كبة، النادي الأدبي بالرياض 1987م/61.
- كذلك في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي (التوكيد اللغوي والنفي اللغوي وأسلوب الاستفهام) الدكتور خليل عمايرة تقديم الأستاذ الدكتور سلمان حسن العاني، ط1، مكتبة المنار-الأردن 1987م/87.
- كذلك الجمل الفرعية في اللغة العربية/34.

32. الجملة المدمجة (Embedded Sentence)

هناك طريقتان لصياغة الجمل المعقدة، يتم بواسطة قبول سلسلتين لغويتين تعملان عليهما من أجل إخراج جملة جديدة مشتقة (تحويلية) معقدة. أولى هاتين الطريقتين، هي العطف (coordination) الذي يجمع سلسلتين عميقتين مع بعضهما خلال التحويل العطف، مثل (يعزف الولد وتغني البنت) فهذه الجملة تسمى في النحو التقليدي (جملتين معطوفتين) وتسمى في النحو التوليدي التحويلي (تركيباً عطفياً).

أما الطريقة الثانية لصياغة الجملة المعقدة، فهي (الإدماج) أي بإدخال التراكيب المتفرعة على الجملة الأساس، وذلك مثل: (جملة الخبر- وجملة الصفة- وجملة الحال- وجملة صلة الموصول- وجملة الإضافة وجملة المفعول (مقول القول) وجملة الشرط) فهذه الجمل الفرعية هي جمل مدمجة، لأنها جزء من جملة أخرى، أي من الجملة الأساس.

- ينظر الجمل الفرعية في اللغة العربية/36 وما بعدها.

33. الجملة المركبة Complex Sentence

وهي التي تتضمن علاقتي إسناد فأكثر سواء اشتملت على متعلقات بعناصر الإسناد أم لم تشتمل، فهي من خلال اشتغالها على أكثر من مسند تتطابق مع (الجملة الكبرى عند ابن هشام)، لولا أن هذا الأخير حصر مصطلحه بالجملة الاسمية التي خبرها جملة. وهذا هو وجه الفرق بين الاثنتين، بخلاف ما ذهب إليه المخزومي والوعر من أنهما متفقتان.

- ينظر النحو العربي قواعد وتطبيق/226.

- كذلك نحو نظرية لسانية عربية/34.

- كذلك مغني اللبيب 47/2.

34. الجملة النصية (=القولة) Text Sentence

وهي-حسب جون لاينز ومحلي الخطاب- تختلف عن جملة النظام، فهي جملة مقترنة بالسياق والتداول والاستعمال، فهي قول منجز وليست وحدة نظامية مجردة غير منجزة.

- ينظر نسيج النص، الزناد/14.

- كذلك أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش/57-58
- كذلك المعنى وظلال المعنى، محمد يونس علي/139
- كذلك النص في مقابل الجملة، ايزنبرنج/164.
- 35. الجملة النظامية (جملة نظام) System Sentence
وتعني شكل الجملة المجرد، الذي يولد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في لغة ما، وهي لذلك تطرح السياق والعوامل غير اللغوية من حسابها، على العكس من الجملة النصية. أو (القولة).
- ينظر نسيج النص الزناد/14
- كذلك أصول تحليل الخطاب 1/57-58.
- كذلك المعنى وظلال المعنى/139.
- 36. الحبكة (العقدة) plot
وتعني تتابع الحوادث عن طريق ترتيبها المحسوب، لالانتهاء إلى نتيجة قصصية تخضع لصراع ما، فهي تشد أطراف الفعل في المسرحية (وفي باقي الأجناس القصصية كذلك) كما يشد الحبل الثياب على وسط الإنسان. فتعمل الحبكة على شد القارئ (المتوهم) إليها لحظة احتدام الصراع في القصة، حيث يصل التآزم أقصاه، ثم ينتهي إلى حل.
- ينظر (موسوعة المصطلح النقدي) (الحبكة) تأليف إليزابيث ديل، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، دار الرشيد للنشر، بغداد 1981م/110 هوامش المترجم
- كذلك معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش/64.
- 37. الحداثة (modernism)
وهي حركة أوربية، ظهرت في القرن العشرين، تؤكد على التقدم المخطط أو المستقيم والتكنولوجيا والعلم الموضوعي والعقل، ففي الفنون الإبداعية، مثلاً، سعت هذه الحركة إلى التطور، وذلك بانفصالها ورفضها عن كل ما هو تقليدي سائد، وكذلك رفض النظر إلى الفن على أنه محاكاة للواقع.
- ينظر معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات/122
- كذلك الايديولوجيا والهوية الثقافية/190
- كذلك دراسات ما بعد الكولنالية/231.
- 38. الحدس
يعني الحدس اللغوي- العائد إلى متكلم اللغة- قدرته على الحكم بأصولية الجمل بصورة بديهية، فالإنسان السوي، الذي يتكلم لغة معينة، يستطيع أن يفهم جمل لغته. كما انه يستطيع الحكم عليها من حيث الخطأ والصواب في التركيب، ولكن ينبغي في هذا الإطار أن نميز بين الحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة وبين الحدس (الألنسي) لدى الباحث، الذي يقوم بتحليل اللغة، فالباحث الألنسي يحلل المادة/ اللغة، استناداً إلى تقنيات علمية ونظرية، على حين أن متكلم اللغة يدلي أمامنا بالمعلومات حول الجمل

التي نسالُ حدسه حولها، فنتوصل من خلال مساءلة حدس المتكلم إلى كفايته اللغوية، وهذا ما يتيح للباحث ملاحظة القضايا المثيرة للاهتمام، كما يتيح له، أيضاً، استنباط القوانين اللغوية من خلال هذا الحدس لدى المتكلم السوي.

- ينظر الألسنية التوليدية والتحويلية / 97-98.

39. الدلالات الضمنية (علاقة الغياب).

وهي المعنى المخفي والمضمر والمسكوت عنه والمغيب، ولذلك تتطلب من المتلقي/القارئ-في الكشف عنها-الإبحار نحو المجهول. (لاكتناء المسكوت عنه وإعادة إنتاجه وتأويله اعتماداً على فاعلية القراءة المنتجة، فالنصوص تجد نفسها، غالباً، مضطرة إلى الصمت أو السكوت تاركاً المزيد من الفراغات والفجوات الصامتة التي تتطلب جهداً استثنائياً فاعلاً للكشف عنها، ويرى النقاد أن الباعث على عمليات الإقصاء والحذف إشكالية معقدة ومتراصة، ولكنها ترتبط أساساً بوقوع (الناص / الكاتب)- وبشكل أدق وقوع نصه تحت تأثير السلطة، أيا كان نوعها.

- ينظر قراءات في الشعر العربي الحديث / 135.

- كذلك المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي / 10-11.

40. الدلالة الصريحة (علاقة الحضور)

وهي الدلالة التي تتجلى في ظاهر النص، وهي محدّدة والطريق إليها سالكة، وهي كذلك معلنة ومكتوبة مباشرة يمكن تعيينها من المظهر التركيبي للنص. وهي كما يقول (تودروف): إن العلاقات الحضورية علاقات تشكيل وبناء بخلاف العلاقات البنائية التي هي علاقات معنى وترميز.

- ينظر قراءات في الشعر العربي المعاصر / 135.

- كذلك المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي / 9-10.

41. ذاتية subjectivity

تشير الذاتية إلى صفة خاصة تعكس خبرة خاصة لدى المبدع، كما وتشير - أحياناً - للدلالة على خبرة المبدع، التي لا تسمح بتحقيق الآخرين فيها، ولهذا، فهو يعني، أيضاً، كل ما هو يتميز في نص أدبي معين، ويرتبط بجوانب نفسية وشعورية لدى الكاتب.

- ينظر معجم المصطلحات الحديثة / 2000.

42. السلالة Line

ينتمي هذا المصطلح إلى المجال الأنثروبولوجي، على أن (رولان بارت) يستعيره ليدلّ به على انتماء (الأثر أو العمل) إلى مؤلفه، لكونه يحترم سلالته، بعكس (النص) الذي يعلن ثورته على سلطة الأب، لأن نسبة النص إلى مؤلفه، عند بارت، إيقاف له وحصره وإعطائه المدلول النهائي، ومن ثم إغلاق للكتابة.

- ينظر تقابلات النص، محمد البازي / 136.

مصطلح واسع الدلالة، وملتبس يشير - أقرب ما يشير إليه - الى القدرة على التأثير في الأشخاص ومجريات الأحداث، باللجوء إلى مجموعة وسائل تتراوح بين الاقتناع والإكراه. على حين تتسع دلالة (السلطة) حين تمتلك هذه القدرة جملة أشياء، ففضلاً عن سلطة الدولة - وبخاصة الامبريالية - هناك سلطة زمنية وأخرى روحية جمالية. فلغة والتراث والدين والجنس والأعراف والتقاليد الأدبية، والمؤثرات الثقافية، والمجتمع والقبيلة والأب والأعراف - لكل أولئك سلطة. ومن هنا نفهم طبيعة السلطة التي يمارسها النص على القارئ - أي كان نوعه - نظراً لما يحمله من جمالية ودقة وحصافة وانفتاح وتقبل قراءات. كما ونفهم السلطة التي يمتلكها القارئ الناجح على تفجير دلالات النص المغيبة، كما ونفهم - من كل ما تقدم - طبيعة السلطة التي تمارس من المشاركين في الخطاب، ومن ثم على طبيعة لغة النص التي لا بد من أن تنسجم مع طبيعة المشاركين فيه.

- ينظر إركيولوجية الفساد والسلطة، قصي الحسين/ 44.

- المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي/ 10-11.

44. سلطة النص

((أن يصبح النص مقروءاً، فهذا يعني أنه يمتلك سلطة تجعله موضوع قراءة، تحدد مرجعيته التي يستمد منه سلطته، وهي مرجعية أدبية، أساسها اللغة بانتظامها ومدلولاتها على مستوى انساق العلامات داخل بنية النص، والذي يستند في جوهره إلى نظم ومستويات متداخلة، تؤسس بناء موحداً، يحتاج إلى أدوات منهجية وقرائية تدخل فضاء المتن، لاخترق تلك، البنية المتماسكة)).

- سلطة النص، مشري بن خليفة، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2000م/8.

45. السينتاجم (العلاقات السنتجمية) Syntagmatic

ويعني تركيباً نحوياً يجمع بين وحدتين، أو أكثر، في لغة من اللغات، فمثلاً يحتوي السينتاجم على مورفيمين أو أكثر، مكوناً بذلك كلمة (الم) في قول تعالى (الم نشرح لك صدرك) [الانشراح1]، فكلمة (الم) تتكون من مورفيم (الاستفهام) بالإضافة إلى مورفيم (النفي). وما قيل عن المورفيمات يقال أيضاً على مكونات التي تفوقها - كماً - كشبه الجملة والجملة، عن طريق العلاقات المتتابعة القائمة بين الوحدات اللغوية والكلمات والعبارات نتيجة وجودها معاً في تعاقب معين.

- ينظر معجم اللسانيات الحديثة، الدكتور سامي عياد وزميله/ 42.

46. الشعرية (poetique)

مصطلح نسبي متحول، تتغير دلالاته بين عصر وآخر، ومكان وآخر، وأمة وأخرى. فما هو شعري في الراهن ربما لا يكون كذلك في زمن آخر، فالشعرية عند أرسطو - مثلاً - هي المحاكاة، وعند (جان كوهن) الانزياح، وعند (جوليا كرستيفا) و(جيرار جنييت) التناص، وعند (رولان بارت) النص المكتوب (المفتوح) وعند السوريباليين (الكتابة الآلية) وهكذا وعلى أي، فإن الشعرية تحيل على علم موضوعه

الشعر، أو هي كل نظرية متصلة بالأدب، أو هي نظام نظري، أو هي أسلوبية النوع، أي نوع، سواء كان- شعراً أم نثرأ0

- ينظر إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، 273 وما بعدها.

- كذلك قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر/173.

47. علم المصطلح ل Terminol Ogy

حقل من أحدث حقول اللسانيات التطبيقية يعني بمعالجة تكوين التصورات وتسمياتها، بحيث صار مجموع المصطلحات الموظفة في الميادين العلمية المختلفة، كل على حدة، موضوعاً لهذا العلم الجديد.

- ينظر إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد/28.

48. العوالم الممكنة

يشير إلى قدرة النص على تمثيل الواقع، وذلك من خلال رسم صورة مجازية عن السياق الثقافي الذي تظهر فيه، حيث يلجأ إلى تعويض نموذج العالم الفعلي الذي يحاول الناص فرضه على المتلقي بعالم ممكن ولكن غير فعلي.. والعوالم الممكنة تكون على درجة كبيرة من التركيب والتعقيد، فهي تتصل بالعوالم الواقعية وتتفصل عنها في الوقت نفسه. تتصل بها، لأنها تؤدي وظيفة تفسيرية لتلك العوالم الواقعية، حينما تضع تحت الأنظار نماذج تتوافق مع السنن الثقافية التي يعتمدها المتلقي في إدراكه وفهمه، وتتفصل عنها، لأنها تشكل نفسها من عناصر تخيلية مخصوصة تقوم بتمثيل رمزي لا يفترض المشابهة بين الاثنين، وعلى هذا اختلف النقاد كثيراً في درجة التمثيل.

- ينظر موسوعة السرد العربي، عبد الله إبراهيم/396.

- كذلك لسانيات النص، خطابي/3000-3001.

49. الكفاية اللغوية (competence)

يشير هذا المصطلح- كما سبقت الإشارة عند التعريف بالأداء الكلامي الذي يشكل معها ثنائية لسانية- يشير إلى قدرة المتكلم/ المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد اللغة، وهذه الكفاية ينطبع عليها الإنسان منذ طفولته، وخلال مراحل اكتساب اللغة، فالكفاية اللغوية هي معرفة الإنسان الضمنية باللغة، أو بالأحرى هي معرفة الإنسان الضمنية بقواعد اللغة التي تقود عملية التكلم بها. وهي، بالتالي، تقود عملية الأداء الكلامي.

- ينظر الأسنية التوليدية والتحويلية، ميشال زكريا/32-33.

50. اللذة

للذة اعتبار محوري في تصورات (بارت) عن النص، ومفاد اللذة عنده أن قراءة الأثر مرتبط بلذة الاستهلاك والقارئ السلبي الذي يخرج من العمل كما دخل أولاً، دون أن يملي عليه ذلك العمل أية إنتاجية، أما النص فإن لذته في مراوغته ولعبه، ومن ثم في إعادة كتابته (إنتاجه).

- ينظر تقابلات النص /136-137.

51. اللاوعي الجمعي Inconscient Collectif

((مصطلح سيكولوجي وضعه العالم النفسي (يونج) للدلالة على الأفكار والتصورات التي يتوارثها أفراد السلالة مشروطة بالعصر والأمة والعائلة)).

- معجم المصطلحات الحديثة /242.

52. ما بعد الحداثة Postmodernite

من جملة ما يشير إليه هذا المصطلح أنه ظاهرة ثقافية، جاءت تالية على ما يسمى بالحداثة، وتتجاوز كل أشكال التعبير الثقافية والفنية الجديدة أو مبادئ فلسفية جديدة للتحليل الاجتماعي. وهي، أيضاً، طريقة أو أسلوب خاص للخبرة، والتأويل والتفسير، والوجود في العالم الملغم بمشاعر الحداثة، وقد بزغت هذه الظاهرة في حدود عام 1972م مرتبطة بجملة التغيرات السياسية والاقتصادية في تطور النظام الرأسمالي، الذي فرض إدخال أسلوب جديد من الخبرة في الزمان والمكان، فهي، من هنا، تمثل نوعاً من ردود الفعل على الحداثة.

- ينظر الايديولوجيا والهوية الثقافية (الحداثة وحضور العالم الثالث) جورج لارين، ترجمة فريال حسن خليفة، ط1، مكتبة مدبولي - مصر 2002م/189-190.

53. المجال الدلالي (الحقول الدلالية) Champssemantic

الحقل الدلالي، أو المجال الدلالي، أو المحور الدلالي، إطار معين تدور في فلكه فئة من الكلمات مرتبطة دلالياً، ويمكننا أن نضعها في حقل واحد يجمعها، مثل حقل الصناعة، أو حقل التعليم، أو حقل الألوان... الخ. ولذلك، فإنه لكي نفهم معنى كلمة ما يجب علينا أن نفهم كذلك مجموعة الكلمات المتصلة بها دلالياً، ويرى أصحاب الدلالة أن المجال الدلالي موضوع ذو أهمية كبيرة في الدراسات الاجتماعية، إذ يمكننا -من خلال دراسة المفردات وفرزها في حقول دلالية خاصة بكل فئة منها- أن نفسر مجتمعاً ما من المجتمعات.

- ينظر علم الدلالة، بيرجيرو، ترجمة عن الفرنسية منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - سوريا - دمشق 1992م/139-140.

- كذلك قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر/134.
54. (المحور الأفقي-الخطي-الانتلافي-التتابعي) و(المحور العمودي . الشاقولي.الاستبدالي.الجدولي) يطلق (فردنان دي سوسير) على تتابع الرموز داخل الجملة (التركيب) مصطلح(syntagmatic) أي التتابع. ويطلق على علاقة دخول الرمز الواحد في علاقة مع كل الرموز التي يمكن أن تشغل المكان المعين للرمز- مصطلح (Paradigmatic) أي الاستبدال، أي إمكانية استبدال تركيب عنصر باخر للإنشاء تركيب آخر سليم، لأن الكلمات التي يمكن أن تتوارد في رأس المتكلم تنتظم بشكل يدفعه إلى اختيار ما يراه مناسباً أو يتداعى إلى ذهنه ساعة الابتكار.
- ينظر الأسنسية (علم اللغة الحديث)/197-198.
- كذلك علم لغة النص، بحيري/37.
- كذلك المدخل إلى علم الأسنسية الحديث/76 وما بعدها.
55. المخيال (=المتخيل) Imaginaire
- وهي كلمة فرنسية الأصل تشير إلى ما ينطبع في الذهن الجمعي دون أن يكون له حقيقة واقعة، أو إلى ما يتم تخيله.
- ينظر تمثيل الماضي بين الذاكرة والتاريخ والتخيل /الهامش 58.
56. مستخدمو (العلامات)
- تستعمل مصطلحات (القراء) و(الكتاب)، أو قراءة النصوص وكتابتها، للإشارة إلى النصوص اللغوية المكتوبة، أما في علم العلامات (السيمائية) فإن هذه المصطلحات تشير، على نحو واسع، إلى النصوص عموماً وإلى مستخدميها (= قراءاً وكتاباً، متكلمين و مستمعين) بصرف النظر عن الوسيط أو الوسيلة(القناة).على أن بعض المعلقين يستعمل مصطلحات من قبيل(الصناع)Makers ومن قبيل (المستخدمين) users، بالمعنى العريض لهما،كي يتجنبوا إعطاء ميزة، أو تفوق خاص، لأحدى وسائل الأداء على ما عداها.
- ينظر معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات /165.
57. المعيارية Normativ
- تلك النظرة المتوجه إلى دراسة اللغة والتي تتخذ القاعدة معياراً للاستعمال اللغوي، مثلها في ذلك مثل المنطق القياسي، فهي من هنا تفرض سلطة القوانين على الاستعمال اللغوي. لذا، فهي تقف على طرف نقيض من النظرة (الوصفية إلى اللغة). ويرى اللسانيون الوصفيون أن المعيارية تكون مقبولة في موقف المتكلم، ولكنها في موقف الباحث موقف اعتراض كبير، لأن الأساس في الدراسات اللغوية المقبولة هو المنهج الوصفي.
- ينظر اللغة بين المعيارية والوصفية،تمام حسان،ط4،عالم الكتب،القاهرة 2000م/24وما بعدها.
58. المهيمنة(العنصر الغالب)

المهيمنة، عند ياكبسون، المكون الذي يحقق تركيز العمل الأدبي ويعمق بناءه، بل إنه في حقيقة الأمر النظام الكلي في العمل.

- ينظر المرايا المحدبة، د. عبد العزيز حمودة/187.

59. موت المؤلف

يشير هذا المصطلح- على الرغم مما يثير من تفسيرات متباينة- إلى أن المؤلف لم يعد يحتكر السيادة المطلقة التي كان يستظل بها، فقد حل محله القارئ بعد أن كان مغيباً. ولكي تسترد الكتابة مستقبلها يجب قلب الأسطورة، فموت المؤلف هو الثمن الذي تتطلبه ولادة القارئ، لأن وضع المؤلف يتمثل في مجرد الاحتكاك بالنص، فهو لا يحيل إلى مبدأ النص ولا إلى نهايته، بل إلى غيبة الأب، مما يسمح عن النص مفهوم السلالة والانتماء، فموت المؤلف، إذاً، ليس فناءه ولا نهايته، بل فتح المجال لنصوصية النص، لكي يدخل إلى آفاق الإنسانية، عابراً الزمان والمكان، حيث يكون النص والإبداع هو الأصل الذي يلتقي عنده المؤلف والقارئ.

- ينظر نقد وحقيقة، رولان بارت، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري 1994م/25.

- كذلك مقدمة عبد الله الغدامي لترجمة منذر عياشي/11.

- كذلك بلاغة الخطاب وعلم النص/272.

60. الميثاق Pact

كل تصريح يصدر عن المؤلف في النص، بهدف تحديد جنسه أو نوعه، إذ غالباً ما يرد الحديث عن الميثاق لدى تأكيد انتماء بعض النصوص الملتبسة اجناسياً إلى الرواية، ورفض اعتبارها سيراً ذاتية لانعدام الإشارة الواضحة إلى انبثائها على موثيق سير ذاتية.

- ينظر: معجم السريات / 443 وما بعدها.

61. النخبة Elite

((فئة قليلة من المثقفين لا تمثل المجموع الكلي للمجتمع، أو لا تمثل الفئات الشعبية العامة التي تكوّن السواد الأعظم لإفراد المجتمع)).

- معجم المصطلحات الحديثة/266.

62. النسبية Relativism

((حقيقة علمية متطورة تكون صادقة في مجاله الخاص، أو الشروط الموضوعية، فإذا ما تغيّر هذا الإطار وهذه الشروط كان لابد من تعديلها)).

- معجم المصطلحات الحديثة / 268.

-

63. هيمنة ثقافية Hegemong Culturelle

((مفهوم يشير إلى سيطرة نمط من الفكر والأنظمة اللغوية والمعرفية لطبقة أو جماعة اجتماعية معينة على الأنماط السائدة في المجتمع في مرحلة تاريخية معينة، وتفرض هذه الأنماط نفسها على معظم الجماعات المبدعة والمتفقة، الذين يعيشون في ظروف اقتصادية واجتماعية متشابهة)).

- معجم المصطلحات الحديثة/285.

64. الوصفية

تلك النظرة التي تتجه إلى اللغة، بوصفها موضوعاً من موضوعات الوصف كالتشريح، لا مجموعة من القواعد كالقانون، فمن واجب الباحث أن يصف الحقائق اللغوية كما هي، لا أن يفرض عليها القواعد، ولا أن يعبر عن موقفه من موضوعه على ما يجوز وما لا يجوز، فالدراسة الوصفية تختار مرحلة بعينها، من لغة بعينها، لتصفها وصفاً استقرائياً، لا قياسياً، بحيث تتخذ النواحي المشتركة بين المفردات الداخلة في هذا الاستقراء وتسميها قواعد، فالقاعدة في الدراسة الوصفية - بخلاف القاعدة في الدراسة المعيارية - ليست حقيقة معيارية مطلقة لا تشذ عنها أية ظاهرة، وإنما هي اشتراك بين حالات الاستعمال الفعلية، فعلى الباحث - والحال هذه - أن يقتصر نشاطه على الملاحظة والوصف والتسجيل.

- ينظر اللغة بين المعيارية والوصفية/24.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً- الكتب

- ❏ ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي، د. حسان محمد حسان، دار الفكر العربي، د. ت.
- ❏ ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، د. عبد الحليم عويس، ط2، مكتبة الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1988م.
- ❏ ابن حزم، حياته وفقهه، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954م.
- ❏ ابن حزم رائد الفكر العلمي، المكتب التجاري، بيروت، 1970م.
- ❏ ابن حزم صورة أندلسية، د. طه الحاجري، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.
- ❏ ابن حزم وموقفه من الإلهيات، د. أحمد ناصر الحمد، منشورات مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د. ت.
- ❏ اتجاهات البحث الأسلوبية، د. شكري عياد، ط3، الناشر أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م.
- ❏ اتجاهات البحث اللساني، ميلكا إفيثش، ترجمة عن الإنجليزية د. سعد مصلوح ووفاء كامل فاي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة- المشروع القومي للترجمة- دمشق 2000م.
- ❏ اتجاهات في النقد الأدبي الحديث (دراسات ومقالات مجموعة نقاد غربيين)، ترجمة د. محمود درويش، ط1، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 2009م.
- ❏ الإتيقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي (911هـ)، ط1، دار الغد الجديد، القاهرة، 2006م.
- ❏ الإحالة في شعر أدونيس، د. داليا أحمد موسى، ط1، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، سوريا، دمشق، 2010م.
- ❏ الأحكام في أصول الأحكام، للإمام أبي محمد علي بن حزم الأندلسي (456هـ)، طبعة الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، وهي طبعة مصورة عن طبعة الشيخ أحمد محمد شاكر في المطبعة المنيرية في القاهرة، د- ت.
- ❏ إحياء النحو، د. إبراهيم مصطفى، دار النهضة، القاهرة، 1959م.
- ❏ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، د. أحمد هيكل، ط7، دار المعارف بمصر، 1993م.
- ❏ الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، د. منجد مصطفى بهجت، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1988م.
- ❏ الأدب العام والمقارن، تأليف دانييل هنري باجو، ترجمة غسان السيد، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997م.

- 📖 الأدب والغربة دراسات بنيوية في الأدب العربي، عبد الفتاح كليطو، ط3، دار توبقال للنشر، المغرب، 2006م.
- 📖 أدونيس وبنية القصيدة القصيرة، دراسة في أغاني مهيار الدمشقي، د. آمال منصور، ط1، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، 2007م.
- 📖 آراء أهل المدينة الفاضلة، محمد أبو نصر الفارابي، ط1، مطبعة النيل، مصر، د. ت.
- 📖 أركيولوجية الفساد والسلطة في النصوص الأدبية والمدونات العربية القديمة، د. قصي الحسين، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2009م.
- 📖 أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري (538 هـ)، دار صادر، بيروت، د. ت.
- 📖 أساطير العراق القديم البابلية والسومرية (دراسة في تشكيلها السردية) د. سوسن البياتي، ط1، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، 2010م.
- 📖 الاستدلال البلاغي، د. شكري المبخوت، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2010م.
- 📖 استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.
- 📖 استعادة الماضي، دراسات في شعر النهضة، جابر عصفور، ط2، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، 2002م.
- 📖 الاستلزام الحواري في التداول اللساني، د. العياشي أداري، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011م.
- 📖 الأسس الابدستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ط1، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، 2007م.
- 📖 أسس لسانيات النص، مارغوت هاينمان وفولفغنغ هاينمان، ترجمة د. موفق محمد المصلح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2006م.
- 📖 الأسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، د. عز الدين إسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986م.
- 📖 الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، د. يوسف أبو العدوس، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2007م.
- 📖 الأسلوب والأسلوبية، د. عبد السلام المسدي، ط3، الدار العربية للكتاب، تونس، د. ت.
- 📖 الأسلوبية وتحليل الخطاب، د. منذر عياشي، ط1، مركز الانماء الحضاري - ودار المحبة، دمشق، سوريا، 2009م.
- 📖 إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة (دراسات ومقالات)، ترجمة سعيد بحيري، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م.
- 📖 الاشتراكية والأدب، لويس عوض، ط1، منشورات دار الآداب - بيروت، 1963م.

- ❏ إشكاليات الفكر العربي المعاصر، د. محمد عابد الجابري، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، 1994م.
- ❏ إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، د. يوسف وغليسي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 2008م.
- ❏ الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، الناشر مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 2007م.
- ❏ أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس (نحو النص) محمد الشاوش، ط1، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001م.
- ❏ الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م.
- ❏ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف الخرماء، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1978م.
- ❏ اعتلال القلوب في أخبار العشاق والمحبين، لأبي بكر محمد الخرائطي (327هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م.
- ❏ إفلاطون والمرأة، د. إمام عبد الفتاح، ط1، دار التتوير، لبنان، 2009م.
- ❏ الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1982م.
- ❏ الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والاعلام، د. ميشال زكريا، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1980م.
- ❏ الألوان، د. طه حسين، دار المعارف بمصر، 1985م.
- ❏ آليات الكتابة السردية، أمبرتو إيكو، ترجمة سعيد بنغراد، ط1، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2009م.
- ❏ انفتاح النص الروائي، النص والسياق، د. سعيد يقطين، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006م.
- ❏ أنوار الربيع في أنواع البديع، للسيد صدر الدين بن معصوم المدني (1120هـ)، حققه وترجم لشعرائه شاعر هادي شكر، مطبعة النعمان، كربلاء المقدسة، العراق، 1969م.
- ❏ الايدولوجيا والهوية الثقافية (الحدائث وحضور العالم الثالث)، جورج لارين، ترجمة فريال حسن خليفة، ط1، مكتبة مدبولي، مصر، 2002م.
- ❏ الإيصال في المحلى بالآثار، للإمام أبي محمد علي بن حزم الأندلسي (456هـ)، طبعة جديدة مقابلة على عدة مخطوطات وعلى التي قرأها العلامة أحمد شاعر، تحقيق د. عبد السلام سليمان البنداري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م.
- ❏ الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني، ط1، دار الكتاب الإسلامي، طهران، 1985م.

- ❏ بدائع القرآن، لابن أبي الأصبح المصري، تحقيق د. حفني محمد شرف، ط2، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1971م.
- ❏ البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006م.
- ❏ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (794هـ)، طبعة كاملة في مجلد واحد، قدّم له وعلق عليه وخرج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.
- ❏ بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2005م.
- ❏ البلاغة الواضحة للمدارس الثانوية، علي الجارم ومصطفى أمين، طبع في لبنان، د. ت.
- ❏ البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب ود. كامل حسن البصير، مطابع التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، 1990م.
- ❏ بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد المطلب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003م.
- ❏ البنية الروائية في نصوص إلياس فركوح، تعدد الدلالات وتكامل البنيات، د. محمد صابر عبيد ود. سوسن البياتي، ط1، دار الوائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2011م.
- ❏ بنية القصيدة العربية، البحتري أنموذجاً، د. صلاح مهدي الزبيدي، ط1، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، 2004م.
- ❏ بول ريكور الهوية والسرد، تأليف حاتم الورفلي، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009م.
- ❏ البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن الجاحظ (255هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط4، مكتبة الخانجي، مصر، 1975م.
- ❏ تأويل الثقافات، كليفورد غيرتز، ترجمة محمد بدوي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009م.
- ❏ تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ط6، دار المعارف بمصر، 1977م.
- ❏ التاريخ الأنطلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، تأليف د. عبد الرحمن علي الحجّي، ط2، دار القلم، دمشق، سوريا، 2008م.
- ❏ تاريخ الدولة العباسية، د. محمد سهيل طقوش، ط5، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2005م.
- ❏ تاريخ المسلمين في الأندلس، د. محمد سهيل طقوش، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2008م.
- ❏ تاريخ الفلسفة الإسلامية، للمستشرق هنري كوربان، ترجمة نصير مروّة وحسن قبيسي، راجعة وقدم له الإمام موسى الصدر والأمير عارف ثامر، عوידات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، 2004م.
- ❏ تاريخ الفلسفة (الفلسفة اليونانية) إميل برهيه، ترجمة جورج طرابيشي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1982م.

- ❏ تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1958م.
- ❏ تحليل الخطاب، ج - يول وج - براون، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، 1997م.
- ❏ تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، د. محمد عزّام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م.
- ❏ تحليل الخطاب الروائي، د. سعيد يقطين، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005م.
- ❏ تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، محمد مفتاح، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1992م.
- ❏ التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة سعيد بحيري، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م.
- ❏ التداولية، جورج يول، ترجمة د. قصي العتابي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2010م.
- ❏ تداوليات الخطاب السياسي، الأستاذ نور الدين إجميط، ط1، دار الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012م.
- ❏ التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005م.
- ❏ الترابط النصي بين الشعر والنثر في نصوص الشيخ الخليلي، د. زاهد بن مرهون الداودي، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010م.
- ❏ التراث القصصي في الأدب العربي، مقارنة سسيو سرديّة، محمد رجب النجار، ط1، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1995م.
- ❏ التراكيب التوليدية التحويلية في شعر الراعي النميري، إسماعيل حميد أمين، دار الذاكرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009م.
- ❏ الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، يحيى إبراهيم عبد الدايم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- ❏ الترجمة الشخصية، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1956م.
- ❏ تصحيح الفصح، ابن درستويه (347هـ)، تحقيق عبد الله الصالحي، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1975م.
- ❏ تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، د. أنيس مقدسي، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م.
- ❏ التفسير النفسي للأدب، د. عزّ الدين إسماعيل، دار غريب، القاهرة، 1977م.
- ❏ التعلّق النصي، د. عمر عبد الواحد، دار الهدى للنشر، المنيا، مصر، 2003م.
- ❏ تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل واقعي، محمد البازي، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010م.

- ❏ تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي (911هـ)، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.
- ❏ التناسق دراسة في الخطاب النقدي العربي، د. سعد إبراهيم عبد المجيد، عني بنشره وتصحيحه د. شجاع مسلم العاني، دار الفراهيدي للنشر، بغداد، 2010م.
- ❏ التناسق في شعر أبي العلاء المعري، د. إبراهيم مصطفى الدهون، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011م.
- ❏ التناسق نظرياً وتطبيقياً، مقدمة نظرية مع دراسة تطبيقية للتناسق في رواية (رؤيا) لهاشم غرايبة، د. أحمد الزعبي، ط1، مكتبة الكتاني، إربد، الأردن، 1993م.
- ❏ التواصل اللساني والشعرية، مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، الطاهر بن حسين، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2007م.
- ❏ الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، د. عبد الله إبراهيم، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010م.
- ❏ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، د. ت.
- ❏ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور الثعالبي، مطبعة الظاهر، القاهرة، د. ت.
- ❏ جادامر مفهوم الوعي الجمالي في الهرمنيوطيقا الفلسفية، د. ماهر عبد المحسن حسن، دار التنوير، دمشق، 2009م.
- ❏ جذوة المقتبس، لأبي عبد الله الحميدي (488هـ)، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، 1966م.
- ❏ جماليات ما وراء القص، دراسات في رواية ما بعد الحداثة، ترجمة أماني أبو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2010م.
- ❏ الجملة العربية تأليفها وأقسامها، د. فاضل السامرائي، منشورات المجمع العلمي العراقي، د. ت.
- ❏ الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، محمد إبراهيم عبادة، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1984م.
- ❏ جبهة الأمثال تأليف الشيخ الأديب أبي هلال العسكري، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988م.
- ❏ الجمل الفرعية في اللغة العربية بين تحليل سيبويه ونظرية شومسكي التوليدية والتحويلية، ط1، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.
- ❏ الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي (749هـ)، تحقيق طه محسن، بغداد، 1976م.
- ❏ جنان الجناس في علم البديع، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (764هـ)، قدم له وشرحه ووضع فهارسه د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م.
- ❏ جواهر البلاغة، السيد أحمد الهامشي (1362هـ)، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.

- الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد أمين الطلبة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2010م.
- الحجاج في الشعر العربي، بنيتة وأساليبه، إعداد الأستاذة الدكتورة سامية الذريدي، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011م.
- حلية طالب العلم، العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، خرج أحاديثه محمد عبد الحميد عبد الستار، ط1، دار ابن حزم، القاهرة، 2009م.
- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مصر، 1938م.
- الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، محمد القاضي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
- الخطاب والقارئ، نظريات التلقي وتحليل الخطاب وما بعد الحداثة، د. حامد أبو أحمد (كتاب الرياض)، ع30، مؤسسة اليمامة الصحفية، يونيو، 1996م - 1417هـ.
- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحية، عبد الله الغدامي، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م.
- دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات، تأليف د. شكري المبخوت، ط1، دار الكتاب الحديث المتحدة، بيروت، 2010م.
- دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، د. الطاهر أحمد مكي، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1977م.
- دراسات في الأدب والنقد، ثمار التجربة، د. هادي نهر، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011م.
- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، تأليف نهلة شهاب أحمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009م.
- دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، د. سامية الدريدي الحسني، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، 2009م.
- دراسات في النص الشعري، عصر صدر الإسلام وبني أمية، د. عبده بدوي، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1987م.
- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، د. ت.
- دراسات ما بعد الكولنيالية (المفاهيم الرئيسية)، تأليف بيل أشكروفت وآخرون، ترجمة أحمد الروبي وآخرون، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م.
- دروس في الأسنوية العامة، فرديناند دي سوسير، تعريب صالح القرمادي، ومحمد الشاوش، ومحمد عجينة، ط1، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1985م.

- ❏ **مآذلات الإعجاز**، لأبي بكر عبد القادر الجرجاني (471هـ)، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، ط3، دار المصنعي، جدة، السعودية، 1992م.
- ❏ **الدلالة السياقية عند اللغويين**، د. عواطف كنوش المصطفى، ط1، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، 2007م.
- ❏ **التليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** بحاشية المصحف الشريف، إعداد د. حسين محمد فيمي الشافعي، ط3، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2008م.
- ❏ **ديوان ابن حزم الأنطلسي**، جمع وتحقيق عبد العزيز إبراهيم، ط1، دار صائر، بيروت، 2010م.
- ❏ **التليل الناقد الأدبي** إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، د. ميجان الرويلي ود. سعد البازعي، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2007م.
- ❏ **تأويل السياق في الترجمة**، تأليف يوجين نايدا، ترجمة محيي الدين حميني، ط1، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009م.
- ❏ **تأويل الكلمة في اللغة**، مستيف أولمان، ترجمة كمال بشير، الطباعة القومية، القاهرة، 1962م.
- ❏ **مدولة الطوائف**، محمد عبد الله عنان، دار التراث، القاهرة، 1969م.
- ❏ **ديوان بشار بن برد** تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950م.
- ❏ **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، لأبي الحسن بن بسام الشنتريني (542هـ)، القسم الأول، تحقيق عبد الحميد العبادي وعبد الله عزام، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1939م.
- ❏ **ربيع الفكر اليوناني**، عبد الرحمن بدوي، ط3، مكتبة النهضة المصرية، 1958م.
- ❏ **رسائل ابن حزم الأنطلسي**، تحقيق د. إحسان عباس، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م.
- ❏ **رسائل الجاحظ**، عمر بن عثمان الجاحظ (255هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979م.
- ❏ **رسائل الشيخ الرئيس الحسن بن علي بن سينا (370هـ)** في أسرار الحكمة المشرقية، اعتنى بتصحيحه ميكائيل بن يحيى المهدي، مطبعة بريل-لين، 1889م.
- ❏ **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، لابن القيم الجوزية، اعتنى به مركز المنبر للبحث العلمي، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2006م.
- ❏ **الزهرة لمحمد بن داود الأصبهاني (296هـ)** تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، 1985م.
- ❏ **السردية العربية**، د. عبد الله إبراهيم، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1992م.
- ❏ **السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنىات**، د. إبراهيم صحراوي، ط1، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008م.

- 📖 السرد والاعتراف والهوية، د. عبد الله إبراهيم، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2011م.
- 📖 سلطة النص، مشري بن خليفة، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2000م.
- 📖 السرد في الشعر العربي الحديث، في شعرية القصيدة السردية، فتحي النصري، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2006م.
- 📖 السيرة الذاتية، جورج ماي، تعريب محمد القاضي وعبد الله صولة، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، تونس، 1992م.
- 📖 السيرة الذاتية، فيليب لوجان، ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994م.
- 📖 السيمياء والتأويل دراسة إجرائية في آليات التأويل وحدود مستوياته، د. أحمد مدّاس، ط1، عالم الكتب الحديث، 2011م.
- 📖 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2004م.
- 📖 شرح حلية طالب العلم، العلامة الشيخ محمد صالح العثيمين، خرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبد الحميد عبد الستار، ط1، دار ابن حزم، القاهرة، 2009م.
- 📖 شرح الزركشي على مختصر الخرقى في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي، تحقيق وتخريج عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1993م.
- 📖 شعر البحتري، د. خليفة الوقيان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985م.
- 📖 شعرية النص الروائي (قراءة تناسية في كتاب التعليقات) بشير القمري، ط1، شركة البيادر للنشر والتوزيع، الرباط، 1991م.
- 📖 شعرية النص عند الجواهري، الإيقاع والمضمون واللغة، د. علي عزيز صالح، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011م.
- 📖 الشفاهية والكتابية، والتر - ج - اونج، ترجمة حسن البنا عز الدين، مراجعة د. محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1990م.
- 📖 شفرات النص دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، د. صلاح فضل، ط1، دار الآداب، 1999م.
- 📖 الشكل والخطاب، د. محمد الماكري، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991م.
- 📖 شومسكي، تأليف جون لاينز، ترجمة محمد زياد كبة، النادي الأدبي بالرياض، 1987م.
- 📖 الصادع في الردّ على من قال بالقياس والرأي والتقليد والاستحسان والتعليل، تصنيف العلامة أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأنلسي، قرأه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، الدار الأثرية، عمان، الأردن، 2008م.

- [[صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مصطفى الذيب البغا، دار ابن كثير، بيروت، 1987م.
- [[صحيح مسلم، للإمام أبي حسين محمد بن الحجاج القشيري النيسابوري (261هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار التراث العربي، بيروت، د. ت.
- [[ضحك كالبكاء، د. إدريس ناقوري، ط1، سلسلة الكتب شهرية، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986م.
- [[طوق الحمامة في الألفة والألاف، ابن حزم الظاهري الأندلسي، اعتنى به وقدم له عبد الرحمن المصطاوي، ط2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2004م.
- [[طوق الحمامة في الألفة والألاف، ابن حزم الأندلسي، تحقيق د. الطاهر أحمد مكي، ط2، دار المعارف بمصر، 1977م.
- [[طوق الحمامة في الألفة والألاف، ابن حزم الظاهري الأندلسي، حققه وقدم له صلاح الدين القاسمي، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، 1986م.
- [[طوق الحمامة في الألفة والألاف، ابن حزم الظاهري الأندلسي، قدم له وحققه المحامي فاروق سعد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.
- [[ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب (مقاربة بنيوية تكوينية)، محمد بينيس، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1985م.
- [[عتبات جبرار جنيت من النص إلى المناص، عبد الحق بالعباد، تقديم د. سعيد يقطين، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، 2008م.
- [[العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، للعلامة اللغوي الشاعر المشهور الشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر، بيروت، د. ت.
- [[عصر البنيوية من لفي شتراوس إلى فوكو، أديث كروزويل، ترجمة جابر عصفور، دار آفاق عربية، بغداد، 1985م.
- [[العروض والقافية، دراسة وتطبيق شعر الشطرين والشعر الحر، د. عبد الرضا علي، مطابع التعليم العالي بجامعة الموصل، د. ت.
- [[العلاماتية وعلم النص، إعداد وترجمة منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري ودار المحبة 2009م.
- [[علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2004م.
- [[علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط7، عالم الكتب، القاهرة، 2009م.
- [[علم الدلالة، بيجيررو، ترجمة عن الفرنسية منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والنشر والترجمة، سوريا، 1992م.

- علم اللسانيات الحديثة، نظم التحكم وقواعد البيانات، د. عبد القادر عبد الجليل، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2002م.
- علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السوء المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، نماذج من السنة النبوية، د. نادية رمضان، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2004م.
- علم النص، جوليا كرسيفا، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب 1997م.
- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون فانديك، ترجمة سعيد بحيري، ط1، دار القاهرة للكتاب، 2001م.
- علم النص ونظرية الترجمة، د. يوسف نور عوض، ط1، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية، 1410هـ.
- علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، أ. د. نور الدين عتر، ط1، دار العوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سوريا، 2011م.
- علم النفس في التراث الإسلامي، تأليف نخبة من الأساتذة المختصين، إشراف وتقديم د. محمد عثمان نجاتي ود. عبد الحليم محمود السيد، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، 2008م.
- العمدة في محاسن الشعر والنثر، لابن رشيق القيرواني، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1972م.
- عندما نتواصل نغير - مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والججاج، د. عبد السلام عشير، دار أفريقيا الشرق المغرب، 2006م.
- عيار الشعر، لابن طباطبا العلوي، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم، السعودية، 1985م.
- فريدريك نيتشه، شيطان الفلسفة الأكبر، مجدي كامل، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة 2011م.
- فصول في علم اللغة التطبيقي (علم المصطلح وعلم الأسلوب)، د. فريد عوض حيدر، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008م.
- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، حققه حمود وطماس، ط2، دار المعرفة، بيروت، 2007م.

- ❏ فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية، مصطفى حسن النشار، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2008م.
- ❏ الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام، د. ناجي التكريتي، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1982م.
- ❏ فلسفة اللغة، د. محمد مهران رشوان ود. عصام زكريا جميل، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2012م.
- ❏ الفلسفة وقضايا اللغة، قراءة في التصور التحليلي، د. بشير خليف، ط1، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2010م.
- ❏ فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات، نور الدين بن نعمة الله الجزائري، حققه وشرحه د. محمد رضوان الداية، ط1، مكتبة الرشيد ناشرون، 2003م.
- ❏ فن الشعر، أرسطو طاليس، مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمن بدوي، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1973م.
- ❏ فن القصة، محمد يوسف نجم، ط5، دار الثقافة، بيروت، 1966م.
- ❏ فن القص في النثر الأندلسي، د. علي الغريب محمد الشناوي، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003م.
- ❏ الفن ومذاهب في النثر العربي، د. شوقي ضيف، ط6، دار المعارف بمصر، د. ت.
- ❏ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية، مكتبة المتنبّي، القاهرة، د. ت.
- ❏ في أدب العصور المتأخرة، د. ناظم رشيد، مطبعة التعليم العالي، جامعة الموصل، 1985م.
- ❏ في آفاق الكلام وتكلم النص، د. عبد الواسع الحميري، ط1، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2009م.
- ❏ في بلاغة الضمير والتكرار، دراسات في النص العذري، د. فائز القرعان، ط1، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2010م.
- ❏ في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، د. سعد عبد العزيز مصلوح، آفاق جديدة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2006م.
- ❏ في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي (التوكيد اللغوي - والنفي اللغوي - وأسلوب الاستفهام)، د. خليل العمارة، تقديم أ. سلمان حسن العاني، ط1، مكتبة المنار، الأردن، 1987م.
- ❏ في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين (المعتزلة)، د. صبحي محمود صبحي، ط4، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1982م.
- ❏ في النحو العربي (قواعد وتطبيق)، مهدي المخزومي، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1986م.
- ❏ في النحو العربي (نقد وتوجيه)، د. مهدي المخزومي، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1986م.

- ❏ في نظرية التلقي، جان ستاروبنسكي - ايف شفريل - دانييل هنري باجو، ترجمة غسان السيد، ط1، دار الغد، دمشق، 2000م.
- ❏ قاموس اللسانيات، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا 1984م.
- ❏ القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الإسترابادي (817)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2009م.
- ❏ قراءات في الشعر العربي الحديث المعاصر، دراسة د. خليل الموسى، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م.
- ❏ القراءة في الخطاب الأصولي (الإستراتيجية والإجراء)، د. يحيى رمضان، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن 2011م.
- ❏ قراءة النص الشعري الجاهلي، موسى ربابعة، ط1، مؤسسة حمادة ودار الكندي، اريد، الأردن، 1998م.
- ❏ القضايا الأساسية في علم اللغة، كلاوس هيشن، ترجمة وعلق عليه د. سعيد حسن بحيري، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م.
- ❏ قضايا الحداثة عند عبد القاهر، د. محمد عبد المطلب، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، 1995م.
- ❏ قضايا الشعرية، رومان جاكسون، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1988م.
- ❏ قضايا لسانية وحضارية، د. منذر عياشي، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1991م.
- ❏ القواعد التحويلية في ديوان حاتم الطائي، د. حسام ببنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د. ت.
- ❏ كتاب الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين (356هـ)، دار الثقافة، بيروت 1960م.
- ❏ كتاب التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، ط1، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2003م.
- ❏ الكتابة والاختلاف، جاك دريدا، ترجمة كاظم جهاد، ط1، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، المغرب، 1998م.
- ❏ الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان سيبويه (180هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط6، مطبعة الخانجي، القاهرة، 2006م.
- ❏ كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، للإمام أبي القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال (578هـ) عني بنشره وصححه وراجع أصله السيد عزت العطار الحسيني، الدار المصرية للتأليف، 1966م.
- ❏ كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري (365هـ)، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م.

- ❏ الكتاب المقدس (العهد القديم) التعريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية، شركة ماستر ميديا، القاهرة، 2002م.
- ❏ لذة النص، رولان بارت، ترجمة منذر عياشي، ط1، مركز الانماء الحضاري، حلب-سوريا 1992م.
- ❏ لسان العرب، الإمام العلامة ابن منظور (711هـ)، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من الأساتذة المختصين، ط1، دار الحديث، القاهرة، 2003م.
- ❏ لسانيات الخطاب (الأسلوبية والتلفظ والتداولية)، دراسات ومقالات مجموعة من مؤلفين، ترجمة صابر الحباشنة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2010م.
- ❏ لسانيات الخطاب، مباحث في التأسيس والإجراء، د. نعمان بوقرة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012م.
- ❏ اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف استيتة، ط2، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، 2008م.
- ❏ لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991م.
- ❏ لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، د. أحمد مداس، ط2، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، 2009م.
- ❏ لسانيات النص، النظرية والتطبيق، مقامات الهمداني أنموذجاً، تأليف ليندة قياس، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م.
- ❏ اللسانيات وتحليل النصوص، د. رابح بوحوش، ط1، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، 2007م.
- ❏ اللسانيات والدلالة، د. منذر عياشي، ط2، مركز الإنماء الحضاري، دمشق 2007م.
- ❏ اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، د. أحمد المتوكل، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 2010م.
- ❏ اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006م.
- ❏ اللغة بين المعيارية والوصفية، تمام حسان، ط4، عالم الكتب، القاهرة، 2000م.
- ❏ لغة الجسد كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم، تأليف ألن بيز، تعريب سمير شيخاني، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1997م.
- ❏ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ط5، عالم الكتب، القاهرة، 2006م.
- ❏ اللغة والدلالة، معجم في العربية ووظائفها وتقنياتها التعبيرية مع نماذج تطبيقية وفق المنهجية الجديدة، د. يوسف مارون، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ليبيا، 2007م.
- ❏ اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، ترجمة د. عباس صادق الوهاب، مراجعة د. يوئيل عزيز، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1987م.

- المأدبة، افلاطون، تعريب وليم الميري، ط1، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1954م.
- مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، ط7، دار القلم، دمشق، 2009م.
- مباحث لسانية في ظواهر قرآنية، د. مهدي أسعد العرار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م.
- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، ط2، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006م.
- مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد مقدور، ط1، دار الفكر، دمشق، 2008م.
- مبادئ النقد الأدبي، (إ.أ. ريتشاردز)، ترجمة مصطفى بدوي، مطبعة مصر، القاهرة، 1963م.
- متمردون لوجه الله (ابن حزم، ابن تيمية، رفاعه الطهطاوي، جمال الدين الأفغاني، عبد الله نديم)، محمد عوض، ط1، دار الشروق، بيروت، 1986م.
- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- مختصر العروض والقوافي، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني (392هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه قيس العطار، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د. ت.
- مدخل إلى جامع النص مع مقدمة خصّ بها المؤلف الترجمة العربية، جيران جنيت، ترجمة عبد الرحمن أيوب، ط2، دار توبقال، المغرب، 1986م.
- المدخل إلى علم الألسنية الحديث، د. جرجس ميشال الجرجس، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، د. ت.
- المدخل إلى علم اللغة، كارل ديتز بونتج، ترجمة وتعليق د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2010م.
- مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان، ديتز ذي هيفجر، ترجمة سعيد بحيري، ط1، مكتبة زهراء الشرق، مصر، 2004م.
- مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وفولفجانج دريسلر، إلهام أبو غزالة وعلى خليل أحمد، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م.
- مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، ط1، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 2008م.
- مدخل إلى علم النص ومشكلات بناء النص، تأليف زتسيسلاف واورزنيك، ترجمه وعلق عليه د. سعيد بحيري، ط2، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م.
- مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، مجموعة من الكتاب، ترجمة رضوان ظاظا، مراجعة د. المنصف الشنوفي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1997م.

- ❏ مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر، مع قاموس المصطلحات الأدبية، د. سمير حجازي، دار التوفيق، سوريا، 2004م.
- ❏ مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقاً، سعيد مرزوقي وجميل شاكر، الدار التونسية للنشر، مشروع النشر المشترك، بغداد، 1986م.
- ❏ مذاهب الأدب الغربي ومظاهرها في الأدب العربي، د. سالم أحمد الحمداني، مطبعة التعليم العالي في الموصل، 1989م.
- ❏ المذاهب النقدية، دراسة وتطبيق، د. عمر محمد الطالب، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1993م.
- ❏ المرايا المحذبة من البنيوية إلى التفكيك، عبد العزيز حمودة، ط1، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998م.
- ❏ المركزية الغربية، د. عبد الله إبراهيم، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010م.
- ❏ المستصفي من علم الأصول، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إعداد د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، 2010م.
- ❏ مشكلة البنية، د. إبراهيم زكريا، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت.
- ❏ المصاحبة في التعبير اللغوي، محمد حسن عبد العزيز، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990م.
- ❏ المصطلحات الأدبية الحديثة، د. محمد عناني، ط1، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 1996م.
- ❏ المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة محمد يحياتن، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، 2008م.
- ❏ المصطلح الفلسفي عند العرب، دراسة وتحقيق د. عبد الأمير الأعسم، منشورات مكتبة الفكر العربي، بغداد 1985م.
- ❏ المصطلح اللساني النصي، دراسة تأصيلية، نعمان بوقرة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م.
- ❏ المصون في سرّ الهوى المكنون، لأبي إسحاق إبراهيم الحصري القيرواني (413هـ)، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، دار العرب، القاهرة، 1989م.
- ❏ المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، العلامة سعد الدين التفتازاني (792هـ)، تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007م.
- ❏ المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. محمد أبو الفرج، منشورات دار النهضة، مصر، 1966م.
- ❏ معجم الأدباء، للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (626هـ)، راجعته وزارة المعارف العمومية بمصر، مطبعة المأمون، د. ت.
- ❏ معاني النحو، فاضل السامرائي، ط1، دار السلاطين، الأردن، 2010م.
- ❏ معجم البلاغة العربية، صنعة د. بدوي طبانة، ط4، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، 1997م.

- 📖 معجم السرديات، تأليف مجموعة باحثين، بإشراف محمد القاضي، ط1، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010م.
- 📖 معجم السيميائيات، د. فيصل الأحمر، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 2010م.
- 📖 معجم علم الاجتماع، د. عدنان أبو مصلح، ط2، دار أسامة ودار المشرق الثقافي، عمان، الأردن، 2006م.
- 📖 المعجم الفلسفي، د. مصطفى حسية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009م.
- 📖 معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985م.
- 📖 معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
- 📖 معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السميوطيقا)، تأليف دانيال تشاندلر، ترجمة وتقديم د. شاكر عبد الحميد، مراجعة د. نهاد صليحة، تصدير د. فوزي فهمي، ط1، أكاديمية الفنون وحدة الإصدارات (دراسات نقدية)، مصر، 2000م.
- 📖 معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة (عربي - فرنسي)، تأليف سمير حجازي، مراجعة المادة الفرنسية جالور جيورد أنينو، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.
- 📖 معجم المصطلحات السياسية، موريس كرانتون، ط3، دار النهار للنشر (ش-م-ل)، بيروت، لبنان، 2005م.
- 📖 معجم مصطلحات علم الشعر العربي، محمد مهدي الشريف، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م.
- 📖 معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، د. عليّة عزت، دار المريح للنشر، الرياض، 1984م.
- 📖 معجم اللسانيات، إشراف جورج موان، ترجمة د. جمال الحضري، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2012م.
- 📖 معجم اللسانيات الحديثة (انجليزي - عربي)، د. سامي عياد حنا ود. كريم زكي حسام الدين ود. نجيب جرجيس، مكتبة لبنان ناشرون، د. ت.
- 📖 معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (395هـ)، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2008م.
- 📖 المعجم الموسوعي في علم النفس، نوربير سيلامي بمشاركة مئة وثلاثين اختصاصياً، ترجمة وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، 2001م.
- 📖 مغامرة الكتابة في تمظهرات الفضاء النصي، مجموعة نقاد، إعداد وتقديم ومشاركة محمد صابر عبيد، عالم الكتب الحديث، اريد، الأردن، 2013م.

- المغرب في حلى المغرب، ستة مؤلفين آخرهم علي بن سعيد (685هـ)، حققه وعلق عليه د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، 1953م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، قدّم له ووضع حواشيه وفهارسه حسن حمد، أشرف عليه وراجع د. اميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، محمد مفتاح، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2010م.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني (502هـ)، تحقيق وضبط محمد خليل عيتاني، ط4، دار المعرفة، بيروت، 2005م.
- المفكرة النقدية، د. بشرى صالح موسى، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2008م.
- مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد، ط7، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008م.
- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرياض، د. ت.
- مقالات الإسلاميين، علي أبو الحسن الأشعري (324هـ)، عني بتصحيحه هـ- ريتز، مطبعة الدولة، استانبول، 1929م.
- مقدمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، ترجمة وتقديم د. عز الدين إسماعيل، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2001م.
- المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، فاضل ثامر، ط1، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 2004م.
- من تجليات الخطاب البلاغي، د. حمادي صمود، ط1، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، 1999م.
- منطق أرسطو، أرسطو طاليس، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ط1، دار القلم، بيروت، 1980م.
- المنطق الصوري منذ أرسطو وتطوره المعاصر، د. علي سامي النشار، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، الإسكندرية، مصر، 1955م.
- من قضايا الفكر اللساني في النحو والدلالة واللسانية، د. صابر الحباشة، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2009م.
- من قضايا اللغة والنحو، د. أحمد مختار عمر، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1974م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة أبي الحسن خازم القرطاجني، تقديم وتعليق محمد الحبيب بن الخدجة، ط2، تونس، 1966م.
- منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب، د. عمار ساسي، ط1، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، 2011م.
- موسوعة الدحاح في علم العربية، معجم قواعد اللغة العربية في جداول ولوحات، العقيد أنطوان الدحاح، ط9، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، 1997م.

- ❏ موسوعة السرد العربي، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د. ت.
- ❏ موسوعة المصطلح النقدي (الحبكة)، تأليف إليزابيث ديل، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981م.
- ❏ موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ط4، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، 1974م.
- ❏ نازك الملائكة بين الكتابية وتأنيث القصيدة، د. عبد العظيم السلطاني، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2010م.
- ❏ النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، د. حازم عبد الله خضر، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1980م.
- ❏ النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د. زكي مبارك، ضبط وتقديم عثمان غزال، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.
- ❏ النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د. هناء محمود إسماعيل، تقديم أ. د. كريم ناصح الخالدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2012م.
- ❏ نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001م.
- ❏ نحو النص بين الأصالة والحداثة، د. أحمد محمد عبد الراضي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م.
- ❏ نحو النص، نقد النظرية وبناء أخرى، د. عمر أبو خرمة، ط1، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، 2004م.
- ❏ النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، تأليف عباس حسن، ط1، مطبوعات الأندلس العالمية، بيروت، النجف الأشرف، 2010م.
- ❏ النحو والسياق الصوتي، د. أحمد كشك، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.
- ❏ نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية، د. خديجة محمد الصافي، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2008م.
- ❏ نسيج النص ما يكون به الملفوظ نصاً، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1993م.
- ❏ النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزّام، ط1، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001م.
- ❏ النص الغائب في (أولاد حارتنا) لنجيب محفوظ، دراسة في تفاعل النصوص، د. وليد محمود خالص، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2009م.
- ❏ النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية (نحو كتابية عربية رقمية)، د. سعيد يقطين، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2008م.

- 📖 النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، د. محمد عبد الباسط عيد ود. صلاح رزق، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م.
- 📖 النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد، ط1، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2005م.
- 📖 النص والخطاب والإجراء، روبرت ديبو جراند، ترجمة د. تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة 1998م.
- 📖 النص والسلطة والحقيقة، د. نصر حامد أبو زيد، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006م.
- 📖 النص والسياق، البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تون فانديك، ترجمة عبد القادر قنيني، ط1، منشورات أفريقيا الشرق، المغرب، 2000م.
- 📖 نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، 1997م.
- 📖 نظرية الأدب في القرن العشرين، د. محمد العمري، ط2، منشورات أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2004م.
- 📖 نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، تأليف جون لانكشو أوستن، ترجمة عبد القادر قنيني، ط2، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب 2008م.
- 📖 نظرية التأويل والخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، 2006م.
- 📖 نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007م.
- 📖 نظرية الفعل الكلامي بين علم لغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، بحث في علم الفعاليات، د. هشام عبد الله الخليفة، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2007م.
- 📖 نظم الدرر في تناسق الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د. ت.
- 📖 نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرئ التلمساني (1041هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، 1968م.
- 📖 النقد الأدبي الحديث، د. يوسف نور عوض، ط1، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م.
- 📖 النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، د. إبراهيم محمود خليل، ط4، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2011م.
- 📖 النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، د. عبد الله الغدامي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005م.
- 📖 نقد الشعر، قدامة بن جعفر (الكاتب البغدادي)، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، د. ت.

❏ النقد النسائي للأدب القصصي في مصر، د. زينب العسال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م.

❏ النقد والحداثة، عبد السلام المسدي، ط2، منشورات دار أمية، تونس، 1989م.

❏ نقد وحقيقة، رولان بارت، ترجمة منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، دمشق، 1994م.

❏ وعي الذات والعالم، نبيل سليمان، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010م.

ثانياً- الرسائل والأطاريح

❏ الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي، أطروحة دكتوراه تقدم بها الباحث محمد فليح حسن إلى مجلس كلية التربية في جامعة القادسية، 2011م.

❏ الاتساق في العربية، رسالة ماجستير تقدم بها الباحث حازم رشك حسوني إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، 2003م.

❏ رسائل الأحزان والسحاب الأحمر للرافعي، دراسة في نحو النص، رسالة ماجستير تقدمت بها الباحثة نجفة عبد الوهاب أحمد الرفاعي إلى مجلس كلية دار العلوم قسم النحو والصرف والعروض، القاهرة، 2006م.

❏ سورة الأعراف (دراسة نصية)، رسالة ماجستير تقدم بها الباحث حسين عبد الله صالح الموساي، إلى مجلس كلية التربية، جامعة الموصل، 2002م.

❏ شعر الهذليين في الخطاب النقدي العربي المعاصر، أطروحة دكتوراه للباحث سعد جرجيس سعيد، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة الموصل، 2012م.

❏ نحو النص، دراسة تطبيقية على خطب عمر بن الخطاب ووصاياه ورسائله للولاء، رسالة ماجستير تقدم بها الباحث عثمان أبو زنيد إلى مجلس كلية الآداب، الجامعة الأردنية، 2004م.

ثالثاً- الأبحاث والمقالات والحوارات

❏ أدب السيرة الذاتية، إعادة التعريف في الذهنية العربية، د. نبيل سليم علي (مقال) بمجلة العربية، مجلة الثقافة العربية، وهي مجلة شهرية تصدر في المملكة العربية السعودية، ع 408، ديسمبر 2011م.

❏ الأسد والغواص تحاور الأنماط أم تحاور الأجناس، د. صابر الحباشة، مجلة المورد الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، مج38، ع2، 2011م.

❏ إشكالية تصنيف الأجناس الأدبية في النقد الأدبي، فتحية عبد الله، مجلة عالم الفكر، الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع1، مج33، يوليو 2004م.

❏ البلاغة العربية بين الشفاهية والكتابة، دراسة في كتابي (سرّ الفصاحة ودلائل الإعجاز)، د. فائز الشرع، مجلة المورد الصادرة عن وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، مج37، ع1، 2010م.

❏ الإنسان والالتزام والقضايا المعاصرة، د. نوري حموي القيسي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، (ع23)، آب، 1987م.

- ❏ بنية انسجام.. وترميز دلالة، رؤية تأويلية في حكايات عن الغرف المعلقة، د. نوافل سعيد الحمداني دراسة، مجلة آفاق أدبية الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ع3 و4، س1، 2011م.
- ❏ التداولية النشأة والمفهوم، مؤيد عبيد، مجلة الأقلام (التداولية ملف العدد)، ع5، أيلول- تشرين الأول 2008م.
- ❏ تعليم اللغة مقامياً (براغماتياً)، د. منال محمد النجار، مجلة الدراسات اللغوية الصادرة عن مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مج2، ع4، يناير- مارس 2008م.
- ❏ تمثيل الماضي بين الذاكرة والتاريخ والتخيّل، مجلة الأقلام العراقية الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة، العراق، ع4، س46، تشرين الأول/تشرين الثاني/كانون الأول، 2011م.
- ❏ التوازي منبهاً أسلوبياً ومؤثراً صوتياً في القرآن الكريم، دراسة د. طلال خليفة سلمان، مجلة المورد الصادرة عن دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة، العراق، مج38، ع2، 2011م.
- ❏ حاجة الإنسان إلى تمثيل العالم، د. عبد الرحمن التليلي، مجلة عالم الفكر الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج40، ع3، يناير/مارس 2012م.
- ❏ الحجاج (التصورات والتقنيات)، د. مؤيد آل صوينت، مجلة الأقلام الصادرة عن دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة، العراق، س46، ع1، شباط/آذار 2011م.
- ❏ حوار مع الروائي والقاص أحمد خلف، حاوره علاء المفرجي، جريدة المدى اليومية الصادرة عن مؤسسة المدى، ع2560، س10، الأربعاء 8 آب 2012م.
- ❏ حياة وموت الأشكال الأدبية، ألستر فاوئر، ترجمة شاكر حسن راضي، مجلة الثقافة الأجنبية الصادرة عن دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ع2، س19، 1998م.
- ❏ رؤى العالم، المقدّس، كمحيّد لتابعية الرؤية الدينية للعالم (سلطة المقدّس)، د. حسن حنفي، مجلة عالم الفكر الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج40، ع3، يناير/مارس 2012م.
- ❏ الربط الذرعي في النصّ العربي، د. فالح شبيب العجمي، مجلة أبحاث يرموك، سلسلة الآداب واللغويات، مج12، ع1، 1994م.
- ❏ السردية التاريخية من العنوان إلى المتن كتاب مروج انذهب أنموذج د. قيس كاظم الجنابي، مجلة المورد، الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، مج37، ع1، 2010م.
- ❏ السيرة الذاتية وتشكلاتها في ((رماد الدرويش)) لحسب الشيخ جعفر، د. فاضل عبود التميمي، مجلة الأقلام، الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع1، كانون الثاني/شباط 2012م.
- ❏ سنام الجمل قراءة في الخزين الحداثي للنقد البلاغي العربي، د. أياد عبد الودود الحمداني، مجلة المورد الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ع1، مج1، 2010م.

- 📖 الشاعر ناقدًا، خيرى منصور، مجلة الأقلام الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ع12، س14، أيلول 1979م.
- 📖 شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفرياق، محمد الهادي المطوي، مجلة عالم الفكر الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج28، ع1، 1999م.
- 📖 شعرية العنونة اسميك بحرًا اسمي يدي الرمل أنموذجًا، د. بشرى صالح موسى، مجلة الأقلام، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ع(2) آذار/نيسان، 2002م.
- 📖 الصورة في النقد الأوربي (محاولة تطبيقها على شعرنا القديم)، د. عبد القادر الرباعي، مجلة عالم المعرفة، س(7)، ع(204)، فبراير 1979م.
- 📖 طوق الحمامة كتاب عالمي في الحب (مقال) بقلم إبراهيم زكي خورشيد، مجلة الفيصل، الصادرة عن دار الفيصل الثقافية، المملكة العربية السعودية، ع(22) السنة الحادية عشرة - نيسان - أبريل - 1987م.
- 📖 فكرة الأجناس الأدبية ومرجعياتها عند أبي هلال العسكري، د. فاضل عبود التميمي (دراسة) في مجلة المورد، وهي مجلة تراثية فصلية محكمة صادرة عن وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، مج38، ع2، 2011م.
- 📖 الفن كروية للعالم، د. سعيد توفيق، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع3، مج40، يناير، مارس 2012م.
- 📖 في التداولية إشكالية المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب، د. عيد بلبع، مجلة الأقلام (التداولية ملف العدد)، ع5، أيلول، تشرين الأول 2008م.
- 📖 في تكوين العقل البحثي وعي النظرية وسلامة الإجراء، د. محمد صابر عبيد، مقال بجريدة الاتحاد، ع3147، الاثنين 4-12-2012م، السنة الحادية والعشرين/8.
- 📖 المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، د. أحمد مختار عمر، مجلة عالم الفكر، ع1، مج2، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1989م.
- 📖 مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي، د. محمد إقبال الغروي، مجلة عالم الفكر الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع3، مج37، 2009م.
- 📖 من لسانيات الجملة إلى علم النص، د. بشير إبرير، مجلة التواصل، جامعة عنابة، الجزائر، ع4، عام 2005م.
- 📖 الموضوعية آلية للحجاج الإعلامي، د. علي جبار الشمري، مجلة ثقافتنا الصادرة عن دار العلاقات الثقافية، وزارة الثقافة، العراق، ع9، آذار 2011م.

- ❏ ميشيل فوكو مراكز تشكيل الذات المعرفية، برنهارد تاورك، ترجمة وتقديم أسامة الشحمانى، مجلة الثقافة الأجنبية الصادرة عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع2، س32، 2011م.
- ❏ النص بوصفه اشكالية راهنة في النقد الحديث، فاضل ثامر، مجلة الأقلام الصادرة من دار الشؤون الثقافية، بغداد، ع(3)، س(27)، 1992.
- ❏ نظرية الأجناس الأدبية، د. أحمد المسناوي، مجلة عالم الفكر الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج40، ع3، يناير، مارس 2012م.
- ❏ من النص إلى النص المترابط، د. سعيد يقطين، مجلة عالم الفكر، ع2، 2003م.
- ❏ نظرية الحجاج، د. نعمان بوقرة، مجلة الموقف الأدبي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، س(35)، ع (407) آذار 2005م.
- ❏ نظرية الحدث اللغوي (تحليل ونقد)، د. محمد العبد، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مج(2)، ع(4) يناير/مارس 2001م.
- رابعاً- الندوات
- ❏ التعابير الاصطلاحية والسياقية ومعجم عربي لها، د.علي القاسمي، ضمن أعمال ندوة مشكلات اللغة العربية على مستوى الخليج والجزيرة العربية، نوفمبر 1979م.
- ❏ الحذف كعنصر اتساق في خطب نهج البلاغة، د. علي رضا نظري ود. نرجس أنصاري، ضمن أعمال المؤتمر العلمي الدولي الأول عن كتاب نهج البلاغة للإمام علي بعنوان (نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان)، النجف الأشرف، 2011م.
- ❏ مكاشفة سيميائية دلالية لقصاص الحب في رسالة طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي (ت456هـ) د. كبوط عبد الحليم، ضمن أعمال الملتقى الوطني الخامس في جامعة محمد خضير (السيمياء والنص الأدبي)، منشورات الجامعة، بسكرة، الجزائر، 2008م.
- ❏ الشعر ومتغيرات المرحلة حول الحداثة وحوار الأشكال الشعرية الجديدة، د. سليمان الواسطي، ضمن أعمال مهرجان المريد الشعري السادس، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.
- ❏ العلاقات النصية، عمر عبد العاطي أبو العينين، بحث في كتاب بين نحو الجملة ونحو النص ضمن أعمال المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، دار العلوم، جامعة القاهرة 2005م.
- ❏ نحو الجملة ونحو النص، محاضرة ألقاها د. تمام حسان في معهد اللغة العربية بأمر القرى (مكة المكرمة) في الموسم الثقافي الصيفي، 1995م.
- ❏ نظرية، نص، أدب، ثلاثة مفاهيم نقدية، د. عبد الملك مرتاض، ضمن أعمال ملتقى جدّة (قراءة جديدة لتراثنا النقدي)، النادي الأدبي بجدّة 1410هـ - 1990م.

سعد سرحت

له:

مسائل في نحو النص
والنصية (قيد الطبع)

شهد علم اللغة الحديث (اللسانيات) انعطافة كبيرة، تمثلت بانتقال ثقل الدرس اللساني من تبني (الجملة)، بوصفها أحق وحدة في التحليل والممارسة، إلى تبني فضاء رحب يتجاوز الجملة وحدودها الضيقة، ذلكم هو الفضاء النصي، الذي يحتاج، بغية تكوينه وتحليله، إلى تضافر كل أطراف العملية الاتصالية. على أن هذه الانعطافة لا تعني إيقاع الجملة ونحوها في الظل، بقدر ما تعني تصحيحاً للمسار اللساني، الذي ينبغي أن ينطلق في عمله من نظرة مغايرة عما كان عليها علم اللغة عند القدامى، وعند المعاصرين من بنيويين وتوليديين وغيرهم، الذين جعلوا من الجملة نهاية المطاف ولم يبالوا بنظرهم غيرها مما يجاورها في المعطى اللغوي.

+964 773 455 2537

muhammedyounes518@gmail.com



سلسلة منشورات نون